

ديوان المعزاني

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخنا لأمامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة المشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الأول

عالم الكتب

﴿ كلمة عن حياة المؤلف ﴾

عن معجم الأدباء لياقوت وعيون التواريخ لابن شاكر

وشذرات الذهب لابن العماد، وغيرها

هو أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوى
العسكرى .

قال أبو طاهر السلفى : سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردى
رحمه الله بهمدان عنه فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقہ^(١) معاً ، وقال كان يتبرز احتراماً
من الطمع والدناءة والتبذل - وذكر فيه فصلاً هو في سؤالاته عنه - وكان الغالب عليه
الأدب والشعر، وله في اللغة كتاب وسمه بالتلخيص كتاب مفيد، وكتاب الصناعتين
صناعتي النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً^(٢) .

ومن جملة من روى عنه : أبو سعد السمان الحافظ بالرى ، وأبو الفنائم بن حماد
المقرى إملاءً . وأنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرى لنفسه :

قد تعاطاك شبابٌ وتغشاك مشيبٌ
فأنى ماليس يمضى ومضى ما لا يؤوبٌ
فتأهبٌ لسقامٍ ليس يشفيه طيبٌ
لاتوهه بعيداً إنما الآتى قريبٌ

ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفى بتستر قال
أنشدنا أبو حكيم أحمد بن إسماعيل العسكرى أنشدنا أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى لنفسه بالعسكر :

(١) في نسخة « العفة » مكان « الفقہ » . (٢) سيذكر باقى مصنفاته بعد .

إذا كان مالى مالٌ من يلقطُ المعجم وحالى فيكم حالٌ من حاكٍ أو حجم
فأينَ اتفانى بالاصالةِ والحجا وما ربحتُ كفى على العلم والحكم
ومن ذا الذى فى الناس^(١) يبصرُ حالى فلا يلمنُ القرطاسَ والخبرَ والقلم
ومما أنشدنا القاضى أبو أحمد الحنفى بتستر قال أنشدنى أبو حكيم اللغوى قال

أنشدنا أبو هلال المسكرى لنفسه :

جلوسى فى سوقٍ أبيعُ وأشتري دليلٌ على أن الأناجَ قرودُ
ولا خيرَ فى قومٍ تدلُّ كرامهم ويعظمُ فيهم نذلهم ويسودُ
وتهجوهمُ عنى رثائهُ كسوتى^(٢) هجاءٌ قبيحاً ما عليه مزيدُ

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضى بالسوس قال أنشدنا
المظفر بن طاهر بن الجراح الاسترأباذى قال أنشدنى أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل اللغوى المسكرى لنفسه :

يا هلالاً من القصورِ تدلّى صامَ وجهى لمقلتيهِ وصَلّى
لستُ أدرى أطلالَ ليلٍ أم لا كيفَ يدري بذاك من يتقلّى
لو تفرَّغتُ لاستطالةِ ليلى ولرعى النجومِ كنتُ مخلى
هذا آخر ما ذكره السلفى من حال أبى هلال .

قال ياقوت : وهذه الأبيات الأخيرة التى منها * لست أدرى أطلال ليلى أم لا *
والبيت الذى بعده رأيتُه فى بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم^(٣) .
هذا عن السلفى . وذكر غيره أن أباه هلال كان ابن أخت أبى أحمد المسكرى .
وله من الكتب بعد ما ذكره السلفى : كتاب ديوان المعانى وهو من أحسن الكتب^(٤)

(١) فى عيون التواريخ (فى الدهر) . (٢) فى عيون التواريخ (رثائمه لمبلى)

(٣) لعل الغلط من الزاوى لأن أباه هلال نفسه ذكر الأبيات فى الجزء

الأول من هذا الكتاب فى الصفحة ٣٥٠ منسوبة لخالد الكاتب .

(٤) يبنى ابن شاعر فى عيون التواريخ على (ديوان المعانى) فلمله اطع عليه .

وكتاب جمهرة الأمثال . كتاب معاني الأدب . كتاب من احتكم من الخلفاء
إلى القضاة . كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد . كتاب شرح الحماسة . كتاب
مفاخرة الدرهم والدينار . كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات . كتاب
المعدة . كتاب فضل العطاء على العسر . كتاب ماتلحن فيه الخاصة . كتاب
أعلام المعاني في معاني الشعر . كتاب الأوائل . كتاب ديوان شعره . كتاب
الفرق بين المعاني . كتاب نوادر الواحد والجمع . كتاب الفروق .

قال ياقوت : وأما وفاته فلم يلبث فيها شيء ، غير أني وجدت في آخر كتاب
الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت
من شعبان سنة ٣٩٥ ، ولبعضهم :

وأحسن ما قرأتُ على كتاب
فلو أني جُملتُ أميرَ جيشٍ
فإنَّ الناسَ ينهزمون منه
وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة :

فترتُ صبوتي وأقصرَ شجوى
إنَّ رَوْحَ الشتاءِ خلصَ رُوحى
بردَ الماءِ والهواءُ كأنَّ قد
ريحه تُلمسُ الصدورَ فتشقى
لستُ أنسى منه دَمائَةَ دجن
ثمَّ من بعده نَضارةَ صحوِ
وجنوباً تبشرُ الأرضَ بالقطرِ كما بُشِّرَ العليلُ ببروِ
وغيوماً مطرِزاتِ الحواشى
كلا أرختَ السماءُ عُراها
وهي تعطيك حينَ هبتَ شمالاً
وترى الأرضَ في ملاءةٍ تلج
وأنا نبي السرورُ من كلِّ نحوِ
من حُرورٍ تشوى الوجوه وتكوى
سرقَ البردُ من جوانحِ خلوِ
وغماماتهُ تصوبُ فتزوى
بوميضٍ من البروقِ وخفويِ
جمعَ القطرُ بينَ سُفلٍ وعلوِ
بردَ ماءٍ فيها ورقةٌ جَوِّ
مثلَ ربطٍ لبستهُ فوقَ فروِ

فاستعارَ العراءَ^(١) منها لباساً
 فكانَ الكافورَ موضعَ ترب
 وليلَ أطلنَ مُدَّةَ درسي
 مرَّ لى بمضها ببقه وبمض^م
 وحديثِ كأنه عُقدُ رِيًّا
 في حديثِ الرِّجالِ رَوْضَةُ أنسِ
 ومن شعره في ارتفاعِ السفلى :

لا يفرنكمُ علوُّ لثيم
 فارتفاعُ الغريقِ فيه فضوح^م
 فملوُّ لا يُستحقُّ سفال^م
 وارتفاعُ المصلوبِ فيه نكال^م

(١) في الأصل « العرار » . (٢) أكثر هذه الأبيات غير موجود في ديوان
 المعاني ، مما يدل على كثرة نظم أبي هلال وسعة ديوانه رحمه الله .

ما تعدت فيه طورك عندي فبخر منه ما بين طير
 وحدثني ابو احمد عن ابيه عن احمد قال حدثني ابو دعامة الشاعر
 قال كت العنابي الي مالك بن طوق يستزيد ويستزيد به ويدعوه
 الي صلة الرحم والقراية بينه وبينه وكان ما كت ان ذراتك من
 قرب منك خير من ان ابن عمك من عم نفعه وان عسرتك من
 احسن معاشرتك وان احب الناس اليك اهدام بالمنفعة
 عليك وان اهدام الي مودتك من هدي اليك ولذا اقول
 ولقد بلوت الناس ثم سبوتهم ووصلت ما قطعوا من الاسباب
 فاذا القراية لا تقرب قاطعا واذا المودة اقرب الانساب
قال ابو هلال رحمه الله

هذا اخر ما راينا نفيحه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على جلائل نعمه وفواضل آلائه وقسمه والرغبة اليه فيما يزلف لديه ويمهد المنزلة عنده ويوجب الحظوة قبله والصلاة على خير بريته محمد وعترته . قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله تعالى : جمعت في هذا الكتاب أبلغ ما جاء في كل فن وأبداع ما روى في كل نوع من أعلام المعاني وأعيانها إلى عواد بها وشذاها ، وتخيرت من ذلك ما كان جيد النظم محكم الرصف غير مهلهل رخو ولا متجمد فجع ، وهذا نوع من الكلام لا يزال الأديب يسأل عنه في المجالس الحافلة والمشاهد الجامعة إذا أريد الوقوف على مبلغ علمه ومقدار حفظه فان سبق إليه بالجواب جل قدره وفخمه أمره ، وإن نكص عن ميدانه وشال في ميزانه قلت الرغبة فيه وانصرف القلوب عنه ، وذلك مثل ما أخبرنا به أبو أحمد الحسن ابن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى ^(١) قال : كان بعض من ينتحل الأدب يريد الدخول في جملة أبي الفضل محمد بن الحسن بن العميد ^(٢) لمنادته ، وشفع له في

(١) هو شيخ المصنف وسميه اللغوي العلامة ، يروى عنه في هذا الكتاب كثيراً ، ولد سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وكان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم والتحقيق في التأليف ، توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . وقد اختلط السنيان على صاحب الأعلام وهما في الإمامة علمان .

(٢) الملقب بالجاحظ الثاني ، كان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ، وأما

ذلك جماعة من بطائه فأحضره يوماً وفاوضه ليقف على مقداره في المعرفة فقال له
 فيما قال : ما أحسن ما قيل في صفة شعر ؟ فبقى ملياً يتفكر فقال أبو الفضل : فندعد
 خاطر كُحْدَاجَة ، ثم قال هات أيها الشيخ فقلت أحسن ما قاله قديم في ذلك قول الشاعر :
 فان أهلك فقد أقيتُ بعدى قوافي تُعجِبُ التمثيلينا
 لذيدات المقاطع محكمات لو أن الشعرَ يلبسُ لارتدبنا
 وأحسن ما قاله محدث قول أبي تمام ^(١) :

ووالله لا أنفكُ أهدى شوارداً إليك يُحملنَ الثناء المنخلا
 تحالُ به بُرداً عليك محبراً وتحسبها عقداً عليك مُفصلاً
 أذً من السلوى وأطيبَ نَفحةً من المسك مفتوقاً وأيسرَ محملاً
 أخفَّ على رُوحٍ وأقلَّ قيمةً وأقصرَ في سَمعِ الجليس وأطولاً
 ويُزهى به قومٌ ولم يمدحوا بها إذا مثل الرأوى بها أو تمثلاً

الأدب والترسل فلم يقاربه فيه أحد ، كان كامل الرياضة جليل القدر ، من بعض
 أتباعه الصاحب بن عباد ، ولأجل صحبته له قيل له الصاحب ، وكان له في الرسائل اليد
 البيضاء . قال الثعالبي : كان يقال بدئت الكتابة بمبدأ الحميد وختمت بابن العميد ..
 وكان الصاحب بن عباد قد سافر إلى بغداد فلما رجع إليه قال له كيف وجدت بها ؟ فقال
 بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد ، وكان يقال له الأستاذ . وكان سائساً مدبراً
 للملك قائماً بحقوقه ، وله شعر رقيق ، وقصده جماعة من مشهوري الشعراء من
 البلاد الشاسعة ومدحوه بأحسن المدائح ، منهم أبو الطيب المتنبي ، توفي سنة ٣٦٠ .
 (١) هو حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور ، ولد بسورية وجاب البلاد
 ومدح الخلفاء وغيرهم ، قال ابن الأثير : أما أبو تمام فرب معان وصيقل ألباب
 وأذهان ، وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثر ، فن حفظ شعر الرجل
 وكشف عن غامضه وراض فكره برائضه أطاعته أعنة الكلام وكان قوله في
 البلاغة ما قالت حزام ، مات سنة ٢٣١ - كما في شذرات الذهب وغيره .

وقوله : إن القوافي والمساعي لم تزل
هي جوهرٌ ثرٌّ فان ألفتها
في كل معترك وكل مقامة
فاذا القصائد لم تكن خفراءها
من أجل ذلك كانت العُرب الأثلى
وتند عندهم العلاء الأعلى التي
قال وبقي الرجل لا يفيض بكلمة ثم خرج ولم يعد . قوله فند يعني أن خاطره بطيء ،
وفند هذا محنت كان بالمدينة مولى لعائشة بنت أبي وقاص (٤) ، وكانت بعثته
ليقتبس ناراً فأتى مصر وأقام بها سنة ثم جاء بنار وهو يعدو فعثر فتبدد الجر فقال
تعست العجلة فقالت فيه :

بمتهلك قابساً فلبثت حولا متى يأتي غيائتك من تعيث
وقال الشاعر : مارأينا لغراب (٥) ممثلاً إذ بعثناه لحمل المشملة (٦)
غير فند أرسلوه قابساً فنسوى حولا وسب العجله

فتمثلت العرب به فقالت أبطأ من فند . وحداجة رجل يضرب به المثل في
السرعة فقيل أسرع من حداجة (٧) .

ومن سبق إلى الجواب عن هذا النوع فخطي النضر بن شميل (٨) أخبرنا أبو

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع « مثل الجمان » وهو اللواؤ . (٢) في الديوان
المطبوع « يدعون هذا » . (٣) في الديوان « مرر القصيد » . (٤) في مجمع الأمثال :
بنت سعد بن أبي وقاص . (٥) غراب إسم رجل . (٦) المشملة كساء تجمع فيه
المقدحة بالآلاتها ، وقيل ثوب يشتمل به وقيل غير ذلك . (٧) وهو رجل من عبس .
(٨) وهو النضر بن شميل المازني البصري كان رأساً في الحديث رأساً في اللغة
والنحو ثقة صاحب سنة ، ضاقت معيشته بالبصرة فرحل الى خراسان فشيعة من
البصرة نحو من ثلاثمائة عالم ، توفي سنة ٢٠٣ كما في شذرات الذهب وغيره .

أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال حدثني أبي قال حدثنا إبراهيم بن حامد قال حدثنا أبو بشر محمد بن ناصح الاصبهاني عن النضر بن شميل المازني قال : كنت أدخل على المأمون في سمرة فدخلت عليه ذات ليلة وعلى قميص مرقوع فقال يا نضر ماهذا القشف ^(١) فقلت يا أمير المؤمنين أنا شيخ ضعيف وحر مر وشديد فأتبرد بهذه الخلقان، قال لا ولكنك قشف فأجرينا الحديث إلى أن أخذ المأمون في ذكر النساء فقال : حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سدادٌ من عَوَزٍ » فقلت صدق يا أمير المؤمنين هشيم حدثنا عوف بن أبي جميلة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عَوَزٍ » قال وكان متكئاً فاستوى جالساً فقال يا نضر كيف قلت سداد قلت يا أمير المؤمنين السداد ههنا لحن قال ويحك أتلتحني قلت إنما لحن هشيم وكان لحانة فتبع أمير المؤمنين لفظه ، قال فالفرق بينهما ؟ قلت السداد القصد في الدين والسبيل ، والسداد البلغة وكل ماسددت به شيئاً فهو سداد ، قال وتعرف العرب هذا ؟ قلت نعم العرجي ^(٢) يقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا ليوم كريمة وسداد نغر
قال قبيح الله من لأدب له ، ثم أطرق ملياً ثم قال : أنشدني أخلب بيت قائمه العرب
قلت حمزة بن بيض ^(٣) يقول في الحكم بن مروان :

(١) القشف : رثاء الهيمية . (٢) هو الشاعر المشهور ، منسوب الى العرج منزلة بين مكة والمدينة ، وكان حبسه محمد بن هشام الخزومي أمير مكة لما شبب بأمه فأقام بالحبس سبع سنين ومات فيه عن ثمانين سنة ، وبعد البيت المذكور :
وصبر عند معترك المنايا وقد شرعت أسننها بنحري
(٣) شاعر مجيد من أهل الكوفة ، كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ثم الى بلال بن أبي بردة . توفي سنة ١٢٠ هـ و « بيض » بكسر الباء الموحدة وسكون

يقولون لي والعيون هازغة أقم علينا يوماً فلم أقم
 أي الوجوه اتجعت قلت لها وأي وجه إلا إلى الحكم
 متى يقل صاحباً سرادقه هذا ابن بيض بالباب يتسم
 قد كنت أسلمت فيك مقبلاً فهات أذحل أو قى سلمى
 فقال أحسن ماشاء، أنشدني أنصف بيت قالته العرب قلت ابن غزوية المدني

حيث يقول:

إني وإن كان ابن عمي واغراً لمزاحم من خلفه وورائه
 وميمده بصرى وإن كان امراً مستزحماً في أرضه وسمايه
 وأكون وإلى سره فأصونه حتى يحين على وقت أدائه
 وإذا الحوادث أجهفت بسوامه^(١) فترت صحیحتنا إلى جربائه
 وإذا دعا باسمي لتربك مركبا صعباً قعدت له على سيائه^(٢)
 وإذا رأيت له رداً ناضراً لم يلفني متمنياً لردائه

فقال أحسن ماشاء، أنشدني أفنع بيت للعرب قلت الراعي^(٣) حيث يقول:

أطلب ما يطلب الكريم من الرزق لنفسي فأجل الطلبا
 وأحلب النرة الصفاء ولا أجهد أخلاف غيرها حلبا
 إني رأيت الفتى الكريم إذا رغبته في صنعة رغبنا
 والنذل لا يطلب العلاء ولا يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
 مثل الحمار الموقع السولا يحسن شيئاً إلا إذا ضرباً
 ولم أجد غرة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسبا

الياء آخر الحروف وآخرها ضاد معجمة ، على مانص عليه في الوافي بالوفيات
 والتاج، ويضبطه كثيرون بالفتح وهو خطأ . (١) السوام: الأبل . (٢) السياء
 بالكسر: منتظم فقار الظهر ، ومن الفرس حاركه ، ومن الحمار ظهره . القاموس .
 (٣) هو الشاعر عبيد بن حصين الراعي النيزي ، من معاصري جرير والفرزدق .

قَدِمْ رُزْقُ الْخَافِقِ الْمُقِيمُ وَمَا شَدَّ بَيْشِ رَحَلًا وَلَا قَبَا
 وَيَجْرَمُ الرُّزْقُ ذُو الطَّيَةِ وَالسَّرْحَلُ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُخْتَرِبًا
 قَالَ أَحْسَنُ مَا شَاءَ ، مَا مَالِكَ يَا نَضْرَ ؟ قُلْتُ أَرَيْضٌ لِي بِمَرُ أَنْصَابِهَا وَأَمْتِدْهَا قَالَ
 أَلَا ^(١) نَفِيدُكَ مَعَ ذَلِكَ مَالًا ؟ قُلْتُ إِنِّي إِلَى ذَلِكَ مُحْتَاجٌ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرطَاسَ وَكَتَبَ
 وَلَا أَدْرِي مَا كَتَبَ ، قَالَ كَيْفَ تَقُولُ مِنَ التَّرَابِ إِذَا أَمَرْتُ أَنْ تَتْرَبَ ؟ قُلْتُ أَتْرَبُهُ ،
 قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَتْرَبٌ ، قَالَ فَمِنْ الطَّيْنِ ؟ قُلْتُ طِنُهُ ، قَالَ فَهُوَ مَاذَا ؟ قُلْتُ مَطِينٌ ،
 قَالَ هَذِهِ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى ثُمَّ قَالَ يَا غُلَامُ أَتْرَبُهُ وَطِنُهُ ، ثُمَّ صَلَّى بِنَا الْعِشَاءَ ثُمَّ قَالَ
 لِحَادِمِهِ تَبْلُغْ مَعِيَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ . فَأَتَيْتُهُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ قَالَ يَا نَضْرَ إِنْ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ أَمَرَ لَكَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ فَمَا كَانَ السَّبَبَ فَأَخْبَرْتَهُ وَلَمْ أَكْذِبْهُ فَقَالَ
 لَحَنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قُلْتُ كَلَّا أَمَّا لِحْنُ هَشِيمٍ وَكَانَ لِحَانَةَ قَتِيعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِنَفْطِهِ
 وَقَدْ تَتَّبَعْتُ الْفُقَهَاءَ ، فَأَمَرَ لِي الْفَضْلُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَخَذْتُ ثَمَانِينَ أَلْفًا بِجِرْفِ اسْتِعْدَادِهِ مِنِّي .
 وَأَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدَ قَالَ أَخْبَرْنَا الصُّوْلِيَّ قَالَ أَخْبَرْنَا أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى الْمُهَلَّبِيَّ قَالَ
 حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْوَائِقِ بِاللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُ مَا قِيلَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ
 فَأَمَرْتُ أَنْ يُسْأَلَ أَبُو جَحْمٍ عَنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ فَسُئِلَ بَعْدَ أَنْ أَحْضَرَ فَقَالَ أَحْسَنُهُ
 قَوْلُ حَكِيمٍ وَهُوَ شَاعِرُ عَصْرِهِ النَّبْرُ بْنُ تَوْلَبِ الْعَمَلِيِّ ^(٢) :

وَفِيهِ كَالسِّيَوفِ أَحْصَرَهُمْ لَا حَصْرَ فِيهِمْ وَلَا بَجَلَ
 بِيضٌ مَسَامِيحٌ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ وَبَلِهِ وَبَلُوا ^(٣)
 لَا يَتَأَرَوْنَ ^(٤) فِي الْمَضِيقِ وَإِنْ نَادَى مُنَادٌ أَنْ أَنْزِلُوا نَزَلُوا
 لَا يَمْتَرِي شَرِبْنَا الْجَبَاءَ وَقَدْ تُوْهَبُ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحَلَلُ

فَاسْتَحْسَنَ الْوَائِقِ الْأَيَّاتِ وَوَهَبٌ ^(٥) أَبُو جَحْمٍ .

(١) فِي نَسْخَةِ « أَفْلَا » . (٢) مِنْ شِعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ كَبِيرًا ،

وَكَانَ وَجِيهًا جَوَادًا . (٣) الْوَبْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ . (٤) تَأْرَى بِالْمَكَانِ : احْتَبَسَ .

(٥) فِي نَسْخَةِ « وَوَصَلَ » .

حاجة الأديب إلى هذا الفن شديدة وفاقه إليه عتيدة ، وأولى ما يصنف ويؤلف
ويقرب مأخذه ويسهل ما كانت الحاجة إليه هذه الحاجة فوقت العناية عليه وانصرفت
بالاهتمام إليه حتى تهذب وتثقف وتشذب وتدانت شعبه وتقاربت سبله ولم أبال
مألني فيه من زيادة تعب وفضل كد ونصب إذ لم يكن الانسان يبلغ ما يريد وينال
ما يرغب ^(١) إلا بتكلفة لغوب ^(٢) ومواصلة دؤوب لاسباب إذا كان الغرض الذي
ينزع إليه جسيما يكسبه حسن الذكر ويمنحه طيب النشر من علم يتقنه أو يصنفه
ويدونه أو يرايه أرادها فارتادها وسيادة طلب اقتيادها وليس ذلك للمتواهي المتهاون
ولا المتواكل المتواهن ، وقد قيل :

سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ عَنِ الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
وقيل : وإن سيادة الأقسام فأعلم لها صداء مطلقها طويل
وقيل : إن السيادة والرياسة والعلى أعباؤها كما علمت يقال
وقيل : وإن جسيمات الأمور منوطة بمستودعات في بطون الأسود
وقلت : * إن الأمور مزيجها في المتعب * وفي المثل « عند الصباح يحمد القوم
السرى » وقيل * ما لن لم يركب الأهوال حظ * وقلت :

وَلَمْ يَتَسَهَّلْ لِلْفَتَى دَرَكُ الْمَلَأِ إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْمُتَصَعِبِ
ومن كانت له حاجة في الشيء اشتغل به وفرغ له واستندب التعب فيه حتى بلغ
مراده منه وقيل :

طَوَامِسُ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَبِيبٌ
بميد على من ليس يطلب حاجة وأما على ذي حاجة فقريب
والذي حداني على جمع هذا النوع أيضا اني لم أجد فيه كتابا مؤلفا ولا كلاما مصنفًا
يجمع فنونه ويحوى ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف
الصحف غير مقنع يشق الراغب ويكفي الطالب فجمعته ههنا وأضفت إلى كل نوع منه

(١) أراش : أراد وطلب . (٢) أي متعبة أشد تعب كما في القاموس .

ما يقاربه من أمثاله وما يجرى معه من أشكاله ليكون مادة للمناقضة وقوة للمفاوضة ،
وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر وأجلى به صداء الخاطر
لأن الخروج من ضرب إلى ضرب أنقى لللال وأعدى على الكلال من لزوم نهج
لا يتعداه والاقصر على أمر لا يتوخى سواه .

وجعلته إثني عشر باباً : الباب الأول : في التهانى والمديح والافتخار .

الباب الثانى : فى الحصل .

الباب الثالث : فى المعاتبات والهجاء والاعتذار .

الباب الرابع : فى الغزل وأوصاف الحسان .

الباب الخامس : فى ذكر النار والطبخ وأنواع الطعام وصفات الشراب
وما يجرى مع ذلك .

الباب السادس : فى ذكر السماء والنجوم والشمس والقمر وما يجرى مع ذلك .

الباب السابع : فى ذكر السحاب والمطر والثلوج والمياه وصفات البساتين
والرياض والأشجار والثمار والرياحين والنسيم وما يجرى مع ذلك .

الباب الثامن : فى ذكر السلاح والحرب وما يشبه ذلك .

الباب التاسع : فى ذكر القلم والخط والكتاب وصفة البلاغة وما يجرى مع ذلك .

الباب العاشر : فى ذكر الخيل والابل والسير والفلوات والسراب وصفة
سائر الحيوانات .

الباب الحادى عشر : فى ذكر الشباب والشيب والعلل والموت والمرأى
والتعازى والزهد .

الباب الثانى عشر : فى صفات أشياء مختلفة .

ثم رأيت أصحابنا يشكون طولها وكبر حجمها وبعد غايته فجعلت كل باب منه
ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليخف محمله ويقرب مأخذه ، على أن فوائد الكتاب
على قدره فى صغره وكبره ولكن ينبغى أن يحمل على كل بقدر طاقته ويكلف

على حسب مقدرته ويحدث بما ينشط لاستماعه ويتسع لوعيه ، وتقريب الحكمة
حكمة ثانية وبكسوها المحبة ويوجد اليها الرغبة ، وأرجو أن أوافق الصواب في
جميع ماضمنت هذه الأبواب ، وإن وجد في بعض فصوله خطأ أو تعرض فيه زلل
أو تخلله خلل فغير بديع ولا قبيح شنيع لأن النقصان منوط بالانسان لا يسلم منه
خَلَقَهُ وَخَلَقَهُ وَقَوْلُهُ وَفَعَلَهُ وَقَدْ شَمِلَ الْعَيْبُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى صَارَتْ فِي وَجْهِ الْقَمَرِ
سَفْعَةً ، وقد قلت :

وفي كل شيء حين تَخْبُرُ أمره معائبُ حتى البدر أكلفُ أسفَعُ
والشيء إذا سلم جله فقد حسن كله وبالله التوفيق :

﴿ كتاب المبالغة ﴾

في المديح والتهاى والافتخار وهو الباب الأول
من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المديح ﴾

سمعت أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد رحمه الله تعالى يقول أمدح بيت
قائه العرب قول النابغة الذبياني ^(١) .
ألم تر أن الله أعطاك سورةً ترى كل مملكٍ دونها يتدبذب ^(٢)

(١) هو زياد بن معاوية ، لقب بالنابغة لنيغته في الشعر ، كان يعرض عليه
الشعراء قصائدهم في سوق عكاظ ، وهو أحد أصحاب الملقات ، كان حظي باقبال
النعمان بن المنذر ، ثم هرب خيفة من بطشه بمد أن شيب بزوجه ، ثم عفا عنه
ورجع إليه ، مات سنة ١٨ قبل الهجرة . وقيل لقب بالنابغة ببعض شعره .
(٢) السورة : المقام والمكانة ، والمالك : الملك ، ويتدبذب : يضطرب .

بأنك شمس^١ والملك^(١) كواكب^٢ إذا طلعت لم يبداً منهن كوكب
ثم قال أخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى بن العباس قال حدثني أبو ذكوان قال : أدخلت
إلى إبراهيم بن العباس وهو بالأهواز خدمته فقال ما تقول في شعر النابغة * ألم تر أن
الله أعطاك سورة - البيتين فقلت ما عندي فيه إلا الظاهر المشهور يقول فضلك على
الملك كفضل الشمس على الكواكب فقال نفهم معناه قبل هذا إنما يعتذر إلى
النعمان من مدحه آل جفنة الغسانيين وتركه له ويريد أن له في مدحه لهم عذراً
ألا ترى إلى قوله :

ولكنني كنتُ امرأةً لى جانب من الأرض فيه مُستردٌّ ومَذْهَبٌ
مُدُوك^(٢) وإخوان إذا ما أتيتهم أَحَكَّم في أموالهم وأقرب
لكمك في قوم أراك اصطنعتهم^(٣) فلم ترهم في شُكر ذلك أذنبوا
يقول لا تمنى على شكركى وقد أحسنوا إلى إذ لجأت إليهم وإن كانوا أعداءك كما
أحسنتم إلى قوم فشكروك عند أعدائك فقد أحسنوا ولم يذنبوا ، ثم قال اعمل على أنى
أذنبت فمن أين تجد من لا يذنب فقال :

ولست بمُستتَبِقٍ أخاً لآلتهُ على شَعَثِ أى الرجال المهذب
فإن أكُ مظلوماً فمبداً ظمته وإن يك ذا عتبي فمثلك يُعتب
يقول مثلك ينفو ويحسن وإن كان عاتباً وفي كرمك ما يفعل ذلك ولك

العتبي والرَجوع إلى ما يجب ، ثم فضله عليهم فقال :
ألم ترَ أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
بأنك شمس^١ والملك كواكب^٢ إذا طلعت لم يبداً منهن كوكب
يقول ما صلحت لى أنت فافى لا أريد غيرك من الملك كما أن من طلعت عليه

(١) في الأصل هنا «النجوم» مكان «الملك» الموجودة في ديوان النابغة

المطبوع ، وفي الأصل بعد أسطر كذلك . (٢) وهم ملوك غسان . (٣) الذى فى

ديوان النابغة المطبوع « كفضلك فى قوم أراك اصطنعتهم » .

الشمس لم يحتج الى النجوم . قال أبو ذكوان وما رأيت أعلم بالشعر منه . ثم قال لو أراد كاتب بليغ أن يثر من هذه المعاني ما نظمه النابغة ما جاء به في أضعاف كلامه ، وكان يفضل هذا الشعر على جميع أشعار الناس . وقد سبق بمض شعراء كندة النابغة الى هذا المعنى فقال يمدح عمرو بن هند :

تَكَادُ تَمِيدُ الْأَرْضُ بِالنَّاسِ إِنْ رَأَوْا لِعَمْرٍو بْنِ هِنْدٍ عَصَبَةً وَهُوَ طَائِبٌ
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوءٍ والملوك كواكب
وقالت صفية الباهلية :

أَخْبَنِي عَلَى مَالِكِ رَبِّ الزَّمَانِ وَلَا يَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَذَرُ
كنا كأنجم ليل يئتنا قمرٌ ومن ههنا أخذ أبو تمام :

كَأَنَّ بَنِي نَبِيحَانَ يَوْمَ وِفَاتِهِ نَجْمٌ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ
وقال نصيب في معنى النابغة :

هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ وَهَلْ يَشْبَهُ الْبَدْرَ الْمَضِيءَ الْكَوَاكِبُ
ومثل قول النابغة * احكم في أمواهم وأقرب * قول الأشجع^(١) :

لَا تَعْدِلُونِي فِي مَدِيحِي مَعَشَرًا خَطَبُوا الْمَدِيحَ إِلَى الْأَمْوَالِ
يتزحزون إذا رأوني مقبلا عن كل متكا من الاجلال
وسمعت أبا أحمد يقول : أبرع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فَانْكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنْ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ

ثم قال أخبرني محمد بن يحيى قال أخبرنا عون بن محمد الكندي أخبرنا قعنب بن محرز قال سمعت الأصمعي قال سمعت أبا عمرو يقول كان زهير يمدح السوقة ولو ضرب أسفل قدميه مائة على أن يقول مثل قول النابغة * فانك كالليل الذي هو مدركي *

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي من نخول الشعراء ، مدح البرامكة ، وتقرب

من الرشيد ، ومات بعده .

مقاله فسا لا يقول مثله زهير كان غيره أبعد منه .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن السكن بن سعيد عن محمد بن عباد قال سمعت أبا عبد الله نفظويه يذكر عن الفراء . قال قال الكسائي حضرت مجلساً للخليل بن أحمد وقد جمع بينه وبين يونس بن حبيب ^(١) عند العباس بن محمد في مفاتحة اللغات ومجاريها ونوادير الأعراب ومذاهب العرب ومجازها وأخبارها فكان الخليل كالسابق قرن به ذوا زوائد الحطم في حلبة المضمار إلى أن تذاكروا ^(٢) الأشعار والشعراء فأكثر يونس من ذكر زهير وتقديمه وذكر الخليل النابغة وقدمه وعظم أمره فقال العباس للخليل بم تذكر النابغة؟ قال كان النابغة أعذب على أفواه الملوك وأبسط قوافي شعر كأن الشعر ثمرات تدانين من خلد فهو يجتنيهن اختياراً ، له سهولة السبق وبراعة اللسان ونقاية الفطن لا يتوعر عليه الكلام لمذوبة مخرجه وسهولة مطابه . أخبرنا شيخ لباهلة يكنى أبا جحار أن النابغة وفد على النعمان معتدراً من تلك البلاغات ومعه اعتذاره الذي يقول فيه :

* فانك كالليل الذي هو مدركي * فقال النعمان أقبل منك عنرك وأصفح لقدرك هنك ثم أمر نخلع عليه خلع الرضا وكن حبرات خضر مطرفة بالدر في قضب الذهب وانصرف إلى منزله . قال الباهلي وإن النابغة جاء يوماً مستأذناً معتدراً فقال له الحاجب الملك على شرا به قال فهو وقت الملق والشعر تقبله الأفتدة عند السكران يبلغ لي فلق المجد عن غررموا به فانت قسيم ما أفدت . فقال الحاجب والله ماتني عناتي بك بدون شكرك لي فكيف أرغب فيما تصف ودون ما ترغب رهبة التعدي فهل من سبب يمكن الاستئذان . فقال النابغة فعلت ما يجب عليك في الأدب وقضاؤها معقود

(١) هو الأديب النحوي ، أخذ الأدب عن أبي عمرو بن العلاء وغيره ،

وهو في الطبقة الخامسة في الأدب بعد علي كرم الله وجهه ، اختلف إليه أبو عبيد

أربعين سنة وخلف الأحمر عشرين سنة ، وله عدة تصانيف ، توفي سنة ١٨٢

(٢) في الأصل « تذاكر »

بشكرك فمن عنده؟ قال خالد بن جعفر الكلبي فقال أين أنت عنه بما أقول لك قال قل قال تقول له خاليا ان زياداً يقول ان قدرك فوق الغمام ووفاءك وفاء الكرام - وقال الفراء تقول له خاليا إن زياداً يقول ان من قدرك نيل الدرك بك - وزكاة الجاه رقد المستعين، وناحيتي من الشكر ما علمت وحاجتي ملاطة الأسباب حتى يحرك ذكراً يمكن بمثله الاستئذان - وقال الفراء يجري ذكراً - فلما صار خالد إلى بعض ما يبعث موارد الشراب نهض فاعترضه الحاجب فقال ليتهنك أبا البسام حدث النعم قال خالد هناك عيشك كل ما نحن فيه تجديد للتفضيل وإتمام للشرف وكل ذلك ببقاء الملك وحسن مواده فاذاك فأخبره بما قال النابغة فقال آذنه بالطاعة وانتظار المراجعة وكان خالد رفيقا يتأني الأمور^(١) والأسباب لطفاً وحسن بصيرة في الارتياح فدخل متبسماً وهو يقول:

ألا للملك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الآمد
ثم قال واللوات والعزى لكأني أنظر إلى أملاك ذي رعين^(٢) وذى فابش^(٣)
وقد مدت لهم قصبات المجد إلى معالي الاحساب ومناكب الانساب في حلية أنت
- آيت اللعن - غرتها فجئت سابقاً متمم - لا وجاؤا لم يتم لهم سعى ، وجاء زياد
فقال النعمان والله لأنت في وصفك أبلغ احساناً من إحسان النابغة فينا في نظم
قوافيه ، فقال خالد أيها الملك واللوات ما أبلغ فيك حسناً إلا غمره قدرك استحقاقاً
للشرف الباهر ولو كان النابغة حاضرراً لقال وقلنا ، فقال النعمان النابغة يا غلام فخرج
الحاجب فقال النابغة ما وراءك قال رفع الحجاب وأذن في السيادة والافضال فدخل
فاتصّب بين يدي النعمان وحياه بتحية الملك ثم قال أيفاخرك - آيت اللعن - ابن
جفنة وأنت سائس العرب وغرة الحسب واللوات لا أمسك أبهى من يومه ولقدالك

(١) في نسخة « يتأني للأمر » . (٢) ذو رعين : لقب ملك من أذواء اليمين

كما في المرصع لابن الأثير . (٣) ذوفائش . أحد أذواء اليمين ، اسمه يزيد ، من بني
يحصب ، وهو أبو سلامة الذي مدحه الأعمش ، على مافي المرصع لابن الأثير .

أحسن من وجهه وليسارك أجمع من يمينه وأمبلك أكثر من قومه ولنفسك أكبر
من جده وليومك أشرف من دهره ولوعدك أنجز من رفته ولهزلك أصوب من
جده ولغفرك أبسط من شبره ولأملك خير من أبيه ، ثم أنشأ :

أخلاقٌ مجدك جلت ما لها حصر في البأس والجود بين البدو والحضر
متوج بالمعالي فوق مفرقه وفي الوغى ضيغم في صورة القمر
قال فتهل وجه النعمان بالسرور وأمر فحشي فبه دراً ، وقال لثل هذا ترتاح القلوب
ويمثله تمدح الملوك ، ثم قال الخليل أفيحسن زهير أن يقول مثل هذا ؟ فقال يونس
للعباس انى لأعجب مما حدث عن قصة النابغة وشعره قوله :

* وفي الوغى ضيغم في صورة القمر *

أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين ومن شعر المحدثين
قول أبي العتاهية ^(١) يمدح الرشيد وولده :

بنو المصطفى هارون بين سريره فخير قيام حوله وقعود
يقلب الحاظ المهابة بينهم عيون ظباء في قلوب أسود
وأخذه مسلم بن الوليد فقال * كأن في سرجه بدرأ وضرغام *
وقلت : فتى على نفسه من نفسه رصده يصدّه ان نطق الشين والذاما ^(٢)
ما زال يفتم مالا ثم يفرمه ما زال للمسال غنما ما وغراما
أغر أربع يحكى الغيث مكرمة والنجم منزلة والطود أحلاما
تجمله ^(٣) حين يبدو ان تقول له كأن في سرجه بدرأ وضرغام
وقد تداول الناس معنى قوله * كأنك كالليل الذى هو مدركى *

(١) غلب عليه هذا اللقب لعتوه ، وهو من مقدمى المولدين من طبقة بشار

وأبى نواس ، كان يبيع الفخار قبل أن يقول الشعر ويبرع فيه ، يقال أطبع الناس
بالشعر بشار والسيد الحميرى وأبو العتاهية ، توفي سنة ٢١١ .

(٢) الذام : العيب . (٣) فى الأصل « يحله » .

فقال الفرزدق :

ولو حملتني الريحُ ثم طلبتني لكنت كشيءٍ أدر كته مغادره
وهو دون قول النابغة لأن الليل أعم من الريح والريح أيضاً يمتنع منه
بأشياء ، والليل لا يمتنع منه بشيء . وأخذ الأخطل ^(١) قول الفرزدق ^(٢) فقال :

فأنت كالدهر مَبْتَوًّا حَبَائِلُهُ وَالدَّهْرُ لَامِلَجًا مِنْهُ وَلَا هَرَبُ
ولو ملكتُ عِنَانَ الرِّيحِ أَصْرِفُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةِ مَا فَاتَكَ الطَّلَبُ
وأخذ مسلم البيت الأول من الأخطل فقال :

وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلَهُ لِكَالدَّهْرِ لِأَعْدَاءِ مَا فَعَلَ الدَّهْرُ
وهو أيضاً مأخوذ من قول النابغة : وأخذه أبو تمام فقال :

خَشَعُوا الصُّوْلُوكَ الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ كَالْمَوْتِ يَأْتِي لَيْسَ فِيهِ عَادُ
فَالْقَوْلُ هَمْسٌ وَالنِّدَاءُ إِشَارَةٌ خَوْفَ اتِّقَامِكَ وَالْحَدِيثُ سُرَادُ
وأخذه علي بن جبلة ^(٣) فقال :

وَمَا لِمَرِيٍّ حَاوَلْتَهُ مِنْكَ مَهْرَبٌ وَلَوْ رَفَعْتَهُ فِي السَّمَاءِ الْمَطَالِمُ
يَلِي هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الصَّبْحِ لِامِجٍ
وقال البحترى ^(٤) :

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق ، ودخل الشام ومدح
الملوك الامويين ، كان لا يظهر من شعره إلا المتخير . مات سنة ٩٠ .

(٢) يقول ابن خلكان : أجمعت العلماء على أنه ليس في شعراء الاسلام مثل
ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ، وكان بينهم مهاجاة وتفاخر ، يقال لولا شعر
الفرزدق لذهب ثلث اللغة ونصف أخبار الناس ، كان لا ينشد عند الخلفاء إلا قاعداً
توفي في البصرة سنة ١١٠ . (٣) هو المعكوك الآتي .

(٤) هو الوليد بن عبيد الطائي البحترى - نسبة الى جد اسمه بحتر - قال المبرد :
أنشدنا شاعر دهره ونسيح وحده البحترى ، عرض أول شعره على أبي تمام فقال له

ولوانهم ركبوا الكواكب لم يكن
ولقد هم من خوف بأسك مهرب
وقلت في قريب منه :

ويدنو له المطلوب حتى كأنما
يواكب ضوء الصبح في كل مطلب
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول أبي الطمجان^(١) :

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم
نجوم سماء كلما انقض كوكب
دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود
تسير المنايا حيث سارت كتابه

ومثله قول الخطيئة^(٢)

نمشى على قول أحساب أضأت لنا
كما أضأت نجوم الليل للشارى
ومثله قول الآخر :

وجوه لو أن المدجلين اعتشوا^(٣) بها
صدعن الدجى حتى يرى الليل ينجلي
وقال بعض الاعراب في رجل : مادفعته في سواد إلامحاء ولا قابلت به مداً

إلا كفاء . ومثل قوله * صدعن الدجى * قول بعض المحدثين :

ومصباحنا قمر زاهر
كقوس الجبين يشق الدجى
وقلت : وانشق ثوب الظلام عن قمر
يضحك في أوجه الدجنات

أنت أشعر من أنشدني وكتب له بذلك فمظم وبجل ، وقال له أبو تمام : نعت
إلى نفسى فقال أعينك بالله فقال ان عمرى ليس بطويل وقد نشأ لطفى مثلك ،
فمات بعدها بسنة . وكانت وفاة البحترى سنة ٢٨٤ (١) هو حنظلة بن الشرقى

القينى من الشعراء الجاهليين ، أدرك الاسلام ، ومات قبيل الهجرة .

(٢) هو جرول بن أوس العبسى من الشعراء المخضرمين ، اشتهر بالهجو

حتى هجا والديه ونفسه . ولعل في البيت تحريفاً فى رواية الأغاني :

نمشى على ضوء إحسان أضاء لنا
ماضوات ليلة القمر للشارى

(٣) الدج : السير من أول الليل . واعتشوا : استضاءوا .

كَأَنَّما النجم حين قابله
 وقلت: بليلٍ كما تَرَفُّو الغزاةُ أسودِ
 كواكبُه زهرٌ وصُفرٌ كأنها
 وقلت: وذى غنَجٍ يأوى إلى فرعه الدُّجى
 وفيه ظلامٌ بالصباح مُقنعٌ
 قبيعة (١) في نصاب مرآة
 على أنه من نورٍ وجَهك أبيضُ
 قبائع منها مُذهبٌ ومُفضضُ
 ولكنها عن وجهه تتفرجُ
 وفيه ظلامٌ بالصباح مُتوجُ

وقول أبي الطمحان مولى ابن أبي السمط:

فتى لأبيالى المدلجون بنوره
 له حاجبٌ عن كل أمرٍ يشينهُ
 وقول الآخر:

من البيض الوجوه بنى سنانٍ
 وقول الآخر:

غلامٌ رماه الله بالحسين يافعا
 كأن الثريا عُلقت في جبينه
 ولما رأى المجد استعمرت ثيابه
 إذا قيلت العوراءُ غض كأنه
 وقول الآخر (٢):

إخترَ فناءَ بنى عمرو فانهمُ
 إن يسألوا الخير يُعطوه وإن جهدوا
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا
 هيئون ليئون أيسارَهُ ذوو يسرٍ
 من تلقَ منهم تقلُّ لاقيتُ سيدهمُ
 أو لو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
 فالجهد يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
 كشفت أذمارَ سرٍ غير أسرارٍ
 أربابُ مكرمةٍ أبناءُ إيسارٍ
 مثلَ النجوم التي يُهدى بها السارى

(١) قبيعة السيف كسفيئة: ماعلى طرف مقبضه من فضة أو حديد.

(٢) تروى هذه الأبيات عن الجاحظ كما سيأتى.

وهذا عندي أمدح شيء قيل في وصف جماعة .

وأشيدنا أبو أحمد لميسى بن أوس في الجنيد بن عبد الرحمن (١) :

إلى مُستنيرِ الوجهِ طالَ بسؤدد تقاصرَ عنه الشاهقُ المتطاوُلُ
مَدَحَتْكَ بالحقِ الذي أنتَ أهله ومن مِدَحِ الأَقوامِ حقٌّ وباطلُ
يعيشُ النَّدى مادمتَ حيًّا فإن تَمَّت فليس لحيٍّ بعد موتك طائلُ
وما لأمريءٍ عندي مُجِيلةٌ نعمة سِوَاكَ وقد جادَتْ عليَّ مخايلُ
وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فتى لو ينادي الشمس ألفت قناعها أو القمر الساري لأتقى المقالدا

وهذا وقول أبي الطمجان من الغلو ، والغلو عند بعضهم مذموم وليس كذلك ولو كان مذموماً لما جعلوا هذين البيتين من أمدح ما قالت العرب وهما من الغلو على ماها عليه ، ومثل هذا الغلو قول طريح بن اسماعيل (٢) :

أنتَ ابنُ مُسَلَّنَطحِ البطاحِ ولم يضرب عليك الحنى والولج
لو قلت للسيل دع طريقك والسموج عليه كالهضب يتلج
لا تردَّ أوساخَ أو لكانَ له في جانبِ الأرضِ عنك مُنمَرَج
وهذا من أعلى الغلو لان السيل لا ترد وجهته هية ولا مخافة ، والعرب تقول أجراً من السيل فيهزم ولا يهزم والهزم من الجراء وتترك الهزم من الجرى ، ويقال في المثل لأفعل كذا حتى يرد وجه السيل ، وليس هذا الشعر بمختار الرصف واللفظ وإنما جئت به لمكان غلوه ، ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس واستحسنوه ورووه بكل لسان قول أبي تمام في المعتصم :

يُيَسِّنُ أبا اسحقَ طالَتْ يَدُ العِلاءِ وقامتَ قناةُ الدينِ واشتدَّ كاهلُه

(١) هو الجنيد بن عبد الرحمن المرى الأمير ولى خراسان وغيرها وكان

أجود الأجواد ، توفي سنة ١١٥ . (٢) هو طريح بن اسماعيل الثقفي الشاعر ،

لزم الوليد بن يزيد الأموي وبالغ في مدحه .

هو البحرُ من أيِّ النواحي أتيتهُ فُجَّتُهُ المعروفُ والجودُ ساحِلُهُ
تعودُ بسطَ الكفِّ حتى لو انه أرادَ انقباضاً لم تطعهُ أنا مله
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتنق الله سائله
وقلت في قريب منه :

وكيفَ بيتُ الجارُ منك على صدى وكفُّكَ بحرٌ لجَّةُ البحرِ ساحلهُ
أخبرنا أبو أحمد قال سمعت أبا بكر - يعني ابن دريد - يحكي عن أبي حاتم قال
قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول : انكم معاشر أهل الحضرة لتخطثون المعنى ان
أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول كأنه الأسد ويصف المرأة بالحسن فيقول
كأنها الشمس ، لم لا يجمعون هذه الأشياء بهم أشبه ثم قال لانشدك شعراً يكون
لك اماما ثم أنشدني :

إذا سألتَ الورى عن كل مكرمةٍ لم تلفِ نِسبتِها إلا الى الهَوَلِ
فَتِي جَواداً أعادَ النيل نائله فالنَّيْلُ يشكرُ منه كثرةَ النيلِ
وليس هذا الشعر مختاراً عندي :

والموتُ يرهبُ أن يلقى مَنينتهُ في شِدَّةِ عندلفِ الخليلِ بالخيلِ
لوعارض الشمسِ التي الشمسُ مُظلمةُ أوزاحم الغيمِ أجاها الى الميلِ
أو بارز الليلِ غطته قوادِمه دونَ القوافي كمثل الليلِ بالليلِ
أمضسي من النَّجمِ ان نابتُه نائِبةُ وعندَ أعدائه أجرى من السيلِ

ومن الجيد في هذا المعنى قول الآخر :

عَلَّمَ الفَيْثَ الندى حتى إذا ما حكاها عَلَّمَ البأسَ الأسدُ
فلهُ الفَيْثُ مُقرُّ بالندى وله اللبثُ مُقرُّ بالجلدِ

وقد أنكر عبد الملك ما أنكره الأعرابي من تشبيه المدوح بالأسد والصخر
والبحر فأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر أخبرنا عبد الأول بن مزيد - أحد
بنى أنف الناقة - عن ابن مائسة عن أبيه قال قال عبد الملك يوماً وقد اجتمع

الشعراء عنده : تشبهوننا بالأسد والأسد أبحر وبالبحر وأجاج وبالجبيل

والجبيل أوعر ألا قلت كما قال أيمن بن خزيم في فاتك في بني هاشم :

نهاركم مكابدةٌ وصومٌ وليلكم صلاةٌ واقتراءٌ

أجلكم وأقواماً سواءً وبينكم وبينهم الهواء

وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سماء

وهذا من قول أمية بن أبي الصلت ^(١) وهو أول من أتى به قوله في عبد الله

ابن جدعان ^(٢) :

أذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ان شيمتك الحياء

كريم لا يفيره صباحٌ عن الخلق الكريم ولا المساء

وأرضك أرض مكرمة بنتها بنو تميم وأنت لهم سماء

ونحوه قوله :

لكل قبيلة شرفٌ وعزٌّ وأنت الرأس يقدم كل هادي

وتصرف فيه المحدثون فقال ابن الرومي ^(٣) :

قومٌ يحلون من مجد ومن شرفٍ ومن غناء محل البيض واليلب ^(٤)

حلوا محلها من كل ججمة نفعاً ورفعاً وإطلالاً على الرتب

(١) شاعر جاهلي ، ورد أن النبي ﷺ قال « كاد أن يسلم في شعره » عاش

الى أن أدرك وقعة بدر ورثي من مات بها من الكفار .

(٢) هو التيسى القرشي من أجواد الجاهلية ، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة ،

يروى أنه كانت له جفنة يأكل منها القمام والراكب ، وقع فيها صبي ففرق .

(٣) واسمه علي بن العباس صاحب النظم العجيب ، كان شعره غير مرتب

فرتبه أبو بكر الصولي على الحروف ، والمطبوع هو مختصر ديوانه ، وكان سبب

موته أن الوزير أبا الحسن بن عبيد الله وزير المعتضد كان يخاف من هجوه فهدس

عليه ماءً كلاً مسموماً في مجلسه وذلك سنة ٢٨٣ (٤) أي السيوف والدروع .

قوم هم الرأس إذ حسادهم ذنب ومن يُمَثَّلُ بين الرأس والذنب
ومنه قول الخطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
وقال غيره : الناس أرض بكل أرض
وقلت : أبشر فانك رأس والعلاجسد
لولاك لم يك للأيام منقبة
ومن يسوي بأنف الناقة الذنبا
وأنت من فوقهم سماء
والمجد وجه وأنت السمع والبصر
تسمو إليها ولا للدهر مفتخر

وأخبرنا أبو حامد قال أخبرنا أبو بكر باسناد ذكره عن الهيثم بن عدي قال
دخل الأخطل على عبد الملك بن مروان فقال يا أمير المؤمنين قد امتدحتك فاستمع
مني فقال ان كنت شبيهتني باللصقر والأسد فلا حاجة لي بمدحك وان كنت قات
كما قالت أخت بني الشريد لأخيها صخر فهاه فقال الأخطل وما قالت يا أمير
المؤمنين قال هي التي تقول :

فما بلغت كنف امرئ متناول
ولا تبلغ المهدون في القول مدحة
فقال الأخطل والله لقد أحسنت القول ولقد قلت فيك بيتين ما هما بدون

قولها قال هات فأنشد :

إذا مت مات العرف وانقطع الندى
وردت أكف السائلين وأمسكوا
من الناس إلا في قليل مصرد^(١)
من الدين والدنيا بخلاف مجد

وليس بحسن عندي أن يقال للسدوح إذا مت فان استماع ذلك مكروه وإن
كانت الشعراء قد استعملته في كثير من مقاماتها أنشدنا أبو أحمد عن ابن دريد :
إذا مت لم توصل بعرف قرابة
وهو من قول النابغة :

فان يهلك أبو قابوس يهلك
ربيع الناس والشهر الحرام

وَيُمْسِكُ بَعْدَهُ بِذَنَابِ عَيْشٍ أَجِبَ الظَّهْرَ لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ
 وَهَذَا أَجُودُ مِنَ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ لَمْ يَخَاطَبْ بِهِ الْمَدُوحَ وَوَلَوْ قِيلَ لَوْلَا فُلَانٌ لَكَانَ كَذَا
 وَكَذَا لَكَانَ كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ جَبَلَةَ (١) :

لَوْلَا أَبُو دُلْفٍ لَمْ تَجِي عَارِفَةٌ
 وَلَمْ يَنْوُثُوا مَأْمُولٌ بِأَمَالٍ
 يَا بَنِي الْأَكْرَامِ مِنْ عَدَنَانَ قَدْ عَلِمُوا
 وَتَالِدُ الْمَجْدِ بَيْنَ الْعَمِّ وَالْخَالِ
 وَنَاقِلُ النَّاسِ مِنْ مُعَدَمٍ إِلَى جِدَةٍ
 وَصَارَفُ الدَّهْرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
 أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْإِيَّامَ مَنْزِلَهَا
 وَتُمْسِكُ الْأَرْضَ عَنْ خَسْفٍ وَزِلْزَالٍ
 وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ
 إِلَّا قَضَيْتَ بِآجَالٍ وَأَمَالٍ (٢)
 تَزُورُ سَخَطًا فَمَسَى الْبَيْضَ رَاضِيَةً
 وَتَسْتَهْلُ قَبْسَكَ أَوْجُهُ الْمَالِ

وَأَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ فِي كِتَابِ الْوَرَقَةِ عَنْ ابْنِ دَاوُدَ قَالَ قَالَ أَبُو هَفَانَ اجْتَمَعَ
 الشُّعْرَاءُ بِيَابِ الْمُعْتَصِمِ فَقَعَدَ لَهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّبَيْرِيُّ فَقَالَ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 يَقْرَأُ عَلَيْكُمْ السَّلَامَ وَيَقُولُ لَكُمْ مِنْ كَانَ يَحْسُنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ قَوْلِ النَّمْرِ فِي الرَّشِيدِ :

خَلِيفَةُ اللَّهِ إِنَّ الْجُودَ أَوْدِيَةٌ أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (٣)
 إِنْ أَخْلَفَ الْقَطْرُ لَمْ يُخْلَفْ مَخَالِيهِ أَوْ ضَاقَ أَمْرُهُ ذَكَرْنَاهُ فَيَنْتَسِعُ

فَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ فِينَا مِنْ يَقُولُ مِثْلَهُ :

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا تَشْمَسُ الضَّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمْرُ
 تَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَيْثُ وَالصَّمَّامَةُ الذِّكْرُ

قَالَ فَأَجَازَهُ وَفَضَلَ ابْنَ وَهْبٍ . وَبَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي الْمَهْلَبِ :

أَمْسَى الْعِرَاقُ سَلِيبًا لِأَنَّ سَلَةَ إِلَّا الْمَهْلَبُ بَعْدَ اللَّهِ وَالْمَطْرُ

(١) هُوَ الْعَكُوكُ أَحَدُ الْمُبْرِزِينَ فِي الشُّعْرِ ، عَامَةٌ شَعْرُهُ فِي مَدْحِ أَبِي دُلْفٍ

الْبَجَلِيِّ ، كَانَ أَعْمَى ، قِيلَ أَنَّ الْمَأْمُونِ قَتَلَهُ لِمَبَالِغَتِهِ فِي مَدْحِ أَبِي دُلْفٍ سَنَةَ ٢١٣ .

(٢) فِي شُدْرَاتِ الذَّهَبِ « إِلا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالِ » .

(٣) سِيَأْتِي هَذَا الْبَيْتَ بِصَدْرِ « أَنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ » .

هذا يجودُ ويحیی عن ذِمَارِهِمْ وَذَا تَعِيشُ بِهِ الْأَنْعَامُ وَالشَّجَرُ

ومنه أخذ ابن وهب . وقلت في معناه :

لَمْ تَزَلْ لِلرُّومِيِّ ثَلَاثُ شُمُوسٍ وَجِهْكَ الْمُسْتَضَى وَالْقَمَرَانِ

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول زهير (١) :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وعاب بعضهم هذا البيت فقال جمل الممدوح فرحا بعرض يناله وليس هذا شأن

الكبير الهمة ، والجيد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

وَلَكِنَّ فَرِحْتَ بِمَا يُبْدِلُكَ إِنَّهُ لِمَا يُبْدِلُكَ مِنْ نَدَاهُ أَفْرَحُ

مَازَالَ يُعْطِي نَاطِقًا أَوْ سَاكِنًا حَتَّى ظَنَنْتُ أَبَا عَقِيلٍ يَمْرَحُ

فجعلله يفرح بما ينيل . ومثله قول أبي تمام :

أَسَائِلَ نَصْرٍ لَا تَسْلُهُ فَانَهُ أَحْنُ إِلَى الْإِرْفَادِ مِنْكَ إِلَى الرَّفْدِ

وقال بعض الأعراب : مازال فلان يعطيني حتى حسبت أنه يودعني ، ونحو

ذلك أن الحجاج قال لآياس بن معاوية أي الناس أحب إليك ؟ قال من أعطاني

قال ثم من ؟ قال من أعطيته . وقال أبو السمح الطائي في خلاف ما قال زهير :

فَتَى لَا يَرَى سَوْقَ الْمُهَوَّرِ غَرَابَةً وَلَا غَالِيَاتِ الْمَالِ حَلِيًّا عَلَى نَحْرِ

فَتَى كَانِ مَكْرَامًا لِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ مُهَيَّبًا لِدُنْيَا غَيْرِ مَأْمُونَةِ الْغَدْرِ

وعندي أن بيت زهير أجود ما قيل من الشعر القديم ، ومن أبداع في ذلك

البحثري في قوله :

سَلَامٌ وَإِنْ كَانَ السَّلَامُ تَحِيَّةَ قَوْجِهْكَ دُونَ الرَّدِّ يَكْفِي الْمُسْلِمَا

ومن الجيد في ذلك قول ابن الرومي :

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة زهير بن أبي سلمى المضرى ، قال ابن

الأعرابي : كان زهير في الشعر ما لم يكن لغيره : كان أبوه شاعراً وخاله شاعراً

وأخته سلمى شاعرة وإبناه كعب وبجير شاعرين وأخته الخنساء شاعرة .

والبرقُ منِ بشرِهِ ومنِ ضَحِكِهِ

فقلتُ له انِ يَدَحِ اللومُ في البحرِ
ومنِ ذالذي يثني للسحابِ عن القطرِ
عليهِ مصايحُ الطلّاقَةِ والبشرِ
مواقِعِ ماءِ المرزِ في البلدِ القفرِ

فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
كأنَّ أيامهم من أنسها جمعُ
تجددِ البشرِ في وجه الزمانِ
وفي فمه ضحك وفي وجهه بشرِ
فانك ممدوحٌ بك النظمُ والنثرُ

عنه علوٌ لم ينله الفرقدُ
وندى أحاط بجانيه السؤددُ (١)
لذوى التوسمِ فهي (٢) شيبُ أسودِ
جمع العلاءِ فيما يفيد وينفدِ
غناه مالكٌ طيءٍ أو معبدِ

كأئما القطرُ من ندى يديه
وقول أبي الأسدِ :

ولأئمة لا متك يا فيض في الندى
أرادت لتثني القبض عن عادة الندى
إذا ما أتاه السائلون توقفتُ
له في بني الحاجات أيدٍ كأئها
وقريب منه قول أبي تمام :

عمدي بهم تستنير الأرض إن زلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
وقلت : إذا عبس الزمان فدل إليه
وقلت : كأنك في خد الزمان تورد
فن بك ممدوحاً بنظم يصوغه
وقال البحري :

وتواضع لولا التكرم حاقه
وفتوة جمع التقي أطرافها
وشبيبة فيها النهى فاذا بدتُ
طلقُ اليدين إذا تفرق ماله (٣)
جدلان (٤) يطرب للسؤال كأنما
وقال ابن الرومي :

(١) كذلك في الديوان المطبوع ، وفي الأصل « ویدی أحاطهما بجاء السؤدد » .

وهو تحريف (٢) في الأصل « التيسم فهو » . (٣) كذا في النسخ ، والذي في

الديوان المطبوع « خصل اليدين إذا تفرق في الندى » . (٤) في الديوان

المطبوع « نشوان » مكان « جدلان » .

أغرَّ أبليج يكسو نفسه حلاً
من المحامد لا تبلى على الحقب
تلقاه من نهضة للمجد في سعد
ومن تواضعه للحق في صعب
كانه وهو مسئولٌ ومندحٌ
غناه إسحقٌ والأوتار في صخب
يهترُّ عظمه عند الحمد يسمعه
من هزة المجد لامن هزة الطرب

وهذا المصراع من قول أبي تمام :

موكل^(١) يبقاع الأرض يشرفه
من خفة الخوف لامن خفة الطرب
وقلت: وقد يؤنسُ الزوارمك إذا التقتوا
سخاء عليه للطلاقة شاهدٌ

وقلت زهير قول بعضهم فقال :

تراه إذا ماجتته متعتبياً
كانك بالإنقاش تنفُ شاربه

وقد أحسن خطة في هذا المعنى أنشدناه أبو أحمد عنه :

قومٌ أحاول نيلهم فكأنى
حاولتُ تنف الشعر من أنا فيهم
قمُ فاسقنيها بالكبير وغنني
ذهب الذين يعاش في أكنافهم
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول جرير^(٢) :

ألستم خيرَ من ركب المطايا
وأندى العالمين بطونَ راح

وليس هذا الاستفهام للشك وفي القرآن الشريف (أليس الله بعزيز ذي انتقام) (أليس الله بأحكم الحاكمين) (أليس الله بكاف عبده) وسئل بعض العرب عن أشعر الناس فقال جرير وذلك أن بيوت الشعر أربعة المديح والهجاء والافتخار والغزل وفي كلها سبق جرير : قال في المديح :

ألستم خيرَ من ركب المطايا
وأندى العالمين بطونَ راح

(١) في الديولن المطبوع « موكلًا » . (٢) هو جرير بن عطية الخطفي ، قال ابن خلكان أجمعوا على أنه ليس في شعراء الأسلام مثله ومثل الفرزدق والأخطل ، وكان عمر بن عبد العزيز لا يأذن لأحد من الشعراء غير جرير ، ولما مات الفرزدق بكى جرير وقال لاني لا أعلم أني قليل البقاء بعده ، مات سنة ١١٠ وقد قارب المائة .

وقال في الهجاء:

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وقال في الافتخار:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كَأَسْمِهِمْ غَضَاباً

وقال في الغزل:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرَعُ عَنْ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ وَهَنَّ أضعفُ خُلُقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وقال التنوخي^(١) في هذا المعنى:

فَكَلِمَا أزدادت قوَى أَجْفَانِهَا صَعْفًا تَقْوِينَ عَلَى صَعْفِ التَّوَى

وأمثال هذا كثيرة نوردها فيما بعد ، ونقض بعضهم قوله :

* إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ * فقال :

لَقَدْ غَضِبْتُ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ فَمَا نَكَاتُ بِيْفَضْتَهَا ذُبَاباً

وقالوا امدح بيت قالته العرب قول حسان^(٢) :

يَفْشُونَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبَلِ

يقول قد أنست كلابهم بالزوار فهي لا تنبجهم وهم من شجاعتهم لا يسألون

(١) هو أبو القاسم علي بن محمد القاضي التنوخي ، له ديوان شعر ، منه

مقصوزة طارض بها الدرديدية ، كما حكاها ابن خلكان وغيره .

(٢) هو حسان بن ثابت الانصارى شاعر النبي ﷺ قال أبو عبيدة : فضل

حسان الشعراء بثلاثة : كان شاعر الانصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله

عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمانيين في الاسلام ، مات عن مائة وعشرين سنة

مناصفة في الجاهلية والاسلام ، وكان لسانه يصل إلى جبهته ، ومن قوله مخاطباً

لأبي سفيان بن الحرث :

أتهجوه ولست له بكفاء فشر كما للسير كما الفداء

عن جيش يقبل نحوهم لقلّة اكرامهم بهم ولثقتهم ببسالة أنفسهم وشدتهم على أعدائهم .
ومثله ما أنشد أبو تالم :

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهمُ لا يّة حربٍ أولأى مكانِ
وقال ابن هرمة ^(١) فى أثر الكلب بالضيف :

ومستنجح تستكشطُ الرّيحُ ثوبه ليسقط عنهم وهو بالثوب معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب أوليفزع نومُ
فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له عند أقيان المهين مطم
يكادُ إذا ما أبصرَ الضيفَ مُقبلا يكلمه من حبه وهو أعجمُ

وقال عمران بن عصام ، ويروى لنصيب :

لعبدِ العزيزِ على قومِهِ وغيرهم مِن غامرة
فبابك ألبنُ أبواهم وداركُ مأهولةٌ عامره
وكلبك آانسُ بالمعتفين من الأمِّ بابتسها الزائره
وكفك حين ترى السائلين أندى من الليلة الممطره
فإنك الهطاء ومنك البناء لكل مخبرة ساره

وقال الحطيئة فى خلاف ذلك :

ملوا قراه وهرته كلابهمُ وضرّسوه بأنياب وأضراس

وقال بشار فى قريب من المعنى الأول :

سقى الله القباب وتل عيدى وبالشرفين أيام القباب
وأيام لنا قصرت وطالت على فرعان نائمة الكلاب
وقال آخر : ومايكُ فى من عيب فانى جبان الكلاب مهزول الفصيل

معناه أن الكلب يضرب إذا نبح الضيف فهو جبان ويؤثر الضيف باللبن والفصيل

(١) هو ابراهيم بن على الكنانى القرشى سكن المدينة ورحل الى دمشق

ومدح الوليد الاموى .

مهزول . وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الجعدي :
 فتى تمّ فيه مايسرُّ صديقه على أن فيه مايسوءُ الاعاديا
 وهذا غاية المدح لأن الرجل إذا قدر على النفع والضرر فقد كل ، ولهذا
 قيل في البرامكة :

عند الملوك مضرّةٌ ومنافع وأرى البرامك لا تضرُّ وتنفعُ
 لا يعرف أهجاءم أم مدحهم لأنه إذا نفي عنهم أن يضرروا فقد قصرهم ، وقد قيل :
 إذا أنت لم تنفع فضررنا فأنما يُراد الفتي كما يضرُّ وينفع
 وقد تداول الناس معنى النابغة فقال بعضهم وهو من أحسن ما يروى عنه :
 متى تهزز بنى قطن تجدهم سيوفاً في عواتقهم سيوف
 جلوسٌ في مجالسهم رزان وإن ضيف لهم قوف
 إذا نزلوا حسبتهم بدوراً وإن ركبوا فاتهم حتوف
 وقال آخر : فدلل أعناق الصعاب بيأسه وأعناق طلاب الندى بالفواضل
 فما انقبضت كفاه إلا بصارم ولا انبسطت كفاه إلا بناائل
 وقال محمد بن بشر الأزدي :

فتى وقفَ الأيامَ بالعتب والرضا على بذلِ مالٍ أو على حدِّ منصل
 وما إن له من نظرةٍ ليس تحتها غمامةٌ غيثٌ أو ضبابةٌ قسطل
 وقال آخر : فتى دهره شطران فيما ينوبه فني بأسه شطرٌ وفي جوده شطر
 فلانم بغاة الخير في عينه قذى ولا من زئير الأسد في أذنه وقر

وقد أحسن البحترى في هذا المعنى وهو قوله :

هو العارضُ الثجاجُ أخضل جوده وطارت حواشي برقه فتلبها
 إذا ماتلطي في غيِّ أصعق العدى وان فاض في أكرمته^(١) غمر الربا
 رزينٌ إذا مال القومُ خفت حلومهم وقور إذا ما حدث الدهر أجلبا

(١) في الديوان المطبوع « خاض في أكرمته »

حياتك أن يلقاك بالجوذ راضيا
 حرون^١ إذا طاززته في ملة
 وموتك أن يلقاك بالبأس مفضيا
 إذا هم لم يقعد به المعجز مقعداً
 فان جئته من جانب الذل أصحيا
 وقال الأسدي في نفي الخبير والشر عن المذكور وهو من أشد الهجاء وأدله
 على الخول :

فحسبك في القوم أن يعلوا
 وأنت لميح كلعلم الحوار
 بأنك فيهم غنى مضر
 وقال غيره : شيخ من بنى الجارو
 فلا أنت حلوه ولا أنت مر
 وقال آخر : ولقد نزلت على زياد مرة
 د لاخير^٢ ولا شر
 فظننته شيخاً يضر^٣ وينفع^٤
 مشط^٥ يقبله خصي أصلع
 فاذا زياد^٦ في الدبار كأنه

وقد أحسن البحترى في المعنى الأول وهو قوله :

هو الملك الموهوب^٧ للبأس والتقى^٨
 له البأس^٩ يخشى والسماحة^{١٠} ترتجى
 فله تقواه^{١١} وللمجد سائره
 فلا الفيث^{١٢} ثانيه ولا الليث^{١٣} طائره

كأنه من قول منصور وهو من المعنى الذي نحن فيه :

هو الملك المملوك^{١٤} للمجد والتقى
 لقد نشأت^{١٥} للشام منك سحابة^{١٦}
 وصواته لا يستطيع^{١٧} خطارها
 فطوبى لأهل الشام^{١٨} أم ويل أمها
 يؤمل^{١٩} جدواها ويخشى زمارها
 فان سلوا كانت غمامة^{٢٠} نعمة
 أتاها حياها^{٢١} أم أتاها بوارها
 وأبوك أبو الأملاك^{٢٢} يحيى بن خالد
 أخو الجود^{٢٣} والنعمة^{٢٤} الباب صغارها
 وكأئن ترى في البرمكيين^{٢٥} من به
 ومن سابقات لا يشق^{٢٦} غبارها

(١) في الأصل : إذا كلف لم يقعد به المعجز مقعداً وان هم لم يذهب به الهم مذهباً

والتصحيح من الديوان المطبوع .

(٢) في الديوان المطبوع « هو الملك الموهوب للدين والعلما » .

طبيب^ه بأخبار الأمور إذا التوت من الدهر أعناق^ه فأنت قصارها
وبعد بيت النابغة الجعدي^(١) قوله :

فتى كملت أخلاقه غير أنه جواد^ه فما يبقى من المسال باقيا
أشم طوال الساعدين شمردل^ه (٢) إذا لم يرح للهجد أصبح غاديا

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن علي الأجرى ببغداد حدثنا أبو العيناء قال قال
الأصمعي أنشدت الرشيد أبيات النابغة الجعدي حتى انتهت إلى قوله :

أشم طوال الساعدين شمردل إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا
فقال الرشيد ويله ولم لم يروحه للمجد ألا قال * إذا راح المعروف أصبح غاديا *
فقلت وأنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منه بالشعر ، وكان الرشيد جيد المعرفة ناقب
الفظنة ، قال لأبي نواس لم وثب بك أهل مصر قال لقولي :

فان يك باقي أفك فرعون فيكم^ه فان عصا موسى بكف^ه خصيب
قال فوثبوا بي وأرادوا قتلي وقالوا جعلت معجزة موسى لخصيب فقال له الرشيد
ألا قلت :

فان كان باقي أفك فرعون فيكم^ه فباقي عصا موسى بكف^ه خصيب
فيكون شعرك أحسن ويكون سالماً من التبعة فقال والله يا أمير
المؤمنين إنك لا تشعر مني وإني لم أفطن لذلك ، وأنشده العمانى الراجز في
صفة الفرس :

كأن^ه أذنيه إذا تشوفا^ه قادمة أو قلماً محرفا
فقال له الرشيد دع « كأن » وقل « تخال » حتى يستوى شعرك ، وكان قد لحن العمانى

(١) لقب بالنابغة لأنه لبث ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان
من هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الإسلام ، وفد على النبي ﷺ فأسلم ، مات في
منتصف القرن الأول الهجرى وقد جاوز المائة .

(٢) الشمردل : الفتى السريع من الابل ، وغيره الحسن الخلق . كما في القاموس .

ولم يعرف ولم يظن له أهل المجلس حتى قاله الرشيد ذلك فتمجبوا من علمه وفطنته .
وقالوا أمدح بيت قائمه العرب قول حسان :

بيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم شم الأنوفِ من الطرازِ الأولِ
يفشونَ حتى ماتهُرُّ كلابُهُم لا يسألونَ عن السوادِ المقبلِ
وقبله : لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلقَ في الزمانِ الأولِ
أولاد جفنةَ حولَ قبر أبيهم قبر ابن ماريةَ الكريمِ المفضلِ
ثم قال : فلبتُ أزماناً طوالاً فيهم ثم ادكرت كأنني لم أفعل
وفتي يحب المجدَ يجمل ماله من دون والده وإن لم يسأل

قوله «بيض الوجوه» معناه مشهورون ببهاء ولم يعن بهم البياض وقد تضمن هذا اللفظ معنى البأس والجدود وغيرها من خلال الخير لأن الانسان لا يكون نبياً مشهوراً حتى يقال عنه أبيض الوجه وأغر ووضاح إلا إذا جمعها وما يجري معها قال الراجز :

* فهن يحملن فتى وضاحاً * وقال أبو طالب في النبي ﷺ :
وأبيض يستسقى الغمامُ بوجهه شمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل^(١)
وقال السموءل: وأيامنا مشهورةٌ في عدونا لها غُرٌّ معروفةٌ وحجولُ
أراد بالغرة والحجول الشهرة . وقلب بعض أهل البصرة قول حسان :

* ببيض الوجوه كريمةٌ أحسابهم * فقال :
سودُ الوجوهِ لثيمةٌ أحسابهم فُطسُ الأنوفِ من الطرازِ الآخرِ
كما قلب بعضهم بيت أبي نواس :

ياقمرأً أبصرت في ماتم يندب شجواً بين أتراب
بيكي فينرى الدر من نرجس ويلطم الوجه^(٢) بعناب
فقال : وأعور أبصرت في ماتم يندبُ شجواً بتخاليط

(١) من لاميته المشهورة في مدح ابن أخيه النبي ﷺ والدفاع عنه .

(٢) في نسخة «الورد» مكان «الوجه» .

يسكى فينرى البعر من كوة ويلطم الشوك يملوط
وأخذ حسان قوله * ثم ادكرت كأننى لم أفعل * من قول أبى كبير :
فأذن وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شئ كأن لم يفعل
وقال ابن شبرمة أمدح ما قالت العرب قول الحطيئة :

أولئك قوم^ه ان بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا وفعوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النماء فيهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا
أقلوا عليهم لا أبأ لا ييكم^م من اللوم لو سدوا المكان الذى سدوا
ويهدلنى أبناء سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد
يسوسون أحلاماً بعيداً أناةها وإن غضبوا جاء الحفيظة والحد

ولعمري ان معانى هذه الأبيات أنكار ليس للعرب مثلها وكل من تناولها فأنما
استعارها من الحطيئة وهي جامعة لخصال المدح كلها ، وقوله * جاء الحفيظة والحد *
- وروى والجد - والحد من قولك حد السيف وحد السنان ، والجد خلاف
الهلل والمختار الحد بالحاء . يقول الحطيئة في بنى لأمى بن شماس من قريش ، وكان
الزيرقان بن بدر لقي الحطيئة في سفر فقال من أنت فقال أنا حسب موضع أبو مليكة
فقال له الزيرقان انى أريد وجهاً فصرت الى منزلى وكن هناك حتى أرجع فصار الحطيئة
الى امرأة الزيرقان فأنزلته وأكرمه فحسده بنو عمه وهم بنو لأمى فهدسوا الى الحطيئة
وقالوا له ان تحولت الينا أعطيناك مائة ناقة ونشد^د الى كل طنب من أطناب بيتك
حيلة محبرة وقالوا لامرأة الزيرقان ان الزيرقان انما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته
فقدح ذلك فى نفسها فلما أراد القوم النجدة تخلف الحطيئة وتغافتت امرأة الزيرقان
عنه فاحتمله القريبيون ووفوا له بما قالوا فأخذ فى مدحهم وهجا الزيرقان فقال :

أزمت^ت ياساً مييناً من نوالكم ولا ترى طارداً للحر كالياس
دع المسكرم لا ترحل^ل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب^ب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبير فان عليه فحكم عمر حسان فقال حسان ما هجاء ولكن سلج عليه ثم حبس عمر الخطيئة فقال يستمطفه :

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ حمر الحواصل^(١) لأماء ولاشجر
أقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر
ما أثروك بها إذ قدموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر
فأخرجه عمر وأجلسه على كرسى وأخذ شفرة وأوهمه أنه يريد قطع لسانه
فضج وقال انى والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أمي وأبي ونفسي فتبسم عمر وقال
مالذي قلت قال قلت لأبي وأمي :

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني وأبا بنيك فساءتني في المجلس
وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
وقلت لأمي خاصة :

تنحى فاجلسى منى بعيداً أراح الله منك العالمينا
أغر بالاً إذا استودعت سرّاً وكانوا على المتحدثينا
وقلت لامرأتى خاصة :

أطوف ما أطوف ثم آوى الى بيت قعيدته لكاع
وقلت لنفسي :

أبت شفتاي اليوم إلا تكلاماً بسوء فلا أدري لمن أنا قائلة
أرى لى وجهاً قبج^(٢) الله خلقه فقبح من وجهه وقبح حامله

وقد هجا أيضاً من أحسن اليه فقال :

منحت ولم تبخل ولم تعط طائلاً فسيان لا ذم عليك ولا حمد
ثم خلى سبيله عمر وأخذ عليه ألا يهجو أحداً وجعل له ثلاثة آلاف درهم

(١) وفي رواية « زغب الحواصل ». (٢) في رواية « شوه الله » .

اشترى بها من أعراض المسلمين فقال يذكر نهيها إياه عن الهجاء ويتأسف :
وأخذتَ اطرار الكلام فلم تدع شتاً يضرُّ ولا مديحاً ينفع
ومنعتني عرضَ البخيل فلم يخفُ شتمى وأصبح آمناً لا يجزع
وكان الحطيئة يذم البخل كما ترى وهو ^(١) أنجل الناس اعترضه رجل وهو
يرعى غنماً له فقال له يراعى الغنم وكان بيد الحطيئة عصاً يزجر بها الغنم فرفعها وقال
عجراً من سلم فقال الرجل انما أنا ضيف فقال : للأضياف أعددتها فتمثلت به العرب
وقالوا أنجل من الحطيئة ، وكان أحد الحمقى أوصى عند موته بأن يحمل على حمار
وقال لعلى ان حملت عليه لا أموت فاني مارأيت كريماً مات عليه قط وقال :
لكل جديد لذةٌ غيرَ أننى رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيد
وقيل له اوص فقال أوصى ان مالى للذكور دون الاناث قالوا فان الله لا يقوله
قال لكنى أقوله ، وقالوا له قل لا إله إلا الله قال أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .
وأخذ قوله : * أغربالا إذا استودعت سرا* من قول كعب بن زهير حيث يقول :
ولا تَمسكُ بالعمدِ الذى عهدتُ إلا كما يمسكُ الماءَ الغرايلُ
أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي خليفة عن دماذا عن أبي على القداح
وعباد بن سليم الحضرمى قال أنشد الحطيئة عمر :

مهريس يروى رسلها صيف أهلها إذا النار أبدت أوجه الخضرات
عظام مقيل الهام غلب رقابها تبا كرورد الماء فى السبرات
يزيل القتاد جذبيها عن أصوله إذا ما غدت مقورة ^(٢) خرصات
وكان هجا قومه فلما بلغ إلى قوله :
فان يصطنعنى الله لا أصطنعكم ولا أعطكم مالى على العثرات
لسم دفرٌ مثل التيوس ونسوة مماجين ^(٣) مثل الآتن التعرات

(١) فى نسخة « وكان » بدل « وهو » . (٢) فى الأصل « مقورة » .

(٣) فى الأصل « لماجر » وفى ديوان الحطيئة « مماجين » .

قال عمر بن الخطاب أنت تمدح إبلتك وتهجو قومك فخرج وقال :
 رأيت ابنَ خطابٍ تجاهل بعدما رأيتُ له عقلاً وما كان جاهلاً
 ألا قد علمنا أن ما قال هكذا ومن قال حقاً غير ما قال باطلاً
 وقالوا أمدح أبيات قيلت ما أنشدناه أبو أحمد عن مهلهل بن يموت عن أبيه عن الجاحظ :

اختر فناء^(١) بنى عمرو فانهم أولو فضولٍ وأقدارٍ وأخطارٍ
 إن يسألوا الخبيرَ يعطوه وإن جهلوا فالجهدُ يخرج منهم طيبَ أخبارٍ
 وإن توددتهم لانوا وإن شتموا كشفت أذمار سر غير أسرار^(٢)
 هينون لينون أيسار ذوو يسر أبناء مكرمة أبناء إيسار
 من تلق منهم نقل لا قيتُ سيدهم مثل النجوم التي يسرى بها السارى
 وهى على الحقيقة أمدح أبيات قيت . وقالوا أمدح بيت قيل قول الخنساء في أخيها :
 أغر أبلج تأتم الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
 أخبرنا أبو أحمد حدثنا الانباري عن ابن عكرمة الضبي أخبرنا أبو دطامة
 عن صالح بن محمد بن المسيب قال سمعت المفضل الضبي يقول أتاني رسول المهدي
 فقال أحب فها إلى ذلك فمضيت معه حتى دخلت وعنده علي بن يقطين وعمر بن
 بزيع والمعلّى مولاه فسلمت فرد وقال اجلس فجلست فقال أخبرني بأمدح بيت
 قالته العرب فتحيرت ثم جرى على لساني قول الخنساء :

وإن صخرًا لمولانا وسيدنا وإن صخرًا إذا يشنو لنحارٍ
 أغر أبلج تأتم الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نارٌ
 فقال أخبرت هؤلاء فأبوا عليّ فقلت يا أمير المؤمنين كنت أحق بالصواب
 فقال يا مفضل أسهرتني أبيات ابن مطير الأسدّي :

وقد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيراً ويفنى بمد بؤس فقيرها

(١) في النسخ «فناء» مكان «فناء» . (٢) بعض المعجز غير موجود
 هنا فاستدر كناه مما سبق حيث ذكرت هذه الأبيات باختلاف يسير عما هنا .

وكم قد رأينا من تكدر عيشه وأخرى صفا بعد اكدرار غدیرها
 فلا تقرب الامر الحرام فانه حلاوتها تقى ويبقى سيرها
 ثم قال حدثني يامفضل فقلت أى الأحاديث يشتهى أمير المؤمنين قال أحاديث
 الاعراب فحدثته حتى كاد النهار ينتصف فقال كيف حالك فقلت كيف حال رجل
 مأخوذ بعشرة آلاف درهم فقال يا عمر بن يزيد أعطه عشرة آلاف درهم لقضاء دينه
 وعشرة آلاف درهم لنفقة عياله فانصرفت بها . وكانوا يقولون قاتل الله الخنساء
 مارضيت ان جعلت أباها جبالاً حتى جعلت في رأسه ناراً فبالغت أشد المبالغة .
 واعترض ابن الرومي قولها فقال :

هذا أبو الصقر فرداً في مكارمه من نسل شيبان بين الطلح والسلم
 كأنه الشمس في البرج المنيف به على البرية لا ناراً على علم
 وتبعته فقلت :

خير الأورى لخيار الناس كلهم وشرم لشرار الناس سوار
 منبه الذكركر معروف طرائقه كالشمس لا علم في رأسه نار
 ومن جيد ما قيل في النباهة قول الأول أنشده أبو تمام :

إني إذا خفي الرجال وجدتي كالشمس لا تخفي بكل مكان
 وقال بشار : أنا المرعث لأخفي على أحد ذرت بي الشمس للقاصي وللداني
 وقلت : أتأمل ان تنال ندى كريم نداء أول والغيث ثاني
 ويجري والمجرة في عناب فلا يخفي على ناء ودان
 تصور في القلوب فليس ينأى على نأى المحلة والمكان
 إذا عبس الزمان فل إليه تجده البشر في وجه الزمان
 وقلت : تريدون أن أخشى وأخضع للآذي وجار ابن عيسى كيف يخشى ويخضع
 فتى بأسه كالدهر مأمّن ملجأ ولا فيه إقصار ولا عنه مرجع
 أغر شهر في البلاد كأنما به البدر يعلو أوسنى الصبح بسطع

ومثله قول القاسم بن حنبل رحمه الله تعالى :

من البيض الوجوه بنى سنانٍ لو انك تستضيء بهم أضوا
لهم شمسُ النهار إذا استقلت ونور لا يفنيه العماء
هم حلوا من الشرفِ المعلي ومن حسب العشيرة حيث شاؤا
فلو أن السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أمدح بيت قاتنه العرب قول الخطيئة :

متى تأتته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

وقالوا أمدح المدح ما يكون بالترفضيل وهو أن يقول فلان خير من فلان وفلان

أكرم من فلان ، ومن أجود ماجاء في ذلك قول أبي تمام :

كم من وساع الخطو في طلب الندى لما جرى وجريت كنت قطوفا (١)
أحستما صفدى ولكن كنت لى مثل الريح حيا وكان خريفا
وكلا كما اقتعد العسلا فركبتها في الذروة العليا وكان (٢) رديفا
وقال : كوا كب مجد يعلم المجد أنها إذا طلعت باءت بصفر كوا كبه

وقال ابن الرومي :

تلوح في دولة الأيام دولتهم كأنها ميلة الاسلام في الملل
وقلت: نصرت على الاعداء فليمنك النصر ودانت لك الدنيا وذال لك الدهر
فأنت كاقبال الشيبية والصبأ تطيب بك الدنيا وينعمر العمر
وليس كرام الناس إلا كوا كبا على صفحتي ليل وأنت لهم بدر
وفي الناس أجواد كثير وإنما أولئك أمماد وأنت لهم بحر
فان أظلم الأحداث واسود ليها ففهم شفقت فيها وأنت بها فجر

(١) في ديوان أبي تمام المطبوع :

كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كان قطوفا

(٢) في الديوان «وجاء» مكان «وكان» .

أبا قاسمٍ فخرًا على المجد والعتلا
غدت أرضنا منكم سماءً مظلةً
فان العلاء روضٌ وأنت به زهر
لها أنجمٌ من زهر أخلاقكم زهر
وبعد بيت الخطيئة :

وأنت امرؤٌ من تعطه اليوم نائلًا
ترى الجودَ لا يدنى من المرء حتفه
بكفيك لم يمنعك من نائل الغد
كما البخل للانسان ليس بمخلد
ومثله قول ليلي الاخيلية في توبة (١) :

فلا يبعدنك الله ياتوب إنها
فنعم فتى الدنيا وان كان فاجرًا
لقاء المنايا دارعًا مثل حاسر
وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر
وأشجع من ليثٍ بجفاح خادر
فيطلعها عنه ثنايا المصادر
فتى ينهل الحاجات ثم يُبعلها

يقول لا يمنعه قضاء الحاجة الاولى عن قضاء الأخرى كما قال الآخر :
وأرضعُ حاجةً بلبانِ أخرى كذاك الحاجُ ترضعُ باللبانِ
يقول فبرفعها الثنون عليه حتى كأنها ثنية رجم :

فأقسمُ أبكى بعد توبة هالكاً
وكان بيت الأعشى :

تشبُّ لمقرورين بصطليانها
وبات على النار الندى والمخلقُ

يستحسن حتى قال الخطيئة * متى تأته تمشوا إلى ضوء ناره * على أن قول الأعشى
* وبات على النار الندى والمخلق * من أجود الكلام وأبلغه ، والمخلق المدوح ،
ومثله قول حماس بن مائل :

فقلتُ له أقبل فانك راشدٌ وإنَّ على النارِ الندى وابن مائل
وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن الأخفش أخبرنا ثعلب قال اجتمعنا

(١) كانت ليلي الاخيلية شاعرة فصيحة ذكية ، تمد في الشعر بمدخل النساء .

وتوبة هو ابن الحخير العقيلي من شعراء العرب المشهورين .

عند أحمد بن إبراهيم فأنشده رجل :

أمر مالك قاصرٌ فقره على نفسه ومشيحٌ غناه
فقال أحمد قد جاء مثل هذا كثيراً فأنشد :

فنى إذا عدت تميمٌ معاً سادتها عدوه بالخصرِ
ألبسه الله ثيابَ العلاء فلم تَظَلْ عنه ولم تقصر
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا فأنشد الرجل :

أعدد ثلاثَ خلالٍ قد عرفنَ له هل سب من أحد أو سبَّ أوبخلاً
فقال أحمد وقد جاء مثل هذا ففاظني فقلت هات فقال نعم المدح الغريب
الذى لم يؤت مثله :

لله درُّ أبي المغيثِ فانه حسنُ الفعالِ ضعيفُ الخطِ الدرهم
وقريب من هذا قول أبي البحتري * حتى توهمناه مخروق اليد * وفي خلاف قوله
* فلم تَظَلْ عنه ولم تقصر * قول ابن الرومي :

مدحتُ سليمانَ المقلبِ مدحةً تجاوزَ حدَّ الحسنِ لو كان يشكرُ
فعمى عنها ناظره كأنما بعوراءٍ عيني جده كان ينظر
سبقت عليه حلية ليس عيها سوى أنها ظلت تطول وتقصر
بهجو سليمان بن عبد الله بن طاهر .

وسمعت عم أبي يقول أمدح شيء قيل قول الأول :

قوم سنان أبوم ^(١) حين تنسبهم طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قومٍ بهزمهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من نعم لا ينزعُ الله عنهم ماله حسدوا
فأخذ جماعة قوله * محسدون على ما كان من نعم * فصرفوه فيه وحده .

ومنها قول أبي تمام :

(١) في بلوغ الأرب « أبوم سنان » .

لولا التخوفُ للعواقبِ لم يزل
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتُ
للحاسدِ النعمى على المحسودِ
ما كان يُعرفُ طيبُ عرفِ العودِ
وقال البحترى :

ولن يستبين الدهر موضع نعمة
وقال : محسدون كأن السكراتِ أبت
إذا أنت لم تدل عليها بحاسد
أن توجد الدهرَ إلا عند محسود
وقال غيره : محسدون وشرُّ الناسِ منزلةً
من عاشَ في الناسِ يوماً غيرَ محسودٍ
وصحته يقول من أوائل المدح الجيد الذى لا نظير له قول أمية بن أبى الصلت في
عبد الله بن جدهان (١) :

عطاؤك زينٌ لأمريءٍ ان حبوته
وليس بشينٍ لأمريءٍ بذلٌ وجهه
وينذل (٢) وما كلُّ العطاء يزينُ
اليك كما بعضُ السؤال يشين
وقال زهير :

من يلق يوماً على عِلاتِه هَرِمًا
لو نال حىً من الدنيا بمكرمة (٣)
يلق الساحة منه والندى خلقًا
أفق السماء لتالت كفه الاقفا
قد جعل المبتغون الخير في هَرِيمِ
والسائلون الى أبوابه طرقا
وروى بعض الرواة للناطقة وروى لسعيد :

والله والله لنعم الفتى الا عرجٌ لالنكس (٤) ولا الخامل
الحارب الوافرُ والجابر السمحروب والمرجل والجمال (٥)
والطاعنُ الظمنة يومَ الوغى ينهل منها الاسلُ الناهل

(١) تقدم أنه كان من الأجواد . (٢) كذا في ديوانه المطبوع ، وفي
النسخ « بشيب » . (٣) وفي رواية « بمنزلة » .
(٤) النكس : الضعيف . (٥) فى الأصل « المرحل والحامل » بمهمات .

والقائل القول الذي مثله
والغافر الذنب لأهل الحجا
وقال بعض الاسلاميين وأحسن :
خُلقتُ أناملهُ لِقائِمِ مُرهِفِ
يلقى الرماحَ بوجهه ويصلده
ويقول للطرفِ اصطبر لشبا القنا
وإذا تأملَ شخصَ ضيفٍ مُقبلِ
أوما إلى الكرماءِ هذا طارقٌ

وسمعت الشيخ أبا أحمد يقول أمدح شيء قاله محدث قول مروان بن أبي

حفصة ^(٢) في معن بن زائدة الشيباني ^(٣) :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم
هم المانعون الجارحى كأنما
بهاليلٌ في الاسلام سادرا ولم يكن
هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دُعوا
ثلاثٌ بأمثال الجبال حياءهم
ولا يستطيعُ الفاعلونُ فعالمهم

أسودٌ لها في غيل خفان أشبلٌ
لجارهم بين السماكين منزلٌ
كأوهم في الجاهلية أول
أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا
وأحلامهم منها لدى الوزنِ أنقلُ
وإن أحسنوا في النائباتِ وأجلوا

ثم أخبرنا المفجع أخبرنا أبو العباس محمد بن يزيد قال بلغنى أن يحيى بن خالد
البرمكى قال لشراحيل بن معن بن زائدة أى شعر قاله ابن أبي حفصة فى أهلك
أشعر قال قوله :

(١) مرع الوادى مثله الراء مراعة : أكلاء ، والمرع : الخصب - القاموس .

(٢) هو الشاعر اليمامى الذى أعطاه الرشيد سبعين ألف درهم لمامدحه بقصيدته

السبعين التى مطلعها * اليك قصرنا النصف من صلواتنا *

(٣) هو الأمير البطل الجواد المشهور .

نعم المناخ لراغب أوراها ^١ ممن نصيب جوائح الأزمان
 معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً إلى شرف بنو شيبان
 مطر أبوك أبو الأهله والذى بالسيف حاز هجائن النعمان
 نفسى فداءً أبي الوليد إذا علا رهج السنايك والرماح دوانى
 فقال يحيى أنت لا تعلم ما قيل في أيك أين أنت عن قوله :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان اشبل
 وأنشد الأبيات المتقدمة وزاد :

تشابه يومه علينا فأشكلا فما نحن ندرى أى يوميه أفضل
 أيوم نداه العر أم يوم بأسه وما منهما إلا أغر محجل

وأخبرنا قال أخبرنا محمد بن يحيى بن على عن أبيه عن اسحق الموصلى أخبرنا
 أبو يوسف القاضى - وكان عديل الرشيد في طريق الحج - قال اعترضه اعرابي فأنشد
 أبيات فزبره ^(١) وقال ألم أنهم عن قول مثل هذا الشعر ألم أقل لكم امدحونى
 بمثل قول القائل * بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * وذكر الأبيات المتقدمة ، قال أبو
 يوسف فقلت له فيمن قيلت ؟ قال فى أب هذا الشاب الذى يسير فى ظل القبة
 فقلت للشاب من أنت فقال شراحيل بن معن بن زائدة قال اسحق فسمعت
 شراحيل يقول : ذلك اليوم آثر عندى من الدنيا بخدا فيرها .

وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبى طاهر ^(٢) وقال لو استعمل الانصاف
 لكان هذا أحسن مدح قاله متقدم ومتأخر :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده لم محمد الاجودان البحر والمطر
 وإن أضاعت لنا أنوار غرته تضاءل النيران الشمس والقمر
 وإن مضى رأيه أو حده عزمته تأخر الماضيان السيف والقدر

(١) الزير : الاشتهار والمنع والنهي . (٢) هو أحمد بن أبى طاهر ، قال هذا

الشعر في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر على مافى جنى الجنيتين في تمييز نوعى المثنيين للهجوى .

من لم يكن حذراً من حدِّ صوتته
 حلوا إذا أنت لم تبعث مرارته
 سهل الخلائق إلا أنه خشن
 كآية ذكره في مثلِ صوتته
 إذا الرجال طغت أراؤهم وعموا
 الجود منه عيان لا ارتياب به
 لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
 فان أمره فلو عنده الصبر
 كآية المهزة إلا أنه حجر
 ان صال يوماً ولا الصمصامة الذكرك
 بالأمر رد إليه الرأي والنظر
 إذ جود كل جواد عنده خبر

ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد بن الأَفوه :

أوفوا من الجدي والعملياء في قُلِّ
 سبط اللقاء إذا شمت محائلهم
 عُسدون ومن يعلق بجبلهم
 من البرية يُصبح وهو محسود
 وقال الفرزدق وهو أجود ما قيل في الجود عوداً على بدء :

له راحة بيضاء يندى بنانها
 جواد إذا أعطتك يوماً يمينه
 ونحوه قول الأعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد
 فاصبر لعادتنا التي عودتنا
 وقول الآخر وهو من أجود ما قيل في حمد الرجل مكانه من قومه :

رأيتكم بقية حبي قيس
 تبارون الرياح إذا تبارت
 يذكري مقامي في ذراكم
 ومقامي أمس في ظل الشباب
 وهضبتة التي فوق الهضاب
 وتمتلون أفعال السحاب

ومن عادة الناس أن يتكروها ما هم فيه من العيش وما هم عليه من الأحوال ،
 وقد حمد هذا حاله معهم وعيشه فيهم حتى شبهه بعيشه في ظل الشباب وهو من
 أجود ما قيل في هذا المعنى .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول علي بن جبلة المعروف بالعمكوك في أبي دلف :

إنما الدنيا أبو دلفٍ بين مبداه ومحتضره

فإذا ولي أبو دلفٍ . وولت الدنيا على أثره

قال بعض من حضر : لا يجوز أن يكون مثل هذا الشعر لهذا ، وإنما ازدراه
لدمايته وعمشه فقال له أبو دلف أما تسمع ما يقول الناس فيك ان الشعر لغيرك لأن
الفاظه ألفاظ كاتب متأدب قال الامتحان يزيل اللظنة غنى وما أظلم من استبرأ
فكيف رأى الأمير في الامتحان قال نعطيك صدوراً لتردفاً بأعجاز قال ما اشتطت
ولا كلفت إلا الذي من نكب عنه حق عليه القول فدماً أبو دلف بدؤاة وقرطاس وكتب :

ريمت لمنشورٍ على مفرقه ذم له عهد الصبا حين انتسب

اهدام شيبٌ جدد في رأسه مكروهة الجدة انضاء العقب

ثم ناوله الدرج فقال كم لي في ذلك من الأجل قال شهر قال فأنتلق بهما إلى
رحلى قال ليس الامتحان للشاعر في بيته بمزيل للظنة عنه ولكن تبوأ حجرة من
القصر قال فليأمر الأمير بها ففعل وركب إلى دار المأمون فأبطأت كرتة فلما رجع
دخل عليه على والدرج بيده قال قد أجزت البيتين بقصيدة قال لقد خشيت عليك
النقص من الاعمال قال اليك تساق الرفاق ثم أنشدني بيتي أبي دلف (١) ثم قال :

أشرقن في أسودٍ ازرين به . كان دُجَاه لهوى البيض سبب (٢)

فاعتضن أيام الغواني والصبا عن ميتٍ مطلبه فن الأدب

فنازل لم يبتهج نزوله وراحل أبقى جوى حين ذهب

لم أرَ كالشيب وقاراً يُحتوى وكالشباب الغضُّ ظلاً يُستلب

كان الشبابُ لمةً أزهى بها وصاحباً حراً عزيز المصطحب

إذ أنا أجري واثباً في غيه لا أعتب الدهرَ إذا الدهرُ عتب

(١) في نسخة «ثم أنشد يمرن بيتي» .

(٢) روى صاحب الأغاني هذه القصيدة باختلاف كثير عما هنا .

وأذعر الربرب عن أطفاله
مطرد يرتج في أقطاره
تحسبه أقعد في استقباله
وهو على إرهاقه وطيه
تقول فيه جنب إذا اثنى
يخطو على عوج ينهاين الثرى
تحسبها نائمة حين خطأ
يرتاد بالصيد فعارضنا به
لا يبلغ الجهد به راكبه
إذا تظنينا به صدقنا
ثم انقضى ذلك كأن لم تبقه
وخلف الدهر على أعقابه
فحمل الدهر ابن عيسى قاسما
كروثق السيف انبلاجاً بالندى
لاوسنت عينه رأت غرته
لولا الأمير لغدونا هلاً
ولم يقم بيأس يوم وندى
تكاد تبدى الارض ما أضمره
ويستهل أملاً وخيفة
وهو وان كان ابن فرعى وائل
وبعلاء وعلاء آباءه
يا واحد الدنيا ويا باب الندى
بأعوجى دنفى المنسب
كلما جالت فيه ريح فضطرب
حتى إذا استدبرته قلت أكب
يقصر عنه الخزمان واللبيب
وهو كمثل القدح ما فيه جنب
لم يتواكل عن شظا ولا عصب
كأنها واطئة على نكب
أوابد الوحش فأجدى واكتسب
ويبلغ الريح به حين طلب
وان تظنى فوته الطرف لزب
وكل بقيا فالى يوم عطب
فى القدح فيه وارتجاع ما وهب
ينهض به فراج هم وكرب
أو كغراره على أهل الريب
واستيقظت نبوته من النوب
لم يمثل مجد ولم يرع حسب^(١)
ولا تلاقى سبب إلى سبب
إذا تداعى خيله هلا وهب
إذا استهل وجهه وان قطب
فبسماعيه ترقى فى الحسب
تحوى غداة السبق أخطار القصب
ويا مجير الزعب فى يوم الرهب

(١) فى نسخة زيادة «أونسب» ولعلها إشارة لنسخة فيها كذلك .

لولاك ما كان سدى ولاندى ولا قريش^١ عرفت ولا العرب
 خذها امتحاناً من مليء بالحجا ولكنه غير مليء بالنشب
 وقرء بالأرض أو استقر بها أنت عليها الرأس والناس ذنب
 قال فجعل ينشد وأبو دلف يرجف^(١) إليه حتى مست ركبته ركبتيه فلما
 بلغ قوله * لكنه غير مليء بالنشب * قال لاملأني الله إن لم أملاك يا غلام كم في
 بيت المال؟ قال ما قبضته من حامل الجبل وهو مائة ألف درهم قال أعطه إياها وقيل
 له ذلك، قال فأقبل عليه عقيل أخوه يعذله ويقول له أنت على باب أمير المؤمنين وبين
 ظهري قواده وأمرائه ولا وجه لما لا يرد عليك من الجبل فادفع إليه البعض قال
 إليك عني والله لو شاطرته عمرى لكان ذلك دون ما يستحقه علي.

ومن المديح الجيد قول مروان بن أبي حفصة:

كفى القبائل معن^٢ كل معضلة^٣ يحمى بها الدين أو يرمى بها الحسب
 كنز الحامد والتقوى ذخائره وليس من كنزه^(٢) الاوراق والذهب
 أنت الشهاب الذي يرمى العدو به فيستنير^٤ وتخبو عنده الشهب
 بنو شريك هم القوم الذين لهم في كل يوم رهان تحرز^٥ القصب
 ان الفوارس من شيبان قد عرفوا بالصدق ان نزلوا والموت ان ركبوا
 قد جرب الناس قبل اليوم أنهم أهل^٦ الخلوم وأهل الشغب ان شغبوا
 قل للجواد الذي يسعى ليدركه أقصر فمالك إلا الفوت والطلب
 قوله فمالك إلا الفوت والطلب من أحسن معنى وأجوده وأبينه بياناً وأشده
 اختصاراً وهو من قول زهير:

سعى بدمهم قوم لكي يدركوهم فلم يفعلوا أولم يلاموا فلم يألوا
 وقال طريح^(٣):

(١) عله « يزحف » وكلاهما صحيح . (٢) في الاصل (كثرة) (٣) هو طريح

بن اسماعيل التقي ، أكثر شعره في مدح خليله الوليد بن يزيد الأموي .

قد طلب الناس ما طلبت فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
يرفك الله بالتمكرم والتقوى فتعلو وأنت مقتصد

وقلت في قريب منه :

إذا عنَّ مجدٌ أو تعرضَ سُوددٌ^١ تسامى له ضخمُ الهومِ مُهمام
إذا اهتزَّ للهبجاءِ فهو مُهندٌ^٢ أو اهتزَّ للافضالِ فهو غمام
تواضعَ وهو النجمِ عزاً ورفعةً وخفَّ على الأرواحِ وهو شام^(١)
ارجيه يوماً أو الأقيسه ساعةً فيخصب لي عامٌ ويمرء عام
يريدونَ منه أن يَرضنَّ وإنما أرادوا مُجودَ الغيمِ وهو رُكام
ولاعيبَ فيه غير أن ذوى الندى خِساسٌ إذا قيسوا به ولثام
باغتَ من العلياءِ ما فاتهم معا كأن لم يروموا ما بلغت وراموا
فن مُبلغ عني الاكلامَ انهم اذا استيقظوا للمسكرات نيام
وأجمع بيت قيل في المديح قول أبي العميثل^(٢) في عبد الله بن طاهر^(٣)
قالت رامتَ ققلتُ إن وراءكم ان قد كبرت ومن يعمر يركع
وعهدتى أمضى لشأنى مطلقاً فبليتُ بعدك بالنسا والأجدع
يامن يؤملُ أن تكون خِلاله كخلال عبد الله أنصت واسمع
فلا نصحنك في المشورةِ والذي حجَّ الحجيجُ اليه فاقبل أودع
أصدق وعفَّ وجدوا نصت واحتمل واصفح وكاف ودار واحلم واشجع

(١) جبل . (٢) هو عبد الله بن خلود شاعر مؤدب . (٣) عبد الله بن طاهر
الخرزاعي الأمير الشجاع العاقل الجواد ، وفيه يقول أبو تمام وقد قصده من العراق
قصيدته المشهورة التي مطلعها :

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود
وفي سفرة أبي تمام هذه ألسف الحماسة فإنه حكم عليه البرد هناك ووقع على خزانه
كتب فاختر منها الحماسة .

وقد جمع هذا البيت جميع خصال المدح ، وسمعه المتنبي فأراد أن يبيح على
قالبه (١) فأتى بما لا ينطق (٢) به اللسان ولا ينطوى عليه الجنان .

ومن الأبيات الجامعة في المديح قول ابن الرومي :
هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن الأبيات الجامعة لمعاني الحسن قول البحترى :
ذات حسن لو استزادت من الحسن اليه لما أصابت مزيدا
فهي الشمس بهجة والقضيب السلدن (٣) ليناً والريم طرفاً وجيدا
وقال في هذه القصيدة :

وإذا ما عدت يحيى وعمرا وإياساً (٤) وطامراً ووليداً
وعبيداً ومسرراً (٥) وجدياً وثدولاً وبجترأً وعضوداً
لم أَدع من مناقب المجد ما يمنع من هم أن يكون مجيداً
وقلت في المديح :

حليف علاء ومجد وفخر وبأس وجود وخير وخير
أضاء فأطرق ضوء الشمس وتم فأغضي تمام البدور
وقلت في المديح أيضاً :

من الغر لا حواشئاً ومضواظي وصالوا أسوداً واستهلوا سوارياً
ومن المديح البليغ قول الأوّل :
متبذل في الحى وهو مبجل متواضع في القوم وهو معظم
وما أحسن في ذكر التواضع أحد كاحسان أبي تمام في قوله :

(١) لعله «قائله» . (٢) في نسخة «ينطلق» . (٣) في النسخة المطبوعة من
ديوان البحترى «الفض» مكان «اللدن» . (٤) في النسخة المطبوعة من البحترى
«أباناً» مكان «إياساً» . (٥) في الأصل «طامراً» مكان «مسرراً» والتصحيح
من ديوان البحترى المطبوع .

إذا أحسن الأتقوام أن يتناولوا
فمظمت عن ذاك التعظم منهم
وقال البحترى في التواضع مع علو الرتبة :

دنوت تواضعا^(١) وعلوت قدرا
كذلك الشمس تبعد أن تسامى
فأنتت بهذا المعنى في بيت :

تواضع إذا العلاء بضبعه ؟
وأجود ما قيل في صفة الرجل الحازم
فقدوا أمركم لله دركم
لا مترفاً ان رخاء العيش ساعده
ما انفك يجلب هذا الدهر أشطره
لا يطعم النوم إلا الريث بيعته^(٥)
حتى استمر على شزر مريرته
ومن هنا أخذ الشاعر قوله :

ولست بمفراح إذا الدهر سرفى
وقول دريد بن الصمة^(٦)

ينازل أقدان الرجال وانه
ويخرج من العزاء الشدة مصدقا^(٨)
لمجد ثناء ثم يزدد^(٧)
وطول السرى درى غضب مهند

(١) في النسختين «وضوعاً» وهو خطأ (٢) الذى في الديوان المطبوع :
دنوت تواضعاً وبعدت قدراً فشأنك انحدار وارتفاع
(٣) الايادى شاعر جاهلى ، ومطلع هذه القصيدة «يادار عمرة من محتلتها الجراما» .
(٤) وفي رواية «بأمر الحرب» . (٥) فى النسخ تصحيف . (٦) أصله
من هو ازن ، كان شجاعاً من الأبطال الشعراء ، أدرك الاسلام ولم يسلم .
(٧) كذا . (٨) كذا وفي غيره « ونخرج منه صرة القر جرة » .

هذا البيت أجود ما قيل في سعة الخلق من قديم الشعر :
 كيشُ الأزار خارجٌ نصفُ ساقه ضبورٌ على العزاء ^(١) طلاعُ أنجد
 قليلُ التشكى للمصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غد
 إذا سارَ بالأرضِ الفضاءِ ترينت لرؤيته كالمأم التبدد
 فلا يبعدنك اللهُ حياً وميتاً ومن يعله ركنٌ من الأرض يبعد
 موضع هذه الايات من باب المرأى وأما أوردتها هنا لأن قوله فيها « قليل التشكى
 للمصيبات » شبيه بما تقدم من قول الآخر : * ولا جازع من صرفه المتقلب *
 ومن شعر المحدثين قول أبي تمام :

وعزت بالسبع الذى بزئيره أمست وأصبحت الثغورُ عزيزا
 قطب الخشونة والليان بنفسه ^(٢) فعدا جليلاً فى العيون لطيفا
 هزته معضلةُ الأمورِ وهزها وأخيفَ فى ذات الآله وخيفا
 يقظان أحصدت التجاربِ جزمه ^(٣) شزراً وثقف عزمه تثقيفا
 وسلكن من أترابه الشعل التى ^(٤) لو أنهن طبعن كن سيوفا
 وإنما أخذ وصف هذا البيت من ديك الجن وكان أبو تمام كثير الاناخة
 عليه وهو قوله فى مرثيته :

ماء من العبرات حدى أرضه لو كان من مطر لكان هريما
 وبلايل لو أنهن ما ككل لم تخطىء الفسليين والزقوما
 وكرمي بر وعسى لو أنه ظل لكان الحر واليحموما
 ونقل البيت الأول أنو تمام الى موضع آخر فقال :
 مطر من العبرات حدى أرضه حتى الصباح ومقلتاى سماؤه

(١) لعله « الضراء » . (٢) وفي ديوان أبي تمام المطبوع :

قطب الخشونة بالليان معاقباً فعدا جليلاً فى القلوب لطيفا

(٣) فى الديوان « عقده » . (٤) فى الديوان « واستل من آرائه الشعل التى » .

ومن ذلك قول أبي تمام :

وإذا رأيت أبا يزيد في ندى
أيقنت أن من السماح شجاعةً
ومكارماً عتق النجار تليدةً
متوقداً منه الزمانُ وربما
ووغى ومبدي غارةٍ ومعيداً
تدمى وان من السماح جوداً
إن كان هضب عمائتين تليداً
كان الزمانُ بأخرين بليداً
وقال البحرى :

أغر لنا من جوده وسماحه
ولما جرى للمجد والقوم خلفه
وهل يتسكفا الناس شتى خلالهم
إذا ارتد صمتا فالرؤس نواكس
وأغلب ما ينفك من يقظاته
جناناً على ما جرت الحرب جامع
جدير بأن ينشق عن ضوء وجهه
تذود الدنيا عنه نفس أبية
بعيد مقبل السر لا يدرك التي
ومنسكتم التدبير ليس بظاهر
ولا يعلم الأعداء من فرط عزمه

لم يبق وجه من وجوه المدح في الجود والشجاعة وتصوب الرأي ومضاء العزيمة
والدهاء وشدة الفكر إلا قد اجتمع ذكره في هذه الأبيات ولا أعرف أحداً
يستوفى مثل هذه المعاني في أكثر مدائحها إلا البحرى .

وقال بعضهم أجود ما قيل في صفة الرجل الحازم قول زينب بنت الطرية :
إذا جدَّ عند الجد أرضاك جدُّه وذو باطلٍ إن شئت أهلك باطله .

(١) في الديوان (به) . (٢) في الديوان (كجد) .

يَسْرُكُ مَظْلُومًا وَيُرْضِيكَ ظَالِمًا وَكُلَ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
ومثله قول الآخر :

أخو الجَدِّ إنَّ جَدَّ الرَّجَالِ وَشَمَرُوا وَذُو بَاطِلٍ إنَّ كَانِ فِي النَّاسِ بَاطِلٌ
ومن المديح المفرط قول منصور النمرى في هارون :

إذا ما عددت الناسَ بعد محمدٍ فليس لهارونَ إلا ما من نظيرُ
فضله على أبي بكرٍ وعمرٍ وعثمانٍ وعلى وغيرهم من الصحابة رضَى اللهُ تعالى
عنهم ، وهذا مكروه جداً وأكره منه قول أبي نواس :

تَنَازَعَ الأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاشْتَبَهَا خَلْقًا وَحُلُقًا كَمَا قُدَّ الشَّرَاكِنُ
فجعل النبي ﷺ ومحمد بن هارون سواءً في الخلق والخلق .

وبعد بيت النمرى أبيات جواد منها قوله :

منيع الحى لكنَّ أعناقَ ماله بظل الندى يسطوبها ويسور
كأنه من قول كثير :

عُرِّ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا غَلَقْتَ لِضَحَكْتِهِ رِقَابُ المَالِ
وهذا من قول الأخطل :

وقفتُ على حاليكما فاذا الندى عليك أميرَ المؤمنين أميرُ
خرجتُ أجرُ الذيلِ حتى كأننى عليك أميرَ المؤمنين أميرُ
بروحٍ ويفدو ساجياً في وقاره على أنه يوم المرام ذكيرُ
وليس لأعباءِ الأمورِ إذا عرت بمكترثٍ لكنَّ لهنَّ قهورُ
يرى ساكنَ الأوصالِ باسطَ جهده يريك الهويتنا والأُمورُ تطيرُ

ولا أعرف في هذا المعنى أجود من هذا البيت .

وقالوا أمدح بيت قاله محدث قول النمرى في هارون :

إنَّ المَكْرَمَ والمَعْرُوفَ أوديةً أحلك اللهُ منها حيثُ تجتمعُ (١)

(١) تقدم هذا البيت بصدر «خليفة الله إن الجود أودية» .

أخذه من قول أبي وجزة السعدي^(١) :
 أتاك المجدُّ من هنا وهنا وأنتَ لهُ بمجتمع السيول
 وأخذه ابن أمية الكاتب فقال في غزل :
 تركت فيك التي ؟ وأنتَ منها بمجمع الطرق
 ونقلته إلى الهجاء فقلت :

أنفسدو بمستن العيون مخيماً وأنتَ بعيب العالمين موكل
 وفي قصيدة النمرى أبيات قليلة النظير منها قوله :

مستحکم الرأي مُستغن بوحده
 عن الرجال برب الدهر مضطلعُ
 يقرى العدو المنايا والقناة ندى
 من كل ذلك القسرى أحواضه ترع
 إذا بلغنا جمال الأرض لم ترنا
 للحادثات بحمد الله نختشع
 لما أخذتُ بكفى جبل طاعته
 أيقنت أئى من الأحداث ممنوع
 ان الخليفة هارون الذى امتلأت
 منه القلوب وجارت تحته ترع
 ان أخلف الغيث لم تخلف مخائله
 أوضاعاً أمرٌ ذكرناه فيتسع

أخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن الصولى عن المبرد وغيره قال شكنا منصور
 إلى العتابى طلقاً استمر بامرأته ثلاثة أيام تخوف عليها منه فقال العتابى دواؤه معك
 أقرب منها وقل «هارون» فان أمرها يسهل فغضب منصور فقال له لا تغضب فأنت
 قضيت بذلك في قولك :

ان أخلف الغيث لم تخلف مخائلهُ
 أوضاعاً أمرٌ ذكرناه فيتسع

فأسكت منصور . ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيها الطالب المبتغى
 نجوم السماء بسعى أمم
 سمعت بمكرمة ابن العلاء
 فأنشأت تطلبها لست تم
 إذا عرضَ الهمُّ في صدره
 لها بالعطاء وضرب البهم

(١) هو يزيد بن عبيد أبو وجزة ، من التابعين

فقل للخليفة إن جئتُ
إذا أيقظتك جسامُ الأمور
فنتي لا يبيتُ على رفقهِ
يحبُّ العطاءَ وسفكِ الدماءِ

وقال البحتري :

إذا المهتدي باللهُ عدتُ خِلالهُ
وقلت : كم غاية لكم تقاصرُ دونها
يعلو كرام العالمين وأنا
وإذا تسمى الأكرمون إلى العلا
أمن المسكارم أن يُبددَ شملها
ذلت له نوبُ الزمان وأصبحت

وقال البحتري :

إذا ذكرت أسلافه وتشوهرت
إذا ماتت الأرضُ ابتدوها كأنما
ودون علاهم للمسامين برزخُ
بتدبير مأمونٍ على الأمر رأيهُ
وذوها جسراً لا يحجبُ الغيبُ دونه

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن عبد الله بن الحسن عن البحتري قال سمعت ابراهيم
ابن الحسن بن سهل يقول : الأوائل حجة وهؤلاء أحسن تعريفا إلى أنه أنشده
يوماً عبد الله بن أبوب التيمي شعراً يمدحه فيه فلما بلغ إلى قوله :

ترى ظاهر المأمون أحسن ظاهر وأحسن مما قد (١) أسرَّ وأضمرأ
يناجي له نفساً ترسع بهمة إلى كل معروفٍ وقلباً مُطهرأ

ويخشع إجلالاً له كلُّ ناظرٍ ويأبى لخوف الله أن يتكبرا
 طويلٌ نجادُ السيفِ مضطمر الحشا طراه طراد الجيش حتى تجسرا
 رفل إذا ما السلمُ رفل ذيله وان شمرت يوماً له الحرب شمرا
 فقال الفضل ما بعد هذا مدح وما أشبه فروع الاحسان بأصوله .

ومن المدح القليل النخيل قول أمانة بنت الجلاح الكلبية : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو الحسن البرمكي أحمد بن جعفر حدثني محمد بن ناجية الرصغاني قال كنت أحد من وقعت عليه التهمة أيام الواقعة بمال مصر فطلبني السلطان طلباً شديداً حتى ضاقت عليَّ الأرض برحبها فخرجت إلى البلاد مرتاداً رجلاً عزيزاً منيع الدار أعوذ به وأنزل عليه حتى انتهيت إلى بني شيبان ابن ثعلبة فدفعت إلى بيت مشرف بظهر رابية منيعة وإلى جانبه فرس مربوط ورمح مركون يلعب سنانة فنزلت عن فرسي وتقدمت فسلمت على أهل الخباء فردَّ علي نساء من وراء السجف يرمقنني من خلل الستور يعيون كعيون أخشاف الظباء فقالت إحداهن اطمنن يا حضري فقلت وكيف يطمنن المطلوب أو يأمن المرعوب وقلما ينجو من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي إلى جبل يمصبه أو معقل يمنعه فقالت يا حضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفناء بيت لا يضام فيه أحد ولا يجوع فيه كبد مادام لهذا الحي سبد أو لبد هذا بيت الأسود بن قنان أخوانه كلب وأعمامه شيبان صعلوك الحي في ماله وسيدهم في فعاله لا يتنازع ولا يدافع له الجوار وموقد النار وطلب النار وبهذا وصفته أمانة بنت الجلاح الكلبية حيث تقول :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمانى
 وقي بهم حملاً وُجوداً وسُودداً وبأساً فهذا الأسود بن قنان
 فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه كأن تلالى وجه القمران
 أغر أبر ابني نزار ويعرب وأوتقهم عقداً بقول لسان

وأوفاهم عهداً وأطولهم يداً وأعلاهم فعلاً بكل مكان
وأضر بهم بالسيف من دون جاره وأطعنهم من دونه بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه سبحان مقرونان مؤتلفان
فقلت الآن ذهبت عنى الوحشة وسكنت الروعة فأنى لى به قالت يا جارية
أخرجى فنادى مولاك نخرجت الجارية فما لبثت إلا هنيهة حتى جاءت وهو معها
فى جمع من عمه فرأيت غلاماً حسناً^(١) اخضر شاربه واخط طارضه
وخشن جانبه فقال أى المتعمين علينا أنت فبادرت المرأة فقالت يا أبا مرهف هذا
رجل نبت به أوطانه وأزعجه سلطانه وأوحشه زمانه وقد أحب جوارك ورغب فى
ذمتك وقد ضمنا له ما يضمنه لمثله مثلك فقال بل الله فاك قال فأخذ ييدى وجلس
وجلست ثم قال يابنى أبى وذوى رحى أشهدكم أن هذا الرجل فى ذمتى وجوارى
فمن أراده فقد أرادنى ومن كاده فقد كادنى وما يلزمنى من أمره من حال إلا ويلزمكم
مثله فليسمع الرجل منكم ما يسكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه . فما رأيت جواباً
قط أحسن من جوابهم اذ قالوا بأجمعهم ماهى أول منة مننت بها علينا ولا أول يد
بيضاء طوقتناها وما زال أبوك قبلك فى بناء الشرف لنا ودفع الدم عنا فهذه أنفسنا
وأموالنا بين يديك . ثم ضرب لى قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزاً منيعاً حتى سنح
لى السلطان ما أملت فانصرفت الى أهلى .

ومن المديح البارع قوله الأخطل :

شمسُ الهداوة حتى يستقاد لهم^(٢) وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدروا

أخذه خارجة بن ملبح المكي وأحسن :

آل الزبير نجومٌ يستضاء بهم إذا احتجب الليلُ فى ظلماته زهروا

قومٌ إذا شومسوا لَجَّ الشماسُ بهم ذاتَ الآباءِ وان يأسرتهم يسروا

(١) فى الأصل « حين » .

(٢) فى الأصل (بهم) والتصحيح من شعر الأخطل المطبوع .

ومنه قول كثير في عبد الملك :

أبوك الذي لما أتى مرجَ راهط
تسناً للأعداء حتى إذا أتوا

وقال البحترى :

حرونٌ إذا عاززته في مُلمةٍ
ونحوه : كريمٌ يفضُّ الطرفَ فضلُ حياته
وكالسيفِ ان لا يئنه لانَ منتهُ
ومثل قول خارجة * إذا احتبى الليل في ظلماته زهروا * قول الأشجع :
إذا غاب عنا الفجرُ خضنا بوجهه
وقال خارجة أيضا :

وسفر للسارى إذا جنَّ إليه
وقال ادريس بن أبي حفصة :

لما أتتك وقد كانت منازعة
لها أمامك نورٌ تستضيء به
لها أحاديثٌ من ذكراك تشغلها
ولا أعرف في معناها مثلها :

إذا أشرقت في جنح ليل وجوهمهم
وان نابَ خطبٌ أو ألت مُلمةٌ
ومن أجود ما قيل في صفة الرجل الجواد قول أبي الأسد الدِّينورى :

ولأئمة لأمتك يا قيصُ في الندى
أرادت لتنى الفيضَ عن عادة الندى
قفلتُ لها لن يقدحَ اللومُ في البحر
ومن ذا الذى يثنى السحابَ عن القطر

مواقع جودِ الفيضِ في كلِّ بلدةٍ مواقع ماءِ المزنِ في البلدِ القفرِ (١)
ولا أعرف في معناها مثلها . وقلت :

تقضى مآربه من كلِّ فائدةٍ لكن من المجد مآتقضى مآربه
أفاده العزَّ آباءه ذوو كرمٍ وزاده الخلقُ المخضر جانبه
لقد فضلت كرامَ الناس كلهم فهم مناسمُ مَجْد أنت غاربه
ياليت شعري هل يسطيعُ شكركم دهرٌ مساعيكُم فيه مناقبه
وحينَ أرضيتم كنتم نوافله وأنتم حين أسخطم نوابه
منكم على الدهر عينٌ لاتناومه وللحوادثِ قرن لاتغالبه
ومن أجود ما قيل في ذكر الجود قول الأشجع (٢) في جعفر بن يحيى :

يرومُ الملوکُ جدی جعفر ولا يصنعون كما يصنعُ
وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الفنى ولكن معروفه أوسع
فما خلفه لامرىء مطمع ولا دونه لامرىء مقنع
إذا رفمت كفه مشراً أبى العز والفضل أن يوضعوا
ولا يرفعُ الناسُ من حطه ولا يضعُ الناسُ من يرفعُ
رأيتُ الملوکُ تغضُّ العيون إذا ما بدا الملكُ الاتلع
بديهته مثلُ تدبيره متى هجته فهو مُستجمع

أخذ قوله «بأوسعهم في الفنى» من قول الأول :

له نارٌ تشبُّ بكلِّ أرضٍ إذا النيرانُ جلتِ القناعا
وما ان كان أكثرهم سواداً ولكن كان أرجبهم ذراعاً

(١) يكرر المصنف بعض الأبيات في مواضع لمناسبات .

(٢) هو أبو الوليد أشجع بن عمرو السلمي ، مدح البرامكة وانقطع إلى

جعفر بن يحيى فقربه من الرشيد فأثرى ، ورثي الرشيد بمد موته .

وقال بعض المولدين :

وما رأيتك في حال تكونُ بها أدنى إلى كل خيرٍ منك في العدم
ومن أجود ما قيل في الصلة على بعد الدار قول نهشل بن جرى :
جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى الصلت إخوان السماحة والمجد
أتانى وأهلى بالعراق نداهمُ كما صاب غيثٌ من تهامةٍ في نجد
فما يتغير من زمان وأهله فما غير الأيام مجدكم بمدى
فأخذه البحتري أخذاً ما رأيت أعجب منه وقد وجه إليه بنو السمط برمى
حصص إلى منبج فقال :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفه بنى السمط إخوان السماحة والمجد
همُ حضروني والمهامهُ بيننا كما ارفضَّ غيثٌ من تهامةٍ في نجد
إلا أن قوله * هم حضروني والمهامه بيننا * أبدع وأحسن من قول
نهشل * أتانى وأهلى بالعراق نداهم * وأخذه ابن المولى فقال :

فرحتُ بجمفر لما أتانا كما سرَّ المسافرُ بالاياب
كمطورٍ ببلدته فأضحى غنياً عن مطالعة السحاب
وأخذه أبو السمط بن أبي حفصة فقال في عبد الله بن طاهر :
لعمري نعم الغيثُ غيثٌ أصابنا ببغدادَ من أرض الجزيرة وأبله
ونعم الغتي والسدُّ بيني وبينه بسبعين ألفاً صبحتني رسائله
فكنا كحى صبح الغيثُ داره ولم يحتمل أظمانه وجمائله
وأخذه أبو تمام فقال :

لم أستطع سيراً لمدحة خالدٍ فجملتُ مدحتهُ إليه رسولا
فليرحلنَّ اليك نائلُ خالدٍ وليكفينَّ رواحلي الترحيلا
وأخذه أبو صفان فقال في أحمد بن محمد بن توبة :
نفسى فداءُ أبي العباس من رجل لم ينسني قطُّ في نأى ولا كشب

يقرى وبالرقة البيضاء منزله من بالعراقين^(١) من مجهم ومن عرب
 أغنيتني عن رجال أنت فوقهم في المكرمات ودون القوم في النسب
 وأصل ذلك كله من قول جرير : أخبرنا أبو أحمد عن علي بن سليمان
 الأخفش عن ثعلب عن محمد بن سلام قال قال أبو العراف بمث عبد العزيز بن
 مروان إلى جرير بمال من الشام فتجهز يريده فأتاه نعيه فقال جرير يرثيه :
 بنفسي امرأةً والشام بيني وبينه أتتني يبشري برده ورسائله
 قال أبو أحمد قال أبو الحسن لا يجوز عندنا (إلا امرؤ) إلا أن الرواية
 هكذا ، معناه أهدى .

أتى زمن البيضاء بعدك فاتحني على العظم حتى ماتقوم حوافله
 فيومان من عبد العزيز تفاضلا في أي يوميه تلوم عواذله
 فيوم تحيط المسلمين جياته ويوم عطاء ما يفرح نائله
 ومن المديح البارع قول ابراهيم بن العباس :
 أسدٌ ضارٍ إذا هيجته وأبٌ برٌّ إذا ما قدرا
 يعلمُ الأبعد إن أثرى ولا يعلمُ الأدنى إذا ما افتقرا
 ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد في جملة خبر أخبرناه عن أبيه عن أحمد
 ابن أبي طاهر النديم عن عبد الله بن السري عن أحمد بن سليمان قال قال عبد الله
 ابن زيد القسري كنت قائماً على رأس ابن هبيرة وعنده سباطان من وجوه الناس
 إذ أقبل شاب لم أر مثل جماله وكاله فقال أصلح الله الأمير إني امرؤ فدحتك كربة
 وأوحشتك غربة ونأت به الدار وأقلقه الأمعار وحل به عظيم خذله أخلاؤه وشمته
 به أعداؤه وناه القريب وأسلمه البعيد فقامت مقاماً لا أرى فيه معولاً ولا جازي
 نعمه إلا رجاء الله تعالى وحسن عائدة الأمير وأنا أصلح الله الأمير ممن لا تجهل
 (٢) العراقان : السكوفة والبصرة ، وعراق العرب وعراق المعجم . كما في
 جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين للمحبي .

أسرته ولا تضع حرمة فان رأى الأمير أن يسد خلتي ويجبر خصاصتى فعل فقال
ابن هبيرة من الرجل ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

فزاره بيتُ المجد والعزِّ فيهم فزاره قيسٌ حسب قيسٍ فعالها
لها العزة القعساءُ والشرفُ الذي بناه لقيسٍ في القديم رجاءُها
وهل أحدٌ إن مدَّ يوماً بأنفه إلى الشمسِ في جَوْ السماءِ ينالها
لهيات ما عيا القرون التي مضتْ ما ترُّ قيسٍ واعتلاها خصالها

فقال ابن هبيرة إن هذا الأديب حسن مع ما أرى من حداثة سنك فكم
أتلك ؟ قال تسع وعشرين - فلحن الفتى - فتبسم ابن هبيرة كالشامت به وقال
ألحن أيضاً مع جميل ما أتى عليه منطقتك ، شفته بأقبح عيب ^(١) فأبصر الفتى ما وقع
فيه فقال إن الأمير أصاحه الله تعالى عظم في عيني وملأت هيئته صدرى فنطق
لسانى بما لا يعرفه قلبي . فقال له ابن هبيرة : وما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم
بها أوده ويحضر بها سلطانه ويزين بها مشهده ويتبوأ بها على خصمه أو يرضى أحدكم
أن يكون لسانه مثل لسان مملوكه وأكاره ^(٢) وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم
فان كان سبقك لسانك وإلا فاستعن على اصلاحه ببعض ما أوصلناه اليك ولا
يستحي أحدكم من التعلم فانه لولا هذا اللسان لكان الانسان كالبهيمة المهمل
قاتل الله الشاعر حيث يقول :

ألم ترَ مفتاحَ الفؤادِ لسانه إذا هو أبدي ما يقول من الفيم
وكلُّن ترى من صامت لك مُعجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ومن بارع المديح :

إلى منك موعودٌ طلبتُ نجاحه وأنت امرؤٌ لا تخلف ^(٣) الدهرَ موعدا
وعودتني ان لا تزال تُظلني يدُّ منك قد قدَّمت من قبلها يدا

(١) كذا والمعنى ظاهر . (٢) الاكار: الحراث . (٣) في الأصل «يخلف» .

فلو أن مجداً أوندى أو فضيلةً تخلدُ شيئاً كنتَ أنتَ المخلدُ
ومن بليغ المديح ما أنشدناه أبو أحمد عن الصَّوْلِي عن أبي العيَّان عن
الأصمعي للصموت الكلابي وقال مرة للصموت الكلابية امرأة :

لله دَرْكٌ أَيُّ جنةٍ خائفٍ ومتاع دُنْيَا أنتَ في الحدِثانِ
متخبط يبطأ الرحال غُلبَةً (١) وطأ الفنيق (٢) دوارح القردانِ
وتفرج البابَ الشديدَ رتأجه حتى يكونَ كأنه بابانِ
وتبعه أبو تمام فقال في ابن أبي داود :

فلتنبك الاحسابُ أَي حياةٍ وحيأ أزمةٍ وحيةٍ وادِ
حائق مُعتقٌ من اللوم (٣) إلا من مقاساةٍ مغرِمٍ أو نجادِ
ومن أجود ما قيل في صفة الكمال قول كشاجم :

ومهدبِ الألفاظِ مَنْطقهُ ما فيه من خَطَلٍ ولا مَينِ
ماشئتُ من ظرفٍ ومن شيمٍ ما في محاسنهن من شينِ
ما كان أحوجَ ذا الكمالِ أني عيبٍ يوقيه من العينِ

قد أحسن وظرف ولم يقصر في تقليل الحز وإصابة المفصل . ومثله قوله :
يا كاملَ الآدابِ مُنفردَ العلا والمكرماتِ ويا كثيرَ الحاسدِ
شخصَ الانامِ إلى كمالكِ فاستعد من شر أعينهم بعبٍ واحدِ
وقال ابن الرومي بمدح بعض العمال وقد نكب :

لا يستطيعك بالتقصِ حادثٌ وأبي لك التكميلُ أن تزيدا
وكأنتي بك قد نحوتَ محمد في النائباتِ كما دعوتَ محمدا
ذالمت كالسيفِ الحسامِ مجرداً للحقِّ أو مثل الهلالِ مجدداً

(١) المتخبط : التهار الغلاب . والغلبة بضممتين بمعنى الغلبة والقهر .

(٢) الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب .

(٣) في ديوان أبي تمام « الهون » .

شهد النهار وكشفه غم الدجى
ومثله قول الآخر :
فا كنت إلا السيف مُجَرَّدٌ في الوغي
ومن أبلغ المديح :

بديته وفكرته سواء
وصدره فيه لهم اتساع
وإذا ما نابه الخطب الكبير
إذا ضاقت من الهم الصدور
ومن أبلغ المديح قول البحترى :

أخذوا النبوة والخلافة واثنوا
وإذا قريش فضلتك فضلتها
وجوادها ابن جوادها وكريمها ابن كريمها^(١) ونيلها ابن نيلها
لو سارت الأيام في مسعاتهم
رفعتهم الآيات في تنزيلها
وإذا انشعبت أخذت خير فروعها
وقلت : لئن قلَّ أربابُ المكارم والعلا
يذكرني جودَ الغائم جوده
تخال به بدرًا مع الليل باهرًا
يدبل من الأيام والدهر منصف
يبرز من الانجاد كل مساور
بخلق كتن الصخر في كف لاس
ورأى كصدر الراغية شارع
على بلدة يسقى الضراغم ماؤها
ومن أروع المديح قول أبي تمام :

(١) في ديوان البحترى «وشريفها ابن شريفها» مكان «و كريمة ابن كريمها» .

رأيت لعياشٍ خلائفَ لم تكن
له كرمٌ لو كان في الماء لم يغيض
أخو عزّ مات بذله بذلٌ مُحسنٍ
بهو لك أن تلقاه في صدرٍ محفلٍ
وماضيقٍ أخطار البلاد أضاقني
وهذي ثيابُ المدح فاجرٍ ذبولها
وقد أحسن التلوخي في أبيات له منها :

وفتية من حميرٍ حمرٍ الظبي
شموس مجد في سموات علا
وقلت : ما المجدُ إلا ساءٌ أنت كوكبها
فكل سابقٍ قوم أنت سابقه
بالمقدِّ تحكّمه والأمر تيرمه
والعرض تمنعه والمال تبذله

وللمحدثين أبيات بارعة سائرة في المديح منها قول أبي تمام :

أيامنا مصقولةٌ أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ
مأخوذ من قول عبد الملك بن صالح حدثنا أبو أحمد أخبرنا الصولي حدثنا شيخ
ابن حاتم العكلي حدثنا يعقوب بن جعفر قال لما دخل الرشيد منبج قال لعبد
الملك أهذا البلد منزلك قال هو لك ولي بك قال كيف بناؤك فيه قال دون منازل
أهلي وفوق منازل غيرهم قال فكيف صفة مدينتك هذه قال هي عذبة الماء باردة
الهواء قليلة الأذواء قال كيف ليلها قال سحر كله قال صدقت إنها الطيبة قال لك
طابت وبك كملت واين بها عن الطيب وهي تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة
خضراء فياف فيح بين قيصوم وشيح . فقال الرشيد لجعفر بن يحيى هذا الكلام
أحسن من الدر المنظوم فأخذه ابن المعتز فقال :

ياربَّ ليلٍ سحرٍ كله مفتضح البدر عليل النسيم

تلتقطُ الأُنَاسُ بِرَدِّ النَّدَى فِيهِ فَيَهْدِيهِ لِنَارِ المَهْمومِ
 وقال ابن الرومي * كَأَنَّ أَيامَهُنَّ كَالْبَكْرِ * وَقَلَّتْ :
 أَيامُنَا فِي جِوَارِهِ بِكُرٍّ وَلَيْلِنَا فِي فِنَائِهِ سِحْرٌ
 ومنها قول أبي نواس :

أنت الخصبُ وهذه مصرُ فتدققا فكلا كما بحر
 وقوله : وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحد
 وقوله : قى يشتري حسنَ الثناءِ بماله ويعلّمُ أن الدائراتِ تدورُ
 فما جازه جودٌ ولا حلٌ دونه ولكن بصيرُ الجودِ حيثُ بصيرُ
 وقول أبي العتاهية :

أنته الخِلافةُ منقادةً إليه تجرُّ أذيالها
 ولم تكُ تصلحُ إلا له ولم يكُ يصلحُ إلا لها
 ولو رامها أحدٌ غيره زلزلاتِ الأرضِ زلزلاها
 وقول مسلم إلا أنه مرثية :

وأى واسماعيل يومَ وفاته لكانممد يومِ الروعِ فارقةُ النصلِ
 فإن أغش قومًا بعمده أو أزورهم فكالوحشِ يدينها من الأُنسِ المحلِ
 الأُنسِ جمعٌ مثلِ خدمٍ . وقول بعضِ الأعرابِ في معن بن زائدة :
 أنتَ الجوادُ ومنك الجودُ أوله فإن مُقدتَ فما جودٌ لموجود
 أضحت يمينك من جودٍ مصورةً لا بل يمينك منها صورةُ الجودِ
 من نور وجهك تضحى الأرضُ مشرقةً ومن ثنائك يجرى الماءُ في العودِ
 وقول البحترى :

وقد قلتُ للمعلّى إلى المجدِ طرفه دَعِ المجدَ فالفتحُ بنُ خاقانِ شاغله
 صفتٌ مثلُ ما تصفو المدامُ خلاله وورقتُ كما رَقَّ النسيمُ شمائله
 والعربُ تتمدحُ بطولِ القامةِ فمن أجودِ ما قيلَ فيه قولُ أبي تمام :

أناس^(١) إذا يدعي تزال إلى الوغى
من المطربين الأولى ليس ينجلى
جملت نظام المكرمات فلم تدر
إذا افتخرت يوماً ربيعة أقبلت
ومن أجود ما قبل في قدم الشرف ووضوح النسب قول أبي تمام :

نسب^٢ كأن عليه من شمس الضحى
عريان لا يكبو دليل^٣ من عمى
شرف على أولى الزمان وإنما
لولم تكن من نبعة نجدية
مطر أبوك أبو أهلة وابل
ورثوا الابوة والحظوظ فأصبحوا
أكفأة تلد الرجال وإنما
أخذه السرى فقال في المهلبى :

نسب^٤ أضاء عموده في رفعه
وشمائل^٥ شهد العدو بفضلها
وهذا من قول البحترى :

لا أدعى لأبي العلاء فضيلة
وقلت : قد نلت بالرأي والتميز منزلة
وبالتكرم والافضال مرتبة
قالوا أيمطر من محل ألم^٦ به
مال^٧ يسدده في جمع مكرمة
كروضة أخذت بالغيث زخر^٨ فيها

(١) في ديوان البحترى «كأية إذا» .
(٢) في نسخة «لزب» وهي الشدائد .

مناقبٌ ما يكادُ الدهرُ يهدمها
 فابشر فانك رأسٌ والعلا جسد
 لولاك لم تك للأيام منقبةٌ
 وقلت : هل أنت إلا البدر تم تماؤه
 والسيفُ أرهفَ للمضاءِ غراره
 أنت الربيعُ الغضُّ رقَّ نسيمه
 خلق كنشرِ الروضِ ظل نباته
 للأولياءِ رخاؤه ورخاؤه
 يامن أدل على الزمان زمانه
 يدنو فيغمرُ كلَّ شيءٍ فضله
 ما ان يزال من المآثر والعلا
 عالٍ تسورَ فوق قمة سودد
 يبدو فيبدي الصبحُ غرة وجهه
 سبق الجيادَ فما يُشقُّ غبارُه
 وثن أبرَّ على الحسام عزيمةً
 وكأما أقلامه أسيافه
 ما المجد الا العقد جودك شذره^(١)
 والجودُ في يدك اليمين عنانُه
 مازال فوتك في اللواء موليا
 فاعمر على زمن أغر محجبل
 وقال آخر وأحسن :

(١) الشَّذْرُ : قطع من الذهب تلتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل

بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار - كما في القاموس .

نعماء ما صغرت إلا لأن عظموا

كم صغروا منهم والله يكلوهم

وقال أبو يعقوب الخزيمي :

لجان لها يوم الفخار بك الفضل

فلو لم يكن إلا بنفسك فخرها

فلا تعب يدني اليك ولا مهل

حريت على مهل فأنتعت من جرى

فلا مثل ذابذل ولا مثل ذابخل

ويسئل دنياه وينع دينه

وقفت على صوب الربيع رجائيا

وقلت : وقفت على يحيى رجائيا وأنا

تمطيت جدواه فقفت اللياليا

إذا ما الليالي أدركت ماسعت له

وإن آب جاء المزن في الجود ساقيا

إذا غاب جاء المزن في الجود سابقا

أو البرق جراه ثنى البرق كايا

إذا الغيث باراه ثنى الغيث مقصرا

حططنا إليه كي تزين القوافيا

فتى لم نزنه بالقوافي وإنما

وصالوا أسوداً واستهلوا سواريا

من الفرّ لاحوا أشمساً ومضوا ظي

فكن باقياً حتى ترى الدهر فانيا

رأيت جمال الدهر فيك مجدداً

عرس تكامل حسنها وعرائس

وقلت : في فتية أخلاقهم وفعالهم

للمجد والعلياء فيه مجالس

حل السرور حياهم في مجلس

زهر وإن نظروا العدو حنادس

فهم إذا نظروا الصديق كواكب

فهم ضراغم والعبادة فرائس

أوقيل تلتف الجياد بثلها

فالليل منهم شامس والصبح منهم

دامس والدهر منهم وارس

وأظن ابن الرومي سبق إلى معنى قوله :

نفائس ماله أدناه مجنى من الأيدي جميعاً والأمانى

كذلك فوارض الثمرات تدنو لجانيها فتمكن كل جاني

وأخبرنا أبو أحمد عن البششى عن المبرد قال أتى شاعر أبا البختری وهب

ابن وهب وكان من أجود قریش كان إذا سمع المادح له ضحك وسرى السرور

بجوانحه وأعطى وزاد فأنشده هذا الشاعر :

لكل أخى فضل نصيب من العلا ورأس الملاطراً عقيد الندى وهب
وماضراً وهباً عيب من جحد الندى كالا يضر البدر ينبحه الكلب
فتنى له الوسادة وهش اليه ورفده وحمله وأضافه فلما أراد الرحيل وهو أشد
خلق الله اغتباطاً لم يخدمه أحد من غلمان أبى البخترى ولا عقب له ولا حل فانكر
ذلك مع جميل ما فعل به فعاتب بعضهم فقال إنما نعين النازل على الإقامة ولا نعين
المرتحل على الفراق فبلغ ذلك جليلاً من القرشين فقال والله لفعل هؤلاء العبيد
أحسن من رقد سيدهم .

ومن بليغ المعاني في المديح قول ابن الرومي :

لما من طائر لك يا ابن يحيى يموت الكاشحون وأنت تحيا
على أن المات لكل حي وقت به من الحدثنان محيا
وقال خلف بن خليفة :

ان استجهلوا لم يغرب الحلم عنهم وإن آثروا أن يجهلوا عظم الجهل
هم الجبل الأعلى إذا ماتنا كرت ملوك الرجال أو تخاطرت النزل
مواعيدهم فصل إذا ماتكموا بتلك التي أن سميت وجب الفعل
ألم تر أن القتل غال إذا رضوا وإن غضبوا في موطن رخص القتل
وقلت : لقد علمت يحيى موافية العلا فضائل آباء تلها فضائله
فجاز طريف المجد بعد تليده رفيع بطول النجم حين بطاوله
فتى غرة الأيام حسن صنيعه وتيجانها أخلاقه وشماله
وما هو إلا المزن تصفو خلالاه ويملو مبهواه وي بكر هاطله

﴿ الفصل الثاني من الباب الأول في الافتخار ﴾

قلوا أنخر بيت قائته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
وقالوا قال عبد الملك بن مروان للفرزدق وجرير والأخطل من أتاني منكم
بصدر هذا البيت « والعود أحمد » فله عشرة آلاف درهم فما كان فيهم مجيب
فأدخل أعرابي من عذرة إليه فأنشده :

فان كان مني ما كرهت فاني أعود لما تهواه والعود أحمد
فقال عبد الملك أحسنت ولكن لم تصب ما أردت فأنشد :
جزينا بنى شيبان قديماً بفعلهم وُعدنا بمثل البدء والعود أحمد
قال لم تصب ما أردت فأنشد :

وأحسن عمرو في الذي كان بيننا فان عاد بالاحسان فالعود أحمد
فقال هذا طلبت . ثم قال أخبرني عن أهجى بيت قائته العرب قال قول جرير :
ففض الطرف انك من نيمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا
ولو وضعت فقاح بنى نيمير على خبث الحديد إذا لذابا
قال فأخبرني عن أمدح بيت قائته العرب قال قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح
قال فما أنخر بيت قائته العرب قال قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا
قال فما أغزل بيت قائته العرب؟ قال قول جرير :

ان العيون التي في طرفها مرض ^(١) قتلنا ثم لم يحمين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وُهن أضعف خلق الله أركانا ^(٢)

(١) وفي رواية « حور » . (٢) في هامش النسخ « انسانا » إشارة للنسخة .

قال فما أحسن بيت قيل ؟ قال قول جرير :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طى التجار بمضرموت برودا

قال فما أقبح بيت قيل ؟ قال قول جرير :

ألم ترَ أنَّ جِعْثَنَ وَسَطَ سَعْدٍ تُسْمَى بَعْدَ قِضَتِهَا الرَّحَابَا (١)
ترى برصاً بأسفل (٢) إسكتياً كمنفقة الفرزدق حين شابا

قال فما أهبجن بيت قيل قال قول جرير :

طرتك صائدةُ القلوبِ وليس ذا حين الزيارة فارجمي بسلام
قال فهل تعرف جريراً ؟ قال لا ولكن ترد علينا أقاويل الشعراء فلم أر شعراً
أرق في الوزن ولا أملاً للغم من شعره فقام جرير فقبل رأسه وجعل جائزته في
هذا العام له وأضاف عبد الملك إليها مثلها وكتب إلى عامله باليامة أن ينصف
من خصم تظلم منه .

وقد قال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير :

بدأتم فأحسنتم فأنتيتُ جاهداً وان عدتمُ أنثيتُ والعودُ أحسن (٣)

وقال ابن المعتز أو غيره :

خليلى قد طاب الشرابُ المبردُ وقد عدتُ بعد النسك والعودُ أحد

وقال ابن حبيب دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له

ومن الرجل ؟ قال من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبتُ عليك بنو تميم حسبتَ الناسَ كلهم غضابا

قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم القائل :

يزيد بنو سعد على عدد الحصى وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال فمن أيها أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :

(١) سقط من النسخ بعض كلمات فاستدر كناها من النقائض .

(٢) في النقائض (بمجمع) مكان (أسفل) . (٣) لعله «أحد» .

ثياب بنى عوف طهارى نقيه وأوجههم عند المشاهد غران
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
فلا وأبيك ماظلت قريع بأن بينوا المكارم حيث شاؤا
قال فمن أيهم أنت ؟ قال من الذين يقول لهم الشاعر :
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الدنيا
قال اجلس لاجلست والله لقد خفت أن تفخر على .
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

تري الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
ورواه لنا أبو علي بن أبي حفص «أربأنا» قال والارباء الاشارة إلى خلف
والاياء إلى قدام، والناس يحملون هذا البيت لجليل في قصيدته التي يقول فيها :
وكانت تجمد الأسدُ عنا مخافةً فهل يقتلى ذو بنان يطرفُ
لقد أخلفت ظني وكانت مخيلةً وكم من مخيل يرتجي ثم يخلفُ
إذا انتهب الأقومُ مجداً فاننا لنا مغرماً مجدٍ وللناس مغرفُ
وضعنا لهم صاع القصاص رهينةً بما سوف نوفيهِ إذا الناس طغفوا
تري الناس ماسرنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا
وكان جميل جيد الافتخار قال :

والشاعر المبتلى أشاعرون به كي يلمسوه ^(١) وأين اللمس من زحل
وعند الناس قصيدته الفائية أحسن وألسن من قصيدة الفرزدق . وأخذ بعضهم
قوله * وكم من مخيل يرتجي ثم يخلف * فقال وأحسن :

ظننت به ظناً قصراً دونهً فياربٍ مظنون به الخيرُ يخلفُ
وما الناس بالناس الذين عرفتهم وما الدار بالدار التي كنت أعرف
وما كلُّ من تهواه يهواك قلبه وما كلُّ من أنصفته لك منصف

(١) في الأصل « يلمس » .

أخبرنا أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر بن العيسى عن العيسى قال من أحسن مامدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عَشيرتي بمنهضم حتى ولا قارع سنى
ولا مسلم مولايَ عند جنابة ولا خائف مولاي من شر ما أجنى
وإن فؤادى بينَ جنبيَّ عالمٌ بما أبصرت عيني وما سمعت أذنى
وفضلى في الشعر واللُب أنى أقولُ على عَلمٍ وأعلمُ ما أعنى
فأصبحتُ إذ فضلتُ مروانَ وابنه على الناس قد فضلتُ خير أبوابين
وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي قال وهو من أجود ما مدح به الرجل نفسه ، قال أبو هلال وهو لسكين الدارمي :

ورُبُّ أمورٍ قد بريت لحالها وقومت من أصلابها ثم رشتها
أقيم بدار الحزم مالم آهن بها فان خفت من دار هوانا تركتها
وأصلحُ جل المال حتى حسبتني بخيالاً وان حقُّ عراني أهنتها
ولستُ بولاج البيوتِ لفاقة ولكن إذا استغيتُ عنها ولجتها
إذا قصرت أيدي الكرام عن العلاء مددتُ لها باعاً طويلاً فنلتها
وعوراءُ من قيل امرئ ذي عداوة تصاممتُ عنها بعد أن قد سمعتها
رجاء غداً أن يعطفَ الودُّ بيننا ومظلمة منى بجنبي عركتها
غيره : ومالي وجهٌ في اللثام ولا يدٌ ولكن وجهي في الكرام عريضٌ
أصحُّ ^(١) إذا لاقيتهم وكأني إذا أنا لاقيتُ اللثامَ مريضٌ

وقلت في معناه :

وخلُّ الجهولِ وبغضى له فاني لبيب أحبُّ اللبيا
بصادفني الضيف طلقاً ضحوكا وان كنتُ لم أر يداعجياً
وأستعملُ الحلم مالم أكن أصبتُ من الذلِّ فيه نصيباً

(١) في الأصل « أصبح » وهو تصحيف لافائدة في كثرة التنبيه على مثله .

من الحلم ضربٌ إذا رُمته لقيت من الذل فيه ضروبا
وأنشدنا أبو أحمد قول أبي هفان * فان تسألني عنا فانا حلّ العلا * ثم قال
ليس لقوله * فانا حلّ العلا * نظير ، وأنشدنا له :

لعمري لئن بيعت في دار غربية ثيابي^(١) إذ ضاقت على الماكل
فأنا إلا السيف يأكلُ جفنه له حليةٌ من نفسه وهو عاقل
وقد زاد في هذا البيت على النمر بن تولب في قوله وهو أول من أتى بهذا المعنى :
فان تكُ أثوابي تمزق عن بلي فاني كمثلِ السيفِ في خلق الغمد
ولا بُي هفان أيضاً :

تمجبت دُرٌّ من شيبى فقلتُ لها لاتعجبني من بياض الصبح في السدف
وزادها مجباً أن رحمتُ في سَمَلٍ^(٢) ومادرت دُرٌّ أن الدرَّ في الصدف
فرأيت في هذا المعنى تكلفاً فقلت :

عيرتني ان رحمتُ في سَمَلٍ والدرُّ لا تترى به الصدف
وله أيضاً في هذا المعنى :

يُعيرني عربي رجالٌ سفاهةً فعزيتُ نفسي مصدراً ثم موردا
بأبي مثل السيف أحسن ما يُرى وأهيب ما يُلقى إذا هو مُجردا
في ألفاظه فضول لا يحتاج إليها . ومثله في المعنى قول علي بن الجهم أوردته
في مصراعوهو * والسيف أهيب ما يُرى مسلولاً *
ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام :

قتل زهير إن شمتَ سراتنا فلسنا بشتامين * للمتشم
ولكننا نأبى الظلامَ ونتمصى بكل رقيقِ الشفرتين مصمص
وتجهلُ أيدينا ويحلُمُ رأينا ونشتمُ بالأفعالِ لا بالتكلم
هذا أحسن من كل شيء في الافتخار ، وقريب من هذا المعنى قول

(١) في النسخ « ثيابي إذا » . (٢) سمل الثوب سمولاً : أخلق فهو ثوب سمل .

لقيط بن زرارة :

أغرّم أنى بأحسنِ شيمَةٍ بصيرٌ وأنى بالفواحشِ أخرق
وانك قد سايبتنا فغلبتنا هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أخطق
أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال يروى أنه قيل
للفرزديق أى بيت قالته الشعراء أفخر ؟ قال قول امرئ القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ مؤثّلٍ وقد يدرك المجد المؤثّل أمثالى
قيل له فأياها أحكم قال قوله :

الله أنجح ما طلبت به والبر خير حقيبة الرجل
قال فأياها أرق قال قوله :

وما ذرفت عينك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلبٍ مقتل
قال فأياها أحسن قال قوله :

كأن قلوب الطير رطباً وباساً لدى وكرها العناب والحشف البالى
وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول كعب بن مالك الأنصارى :

ويئر بدرٍ اذ يرُدُّ وجوهكم جبريلٌ تحت لوائنا ومحمد
ومن بليغ^(١) الافتخار قول الحجاج :

صبرت سليمٌ للطعان وطامرٌ واذا جَزِنا لم نجد من يصبرُ
نحن الذين اذا علوا لم يضرّجروا يوم اللقا واذا علوا لم يفخروا
وقال ضمرة بن ضمرة :

أذيق الصديق رافتي واحاطتى وقد يشتكى منى العداة الأبعادُ
وذى ترّة أوجعته وسبقته فقصر عنى سعيه وهو جاهدُ
(قصر وهو جاهد) بليغ جداً ، ومنه أخذ المحدثون .

(١) فى نسخة (ومن أبلغ) .

ومن جيد الافتحار بالجود وطيب النفس به قول بعض العرب :
 تُسألني هوازنُ أينَ مالي ومالي غير ما أنفقتُ مال
 فقلتُ لها هوازن ان مالي أضرَّ به الملماتُ النقال
 أضر به نَعَمٌ ونَعَمٌ قديماً على ما كان من مال وبالُ
 المعنى حسن جداً ، وفي الألفاظ تكرير شائن .

أبلغ ما افتخر به في كثرة العدد قول الأول :
 ما تطلعُ الشمسُ إلا عند أولنا ولا تغيبُ إلا عند آخرنا
 وقول أبي جندب :

فلو نَزادَ ألفَ ألفٍ لم نزد ولو فَقَدنا مثلهم لم نفتقد
 وهو من أبيات أخبرنا بها أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن عمه
 عن أبيه عن ابن الكلبي ، وأخبرنا به غيره فأوردنا أجود اللفظين وأصح الروايتين
 قال بلغني أن عبدالرحمن بن حسان كان يخبر عن أبيه قال خرجت حاجا في الجاهلية
 فاذا أنا بشاب حسن العينين وضياء وبشيخ يسأله قال فسهب الفتي ثم ان الشيخ
 غيره بأن أمه من بنى الاصفر فخرى الفتي فبلغ ذلك أمه فأقبلت ترقل ارقال الناقة
 الصعبة حتى أخذت بمنكبى الشيخ وهزته وقالت :

سائلٌ واخلل في إِيادِ بنِ معدٍّ هل كانتِ الرومُ عبيداً لاحد
 همُ الربيعُ والسَّنامُ المعتمدُ والذُّرَّةُ العلياءُ والركنُ الأشدُّ
 وأنتِ حرْمىٌ لثيمُ المستندِ عُصارةُ اللُّؤمِ التي فيها تلد

فسألت عن الشيخ فقيل المغيرة بن عبد الله الخزومي وسألت عن الشاب فقيل
 ورقة بن نوفل ، ثم مررت من فوري حتى آتني منى فاذا رجل على جمل عظيم لا يمر
 بقوم إلا هجاهم لأنه مر بالأوس والخزرج فهجاهم لاهجوته فنظر إلى قباب بيض
 في شرقي الجبل فقال لمن هذه فقيل لقرد بن تميم من هذيل فأما وقال :
 هل ههنا من ولد قرد من أحد أعطيهم من رجزي اليوم وغد

فخرج أبو جندب وهو يقول :

نعم غلامٌ منهم جلد عند
بنفرن من وقع العصى والقصد
وابن هذيل وابن أشياخ معد
فلو نرأ ألف ألف لم نزد
فارجع إلى ممزك تيساً ذاجيد
قال خلفت انى لا أهجو أحداً مادام أبو جندب حياً .

والعرب تفتخر بكثرة العدد وتذم قلته قال الأخطل * الاكثرين حصي
والاطيبين ثرى * واحتج السموأل لقلة العدد فأحسن :

نعميرنا أنا قليلٌ عديدنا
وما قلنا من كانت بقاياها مثلنا
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا
وهذه قصيدة في الافتخار ليس لها نظير وإنما تركت إيرادها كلها لشهرتها .

ومن أجود ما افتخر به محدث قول أبي تمام :

لنا جوهرٌ لو خالط الأرض أصبحت
مقاماتنا وقفٌ على الحليم والحجا
إذا زينة الدنيا من المالٍ أعرضت
ليفتخر بجمود من أراد فانه
جرى حاتمٌ في حلبة منه لو جرى
فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل
ومنها : كاةٌ إذا طل الكمة لدى الوغى
بخيل لزيد الخيل فيها فوارسٌ
طوى بطنها الآساد حتى لو انه
وبطناتها منه وظهراتها تبرٌ
وأمردنا كهلٌ وأشيننا حبرٌ
فأزينٌ منها عندنا الحمد والشكر
عوانٌ لهذا الخلق وهو لنا بكر
بها القطر يوماً قيلَ أيهما القطر
لها باذلاً فانظر لمن بقى الذخر
وأرماحهم حمرٌ وأوانهم صفر
إذا نطقوا في مسهب خرس الدهر
بدالك ماشككت في أنه ظهر

صبيته ما أن تحدثُ نفسها
فإن ذمَّتِ الأعداءُ سوءَ صباحها
مساع يضل الشعر في طرق وصفها
وقوله: مضوا وكان المكرمات لديهم
بهاليل لو طابت فيض أكفهم
وأى يد في الجدي مُدَّت فلم تكن
أصارت لهم أرض العدو قطائما
إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر
فيعطى الذى يعطيهم الجود والقنا
يمدون بالبيض القواطع أيديا

وقلما نجد في الافتخار شعراً يدانى هاتين القطعتين . وقلت :

خليلي باع الدهر بالعرف ضيق^ه
وواقع نعماه عن الحر طائر^ه
متى ما يبصني بالقوارع طرفه^ه
وهما مثل للخطوب جواب^ه
تريك اشتعالاً بالنجوم طوالماً
وتزرى على البيض الطوالع ان مضت
تخافى الأيام فهى تخيفنى
ولو كن في عيني لما قذيت بها
أطلع منها في ديارى طوالع^ه
يقارع منى بأسلاً ذا حفيظة
فتى باتم الفضل ليس بقانع
فما صحبتته للأنام صنيعه^ه

على كل ذى عقل وبالنكر واسع^ه
وطائر بلواه على الحر واقع^ه
أصابته همتى وهن قوارع^ه
كما أنهن للخطوب دوافع^ه
وهن إذا لاحت بنجوم طوالع^ه
وهن على العلات بيض قواطع^ه
وللنكس تهديد إذا ريع رائع^ه
فكيف ترى أى إذا صلب خاشع^ه
بسوء وهمتى عليها طلائع^ه
يقوم أزاء النصر حين يقارع^ه
ولكن بأذى بلقة العيش قانع^ه
ويصحبهم منه وفيه صنائع^ه

ولم يتواضع في مصاداة منة
له شرف في آل ساسان باذخه
إلى أن قلت: تؤدبه الأيام حين تضره
وما ضاع مثلي حيث حلت ركابه
ومثلي مخضوع له غير أنه
ومثلي متبوع على كل حالة
وقال ديك الجن (١) يفتخر بكلب:

كلب قبيلي وكنب خير من ولدت
وعيرتنا وما ان طل را؟
غلاة موتة والاشراك مكتهل
ان تعسى لدم منا هريق بها
أقمه وقم طالماً ان لو تطوقها
أقام حصن عليهم حصن مكرمة
إذا غدت خيلهم تستنجد المطى؟
كم عرضوا أيدياً ييضاً مكرمة
أسديرون الردى المفضى بأنفسهم
وقال الجماني:

ونحن سننا الصبر في كل موطن
وقال: بنا يستشار العز عن مستقره
وقال ابن المعتز:

فقري فتى وشبابي كهل
وكل فضل لي عليه فضل
أشكى لجودي حين يشكى البخل

(١) هو عبد السلام بن رغبان الكلابي، من الشعراء المجيدين في العصر العباسي.

وقرأت لقابوس بن وشمكير (١) الخليلي (٢) رسالة في الافتخار والعتاب ليس لها نظير في علوها وإفراطها وهي : الانسان خلق ألوفا وطبع عطوفا فما بال الاصبهذ لا يحيل عوده ولا يرجى عوده ولا يخال لفيئه مخيلة ولا يحال عن تنكره محيلة أمن صخر تدمر قلبه فليس يليه العتاب أم من الحديد جانبه فلا يميله الاعتاب أخلق (٣) من صفاقة الدهر حجر (٤) بنوه فقد بنا عليه غرب كل حجاج أو من قساوته إياه مزاج آبائه فقد أبى على كل علاج ما هذا الاختيار الذي بهد الوهم فهما وهذا التمييز الذي يحسب الجهل علما وهذا الرأي الذي يزين له قبح العقوق ويمقت اليه رفاة الحقوق وما هذا الاعراض الذي صار ضربة لازب والنسيان الذي أنساه كل واجب أين الطبع الذي هو للصدور صدود والتألف ألوف ودود وأين الخلق الذي هو في وجه الدنيا البشر وفي مبسمها الثنايا الغر وأين الحياء الذي يجلي به الكرم وتحلى بمحاسنه الشيم كيف يزهد فيمن ملك عنان الدهر فهو طوع قياده وتبع مراده ينتظر أمره ليمثل ويرتقب نهيه ليعتزل وكيف يهجر من نضامت الأرض تحت قدمه فصارت له في الاتقياد كبعض خدمه إذا رأت منه هشاشة أعشبت وان أحست منه بجمفة أجدبت وكيف يستغنى عن خيله العزمات والأوهام وأنصاره الليالي والأيام من هرب منه أدركه بمكائدها ومن طلبه وجدته في مراصدها وكيف يعرض عن تعرض رفاة العيش باعراضه وتقبض الأرزاق بانقباضه وأضاء نجم الاقبال إذا أقبل وأهل هلال المجد إذا تهلل وكيف يزهي على من تحقر في عينه الدنيا وترى تحته السماء العليا وقد ركب عنق الفلك واستوى على ذات الحبك فتبرجت له البروج وتكوكبت لعبادته الكواكب واستجارت بمرزته الحجرية وآثرت لمحاسنه أوضاع الثريا بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء وجسم الهباء وفصل ترا كيب الاشياء وألف بين النار والماء وأخذ ضياء الشمس والقمر وكفاهما عناء السير

(١) في النسخ (وشمكير) . (٢) لعله (الجيلي) . وقابوس هو الملقب بشمس المعالي الأمير الأديب المنشي . (٣) اعلمها مقجمة (٤) في نسخته « مجن » .

والسفر وسد مناخر الرياح الزعازع وأطبق أجفان البروق اللوامع وقطع ألسنة
الرعود بسيف الوعيد ونظم صوب الغمام نظم الفريد ورفع عن الأرض سطوة
الزلازل وقضى ما يراه على القضاء النازل وعرض الشيطان بمرض الإنسان وكحل
العيون بصور الفيضان وأثبت العشب على البحار وأبس الليل ضوء النهار أو لم يعلم
أن مهاجرة من هذه قدرته ضلال ومناينة من هذه صورته خيال وأن من له هذه
المعجزات يشتري رضاه بالنفس والحياة ومن يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه
بالصوم والصلاة ومن لم يتعلق منه بجبل كان بهما لا شية به ومن لم يأو منه إلى ظل
ظليل ظل صريماً لا عصمة له ولم لا يسترد عازب الرأي فيعلم أنه ما لم يعاود الصلة
مأفون ويستعيد غائب الفكر فيفهم أنه إن أقام على الفرقة مقبون أظنه يقدر أن
الاستغناء عنى هو الغناء والغنى ولا يظن أن الاتواء على هو البلاء والبلى ويخال
أنه مكتف بما له وعرضه متمرز بسماؤه وأرضه ولا يشعر أنى كل لبعض وطول في
عرض وأن قوة الجناح بالقوادم دون الخوافي وعمل الرماح بالأسنة دون العوالي،
ليس إلحاحى على سيدى مستعيداً وصاله ومستصلحاً بالالحاف خصاله وغدى عليه
هذه المعائب لاستأثته من جانب إلى جانب لا تى بمن يرغب فى راغب عن وصلته
أو ينزع إلى نازع عن خلته أو مؤئل حالاً عند من ينحت أثلته^(١) ومقبل بوده على من
لا يجعله قبلته فانى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها
جانبا وإن السماء لا تتوق إلى تقبيل هامتى لما رفعت إليها طرفاً ولو سكتى أكره أن
يعرى نحره من قلادة الحد ويجنب جنبه اكليل الحمد ويظل وجهه الوفاء بقبضه
على يده مسود اوركن الإخاء بفته فى عضده منهدا ولا يعجبني أن يكسوه مكارمه
كلف الخول ويأذن لظواهر معاليه بالأقول فان فضل سيدى الخلود على الوجود والعدم
على الوجود ونزل من شامخ إلى خفض ومن حالق إلى دحض وجاهر بهجره وأصر على
صرمه ومال إلى الملل ولم يصل نار الوصال حللت عنه معقود خصرى وشعل عن الشغل به

خاطري بل محوت ذكره من صفحة فؤادي وأعددت وده فيما سال به الوادي :
وفي الناس ان رمت حبالك واصل^١ وفي الارض عن دار القلي متحول^٢
وفي بعض الفاظ هذه الرسالة تكلف إلا انى أوردتها لعلو معانيها .
وقال بعضهم :

ومن يفتقر منا يسأل^٣ حسامه^٤ ومن يفتقر من سائر الناس يسأل^٥
وقال ابن المعتز^(١) :

سألتك بالله ما تعلماننى ولا تكلمنا شيئاً فعندك ما خبرى
أرفع نيران القرى لغفاتها وأصبر يوم الروع في ثغرة الثغر
وأسال نبالاً لا يجاد بمشله ويفتحه بشرى ويختمه عذرى
ويارب يوم ما توارى نجومه ومددت إلى المظلوم فيه يد النصر
وقال : وقعت الى القوم الصفايا بمنصلى فصيرتها مجدداً تقومي وأحسابا
وأشدنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر لعبد العزيز بن زرارة^(٢) :

قد عشت في الدهر أطواراً على طرقي شتى فصادفت في اللين والقطعا
لايملاً الأمر صدرى قبل موقعه ولا يضيق به ذرعى إذا وقعا
كلاً لبست فلا النماء تبطرني ولا تخشعت من لاؤها جزعا
وسألني بعض أدباء البصرة فقال ما أدل بيت على عقل صاحبه وحزمه ؟ فقلت
قول الأقبيل القيني :

إذا لم أجد بداً من الأمر خلتني كأن الذي يأبى على يسير^٦
فقال ما عدوت ما في نفسي . ومثله قول أبي النشاش :

على أى شيء يصعب الأمر قد ترى بعينك ان لا بد أنك راكبه

(١) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ، أواع بالشعر

وينبغ فيه ، قتل سنة ٢٩٦ . (٢) هو القائد الشجاع في زمن معاوية ، قتل

في احدى وقائع القسطنطينية فلما بلغ معاوية قال : هلك والله فتي العرب .

وفي ألفاظ هذا البيت زيادة . وقلت في معناه :

علامَ تَسْتَصِيبُ الأُمُـرَ لا تَرى مِنْهُ بُدَا
بَادِرٍ وَخَلَّ الهَوِينَا وَجَدَّ كَيْمَا تَجِدَا
فَلَنْ تَلَاقِيَ جَدًّا حَتَّى تَلَاقِيَ كَدَا

ومن يبلغ الافتخار بذلاقة اللسان قول جرير :

وَلَيْسَ لِسِينِي فِي العِظَامِ بَقِيَّةٌ ۖ وَلا لِسَيْفٍ أُسْوَى وَقَعِهِ مِنْ لِسَانِيَا
وَهِيَ مِنْ قَوْلِ حَسَانٍ * وَيَبْلُغُ مَا يَبْلُغُ السَّيْفُ مَدُودِي *
وَقَلْتُ : وَلِي لِسَانٌ إِذَا أَطْلَقْتَهُ عُرْضَا سَمِعِي مَسَاعِيَّ ضَرْغَامٍ ۖ وَثَعْبَانَ
وَقَدْ نَمَتْنِي أَنْجَادٌ ۖ جَحَاجِحَةٌ مِنْ نَجْلِ سَاسَانَ تَرْهَوْنَ نَجْلَ سَاسَانَ
هَمْ الكَوَاكِبُ فِي أَطْرَافِ دَاجِيَةٍ أَوْ العَنَانَ عَلَى أَتْبَاجِ أَعْنَانِ
قَوْمٍ ۖ إِذَا مَا أَتَوْا بِالسَّوِّءِ مَا اعْتَدَرُوا وَلَا يَمْنُونَ ۖ إِنْ مَنُوا بِاحْسَانِ
وَقَلْتُ : مَنْ يَكُنْ صَائِلًا بِمِثْلِ لِسَانِي لَمْ يَضُرَّهُ أَنْ لَمْ يَصُلِّ بِسِنَانِ

وأخبرنا أبو القاسم عن المقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قلت لرجل من جذام وأكثر من وصف ملوك الحيرة : لو كان هؤلاء الأنصار لم ترد فقال لئن كان هؤلاء القوم نصروا الدين لقد نصر أولئك الكرم ولئن كان هؤلاء خصوا بالاسلام لقد خص أولئك بالانعام ولئن حاز هؤلاء شرف اليوم وغد لقد سبق لأولئك شرف هو باق على الأبد ولو علا فعل هؤلاء على الهواء لجارت مكارم أولئك أعنان السماء ومن يقرن بالبلد الخراب اليباب بلداً تحل به السحاب في كل مقدي وما أب .

ومن جيد الافتخار قول مبشرين هذيل الشمخي :

أَلَمْ تَعْلَمِي يَا عَمْرُكَ اللهُ أَنَّنِي كَرِيمٌ عَلَى حِينِ السَّكْرَامِ قَلِيلِ
وَإِنِّي لَا أُخْزِي إِذَا قِيلَ مُسَلَّقٌ جَوَادٌ وَأُخْزِي أَنْ يُقَالَ بَخِيلٌ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِظْمِي طَوِيلًا فَانْتِي لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولِ
وَإِنْ أَنتِ قَصْدَايَ الرِّجَالِ فَانْتِي إِذَا حَلَّ أَمْرٌ سَاحَتِي لَجَلِيلِ

إذا كنتُ في قومٍ طوالٍ فضلتهم
 ولا خيراً في طولِ الجسومِ وعرضها
 ولم أرَ كالمعروفِ أمّا مذاقه
 وقلت : غنأى غنى نفسى ومالى قناعتى
 وغفرتِ إسلامى وذخرى أمانتى
 ولى عزمتُ كالسيوفِ قواضيا
 وتغشى صدورَ الناثباتِ صدورُها
 ألا لا يذمُّ الدهرَ من كان عاجزاً
 فن لم تبلغهُ المعالى نفسه
 ولا أعرفُ فى افتخارِ الجاهليةِ أجود
 ولا أبلغُ من قولِ عمرو بنِ كلثومٍ (١) :
 ونحنُ الحاكمونَ إذا أطعنا
 ونحنُ التاركونَ لما سخطننا
 ونحنُ العائفونَ إذا عصينا
 ونحنُ الآخنونَ لما رضينا

وقد أحسن ابراهيم بن العباس في قوله :

إمّا ترينى أمامَ القومِ متبعاً
 يوماً أنيخُ فلا أدعى على نسب
 لا تسألى القومَ عن حىّ صحبتهم
 وقال : أميلُ معَ الذمامِ على ابنِ عمى
 أفرقُ بينَ معروفى وبنى
 فاما تلقى حراً مطاعاً
 وأقضى للصدىقِ على الشقيقِ
 وأجمعُ بينَ مالى والحقوقِ
 فانك واجدى عبدَ الصديقِ

وهذا من قول الأول :

(١) فى الاصل « عمرو بن أم كلثوم » و « أم » مقحمة . وهو صاحب المعلقة المشهورة ، كان سيد تغلب وفارسها وشاعرها وخطيبها ، مات قبل الاسلام بنحو نصف قرن . (٢) فى الأصل « ورأى » .

وإني لعبدُ الضيفِ مادامَ نأويا وما فيَّ إلا ذاك من شيمة العبدِ
وقال الآخر * وعبد للصحابة غير عبد * .

وسمعت بعض الشيوخ يقول أبلغ شيء قيل في الافتخار قول الآخر :

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخافُ عليكم أن أغضبا

قوله * أخاف عليكم أن أغضب * بليغ في الوعيد وفي دلائل القدرة
على ما يسوؤهم ، قال أبو هلال هو لجرير فهدد فيه بالهجاء ولو كان لمن يتمكن من القتل
والاسرو والنكابة لكان أفخر بيت قيل . وأخبرنا أبو أحمد عن ابن دزيد عن
عبد الرحمن عن عمه قال ذكر أعرابي قوما فقال : ما نالوا بأطراف أنا ملهم شيئاً إلا
وطئناه بأخمص أقدامنا وان أقصى مناهم لأذنى فعالنا . وقال أبو دلف للعجلى :

وكن على الدهر فارساً بطالا فأنما الدهرُ فارسٌ بطلُ
لأبدٍ للخيل أن تحولَ بنا والخيلُ أرحامنا التي نصلُ
فرةً باللجين نقلها ومرةً بالدماء تنقل
حتى ترى الموت تحت رابتنا نطفأ نيرانها وتشتعل

﴿ الباب الثالث من الباب الأول في التهاني ﴾

لم تكن من الاقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً وإنما كانت أقسام
الشعر في الجاهلية خمسة : المديح والهجاء والوصف والتشبيب والمرأى حتى زاد
الناطقة فيها قسماً سادساً وهو الاعتذار فأحسن فيه ولا أعرف أحداً من المحدثين
بلغ مبلغه فيه إلا البحترى فإنه قد أجاد القول في صنوفه وأحسن وأبلغ ولم ينر
لاحد مزيداً حتى قال بعضهم هو في هذا النوع الناطقة الثاني . ولا أعرف للعرب

شيئاً ينسب^(١) الى التهانى ومهما جاء عنهم من شكرها شيء فهو عند العلماء معدود
في جملة المديح مثل قول أبى الصلت الثقفى يذكر سيف بن ذى يزن واتبائه بالفرس
ومحاربتهم بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه وهو قوله بعد ذكر الفرس :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً في رأس غمدان دار منك محلا لا
تلك المكارمُ لاقعبانَ من ابن شيبب بقاء فعاتد بعدُ أبو الـ^(٢)
أخذ بعض شعراء الجبل فقال في بعض رؤسائه :

فاشرب هنيئاً عليك التاجُ مرتفقاً في شاذ مهروءع غمدانَ لليمن
فأنت أولى بتاج الملكِ تقصدهُ من هوزة بن عليّ وابن ذى يزن
ولست أختار من التهانى بالأعياد على أبيات أشجع شيئاً :

لازات مبشر أعياد وتطويها تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلاً غرة^(٣) الدنيا وبهجتها أيامها لك نظمٌ في لياليها
العيد والعيد والأيام بينهما موصولةٌ لك لا تقى وتغنيها
ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت تطوى بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك النصرُ والأيامُ مقبلةٌ اليك بالفتح معقودٌ نواصيها
أمست هرقةٌ تدمي من جوانبها وناصرُ الملكِ والاسلامِ مدميها
إن الخليفةَ سيفٌ لا يجردُهُ إلا الذى يملك الدنيا وما فيها
مقارعَ الدين والدنيا عدوها بمثل هارون راعيته وراعياها
وقلت : ما ليلالى والأيامُ منقبةٌ غراءُ تسمو بها إلا مساعيكَا
ربى يبيك ماتهووى على فرح كما يلقيك ماتهووى ويعطيكَا
لأنف فصل لهذا الفصل تبلغه باليمن والخير تبليغِ وينميكَا
ولا تزالُ لك الأيامُ موطأةٌ تمضى قضايك منها فى أمانيكَا

(١) فى الاصل « ينتسب » . (٢) فى الاصل « شيبب بقاء فعاتد بعد أبو الـ » .

(٣) فى النسخ « لغرة » .

ووجدت بخط أبي أحمد من أجود ما قبل في التهنئة بالنوروز قول هارون بن
عليّ لعلّي بن محمد الحواري :

عليّ إذا الجودِ والمالي يامعدنّ الانعام والافضال
يامن به نيطت عُرى الآمال فحكم الآمال في الاموال
جودٌ بلا منٍّ ولا اعتلالٍ مبتدأ يُغنى عن السؤال
قابله النوروزُ بالاقبالِ ونِعَمٌ تأتي على اتصال
محروسة مأمونة الزوالِ شبهك في تصرف الاحوال
فليلهُ أزهرٌ ذواشتمالٍ كأنه وجهك في الجمال
وصبحهُ بلالٌ ذوانهمالٍ يحكي ندى كفك ذالأسيال

جری بماء وجرت بمال

ومنها : قولٌ غدا يوفى على الأقوالِ كمثل ما توفي على الرجال
فاشبهه الأجوادُ بالبخالِ وعدت^(١) مسروراً رضى البال
في نعمة ضافية الاذيالِ بعزٍّ ذى العزة والجلال
وأخبرني بعض اصحابنا قال كتب أحمد بن أبي طاهر إلى إسماعيل بن
بليال : أنا وإن كنت في عدد الحشم والاتباع الذين يخرجون من تفضيل
الخاصة ويرتفعون عن الدخول في جملة العامة فاني في وسط القلادة منهم
وبمكان من نظام نعمتك التي تجمعهم وهذا يوم من أيام الملوك السادة الذين لم
تزل تجرى لهم السنة^(٢) على عبيدهم وأصحابهم وقوادهم وكتابهم بالاهداء اليهم
وقبول ما أهدوه منهم ليعرف مكان التشريف في مرتبته من مكان المنحط عن منزلته
وموضع النعم من المنعم عليه في التقدم بقبول ما يهديه اليه وكل يهدي على قدر
بضاعته ورتبته ومقداره في نفسه وهمته وعلى حسب موضعه من سيده ومالسه
وما يحويه ملكه وتباعه مقدرته وكرهت أن أمسك عن البر فأخرج عن جملة

(١) في النسخ « عدت » بدون واو (٢) في النسخ مهملة من النقط .

العبيد والحشم وأهدى ما يقصر عن الواجب اللازم والحق المفترض فجعلت هبتي مع
الثقة بعذرك والاعتماد على تفضيلك وصفحك أبياتا اقتصرت فيها على الدعاء لك
والثناء عليك أسأل الله تعالى أن يقرنه بالاجابة فيك كما قرن مدحى لك بالتصديق فقلت:

أبا الصقر لارالت من الله نعمةٌ تجددُّها الأيام عندك والدهرُ
ولازالت الأعياد تمضى وتنفضى وتبقى لنا أيامك الغررُ الزهرُ
فانك للدينا جمالٌ وزينةٌ وإنك للأحرارِ ذخِرُ هو الذخرُ
رأيت الهدايا كلها دون قدره وليس لشيء عند مقداره قدر
فلا فضل إلا وهو من فضل جوده ولا بر إلا دونه ذلك البرُ
فأهديت من حلى المديح جواهرًا منصلةً يزهي بها النظمُ والنثرُ
مدائح تبقى بعد ما نفذ الدهر وتبهي بها الأيام ما اتصل العمرُ
شكرت لاسماعيلُ حسنَ بلائه وأفضل ما تجزى به النعمُ الشكرُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن هفان قال دخلت
على سعيد بن حميد في يوم نيروز وهو مستعد يكتب إلى اخوانه فقرأت عليه
كتابك وشعرك إلى أبي الصقر - يعنى الكتاب والشعر الذى تقدم - فكتب وأنا
حاضر إلى الحسن بن مخلد : أيها السيد النجيب عشت أطول الاعمار في زيادة
من النعم موصولة بقرائنها من الشكر لاتقضى حق نعمة حتى تتجدد لك أخرى
ولا يمرُّ بك يوم إلا كان موفياً على ما قبله مقصراً عما بعده قد تصفحت أحوال
الاتباع الذين تجب عليهم الهدايا إلى السادة في هذا اليوم والتمست التأسى بهم في
الاهداء اليك وان قصرت الحال عن الواجب لك فرأيتنى ان أهديت نفسى فهى
لك لاحظ فيها لغيرك ورميت بطرفى إلى كرائمى مالى فوجدتها منك فكنت ان
أهديت شيئاً كهدى مالك اليك ولم يزد على أن نبه على نعمتك واقضى نفسه
بشكرك وفرغت إلى مودتى وشكرى فوجدتهما لك خالصتين قديمتين غير مستجدتين
وانى ان جعلتهما هديتى لم أجد لهذا اليوم براً ولا لطفاً ولم أقس منزلة شكرى بمنزلة

من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما لم تبلغه الطاقة ولم أسلك^(١) سبيلاً أتمس بها ما اعتد به في مجازاتك الاوجدت فضلك قد سبقني اليها فقدم لك الحق وأحرز لك سبق فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقتك هدية اليك تفي ما يجب لك والعذر في العجز عن برك برا أتوصل به اليك :

ان أهد نفسي فهو مالكمها وله أصون كرائم الذخيرة
او أهد مالا فهو واهبه وأنا الحقيق عليه بالشكر
أو أهد شكري فهو مرتين^٢ بجميل فلك آخر الدهر
والشمس تستغنى إذا طلعت أن تستضيء بسنة البدر

ثم قرأه على فقلت أبا عثمان الساعة قرأت عليك لابن أبي طاهر هذه المعاني بأعيانها قال والساعة عملتها وليس بيننا حشمة . ولا أعرف لهاتين الرسالتين في هذا الباب نظير أرى رقة معانيها وحسن تخريجها ، ورسالة سعيد بن حميداً أكثرهما معاني . وأول من افتتح المكتبة في التهانى بالنوروز والمهرجان أحمد بن يوسف أهدى إلى المأمون سفظ ذهب فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه وكتب معها هذا يوم جرت فيه العادة بألطف العبيد السادة وقد قلت :

على العبد حق فهو لاشك فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغى فهو قابله
ولو كان يهدى للقليل بقدره لقصر عمل البحر عنك وناهله
ولكننا نهدي إلى من نجله وإن لم يكن في وسعنا ما يشاء كله

فأخذ سعيد بن حميد هذه المعاني وكتب إلى ابن صالح بن يزيداد : النفس لك والمسال منك والرجاء موقوف عليك والأمر مصروف اليك فما عسانا أن نهدي لك في هذا اليوم وهو يوم قد شملت فيه العادة للاتباع الأولياء باهدائهم إلى السادة العظماء وكرهنا أن تحليه من سينته^(٢) فنكون من المقصرين أو ندعى أن

(١) في الاصل «أسالك» . (٢) في النسخ مهملة من النقط .

في وسعنا ما يفي بحمك علينا فنكون من الكاذبين فاقصرنا على هدية تقضى بعض الحق وتقوم عندك مقام أجمل البر وهي الثناء الجميل والدعاء الحسن فقلت : لازلت أباها السيد الكريم دائم السرور والعطية في أتم العافية وأعلى منازل الكرامة تمبرك الأيام المفرحة والأعياد الصالحة فتخلقها وأنت جديد .

فأول كلامه مأخوذ من قول المعلى بن أيوب لله متصم : النفس لأمر المؤمنين والمال منه وليس فيما أوجبه الحق نقيصة ولا على أحد فيه غضاضة ، وبقية من كلام أحمد بن يوسف ، والدعاء الذي في آخره لعلى بن عبدة الرياحي لم يزد سعيد بن حميد فيه شيئا .

وأحسن ما سمعت من الدعاء قول علي بن هرون بن يحيى المنجم : أتمتع الله الأمير بما خوله واستقبل به من العمر أسره وأطولته وملاه من العز أمدّه وأكمله وألبسه من الانعام أسبغته وأجزله ومهد له من العيش أرغدته وأفضله وجمع له من الخير آخره وأوله .

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد فصول في التهانى قليلة النظير منها ما كتب يهنيء بالوزارة : انا أهنيء أطال الله بقاء سيدى الوزارة بانقائها الى فضله مقادتها وبلوغها في ظله ارادتها وانحيازها الى ذراه واضحة المجد والفخر وتوشحها من كفايته بفرقة سائلة على وجه الدهر واشكر له حسن أثره عليها وعطفه حنان الفكر اليها حتى قرت لديه قرارها وأثقت بيديه نهارها بعد أن هفا قلبها إشفاقا من استشراف أيادى النقص لها وخرج صدرها من تحدث احلاس الجهل بها ولاغرو فهى وليدة ذراه قد آلت لتخطت خطته وعاهدت لابرحت ساحتها فالحمد لله الذى أقر عين الفضل ووطأ مهاد المجد وترك الحساد يتعثرون في ذبول الخيبة ويتسقطون في فضول الحسرة حمداً يديم أيام مولانا ويطيل بقاءه ويحرس عزه وينصر لواءه فقد شرح صدور المجالس وشد ظهور المحامد بتفويض الصدر الى ولينه بمحققين قديم وحديث وبفضلين مكنسب وموروث .

وكتب : الاستاذ الربيع الذى يتصل مطره من حيث يؤمن ضرره ويدوم زهره من حيث يتعجل ثمره لازالت الايام مسعودة بقرعها الى انقاده وتقديره والازمان محسودة بأحيازها الى امضائه وتدييره فما اكسى الدهر حلة أبهى من حصول عنانه في يديه ومثوله من جملة العبيد لديه لازال أمراً ناهياً سامياً عالياً تنهنا الاعياد بمصادفة سلطانه وتستفيد المحاسن من رياض إحسانه .

وكتب : الأستاذ عيد الزمان وربيع الأيام وهذا الفضل الجامع لأحكام الفضل معتز اليه معتز بما لديه فغيثه متشبه بكفه واعتداله مضاه لخلقه وزهره مواز لنشره وان تسعد به سعادات لا يبلغ حدها ولا يحصر عدها وهو أطال الله بقاءه يحظر المهادة بما يحضر ما خلا السكتب التي لا يرفع عنها كبير ولا يمتنع منها خبير لازال جنابه موروداً بالعلم ومنحماً عنه بالغنم .

ومثله ما كتب : قد أقبل النوروز إلى الأستاذ ناشراً حلاله التي استعارها من شيمته ومبدأ حليه التي أخذها من سجيته ومستصحباً من أنواره ما اكتساه من محاسن أيامه ومن أمطاره ما اقتبسه من جوده وانعامه مؤكداً الوعد بطول بقاءه حتى يتحلى العمر ويستغرق الدهر ويستكمل من الرتب أعلاها ويحل من المنازل أسماها ويرى السادة الفتيان قد افتقروا سعيه واقتفوا هديه وأسعدته سعادة تستوفي معها الهمة وما ترتقى اليه والأمل وما يشرف عليه .

وكتب : أما بعد تهناء سيدى الموهبة التي ساقها اليه ومدروا قها عليه إذ كانت من عقائل المواهب مسفرة عن خصائص المراتب وكيف لا تكون كذلك وقد صدرت عن مالك الأرض وولى البسط والقبض ومصرف الثقلين ومدبر الخافقين أدام الله سلطانه وأيد أعوانه مكنوفة بكرم رأيه وشرف اختصاصه واجتباؤه وخطبتها عناية مولانا الأمير أدام الله أيامه ونصر أعلامه وحلت من سيدى محل الايجاب والاستيجاب والاستحقاق دون الاتفاق فعرفه الله ميامن أغزر شريعة بأشرف ذريعة وأبرع فضيلة حصلها بأرفع وسيلة .

وكتب في فصل له يهنئ فيه عضد الدولة وقدولدها ابنان توأمان: وصل كتاب الأمير بالبشرى التي أبت النعمة بها أن تقع مفردة وامتنعت العارفة فيها أن تسنح موحدة حتى تيسرت منحتان في موطن وانتظمت موهبتان في قرن وطلع من النجيين أبي القاسم وأبي كالنجم أدام الله عزهما طالعا ملك ونجما سعد وشهابا عز وكوكبا مجد فتأهلت بهما ربيع المحاسن ووطئت لهما أكناف المكارم واستشرفت اليهما صدور الأسرة والمنابر ، وفهمته وشكرت الله تعالى شكر من نادى الآمال فأجابته مكبة ودعا الاماني فأجابته مصحبة وحمدته حمداً مكافئاً جسم ماأناح وعظيم ماأفاد واكتنفتي من السرور مافسح مناهج القبطة وسهل موارد وسعت ماورد اتساعه شرحت صدور الأوياء بمسارها وأزججت قلوب الاعداء عن مقارها وسألت الله اتهام ماأدناه من الاميرين السيدين من سعادة لا يهتدى اليها الاختيار علوا ولا ترتقي اليها الافكار سموا وسلطان تضيق البحار عن اتساعه وتنخفض الافلاك عن ارتفاعه وتبلغهما^(١) أفضل ما تقسمه السعود وتعلو به الجود حتى يستفرقا مع السابقين أخويهما مساعي الفضل ويشيدا قواعد الفخر ويرحما صروف الدهر ويقبظا أطراف الأرض وهو تعالى قريب مجيب .

وله تهنئة بتجدد رتبة : وصل كتاب الاستاذ من الحضرة البهية يشير أن آتسها الله وحرصها بذكر مآلقاه كرم مولانا ورقاه اليه من مراتب تشريف لاتكمل القرائح لاقتراحها واستدعائها ولا تنسع الخواطر لالتماسها واقتضاءها فحمدت الله ولي الحمد والشكر وأخذت بالخط من قوة القلب وانشراح الصدر وسأته أن يطيل بقاء مولانا في العز الراهن والسلطان القاطن ويعرف الاستاذ بركة مادرحه من شرف لا حل مقبسه ولا يتعيف عميه انه فعال لما يريد .

وكتب في تهنئة بالسلامة من الفرق : لولا ان الله تعالى عز اسمه حماني عن سماع المسكروه إلا في ضمان المحبوب حتى تقدم نيا التبشير ذكر السبب المحذور لما

(١) هذه الكلمة غير منقوطة في النسخ .

وجدت في التماسك به بصيرة ولا من ترك التهاك ذخيرة إلا أن لطف الله وعطفه
عجلا إلى خبر البشرية فانتفت الروعة قبل استقرارها وانتقلت الوحشة قبل
استمرارها فتلقيت جميل صنع الله بالحمد لله رب العالمين أفضل ما قبلت به النعم
وشكرت الرغائب والقسم .

وللبحتري تهنئة للمتوكل ببلوغ المعتز يقول فيها :

يا كاليء الاسلام في غفلاته ومقيم تهجي حجه وجهاده
يهنيك في المعتز بشري بينت فينا فضيلة هديه ورشاده
قد أدرك الحلم الذي أبدى لنا عن حلمه ووقاره وسداده
ومبارك ميلادُ ملكك مخبرٌ بقرب عهدٍ كان من ميلاده
تمت لنا النماءُ فيك ممتعا^(١) بعلو همته وورى زناده
وبقيت حتى تستضيء برأيه وترى الكهول الشيب من أولاده
وقلت في تهنئة بمولود :

قد زادني عدد الكرام كريم محض صريح في الكرام ضميم
على المحلة لا يزال كأنه للعز قرن والسماك نديم
فلا أمره التتميم^(٢) كيف تصرفت حالانه ولشأنه التفخيم
فابشر فقد وافاك يوم رزقه حظ بتخليد السرور زعيم
فرع تكفل دهره بنائه حتى يكر الدهر وهو أروم
إن الهلال يصير مدة كاملاً ومهد سد الليل وهو بهم
وهو الوجيه إذا تبدى وجهه وغداً إذا نزل العظيم عظيم
وجه كتنوير الرياض وتحتاه خلق محسود الرياح وخيم
فلا هله شرف به متوطد ولديهم شرف أشم عميم
فاقرر به عيناً فان خلاله تصفو وتسلس أو يقال نسيم

(١) في ديوان البحتري « تمت لك النماء فيه ممتعا » . (٢) في الاصل مهملة

ولحده التصميم حين تلاحت أقرانه ولشاده التقديم
ومن أعجب ماجاء في الهنئة والتمزية قول عبد الملك بن صالح : أخبرنا أبو
أحمد عن الصولى قال قيل للرشيذ ان عبد الملك بن صالح يُعِدُّ كلامه فأنكر الرشيذ
ذلك وقال بل هو طبع فيه حتى جلس يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل قل له :
ولد لأمير المؤمنين فى هذه الليلة ابن ومات له ابن ففعل الفضل ذلك فدنا عبد الملك
فقال : يا أمير المؤمنين سرّك الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرّك وجعلها واحدة بواحدة
ثواب الشاكر وأجر الصابر . فقال الرشيذ : أهذا الذى زعموا أنه يصنع الكلام
مارأى الناس أطبع من عبد الملك فى الفصاحة . وقلت فى تهنئة بمولود :

فاستقبل الخيرَ فى نجب	عما يعبُ الورى نزيه
شمسُ نهارٍ وبدرُ ليلٍ	يملكُ أبصارَ ناظره
يملاها ^(١) بهجة اذا ما	كشفَ عن وجهه الوجيه
رُزقه كاملاً سويًا	تكثرُ علات عائبه
جنى لذيد المذاق حلوً	يقربُ من كفِّ مجتنيه
وعن قليلٍ يصيرُ شهما	يشقى به جد كاشحيه
ألا فعش فى ضمانِ خيرٍ	حتى ترى الشيبَ من بنيه

وقلت فى تهنئة باملاك :

تحكى لك الاملاكُ عما تحبه	فانك قد فصلت بالبر جوهرها
فصيرتهُ للدهرِ عقداً مفصلاً	وطيرتهُ فى الأفق نَشراً مُعطراً
هو البينُ لم يعدمك محبوباً دنت	ومكروهة شطت وصعباً تيسرا

ومر عجائب المعانى تهنئة لأبى اسحق الصابى مشوبة بالمقد ^(٢) لرجل زوج أمه :
قد جعلك الله وله الحمد من أهل التحصيل والرأى الأصيل وخلص اليقين فكما
انك لا تتبع الشهوة فى محظور شبهه فكذلك لا تطيع الأنفة فى مباح تحظره ويأوى

(١) فى الأصل « بملادها بهجة » . (٢) فى الأصل « بالمقربة » .

الينا من ايقاعك العقد بين الوالدة - نفس الله لها في مدتك وأحسن بالبقية منها
امتاعك - وبين فلان ما علمنا أنك فيه بين طاعة الديانة توخيها ومشقة فيها تجشمتها
وانك قد جدعت أنف الغيرة لها وأضرعت خد الحمية فيها وأسخطت نفسك
بارضاؤها وعصيت هواك لرأيها فنحن نعزيزك على فائت مرادك ونسأل الله الخيرة
لك وان يجعلها أبداً معك فيما شئت وأتيت وتجنبت وأنتت والسلام . قال الشيخ
أبو هلال رحمه الله تعالى جدعت أنف الغيرة من قول رسول الله ﷺ وقد رأى
عليها وفاطمة عليهما السلام في بيت فرد عليهما الباب وقال «جدع الحلال أنف الغيرة» .
وهنا بعضهم بخروج اللحية وهو أبو نصر بن هبة الله : الحمد لله الذي له
عند خلقه في الأحوال التي يتصرفون فيها والطبقات التي ينتقلون بينها والمراتب
التي يندرجون عليها لطائف من حكمه وفوائده من نعمه توافق مصالحتهم وتطابق
حوالهم في تصاريف نشوهم الطفولية والايفاع والشبية والاجتماع والبلوغ
والاكتمال والانتها والكمال وجعل لكل واحد منهم في كل حد من الحدود
وسنن من الاسنان قدراً من الاسر والقوة وصنفاً من اللون والصورة ومسافة في
السعي والهمة وغاية في الطلب والبقية يكون به قوام عيشه وسداد أمره محطوطاً
من الاضطراب بزيادة في بعض ذلك يُعطاها قبل بلوغ أدواتها يناقص سائر
وينافي نظائره فيفتح بالزيادة في الزوائد صورته ويظهر بالنقصان في الناقص آفته
حتى اذا تعالی في المراتب أمد النهاية وتوافقت اليه أقسامه في الكفاية كمل الله
احسانه اليه وأتم إنعامه عليه ولله المنة والفضل وبه القوة والحول ، الحمد لله الذي
كسالك باللحية حلة الوقار ورداك بها رداء الابرار وصانك عن ميسم الصبا ومطامع
أهل الهوى ماجلك من الهيبة البهية وألبسك من لباس ذوى اللب والروية وألحقك
في متصرفاتك بمن يستقل بنفسه ساعياً ويستغنى عن بصحبه حافظاً وجعلك بما جمل
من صورتك وكل من ادانتك وآلتك قرناً لمن جاذبك وخصماً لمن نازعك ونقياً
عني ذلة الاحتقار من أهل المراتب والاختطار تستوى معهم في المجالس الحافلة

وتجربى مجرام فى المشاهد الجامعة منسوعاً قولك اذا قلت مصفى لك اذا نطقت
 أمناً من انصراف الأبصار عنك لقرب ولادك ونبو الاستماع من حديثك لقلة
 الثقة بسدادك وجارياً مجرى جلة الرجال على الحملة الى أن تكشف مخابرك بالحنة
 وتعطى المهابة من الذاعر العادى ومن السبع الضارى إذا اتفق لكما مقام يخلو فيه
 كل واحد منك من رفة يمدده وناصر يؤيده يملكه الاشفاق من صاحبه ويقطعه
 من مواليه اليه من ترك ابقائه فى السطوة عليه ولو كان عاريا من هذه الكسوة الشريفة
 والحلية النفيسة لسبقت اليه بالازدراء الأعين وبالاتصغار القلوب والألسن وبالطمع
 أصناف الحيوان من البهيمة والانسان ثم لا يحسن من نفسه قوة على الدفع عنها ولا من
 حريمه قدرة على ما يدهاه منها وتلك نعمة من الله حباك بمزيتها فى جمال غشاك وكال
 أتاك فليصدق بها اعترافك وشكرك وليحسن ثناؤك ونشرك قضاءً لحق الله عليك
 واستدراراً للذريد فى احسانه إليك .

وكتب الصاحب تهنة بتزوج أم وتعزية بموت أب : الأيام أطال الله بقاءك تجرى
 على أنحاء مختلفة وشعب متفرقة وأحكامها متفاوت بيننا بما يسوء ويسر وينفع ويضر وبلغنى
 من نفوذ قضاء الله فى شيخك رحمة الله تعالى ما أزعجنى وأبهم طرق السلوة دونى وان كان من
 خلفك غير خارج عن رؤية الاحياء ولا حاصل فى زمرة الأموات والله بأسو كلمك
 ويسد ثملك وقد فعل ذلك بأن أتاح الله لك بعد أيبك أباً لا يقصر عنه شفقة عليك وحنواً
 وإيثاراً لك وبراً وقد لعمرى وقت حين وصلت بمجبلك حبله وأسكنت الكبيرة حرسها
 الله ظله لثلاثتقدم من الماضى عفا الله عنه إلا شخصه فالحمد لله الذى أرشدك لما يعيد الشمل
 مجتمعاً بعد فراقه والعدد موفوراً بعد اتقاصه حمداً يقضى لك بالمسرة ويحسم دونك
 مواد الوحشة ويكفيك ثواب ما قضيت من الحق وتحملته فيه من الارق انه فعال لما يريد .
 وكتب تهنة بقدم : قد جدد الله وله الحمد جمال الدنيا وضاعف بهاءها
 وزادها محاسن ترفل فى حللها وتبخت فى حليها واكتنفها بيمان يمرع جنابها
 ويفتح بالخيرات أبوابها ما استأنف جل اسمه من النعمة الشاملة والمنة الكاملة فى

تُغريب ركاب مولانا أطال الله بقاءه وكتب أعداءه وكتب حساده وزادهم رغباً
بزيادته تعالى إياه نعماً لا يرحل مقيمها ولا يتحيف عميمها ماختلف العصران وتعاقب
النيران واستقبل به في وفدته ماينقاد له أقصر الاسار ويحتوي عليه أربعة غايات
الاختيار بمنه وجوده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يبلغ نداءه ولا ينفصل أخراه من أولاه حتى يستغرق نعمه
ويستوفي فواضله وقسمه وأنى ذلك وهي متطرفة إلى غير غاية وممدودة إلى غير نهاية
لا يتخطى إلى شكر بعضها إلا بتجدد أمثاله من جملتها وترادف نظائره من جماعتها
والله الذي أعطى كثيراً وقبل من الشكر قليلاً وأوجب به مزيداً والصلاة
على نبيه محمد وآله وسلم كثيراً وهو حسبنا ونعم الوكيل .

﴿كتاب المبالغة﴾

في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم
والحزم والعقل وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿الباب الثاني من كتاب ديوان المعاني﴾

سمعت الشيوخ رحمهم الله تعالى يقولون أجود بيت قالته العرب قول مسلم
ابن الوليد^(١) :

(١) هو الملقب بصريع الغواني، تأدب في الكوفة وعظم شأنه في الشعر، مات بمصر .

يجودُ بالنفس إن صَنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجودِ
وأول من جاء بهذا المعنى علقمة بن عبدة: (١)

تجودُ بنفسٍ لا يجادُ بمثالها فانتَ بها يومَ اللقاءِ خصيب
وهذا مثل قول يزيد بن أبي يزيد الشيباني من جاد بنفسه عند اللقاء وبماله
عند العطاء فقد جاد بنفسيه كليهما . وقال اعرابي : من جاد بماله فقد جاد بنفسه
وإن لا يكن جاد بها فقد جاد بقوامها . وقال علي بن الجهم (٢) :

طلبت هديةً لك باحتيالي على ما كانَ من حسي ونسي
فلم لم أجدُ شيئاً نَفيساً يكونُ هديةً أهديتُ نفسي
وكتب العباس بن حرب إلى بعض الأمراء وأهدى إليه هدية : لا أعلم
بمنزلة توحشه من الأمير أعزه الله ولا توحشه مني انا موقر من بلائه وفي الطاعة
له كيده وفي المودة له كنفسه وفي الخاصة كأحد أهله وإنما أطفه من ماله وقد
بعثت إليه ما يصلح ليومه وأهديت له نفسي التي هي لبذنته وخدمته . وقال أبو تمام :
ولو لم يكن في كفه غيرُ نفسه لجادَ بها فليتيق اللهَ سائلُهُ
وقد أنكر خلف بن خليفة إهداء النفس : قدم أخ له من سفر فاقتضاه خلف
الهدية فقال أهديت نفسي فقال خلف :

أنا أخٌ من غيبةٍ كان غابها وكنتُ إذا ما غابَ أنشدُهُ الركباً
فقلتُ له هل جئتُنا بهديةٍ فقال بنفسى قلتُ أنحفُ (٣)
هي النفسُ لا آسى عليها إذا نأتُ ولا أتمنى ما حبيتُ لها قرباً
إذا هي وافت من ثمانينَ قامَةً فلا السهلَ ألقاها إلا آلهُ ولا الرحبا

(١) هو علقمة الفحل من بني تميم ، شاعر جاهلي ، كان معاصراً لأمير القيس .

(٢) كان معاصراً لأبي تمام ، نشأ بيقداء وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب

عليه فنفاه الى خراسان ، ورحل إلى حلب فقتل فيها . (٣) كذا في النسخ
ولعله سقط «بها التريا» أو نحوه ولم نجد لها في الأغاني ولا الخزانة .

وقالوا قول مروان بن أبي حفصة ^(١) كأنه حين يعطى المال يغنمه * أجود
من قول زهير * كأنك معطيه الذى أنت سائله * لأن الغنيمة ^(٢) حلاوة
ليست للعطية . وأجود ما قيل عندي قول أبي العتاهية ^(٣) :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا الحسن بن الحسين الأزدي حدثنا محمد
ابن حبيب ، وعن الصولي أيضاً عن إبراهيم ، بن المعلی عن ابن حبيب قال
قال أبو العتاهية يمدح العباس بن محمد :

لو قيلَ للعباسِ يا ابنَ محمدٍ قل «لا» وأنتَ مخلدٌ ما قالها
إن السامحةً لم تزل معقولةً حتى حلت براحتيك عقالها
وإذا الملوكُ تسيرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنت هلالها
فلم يثبه فقال :

هزرتك هزةُ السيفِ المحلى فلما ان ضربت بك انثيت
فهبها مدحةً ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافترت
فلما قرأ العباس الأبيات غضب وقال والله لأجهدن في حتفه قال فر أبو
العتاهية باسحق بن العباس فقال له اسحق أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده :
ألا أيها الطالبُ المستغيثُ بمن لا يفيدُ ولا يرفدُ
الا تسأل الله من فضله فان عطاياه لا تنفد
إذا جئت أفضلهم للسؤال ردَّ وأحشاؤه تُرعد
كأنك من خشيةٍ للسؤال في عينه الحيةُ الاسودُ

(١) من شعراء العصر العباسي ، اشتهر بمدح المهدي ، ومعن بن زائدة ،
وهارون الرشيد ، توفي سنة ١٨١ (٢) في النسخ «الغنيمة» .
(٣) هو اسماعيل بن القاسم ، اشتغل بالشعر ومذاهب الفلاسفة ،
ويغلب على شعره الزهد .

ففرَّ إلى الله من لؤمهم فإني أرى الناس قد أصلدوا
 وإني أرى الناس قد أبرقوا بلؤمِ الفعالِ وقد أَرعدوا
 ثم مضى فقيل لاسحق ما هذا الشعر إلا في أيبك فقال اسحق أولى له أن
 عرض نفسه وأحوج أبي العتاهية إلى مثل هذا مع مدحك وقعدته . ومثل قوله
 * كذبت عليك فيها وافتريت * قول علي بن جبلة وقال له أبو ذلف أن
 تحسن أن تمدح ولا تحسن أن تهجو فقال الهدم أيسر من البناء ثم قال :
 أبو ذلف كالطبل يذهب صوتهُ وباطنهُ خلوهُ من الخير أخربُ
 أبا ذلف يأ كذبَ الناسِ كلهمِ سواي فإني في مديحك أكذبُ
 وأخذ البحتری قوله * كانوا كوا كباها وكنت هلالها * فقال في المتوكل :
 اذاغبتَ عن أرضٍ ويمتَ غيرها فقد غابَ عنها شمسها وهلالها
 غدت بك آفاقُ البلادِ خصيبةً وهل تمحلُ الدنيا وأنتَ ثمالها^(١)
 فأما قوله : كأنك من خشية للسؤال في عينه الحيسة الأسود
 فمن قول بعض العرب :

من دون سيبك وجهٌ ليل مظلم وحفيفٌ نافحةٌ وكلبٌ موسد
 وأخوك محتلمٌ عليك ضعيفه وخسيفٌ قومك لائمٌ لا يحمدُ
 والضيفُ عندك مثل أسودٍ صالح لا بل أحبهما إليك الأسود
 ومن جيد ماجاء في خلاف ذلك من الحث على الانفاق ومجانبة الامساک

قول ديك الجن :

قالوا السلامُ عليكِ يا أطلال قلتُ السلامُ على المحيلِ محال
 عاج الشقى مراده دمن البلى ومرادُ عيني قلةٌ وحجالُ
 لا تادمن^(٢) الراج وهي زلال ولا طرقنَّ البيتَ فيه غزال
 ولا تتركن حليلها وبقلبه حرقٌ وحشوٌ فؤاده بكبال

(١) في الأصل «ثمارها» . (٢) في الأصل (لافاد من) .

وليشفين^(١) حي فمٌ وحنى يد
 ماذا الغنى والبخل مالك من غنى
 أطلق يدك فان بين يدك ما
 قد تسلم الأوكال وهى مواكل
 ورجال هذى النائبات وان رأوا
 وقلت : ماذا يسرك من مال تجمه
 ولم يكن لك مالٌ يوم تكسبه
 تحب من أجله الدنيا وتورثها
 سترته عن عيون الناس كلهم
 ان لم تبكر اليه فى نوائبه
 وقد أحسن القائل :

اذا أعجبتك خصالُ امرئ
 فليس على الجودِ والمكرمات
 هو المالُ ان أنت لم تخترب
 فكنه تُسكن مثل ما يجيبك
 حجابٌ إذا جتتهُ يجيبك
 أباح لك الدهرُ ما يخربك

وإذا كان أفضل الجود ماكن مع الحاجة على حسب ما مدح الله تعالى به الانصار
 فقال (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) وأجود ما قيل
 قول عروة بن الورد^(٢) :

فلا تشتمنى يا ابنَ ورد فانى
 ومن يؤثر الحقَّ التؤوبَ يكن به
 تعودُ على مالى الحقوقُ العوائدُ
 خصاصةُ جسمٍ وهو طيان ماجد
 وقال عبد الملك بن مروان ماوددت ان أحداً من العرب ولدنى لإقائل
 هذه الأبيات .

(١) فى الأصل (ولا يشفى) . (٢) هو شاعر جاهلى كان فارساً جواداً ، قال

عبد الملك بن مروان : من قال أن حاتمًا أسبح الناس فقد ظم عروة بن الورد .

ومن جيد ما قيل في الايثار على النفس قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كتبه
عبيد الله بن سليمان حين ولي الوزارة :

أبي دهرنا اسماقتنا في نفوسنا فأسعفنا فيمن نُحِبُّ ونسكرمُ
فقلت له نعماك فيهم أئمتها ودَعَّ أمرنا ان المهمَّ المقدم
وهذا غاية لانه جعل أمر المدوح أهمَّ له من نفسه واصلاح شأنه .

ومن جيد ما قيل في جود على قوم دون قوم قول البحري :

سحابٌ عداني جودُهُ وهو هامرٌ وبجرٌ خطاني فيضه وهو مفعم
وبرقٌ أضاء الأرضَ شرقاً ومغرباً وموضعٌ رجلى منه أسودٌ مظلمٌ

ومن أجود ما قيل في كبر الهمة قول بعض العرب :

لَهُ هِمٌّ لا مُتَهَيِّ السِّبَا رها وهمةُ الصغرى أجلُّ من الدهرِ
له راحةٌ لو أن معشَرَ جودها على البرِّ كان البرُّ أُنْدَى من البحرِ
أخذه المتنبي فقال وقصر :

تجمعت في فؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها

وموضع التصدير فيه أن الأول جعل همة الصغرى أجل من الدهر وجعل المتنبي

احدى هممه ملء فؤاد الزمان فاذا كانت ملء فؤاده فليس بأجل منها .

ومما يذكر في وصف كبر الهمة أن سيف بن ذي يزن دخل على كسرى فتطأطأ

في طاق رفيع من طيقان قصره وجلس فدفعت اليه مخدة فجعلها على رأسه وكسرى

يرمقه فلما سأل سيف حاجته قيل له ان الملك قد رأى منك خلتين عجيبتين وضع

المخدة على رأسك وإنما أعطيتها لتجلس عليها وتطأطؤك في الطاق الرفيع فقال اما

المخدة فرأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم موضع عندي وأما تطأطؤي في

الطاق الكبير فان همتي أكبر منه . فاستحسن كلامه وضم اليه جيشاً أزاح بهم

الحبشة عن بلده .

ومن بليغ ما قيل في كبر الهمة قول علي بن محمد البصري :

قلبي نظيرُ الجبلِ الصعبِ وهمتي أكبرُ من قلبي
 فاستخر اللهَ وخذ مُرهماً وافتك بأهل الشرقِ والغربِ
 ولا تمت ان حَضرت ميتةً حتى تَميتَ السيفَ بالضربِ
 ومن المذكور في ذلك قول أبي تمام :

رأى ابن دهرٍ عَرَقا في خيلهِ أعلم منه بجِداءِ ابله^(١)
 قد اعبت أيدى النوى بشملهِ متمعاً مضطلعاً بجملهِ
 مُنصلاً كالسيفِ عند سلهِ مولودةً همتهُ من قبله
 قد دانَ ذو الفضل له بفضلهِ كالصابِ من يذقه لا يستحلِه
 إلا بأن يسكن تحت ظلهِ

وقال : همةٌ تنطحُ النجومَ وجدُّهُ ألف للحضيضِ فهو حضيضُ
 أبلغ ما قيل في يمن النقيية^(٢) قول الاعشى :

ولو رحت في ظلمةٍ قادحاً حصاةً بنبع لا أوربتَ ناراً
 الحصاة مع النبع لا تورى قال فأنت من يمن نقييتك لو قدحت بهما لا أوربت .
 وقال بعض الأعراب :

بذ كرني سعداً داءً بالقري لو أشرف القومُ على أرضِ العدى
 واختلطَ الليلُ بألوانِ الحصى وأرسلوا سعداً الى الماءِ سرى
 من غير دلو ورشاءٍ لاستقى

وهو بليغ في هذا المعنى جداً : وقلت :

ليس للعسين وراء شأوه الى العلى والمكرماتِ مطرح
 قد شح بالعرض وجاد بالهوى فحوى المجد بما جاد وشح
 فاذا همُّ بأمري ناله فسواء جدَّ فيه أو مزح

(١) في الأصل « أهله »

(٢) النقيية : النفس ، يقال فلان ميمون النقيية إذا كان مبارك النفس .

وقلت : إذا ما بدت فينا عطاياهُ عقتب وكم بادىء المزنِ غير معقب
ولسا يفرره تغلب دهره فقلت لعلَّ الدهرَ لم يتقلب
ويدنو له المطلوبُ حتى كأنما كواكب ضوء الصبح في كل مطلب
أبلغ ما قيل في اهتمام الرجل بأمر أخيه قول بعضهم :

سأشكرُ عمرًا إن تراخت منيتي أيادي لم تُمنن وإن هي جلت
فتى غير مفراح إذا الخيرُ مسهُ ولا مظهر الشكوى إذا النعلُ زلت
رأى خلتي من حيث يُخفي مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت

قوله « قذى عينيه » لا يقوم مقامه شيء في شدة الاهتمام لأن الانسان إذا قذبت عينه صرف المهمة إلى نقتتها من غير اشتغال بشيء غيرها وهو على قوله « من حيث يخفي مكانها » أبلغ لأنه يدل على تفقد شديد وعناية تامة .

ومما هو في هذه الطريقة قول أمية بن أبي الصلت :

إذا ليلةً نابتك بالشكوى لم أبت لشكواك إلا ساهراً أنململُ
كأنى أنا المطروقُ دونك بالذى طُرقَتْ به دونى فمعنى تهمل
وقالوا أشجع بيت قالته العرب قول عباس بن مرداس السلمي ^(١) :

أشدُّ على الكتبية لا أبالي أحتفى كان فيها أم سواها
قالوا أربعة من الشجعان تبين دلائل الجبن في شعر ثلاثة منهم فمن الثلاثة
عنتره ^(٢) في قوله :

فاذا شربتُ فأنى مستهلكٌ مالى وعرضى وافرٌ لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمائلى وتكرمي

(١) هو الشاعر الفارس كان سيداً في قومه أدرك الجاهلية والاسلام وأسلم قبل الفتح وكان ممن ذم الخمر في الجاهلية .

(٢) هو عنتره بن شداد العبسى من شعراء الطبقة الأولى كان حليماً على شدة بطشه اجتمع بامرئ القيس ، وقصته المشهورة خيالية لم يعرف واضعها .

وخليل غانية تركتُ مجندلاً تمكو فريصتهُ كشدق الأعلم
 هلاً سألت الخليل بابنة مالك إن كنت جاهلة بما لا تعلمي
 يخبرك من شهد الواقعة أني أخشى الوغى وأعف عند المنعم
 ومدحج كره الكفاة نزاله لا ممن هرباً ولا مستسلم
 سبقت يداي له بما جل طعنه ليس الكريم على القنا بمحرم^(١)
 نبئت عمراً غير شاكر نعمتي والكفرُ محبة لنفس المنعم
 ثم قال: إذ يتقون بي الاسنة لم أحم عنها ولكن تضايق مقدمي

قالوا فدل على أنه وقف ولم يقدم واعتذر بتضايق المقدم . وكان عنتره هجيناً أمه
 أمة فاستعبده أبوه ، وهذه كانت العرب عاداتها في الهجاء فكان يرعى ثم اتخذ
 سلاحاً وصنع مهراً فأغارت طيء على عيس فسبوا أهله وجيرانه فركب مهره واتبع
 القوم ثم جنبهم حتى أتى من أمامهم فما زال يطعن في أعين القوم حتى ردوا عليه
 أباه وأمهم ثم عمه وابنته عبلة ثم قال لا انصرف بأهلي وأترك جيرانى فكر عليهم فقتل
 منهم أربعين فردوا عليه جيرانه وكان يقول له أبوه وعمه كر فيقول لا يحسن العبد
 الكر وإنما يحسن الحلب والصر يقرعهم بذلك إذ كانوا قد استعبدوه فاستلحقه
 أبوه يومئذ وزوجه عمه عبلة ابنته وكان عنتره يسمى الفلحاء وكانت أمه حبشية
 تسمى زيبية وقال النبي ﷺ « ما سمعتُ بأعرابي فاشتبهتُ أن أراه إلا عنتره » .

والآخر قول عمرو بن معد يكرب^(٢) في قوله :

ولقد أجمعُ رجلىَّ بها حذرَ الموتِ وإني لفرور
 ولقد أعطفها كارهةً حينَ للنفسِ من الموتِ هرير
 كل ماء لك متي خلق وبكل أنا في الروع جدير

فقال « وإني لفرور » وقال بعض أهل الأدب إنما هو « لفرور » بالقاف

(١) روى « ورشاش نافذة كلون العندم » .

(٢) هو فارس اليمن ، صاحب الغارات المشهورة .

لأن الشجاع لا يمدح نفسه بالفرار سيما باللفظ البليغ من فرور . وليس كذلك لأن قوله « كل ما ذلك منى خلق » على أنه ذكر حال فرار وحال ثبات فحال الثبات قوله « ولقد أجمع رجلى بها » والحال الأخرى حال للفرار إذا كان ذلك أحزم ولو ذكرنا حالا واحدة لم يحسن أن يقول كل ماء لك منى خلق وإنما دل على أصالته وعقله في ثباته وقت الثبات وفراره ساعة الفرار وليس الشجاعة أن يحمل الرجل نفسه على الهلكة إنما ذلك هوج والشجاعة أن يتقدم وغالب ظنه أن يظفر فاما أنه اذا علم أنه اذا أقدم هلك ثم أقدم فان ذلك جنون لأن كل أحد يقدر أن يقدم على الهلكة فيهلك وإنما الشأن في أن يمدغب إقدامه وفي قريب من ذلك قوله :

فجاشت إلى النفس أول مرة فرُدت على مكروها فاستقرت

فما جاشت نفسه إلا وجبن ، ولو وصف عمرو هذه الأشياء من نفسه قيل إنه ممن يصدق عن نفسه ، على أنه ربما كذب الكذبة الصلحاء روى لنا أبو أحمد عن العيشمي عن المبرد وعن غيره قال وقف عمرو بن معدى كرب وخالد بن الصعقب الهندي في جماعة بالكناسة يتحدثون فقال عمرو أغرنا مرة على بنى نهد فخر جوامستر عفين بخالد بن الصعقب فحمت عليه فطمنته فأرديته ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه فقال خالد حلاً أبا ثور فان قتيلك هو المحدث فقال عمرو يا هذا إذا حدثت بمحدث فاسمع فانما نرهب هؤلاء المعديه . مستر عفين أى متقدمين ، وقوله حلاً أبا ثور أى قل ان شاء الله ويقال حلف ولم يتحلل أى لم يستثن .

ويروى عن العرب كذب كثير فمن ذلك ما يزعمون أنهم يرون الجن ويكلمون الغيلان والسَّعالي حتى زعم تأبط شرا انه طلب نكاح السعلاة في قوله :

وادم حببت^(١) حلبابه فيا جارتا أنت مأهولا
فطالبتها بضعها فأنثت بوجه تهول واستغولا

(١) في النسخ زيادة (قد) قيل (حببت) .

وكنت إذا ما هممتُ اعترمتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلها
وقال آخر :

أخو قفرات حالفَ الجنَّ واتقى من الانسِ حتى ماتقضت رسائله
له نسبُ الأنسى يعرفُ نحلته وللجنِّ منه خَلقه وشأنه
وقال عبيد بن أيوب :

فله درُّ الغولِ أى رفيقه لصاحب قفرٍ خائفٍ متقفر
وكان كثير من شعرائهم يدعى أن له شيطاناً يعله الشعر منهم الفرزدق كان
يكنى شيطانه أبا لبني وذكر أنه ذهب الى جبل فناده فجاء مثل الذباب فدخل
في حلقه فقتل قصيدته التي أولها * عزفت بأعشاش وما كنت تعزف *
وقال أبو النجم :

وجدت كلَّ شاعرٍ من البشر شيطانه انثى وشيطاني ذكر
وزعموا أن عروة بن عتبة صرخ بقومه فأسمعهم من مسيرة ليلة . ورووا أن
لقمان بن عاد لما ضعف بصره كان يفصل بين أثر الذكر والانثى والذر اذا دب
على الصفا في الليلة الظلماء .

وقال رجل لأبي حنيفة ما كذبت قط قال هذه كذبة أشهد بها عليك .
وسأل الحجاج ^(١) قاصاً عن اسم بقرة بنى اسرائيل قال حنثمة فقال له رجل
من أولاد أبي موسى الأشعري في أى كتاب وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن
العاص . ودخل عبد الله بن الزبير يوماً على معاوية فقال اسمع أحياناً قلتها :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرفِ الهجرانِ ان كان يعقلُ
ويركبُ حدَّ السيفِ من أن تضيئه إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ مزحلُ
ثم دخل معن بن أوس المزني فأنشد * لعمرك ما أدري واني لأوجلُ *
حتى صار إلى البيتين فقال معاوية ما هذا يا أبا بكر فقال أنا أصلحت المعاني وهو

(١) في الأصل « الحجاج بن حنثمة » .

ألف الكلام وهو بعد ابن ظئري وما قال من شيء فهو لي وكان عبد الله بن الزبير مسترضعاً في مزينة :

والثالث عمرو بن الاطنابة ^(١) حيث يقول :

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

فزعم أن نفسه جشأت وجاشت وليس ذلك إلا من الجبن .

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن الرياشي حدثنا العتيبي عن أبيه قال دخل الحارث بن نوفل بابنه على معاوية فقال ما علمت ابنك؟ فقال القرآن والفرائض فقال روه من فصيح الشعر فإنه يفتح العقل ويفصح المنطق ويطلق اللسان ويدل على المروءة والشجاعة وتلقه رأيتني ليلة صفين وما يحبسني إلا آيات عمرو بن الاطنابة حيث يقول :

أبت لي عقي وأبي بلائي وأخذني الحمد بالثمن الريح

واعطائي على المسكروه مالي وضربني هامة الشيخ المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح

بذي شطب كلون الملح صافٍ ونفس لا تقر على القبيح

قالوا والذي يدل على الشجاعة الخالصة قول العباس بن مرداس :

أشدُّ على الكتبية لا أبالي أحتفي كان فيها أو سواها

وهذا على مذهب من ذكرنا قبل هوج ، والذي يدل على أن التثبت والتأني

وسكون النفس من تمام الشجاعة قول بلقاء بن قيس :

وفارس في غار الموت مُنغمس إذا تأني على مكروهه صدقا

غشيته وهو في جأواء بأسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانلقا

بضربة لم تسكن مني مخالسة ولا تعجلتها جبناً ولا فرقا

فذكر أن مخالسة الضرب من الجبن . وأحسن ما قيل في التقدم في الحرب قول زهير :

ليث بمشتر بصطاد الرجال إذا مالليث كذب عن أقرانه صدقا
 يطعنهم ما رتموا حتى إذا ظعنوا ضارب حتى إذا مضاربوا اعتنقا
 وصفه بالتقدم على كل حال . وقل أحد منهم لم يصف نفسه بالتأخر ، قال حصين
 ابن محام (١) :

تأخرت أستبق الحياة فلم أجد نفسي حياة مثل أن أتقدما
 فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما
 ذكر أنه تأخر ثم رأى أن التقدم أحرز لظفر يعيش به عزيزاً أو موت يموت به شريفاً .
 وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى عن أبيه عن علي قال قال المهدي لابن داب
 أنشدني أحسن ما قيل في وصف الفتى الشجاع فأنشده للشماخ :

وأشعث قد قدَّ السفارُ قميصه بجر شواء بالعصا غير منضج
 دعوت إلى مانابني فأجابني كريم من الفتيان غير مزج (٢)
 فتى يملأ الشيزي (٣) ويروي سنانهُ ويضرب في رأس الكمي المدجج
 فالتفت إلى عبد الله بن مالك الخزاعي وقال هذه صفتك .

وقالوا أشجع بيت قائته العرب قول كعب بن مالك :
 نصل السيوف إذا قصرن بخطونا قدماً ونلحقها إذا لم تلحق
 ورأى بعض العرب سيقاً فقال ما أجوده لولا قصر فيه فقال صاحبه نصله
 بخطوة فقال الرجل تلك الخطوة أشد من مشيتي إلى الصين .
 وأبلغ ما قيل في سعة الخطو في الحرب قول أبي تمام :
 خطو تترى الصارم الهندي منتصراً به من المارن الخطى منتصفاً

(١) هو ابن ربيعة سيد بني سهم بن مرة من قيس وكان يقال له مانع الضيم ،
 يعد من أوفياء العرب ومن الشعراء المقلين ، ونقل في الأغاني أنه ادرك الاسلام .
 (٢) مزج كعظم : الناقص والدون من كل شيء . (٣) الشيزي بالكسر
 خشب أسود للقصاص أو هو الأبنوس .

يقول لسعة الخطو ينتصف صاحب السيف من صاحب الرمح .
وقالوا أشجع ما قيل قول الشاعر :

أقولُ لنفسي لا يجادُ بمثلها أقلى شكوكا إنني غيرُ مدبر

وأجود ما قيل في صدق اللقاء مع قلة العدد قول أبي تمام :
قلوا ولكنهم طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبر لا يُحصى له عددُ
إذا رأوا للنايا عارضاً لبسوا من اليقينِ دُروراً ما لها زردُ
ناءٍ عن المصرحِ الأدنى فليس لهم إلا السيوفُ على أعدائهم مدد
وأجود ما قيل في وصف الفتى الشجاع وصاحب الحرب من شعر المحدثين
قول مسلم بن الوليد في يزيد بن يزيد الشيباني :

لولا يزيد لأضحى الملكُ مضطرباً أو مائلَ الرأسِ أومسترخى الطولِ
حاط الخلالةَ سيفٌ من بني مطر أقام قائمُهُ من كان ذا ميل
سيد الثغورَ يزيد بعد ما انفرجت بقائمِ السيفِ لا بالختل والحيل
موف على مهج في يوم ذى رهج كأنه أجلُّ يسعى إلى أمل
ينالُ بالرفق ما يعيا الرجالُ به كاللوتِ مستعجلاً يأتي على مهل
يكسو السيوفِ نفوساً^(١) النياكثين به ويجعل الهام^(٢) تيجان القنا الذبل
يفدو فتغدو المنايا في أسنته شوارعاً تتحدى الناسَ بالأجل
قد عودَ الطيرِ عادات وثقنَ بها فمن يتبعنه في كلِّ مرحل
إذا انتضى سيفه كانت مسالكه مسالك الموتِ في الأبدان والقلل
الزائديون قومٌ في رماحهم خوف الخيفِ وأمنُ الخائفِ الوجل
كبيرٌ هم لا تقومُ الراسياتُ له حلماً وطفلهم في هدى مكتهل
إسلم يزيدُ فما في الملكِ من أود إذا سلمت ولا في الدين من خال

(١) في هامش نسخة « دماء » مكان « نفوس » إشارة لنسخة فيها كذلك .

وهي موافقة لما في ديوان مسلم . (٢) في النسخ « الهامة » .

وانغر فمالك في شيبان من مثل
 لله من هاشم في أرضه جبل
 وقوله : سلّ الخليفة سيفاً من بنى مطر
 كالدهر لا ينثى عما بهم به
 تظلم المال والاعداء من يده
 إذا بدا رفع الاستار عن ملك
 تمضى المنايا لما تمضى أسنته
 وله أيضا :

يلقى المنية في أمثال عدتها
 كالليث بل مثله الليث المصور إذا
 كالسيل يقذف جهوداً بجهود
 غنى الحديد غناءً غير تفريد
 وقالوا أشجع بيت قاله محدث قول أبي تمام :

فما بلّ في مستنقع الموتِ رجله
 وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه
 وقال لها من تحت أخمصك الحشر
 عليه الحفاظ المرء والخلق الوعر
 غدا غدوةً والحمد نسج رداءه
 فلم ينصرف إلا وأكفائه الأجر

أخذ معنى البيت الأول من قول عوف بن قطن بقوله يوم الجمل :
 لا أبتغي اللحد ولا أبغى الكفن
 من هاهنا محشر عوف بن قطن
 وأجود ما قيل في سكون الجأش في الحرب قول البحري :

لقد كان ذاك الجأش جأش مسالم
 تسرع حتى قال من شهد الوغى
 على أن ذاك الزى زى محارب
 لقاء عداء^(١) أم لقاء حبايب
 وصاعقة في كفه ينكفي بها
 على أروس الاقران خمس سحائب

وهذا البيت أجود ما قيل في معناه جعل السيف صاعقة وأصابع الضارب
 سحائب تجود على مؤملين بغيتها وتقتل معاوية بصاعقتها .

(١) في النسخ « أعداء » والوزن لا يستقيم بها .

(أصدق بيت قالته العرب) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العيناء
قال قال الاصمعي أصدق بيت قالته العرب وأحكمه قول الخطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَدمُ جوازِيهُ لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ
وقال المحدث في معناه * ماضع عرف وان أوليته حجراً * وقال الافوه (١) :

والخيرُ ترادُ منه ما كفيت (٢) بهِ والشرُّ يكفيكَ منه قلما زاد
وقيل خير من الخير فاعله وخير من الذهب معطيه ، وقال عبيدالله الابرصى :

الخيرُ يبقى وان طالَ الزمانُ بهِ والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد
وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا عمر بن شبة حدثنا

محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا سفيان بن سعيد عن عبد الملك بن عمير
قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يحدث بمحدث عن أبي هريرة قال قال رسول

الله ﷺ أصدق كلمة قالتها العرب :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لاحالة زائلٌ

وكل أناسٍ سوفَ تدخلُ بينهمِ دويبةٌ تصفرُّ منها الاناملُ

وأخبرنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أخبرنا الجوهري أخبرنا أبو زيد حدثنا

ابراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب أن

عثمان بن مظعون كان في جوار الوليد بن المغيرة وكان لا يؤذى كما يؤذى أصحابه

يعنى من المسلمين فسأل الوليد أن ينزل من جواره فبرىء منه فلما جلس مع القوم

ولبيد ينشدهم * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت ثم أنشد

لبيد رأس البيت * وكل نعيم لاحالة زائل * فقال عثمان كذبت فأسكت القوم

ولم يدروا ما أراد ثم أعاد ثانية فصدقه عثمان وكذبه لأن نعيم الآخرة لا يزول فقال

لبيد ما هكذا كانت مجالسكم فتزا رجل من قریش فطم عين عثمان فأحضرت فقال

(١) هو صلاة بن عمرو الودى أحد فحول شعراء الجاهلية وحكائها

وساداتها وفرسانها . (٢) وفي رواية «لقيت» .

له الوليد كنت في ذمة منبعة فخرجت منها وكنت عن الذي لقيت عينك غنيا
فقال بل كنت الى الذي لقيت فقيراً وعيني التي لم تلطم الى مثل ما لقيت صاحبها
فقيرة فقال ان شئت أجزتك ثانية فقال لأربلى في جوارك ، وأول هذه القصيدة :

ألا تسألان المرءَ ماذا يُحاولُ انحبُّ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ
حبائلُهُ مبشوثَةٌ بسبيله وبغنى إذا ما أخطأته الجبايلُ
إذا المرءُ أسرى ليلةً ظنَّ أنه قضي عملاً والمرءُ ما عاشَ عاملُ
وأجود من هذا سبكاً ورسفاً قول الصلتان :

نروحُ ونغدو لحاجاتنا وحاجةٌ من عاش لا تنقضي

وأخبرنا أبو أحمد عن رحالة قال قيل لرجل سماه أنشدنا أصدق بيت قالته
العرب قال الناس يقولون ◦ كل امرئ في شأنه ساعي ◦ وأنا أقول :

كأن مُقلاً حين يغدو لحاجةٍ الى كلٍّ من يلقي من الناس مذنبُ
وأصدق بيت قاله محدث قول البحترى :

نصليكَ في الأكرومتين فأما يسودُ الفتى من حيثُ يسخو ويشجع
زرعتُ رجاءً في ذراكٍ مُبكراً وجلُّ حصادِ المرءِ من حيثُ يزرعُ

أجود ما قيل في القناعة قول الشاعر :

إذا سدَّ بابُ عنك من دونِ حاجةٍ فدعها لأخرى لينَّ لك بأبها
وان قرابَ البطنِ يُغنيك ملؤه ويكفيك سواتِ الأمورِ اجتنابها
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

إذا ماشئت أن تعرفَ يوماً كذبَ الشهوةِ
فكل ماشئت يغنيك عن العذبةِ والحلوةِ
وطأمن شئت يغنيك عن الخناءِ في الدرِّوةِ
فكم أنساك ما نهوا هُ نيلُ الشيءِ لم نهوهِ

وقال ابن هرمة :

إذا مطمعٌ يوماً غزاني غزوتهُ . كئائب ناسٍ كرها واطرادها
 أمصّ ثمادى والمياه كثيرة أعالج منها حضرها واكتدادها
 وأرضى بها من بحر آخر أنه هو الرأى ان ترضى النفوس ثادها
 وأبرع بيت قيل من قديم الشعر قول أبي ذؤيب :

والنفسُ رغبةٌ إذا رغبتها وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنع
 وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

أنت محتاجٌ فقيرٌ أبداً دون ما ترضى بأذى مالك
 وذمٌّ بعضهم القناعة فقال هي خلق البهيمة ، معناه أنها إذا وجدت أكلت
 وان لم تجد باتت على الخسف ليس لها محالة دون الانطواء على الجوع ولا نكير
 دون الاقرار بالهزل كما قيل :

ولا يقيم على ضيمٍ يُرادُ به إلا الأذلَّان غير الحى والوتدُ
 هذا على الخسف مربوطٌ برمتهِ وإذا يُشجُّ فلا يرثى له أحدُ

وإلى هذا المذهب ذهب على بن محمد في قوله :

إذا اللثيمُ مطّاً حاجبيه وذادَ عن حريمِ درهميه
 فترك عنانَ البخلِ في يديه وقم إلى السيفِ ^(١) وشفرتيه
 واستنزل الرزقَ بمضرييه إن قعدَ الدهرُ فقم إليه
 وقلت : سأستعطفُ الأيامَ حتى تردّنى إلى جانب منها يلينُ ويسهلُ ^(٢)
 وأقنعُ لا أن القناعة لى هوى ولكنَّ صونَ العرض بالحر أجمل
 وقال ديك الجن :

لا تقم للزمانِ في منزلِ الضيمِ ولا ترتبطك رقةٌ حالِ
 وإذا خفتَ ان يراهقك المدُّ مُفمذ بالمتقنات العوالى
 وأهن نفسك الكريمةَ للموت وقحم بها على الأهوال

(١) في الأصل « وقم بالسيف » . (٢) في الأصل « تلين وتسهل » .

فلعمري للموت أجلُّ بالحرِّ من العيشِ ضارعاً للرجال
 أى ماءً يجولُ في وجهك الحرِّ إذا ما امتهنته بالسؤال
 ثم لا سيما وقد عصفت الدهرُ بأهل الندى وأهل النوال
 فقليلٌ من الورى من تراه يُرتجى أن يصونَ عرضاً بمال
 وفي المعنى الأول ما أنشدنا أبو أحمد رحمه الله تعالى أنشدنا أبو بكر بن
 دريد أنشدني أحمد بن المعدل^(١) لأخيه عبد الصمد^(٢) :

رأت عدى فاسترأت رحيلي سبيلك إن سواها سبيلي
 يرجى اليسار لها بالقول لعلَّ المنيةَ قبل القبول
 لعمري التي وعدتك الثراء بجدوى الصديق وبر الخليل
 لقد قذفت بك صعب المرام واستجمعت لك غير الجميل
 سأقبي العفاف وأغني الكفال فليس غنى النفس جودُ الجزيل
 ولا أتصدى لشكر الجواد ولا استعدُّ لذمَّ البخيل
 وأعلمُ أن بنات الرجاء تحلُّ العزيزَ محلَّ الذليل
 وأن ليس مستغنياً بالكثير من ليس مستغنياً بالقليل
 قال أبو أحمد لو كان شعر عبد الصمد كله هكذا لرأيت نبي الشعر. وقال البصير :

قلتُ لأهلى وراموا أن أميرهم بماء وجهى فلم أفلح ولم أكد
 لا تجمعوا اب تهبينونى وأكرمكم ولا تمدُّوا الى نيل اللثام يدي
 تبلغوا وادفعوا الحاجات ما اندفعت ولا يكن همكم فى يومكم لفسد
 فرباً ملتصق مالىس يدركه ومدركه ماتمنى غير مجتهد
 أبلغ ما قيل فى مساعدة الرجل أخاه وأجوده قول دريد بن الصمة وقد أغار
 هو وأخوه عبد الله على نعم لقيس فاستاقوها فلما كانوا ببعض الطريق نزل عبد الله
 ليريح ويستريح ويقسم المال بين أصحابه فنهاه دريد فبينما هما كذلك رأوا غيرة

(١) فى الأصل «ابن المعتزل». (٢) من شعراء العصر العباسى نشأ فى البصرة.

فقالوا الرقيهم ماترى قال خيلاً كالعقبان عليها فوارس كالصبيان فقال فرارة ولا بأس ثم رأوا غبرة أخرى فقالوا له ماترى قال خيلاً كأن قوائمها تنقلع من صخر قال تلك عبس والموت فلما خاطوهم قتل عبد الله فقال دريد :

أمرتهمُ أمرى بمنعرجِ اللّوى فلم يستبينوا الرشد إلا مضى الغد
فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم أنى ^(١) بهم غير مهتدى
وما أنا إلا من غزبةٍ إن غوت غويتُ وإن ترشُد غزبةٍ أرشُد
وأسر دريد ثم نجا فغزاهم من قابل فقتل قاتل أخيه . ووجه المبالغة في هذا الكلام أنه أخبر بمواقفة أخيه على علمه بأنها غي وترك مخالفته مع معرفته أنها رشد كراهة الخروج من هواه وترك مطابقتها على رضاه . وقريب منه قول عمر بن أبي ربيعة وروى لغيره :

وذى ودّ أملتُ إليه نصحاً وكان لما أشيرُ به سميماً
أطافَ بغيه ونهيتُ عنها وقلتُ تجنبِ الأمر الفظيماً
أردتُ رشادَهُ جهدى فلما عصى وأبى ركبناها جميعاً
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولى عن الحسن بن محمد المهرى عن التوزرى :
تمخلتُ آرائى وسقتُ نصيحتى إلى غير طلقٍ للنصيح ولاهش
فلما أبى نصحى سلكتُ سبيله وأوسعتهُ من زور قول ومن غش
وقال آخر :

ألم تعلم يا بنى رجاجة أنى أغش إذا ما للنصح لم يُقبل
ومن جيد ما قيل فى النصيحة قول مخيس بن أرتاة :
عرضتُ نصيحةً منى ليحيى فقال غششتنى والنصح مر
وما بى أن أكون أعيب يحيى ويحيى طاهرُ الاخلاق بر
ولكن قد أتانى أن يحيى يُقالُ عليه فى نقعاء شر

(١) فى النسخ « أو أنى غير » .

فقلتُ له تجنبْ كلَّ شيءٍ يُقالُ عليكُ إنَّ الحرَّ حرٌّ

ومثل ما تقدم قول الشاعر أنشدناه أبو أحمد عن جماعة :

إن أجا الصدقِ الذي ابن يخذعكُ ومن يضرُّ نفسهُ لينفعكُ

ومن إذا صرفُ زمانٍ صدعكُ شتتَ شملَ نفسه ليجمعكُ

وإن غدوتَ ظالماً غدا معكُ

فسرّوه يكفك عن الظلم ، وليس كذلك لأن معنى الأبيات لا يقتضيه وإنما

أراد أنه يعاونك على الظلم على حسب ما قال عمر بن أبي ربيعة « ركبناها جميعا »

وقال ابن ميارة في النصيحة :

نصحتك يارباحُ بأمرِ حزمٍ فقلتُ هشيمهً من أهل نجد

نهيتك عن رجال من قريشٍ على محبوكةِ الأصلابِ جرد

ووجداً ما وجدتُ على رباحٍ وما أغنيت شيئاً غير وجدى

وقال العباس بن جرير :

إرعَ الاخاءَ أبا محمد الذي يصفو وصنهُ

وإذا رأيتَ منافساً في نيل مكرمة فكنهُ

إن الصديقَ هو الذي يراك حين تغيبُ عنه

وإذا كشفتَ غطاءهُ أهدتَ ما كشفتَ عنهُ

مثل الحسام إذا اتضأ هُ أخو الحفيظة لم يخنه

يسعى لما تسعى له كراماً وإن لم تستعنه

ومن أبلغ ما قيل في ارضاء الرجل عن أخيه قول الراجز :

لم أقض من مصيبة زيدٍ أربى فتي إذا نهته لم يعضب

أبيض بسام وإن لم يعجب ولا يرضن بالمتاع المحب

موكل النفس بحفظ الغيب أقصى رفيق له كالأقرب

وهذا خلاف ما قيل * من غاب غاب نصيبه * وقلت في قريب منه :

بذلتُ من شكرى ما لم يبذل لما جد أجملَ إذ لم أجمل
يحمل من ثقلى ما لم يحمل فعزَّ في عيني حين ذلَّ لى
إن جمال الحرِّ فى التجمل وقد يكون العزُّ فى التذلل

والمجد شهد يجتنى من حنظل

ومن قديم ما جاء فى هذا النحو قول أوس :

وليس أخوك الدائم العهد بالذى يلومك إن ولى ويرضيك مُقبلاً
ولكنه النائى إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الأمرُ أعضلاً
أبلغ ما قيل فى التأنى وأجوده وأشدّه اختصاراً ما أنشدناه أبو أحمد للمرار الفقعسى :

تقطع بالنزول الأرض عنا وبعد الأرض يقطعه النزول
وهذا مأخوذ من قول النبي ﷺ « ألا إنَّ هذا الدينَ مَتِينٌ فأوغل فيه
يرفقي فإنَّ المنبتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى » وتقول العرب شر السير
الحققة ، وهى شدة السير . وقلت فى نحو قول المرار :

وحطَّ بها كوار خوص لو اغب يقلُّ ! كثار الذميل ذميلها
نفض عبدة حلَّ الفراق عقالها وأقلق هجران الحبيب مقيلها
فلا غرو إن فاضت دموع متيم على الدار يسقى ظلمن طولها
ومن المشهور فى التأنى قول القطامي :

قد يدركُ المتأنى بمض حاجتهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزلُّ

وقال غيره :

ومستعجل والمكثُ أدنى لرشدهِ ولم يدر ما يلقاه حين يبادرُ
وقيل لبعض العلماء لم لم يقل « كل حاجته » فيكون أبلغ قال ليس « كل » من كلام
الشعر ، وقد صدق ولو قال كل حاجته لكان متكلفاً مردوداً وكثيراً ما يقع « كل » فى
الشعر قلق المكان كوقوعه فى بيت ابن طباطبا :

فبالأنى دعنى أعالى بقيمتى فقيمة كلِّ الناس ما يحسنونهُ

ولا أعرفُ أن «كلا» وقع في بيت أحسن منه في بيت أبي العتاهية :

أعلتُ عُتْبَةً أنى منها على أجلِ مظل

وشكوتُ ما ألقى اليها والمدامعُ تستهل

حتى إذا برمتُ بما أشكوكما يشكو الأذل

قالت فأى الناس تعرف ما تقول فقلت كل

ومن الذى يهوى فلا يزهى عليه ولا يذل

وقد أصاب القائل في صفة العقل :

وجدتُ العقلَ نوعين مطبوعٌ ومسموعٌ

ولا ينفعُ مسموعٌ إذا لم يكُ مطبوعٌ

أجود ما قيل في الاختيار قول ابن المعدل أظنه :

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

وأول الأبيات :

رأتنا أمُّ عمرو فازدرتنا ونقضُ الحرب منظره زرىُّ

إذا لم تقدحى زنديك يوماً فما يدريك أيهما الورىُّ

سلى بي تخبرى أنى طروب الى الايسار أبلجُ بخترىُّ

وانى حين تختلف^(١) العوالى الى الابطال أكيس قسورىُّ

كلبنى للندى والبأسِ انى بكل بسالة وندى حرىُّ

ومثله قول الآخر :

زنى القوم حتى تعرفى عندَ وزنهم إذا رُفِعَ الميزانُ كيف أميلُ

وقال النبي ﷺ (أخبر ثقله) معناه اختبر من شدت تجدد دون ما تظنه فيه

وتطلع على ما تكره منه فتبغضه ، وليس في جميع ما قيل في هذا المعنى أبلغ منه

ولا أوجز وقد شرحه ابن الرومي فقال :

(١) في الأصل «يختلف» .

دعنى الى فضل معروفكم وجوه مناظرها معجبه
 فأخلفتكم ما توسمته وقل حميد على التجربه
 وكم لمعة خلتها روضة فألفتها دمنة معشبه
 ظلمتكم لا تطيب الفروع إلا وأعراقها طيبه
 وكنت حسبت فلما حسبت عفى على الحساب مع المحسبه
 فهل تعذرونى كعذريكم بأن أصولكم المذنبه
 جزيت موازينكم بالسواء وعذرتكم بغير فلا معتبه

وقد قال الناس : الطمانينة قبل التجربة حق ، والمثل السائر : لا تحمدن امرأً حتى تجربه . سمعت عم أبي يقول ما سمعنا في الشكر أوجز من قول يحيى بن خالد * الشكر كفؤ النعمة . ولا أطرف من قول البحترى : الشكر نسيم النعمة . وأنا أقول لم يسمع أجمع في الشكر من قول ابراهيم بن العباس : أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن اسماعيل قال قال ابراهيم بن العباس : الشكر داعية المزيدي وقيمة العارفة ورباط النعمة ولسان المعطفة . وأبلغ ما قيل في الشكر من الشعر قول يحيى بن زياد الحارثى أنشدناه أبو أحمد عن الصولى :

حلفت برب العيس تهوى بركبها الى حريم ما عنه للركب معدل
 لما بلغ الانعام في الفضل غاية تفضل لإغاية الشكر أفضل
 ولا بلغت أيدي المنيلين بسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول
 ولا ثقلت في الوزن أعباء منة على المرء إلا منة الشكر أثقل
 فمن شكر المعروف يوماً فقد آتى أخا العرف من جنس^(١) المكافاة من عل
 وقال الآخر : فعلت خيراً كثيراً وأنت أكثر منه
 ونحن أكثر منه لشكرنا لك عنه

وأجود ما قيل في عظام النعمة وقصور الشكر من قديم الشعر قول طريح بن اسماعيل :

(١) في نسخة « حسن » مكان « جنس »

سَعِيَتْ^١ ابْتِغَاءَ الشُّكْرِ فَمَا صَنَعْتَ بِي
 قَوْلُهُ وَإِنِّي لَشَاكِرٌ مَعِ قَوْلِهِ مَغْلُوبًا أَحْسَنَ الْمَوْقِعِ ، وَهُوَ مَأْخُذٌ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :
 فِرَاقٌ حَيْبٌ لَمْ يَبِينْ وَهُوَ بَائِسٌ^٢
 لِأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً
 فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بِالَّتِي
 وَقَوْلِ الْآخِرِ :

وَلَوْ أَنَّ لِي فِي كُلِّ مَنبَتٍ شَعْرَةٌ
 وَقَوْلِ دَعْبِلِ :

هَجَرْتُكَ لَاعِنَ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ
 وَلَسَكُنْتَنِي لَمَّا أَتَيْتَكَ رَاغِبًا
 فَمَلَانَ^(١) لَا آتِيكَ إِلَّا مَعْذِرًا
 فَانْزِدْتَنِي فِي بَرِي تَزِيدْتَنِي جَفْوَةً
 وَقَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

مَنْ ضَعَفَ شُكْرِيهِ وَمَعْتَرَفًا
 أَوْهَتْ قَوِيَّ شُكْرِي وَقَدْ ضَعُفَا
 حَتَّى أَقْوَمَ بِشُكْرِ مَا سَلَفَا
 لَاتَسْدِينِ إِلَى عَارِفَةٍ

وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ آتَى بِهَذَا الْمَعْنَى إِلَّا أَنَّهُ عَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَةٍ طَوِيلَةٍ ، وَأَحَدُ أَدْوَاءِ

الْكَلَامِ فَضَّلَ أَلْفَاظَهُ عَلَى مَعَانِيهِ . وَقَالَ الْبَحْتَرِيُّ :

هَاتِيكَ أَخْلَاقُ اسْمَاعِيلَ فِي تَعَبٍ
 أَدَابَتْ شُكْرِي فَامْسِي مِنْكَ فِي نَصَبٍ
 لَا أَقْبِلُ الدَّهْرَ نَيْلًا لَا يَقُومُ لَهُ
 لَمَّا سَأَلْتِكَ وَافَاتِي نَدَاكَ عَلَى
 مِنْ الْعَمَلِ وَالْعَمَلِ مِنْهُنَّ فِي تَعَبٍ
 أَقْصَرَ فَمَالِي فِي جَدْوَالِكَ مِنْ أَرْبٍ
 شُكْرِي وَلَوْ كَانَ مَسْدِيهِ إِلَى أَبِي
 أَضْعَافَ شُكْرِي فَلَمْ أَنْظُرْ وَلَمْ أُخِبْ

(١) أصله « فمن الآن » . (٢) في الأصل « نكتني »

وقلت في معناه :

تقاصرَ عن نداءِ باعٍ شكري
 وآسى أن تطولَ بدايِ منه
 كأن ندى يديه عناقُ بين
 لهجتُ بذكره لأبينَ عنه
 حنانى ثقله ولو أنَّ قوساً
 فها أنا منه مفتقرٌ وغاف
 قصورَ الزجِّ عن زلقِ اللسان
 إلى ما لا يُطاوَلُه لسانى
 فليس يسرُّنى إلا شجانى
 فضاقَ بوصفه ذرعَ البيان
 تلقى منكبيّ لما حنانى
 وقلبي فيه منطلقٌ وعان

وقال البحرى :

إنى هجرتك إذ هجرتك وحشةٌ
 أخرجتني بندى يديك فسودت
 وقطعتنى بالجودِ حتى أنى
 صلةٌ غدت في الناسِ وهي قطعةٌ
 ليواصلنك ركبُ شعيرٍ سائر
 حتى يتم لك الثناء مخلداً
 فنظلتُ تحمدك الملوكُ الصيدي
 لا العودُ يذهبها ولا الابداءُ
 مايننا تلك اليدُ البيضاء
 متخوفٌ أن لا يكون لقاء
 عجباً وبرٌ راح وهو جفاء
 يرويه فيك لحسنه الأعداء
 أبدا كما تمت لك النعماء
 وتظل تحمدنى بك الشعراء

وقد أحسن ثمامة فيما كتب إلى بعضهم : قد حيرنى سوء رأيك في فأهتدى
 لطلب الاعتذار وأنت مولى نعمة أنا عبد شكرها فلا تظمنى من حسن رأيك
 فأضوى ولا نسقطنى عن حيطتك فأثوى . وقريب من المعنى الأول قول البحرى

مَنْ مَعْنَى مِنْكُمْ عَلَى ابْنِ فُرَاتٍ وَمُكَافَاةٍ مَا أَنَالَ وَأَسَدَى
 كلما قلتُ أطلقَ الشكرُ رقى رجعتنى لهُ أياديه عبدا

سمعت عم أبى يقول ما سمعنا بالرضا بالقسمة والشكر أحسن من قول صالح بن
 مسار: ما أدرى النعمة الله فيما بسط على أفضل أم نعمته فيما زوى عنى فجعل ما بمنه
 نعمة والناس يجعلونه محنة ونقمة . وكتب بعضهم فى المعنى الأول : أنا وإن كنت

ذافقة إلى طولك فليست لي طاقة بما حملتني من برك وما أجد لنفسي معقلا ولا أعرف لها متعلا إلا في الاقتداء بمن عجز عن شكر ما أولى فخير نقيصته بالاعتراف والتقصير واعتمد من شكره على تصريف المعاذير . وكتب إلى بعض الأصدقاء وصل كتابك مقرونا بالتوقيع في معنى المباشرة فأعاد الأمل جديداً والجد سعيدا والهمة سامية تمسح وجه النجم وتقبل عارض الشمس وتمسك بعنان البدر فأذن بعمارة الجاه وتكفل برفع القدر وضمن أعلواء الأولياء وكبت الحساد وكب الأعداء إلى غير ذلك من أنس أورده وسرور جدده ووحشة صرفها وكربة كشفها ، وفهمته وتاملت التوقيع فتصور لي الغناء بصورته وقابلني بصدق مخيلته وعرفت أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتمتحت عن ساحتي خطوته وهذه نعم أعيان بذكرها فكيف أطمع في أداء شكرها بل عسى أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة لما خلص إلى منها وأنا معترف بذلك اعتراف الروض بحق الأبناء إذا تجلى بيوافقت الأنوار والآلئ الأنداء .

وجعل جعفر بن يحيى البرمكي الشكر باظهار حسن الحال أبلغ من الشكر بالقول . أخبرنا أبو أحمد أخبرنا المبرمان أخبرنا أبو جعفر بن القتيبي عن القتيبي قال أراد جعفر بن يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي فدفع إلى خادم له كيساً فيه ألف دينار وقال اني سأنزل في رجعتي الى الاصمعي ثم سيحدثني ويضحكني فاذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما رجع ودخل عليه فرأى حُجاً مكسور الرأس وجرة مكسورة العنق وقصعة مشعبة وجفنة اعشار وراه على مصلى بالٍ وعليه بركان أجرد فغمز غلامه أن لا يضع الكيس بين يديه فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الثكلان والغضبان إلا أورده عليه فما تبسم ثم خرج فقال لرجل يسايره من استرعى الذئب ظم ومن زرع سبخة حصد الفقر إني والله لما علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفات بنشره له باللسان وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ان اللسان قد يكذب والحال لا يكذب والله در نصيب حيث يقول :

فعادوا فأتنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الخقائب
ثم قال أعلمت أن ناس أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان .
قد أتى جعفر في هذا الفصل من المعاني بما لم يأت به أحد قبله وشرحه شرحاً ليس
مثله لأحد سواه . وقالت الحكماء لسان الحال أصدق من لسان الشكوى .

وقد أجاد ابن الرومي في هذا المعنى فقال :

حال تبيع بما أوليت من حسن وكل ما تدعيه غير مردود
كلى هجاء وقتلي لا يحل لكم فسا يداويكم منى سوى الجود
وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ومما يجرى في باب الشكر وهو من أبداع ما قيل في معناه ما أنشدناه أبو أحمد قال
أنشدنا الصولي قال أنشدنا أحمد بن إسماعيل الخطيب لنفسه :

واني وإن أحسنت في القول مرةً فمنك ومن آثارك امتار هاجسي
تعلمت مما قلته وفعلته فأهديت غصناً من حناى لغارسي

أخذه ابن طباطبا فقال في ابن رستم الاصبهاني :

لا تشكرن اهداءنا لك منطقاً منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله جل وعز يشكر فعل من يتلو عليه وحيه وكلامه

وفي غير هذا المعنى يقول أبو تمام :

كم غارة لك في المسكارم ضخمة غادرت فيها ماملكت قتيلا
فرايت أكثر ما بذلت من الهوى نزرأ وأصغر ما شكرت جزيلا

وقد أحسن ابن الرومي :

هاجرت عنك الى الرجا ل فكان عرفهم كنعرك
ورجعت من كتب اليك مفرغاً نفسى لشركك
ولما أروم بما تم ل زيادة في رفع ذكرك
لكه حق أوفيه عوانك بعد بكرك

كم نعمة لك ملء فكري لا تلاحظها بفكرك
 (أحسن ما قيل في الصبر) أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابن الرياشي عن
 أبيه عن الأصمعي قال قال أبو عمرو أحسن ما قيل في الصبر قول أبي خراش^(١):

تقولُ أراهُ بعدَ عروةٍ لاهيا وذلك رزءٌ لو علمت جليل
 فلاتحسبي أني تناسيتُ عهدهُ ولكن صبري يأميمٌ جميل
 وبعده: ألم تعلمي ان قد تفرقَ قبلنا خليلاً صفاً ممالكٌ وعقيلٌ

وقال الأصمعي أحسن ما قيل فيه مع الشرح قول أبي ذؤيب:

وتجلدى للشامتين أريهمُ أني لريبِ الدهرِ لا أنضمضعُ
 حتى كآني للحوادثِ مروءةً بصفا المشعر كل يوم تفرع
 وقوله: وإني صبرتُ النفسَ بعدَ ابنِ عنبس وقد لَجَّ من ماءِ الشؤونِ لجوجُ
 لأحسبَ جلدًا أولينبا شامتُ وللشرِّ بعد القارعاتِ فروجُ

وأجود ما قاله محدث فيه قول ابن الرومي أنشدناه أبو أحمد عن ابن المسيب

رواية ابن الرومي عن أبيه الرومي:

أرى الصبرَ محموداً وفيه مذاهب فكيف إذا ما لم يكن عنه مذهبُ
 هناك يحقُّ الصبرُ والصبرُ واجبٌ وما كان منه كالضرورةٍ أوجب
 فشدَّ امرؤٌ بالصبرِ كفاً فانه له عصمةٌ أسبابها لا تقضب
 هو المهربُ المنجى لمن أهدت به مكارهُ دهرٍ ليس عنهنَّ مهربُ
 لبوسُ جمالِ جنةٍ من شماتة شفاءُ أسى يثني به ويشوب
 فيأعجبا للشيء هذى خلاله وتاركٌ مافيه من الخطِّ أعجب
 وقد يتظنِّي الناسُ ان أساهمُ وصبرهمُ فيه طباعٌ مركب
 وانهما ليسا كشيءٍ مصرفٍ يصرفه ذو نكبة حين ينكب
 فان شاء أن يأسى أطاع له الأسي وان شاء صبراً جاءه الصبر يجلب

(١) هو خويلد بن مرة الشاعر الفارس المشهور بالعدو، أسلم وعاش الى زمن عمر.

وليس كما ظنوها بل كلاهما
 يصرفه الخنثار منها فتارة
 إذا احتج محتج^١ على النفس لم يكده
 وساعدها الصبر الجليل فأقيمت
 وإن هو مناها الا باطيل لم تزل
 فتضحى جزوعاً أن أصابت مصيبة
 فلا يمدن^٢ التارك الصبر نفسه

ومن أجود ما قيل في ذم الحقد قول ابن الرومي :

الحقد داء^٣ دفين^٤ لا دواء له
 فاستشف منه بصفح أو معاتبه
 واجمل طلابك بالآلاتار ما عظمت
 ثم قال يمدحه :

وخير^٥ سجيات الرجال^٦ سجية^٧
 وما الحقد إلا توأم^٨ الشكر في الفتى
 فحيث ترى حقداً على ذي اساءة^٩
 ولولا الحقد المستكنات لم يكن

وأول من مدح الحقد عبد الملك بن صالح في قوله : إن كنت تريد الحقد بقاء
 الخير والشر عندي أنهما الباقيان . وأجمع كلمة قيلت في الصبر قول بعضهم الصبر
 مظنة النصر . وقال الآخر : الصبر مطية لا تنكبو وإن عنف عليه الزمان . وسمعت
 عم أبي يقول : الصبر شرية^(١) شمراية^(١) وقال * ففرج أيام الكريهة بالصبر *
 وقال آخر : * وهل جزع^{١٠} يجدي على فأجزع * فجعل الصابر الصبر
 ضرورة لعلمه أن الجزع غير مجد . وقلت :

(١) الشرى : شجر الخنظل والأرى : العسل .

قالوا صبرت وما صبرت جلادة لكن ثقله حيلتي أنصبر
 وليس في الحيوان شيء أصبر من الحمار والجل وذلك أنهما يحملان الحمل
 الثقيل على الدبر ويبلغان به الغاية البعيدة على الحفا حتى قالت العرب «أصبر من ذى
 ضاغط» وهو أن يضغط موضع الابط أصل الكركرة حتى يدميه . ويقولون :
 أصبر من عود بجنيبه جلب قد أثر البطان فيه والحقب
 قاله جلجلة بن قيس من أشيم فصار مثلاً ، وقال سعيد بن ابان بن عيننة بن حصن :
 أصبر من ذى ضاغطٍ مُعَرَّكٍ ألقى يوانى صدره للمبرك
 ويقولون أصبر من ضب لما هو فيه من التشف واليبس . وقالوا حيلة من
 لاحيلة له الصبر . وسمعت والذى يقول لعن الله الصبر فان مضرت طاجلة ومنفعته
 آجلة وذلك أنك معجل بالصبر ألم القلب لتنال المنفعة فى العاقبة ولعلها تفوتك
 لعارض يعرض وكنت قد تعجلت الضرر من غير أن تصل الى نفع . فنظمته
 بعد ذلك وقلت :

الصبرُ عن تجبه صبرٌ ونفعٌ من لامٍ فى الهوى ضرر
 من كان دون المرادٍ مُصطبراً فلستُ دون المرادِ أصطبر
 منفعة الصبرِ غيرُ طاجلةٍ وربما حالَ دُونها الغير
 فقم بنا نلتمس ما ربنا أقامَ أولم يقم بنا القدر
 ان لنا أنفساً تسودنا أغانهن ^(١) الزمان أويذر
 وابع من العيشِ ما تسرُّ به ان عذل الناس فيه أو عذروا
 وقال أبو هلال أجمع كلمات سمعناها فى الحلم ما سمعت عم أبى يقول الحلِيم
 ذليل عزيز وذلك أن صورة الحلِيم صورة الذليل الذى لا انتصار له واحتمال السفه
 والتغافل عنه فى ظاهر الحال ذل وان لم يكن به . وقيل الحلِيم مطية الجهول لاحتمال
 جهله وتركه الاتصاف منه . وقال الأوَّل :

(١) فى الاصل «اعانهن من» ولعل «من» زائدة .

وليس يتمُّ الحلمُ للمرءِ راضياً إذا كان عندَ السخطِ لا يتحلمُ
 كما لا يتمُّ الجودُ للمرءِ موسراً إذا كان عندَ العسرِ لا يتكرمُ
 ولهذا قال شيخ من الاعراب وقد قيل له ما الحلم قال الذى تصبر عليه وقال الشاعر :
 لن يدرك المجدَ أقوامٌ وان كرموا حتى يذلوا وإن عزّوا لا أقوام
 ويشتموا فترى الألوانُ مسفرةً لاصفح ذلٌّ ولكن صفح أحلام
 ومحمته يقول الحلم عقال الشر وذلك أن من سمع مكروهة فسكت عنها انقطع
 عنه أسبابها وان أجاب اتصلت بأمثالها . وأنشدوا فى هذا المعنى :

وتخرج نفسُ المرءِ عن وقع شتمه ويشتمُ ألفاً بعدها ثم يصبرُ
 ولا أعرف فى الحلم معنى أحسن من معنى معاوية فى قوله انى لأرفع نفسى أن
 يكون ذنبٌ أورهته من حلمي وماغضبي على من أملك أو ماغضبي على من لأملك .
 يريد انى اذا كنت مالكا للمذنب فانى قادر على الانتقام منه فلم أزم نفسى
 الغضب وان لم أكن أملكه فليس يضره غضبي فلم أغضب عليه فأضر نفسى
 ولا أضره . وقال الشاعر فى الحلم والاغضاء عن المكروه مع القدرة على التغيير :
 مفض على العوراء لو لا الحلم غيره انتصاره

وأسمع بعضهم الشعبيَّ فقال له ان كنت صادقاً فغفر الله لى وان كنت كاذباً
 فغفر الله لك . وهذا أعجب ما جاء فى هذا الباب وأحسنه . وأجود شىء قيل فى الحلم
 من الشعر ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا ابن دريد أخبرنا أبو عثمان عن الأخفش
 قال نال رجل من الخليل بن أحمد وأسمعه فقال الخليل :

سألزمُ نفسى الصفحَ عن كلِّ مُذنبٍ وان كثرت منه على الجرائمُ
 وما الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثة شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاوم
 فأما الذى فوقى فأعرفُ فضلهُ وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازم
 وأما الذى مثلى فاب زلٌّ أو هفا تفضلتُ إنَّ الفضلَ بالمرءِ حاكم
 وأما الذى دونى فان قالَ صنتُ عن إجابته عرضى وان لامَ لائمُ

قسم هذا الشاعر ثم فاحسن ولم يدع مزيداً . ومن عجيب ماروي في
الحلم ما أخبرنا به أبو أحمد عن رجاله قال جى . قيس بن حاصم باين له قتيلاً وابن
أخ له كتيفاً وقيل له هذا قتل ابنك فلم يقطع حديثه ولا نقض حبوته فلما فرغ من
حديثه التفت الى بعض بنيه فقال قم الى ابن عمك فاطلقه والى أخيك فادفنه والى أم
القتيل فاعطها مائة ناقة فانها غريبة لعلها أن تسلو عنه ثم اتكأ على شقه الأيسر وقال :

إني امرؤٌ لا يعترى خُلُقِي دَنَسٌ يَفْبِرُهُ وَلَا أُنْفُ
من منقر في بيتٍ مَكْرُمَةٍ والفرعُ يَنْبِتُ فَوْقَهُ الْعَصَنُ
خطباءً حينَ يَقُولُ قائلِهِمْ بيضُ الوجوهِ مصاقِعُ لَسُنُ
لا يفظنونَ لعيبِ جارِهِمْ وهمُ لِحْفَظِ جوارِهِمْ فطنُ

ويوصف الحلم بالرزانة وأجود ما قيل في ذلك قول مروان بن أبي حفصة (١) :

ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حياهِمْ وأحلامهم منها لَدَى الوِزَنِ أَثْقَلُ
وقد ذكرناه . والعرب تسمى العلم حلماً قال المتلمس :

لدى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا وما علم الانسانُ إلا ليعلمنا
ومن أشرفِ نعوتِ الانسانِ أن يدعى حليماً لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً
وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفوّاً وصاحباً ومحتماً وكافلاً ، وهذه شرائف الاخلاق
وكرام السجايوا والخصال . وقد خواف هؤلاء فقيل في خلاف مذهبهم هذا أنشد المبرد :

أباحسن ما أقبحَ الجهلَ بالفتى وللحلمُ أحياناً من الجهلِ أقبحُ
إذا كانَ حلمُ المرءِ عَوْنَ عدوِّهِ عليه فإنَّ الجهلَ أعنى وأروحُ
وقال غيره :

قليلٌ الأذى إلا عن القرنِ في الوغى كثيرُ الأيادي وأسعُ الذرعِ بالفضلِ
ويحلمُ مالم يجبِ الحلمُ ذلَّةً ويجهلُ ما شدت قوى الحلمِ بالجهلِ
وقال غيره :

(١) في النسخ « حفص » في مواضع .

ترفتُ عن شتم العشيّة انى رأيتُ أبى قد كفَّ عن شتمهم قبلى
 حلِيمٌ إذا ما الحلمُ كان جلالَةً وأجهلُ أحياناً إذا التمسوا جهلى
 وقال غيره : * إذا الحلم ينفعك فالجهل أحزم * وقالوا ليس شىء خيراً من
 الحق إلا العفو وذلك أن عقاب المستحق للعقاب حق والعفو خير منه ، ومن أحسن
 ما جاء فيه قول بعضهم : لو أن المسىء لى عبد لأخ لى رأيت تغمده والصفح عنه
 إجلالاً لقد مر مولاہ واعظاً ما ألحق صاحبه فأنا بالصفح عن عبد الله أولى .
 وفي ذم العفو قول عميرة بن عقيل :

وما ينفكُ من سعدِ الينا قَطوعُ الرحمِ بادية^(١) الأديم
 ونفرتها كأن لم يفعَلوها وطولُ العفو أدربُ^(٢) للظلم

أجود ما قيل في المشهورة قول بشار أخبرنا أبو أحمد أخبرنا محمد بن يحيى حدثنا
 الغلابي حدثنا محمد بن عبد الرحمن التميمي قال دخل بشار على ابراهيم بن عبد الله
 ابن الحسن بن الحسين فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير برأى يستعمله في
 أمره فلما قتل ابراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه قالها في أبى مسلم ، أولها :

أبا جعفرٍ ما كلُّ عيشٍ بدائمٍ وما سالمٌ عما قليلٍ بسالمٍ
 على الملك الجبارِ يقتحمُ الردى ويصرُّهُ في المأزقِ المتلاحمِ
 كأنك لم تسمع بقتل متوجِّعٍ عظيمٍ ولم تعلم بهلك الأجاجمِ
 تقسم كسرى رهطه بسيوفهم وأمسى أبو العباسِ أحلامِ نائمِ
 وقد ترد الأيامُ عزاً وربما وردن كلوماً باديات الكشائمِ
 ومروانٌ قد دارت على نفسه الردى لاجرامه لابل قليل الجرائمِ
 وأصبحت تجرى سادراً في طريقهم ولا تتقى أشباه تلك الققامِ
 تجردت للإسلام تعفو رسومه وتعى مطايا لبوئ الضراغمِ
 فمازلت حتى استنصر الدين أهله عليك فعاذوا بالسيوفِ الصوارمِ

(١) في النسخ غير منقوطة . (٢) لهله (آدب) .

لحى الله قوماً رأسوك عليهم
أقول لبسام عليه جلالة
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
سراج لعين المستضىء وتارة
إذا بلغ رأى المشورة فاستعن
ولا تجعل الشورى عليك غضاصة
وماخير كف أمسك الغل أختها
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن
و حارب إذا لم تعط إلا مظلمة

هذا ما أورده أبو هلال العسكري وفي بعض الكتب زيادة في هذه القصيدة وهي :

فأذن على الشورى المقرب نفسه
فانك لانستطرد الهيم بالى
وما قارع الأقوام مثل مشيع
وما خير كف - البيت . قال أبو بكر فحدثني الجحى قال سمعت المازنى
يقول سمعت أبا عبيدة يقول ميمية بشارهذه أحب إلى من ميميتى جزير والفرزدق .
وقيل لبشار ما أحسن أبيانك فى المشورة فقال المستشار بين صواب يفوز بثمرته
أو خطأ يشارك فى مكروهه فقيل له هذا والله أحسن من شعرك . ومن الأفراد
التي لاشبيه لها قول عبد الملك بن صالح فى ذم المشورة : ما استشرت أحداً إلا انكبر
على وتصاغت له ودختنى الذلة فعليك بالاستبداد فان صاحبه جليل فى العيون
مهيّب فى الصدور فاذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون فتضعض شأنك ورجفت
بك أركانك واستحقرك الصغير واستخف بك الكبير وما عز سلطان لم يفنه
عقله عن عقول وزرائه وآراء نصحاؤه . فذم المشورة كما ترى وهى ممدوحة بكل لسان .
وقال رومى الفارسى نحن لانملك من يشاور فقال الفارسى نحن لانملك من

لايشاور، وقد أجمع الناس ان الفرس أعتل من الروم .
ومن أوجز ما قيل في الطمع قول بعضهم إذا طمعت ملكت . ويقولون
الطمع طمع، والطمع الدنس وأنشد :

لاخيرَ في طمع يدعو إلى طبع وُغفةً من قوام العيش تكفي
والغفةُ القوت وأصلها الفأرة^(١) وسميت بذلك لأنها قوت للسنور . وأنا
أقول إن أول الطمع ذلة وأوسطه شقوة وآخره حسرة . وقال ثابت قطنة^(٢) :

الأثمي عميرة أن رأتي عزفت النفس عما لم ينالا

أحزم كلمة سمعتها عن العرب قولهم « إن ترد الماء بماء أكيس » معناه ينبغي
أن تحتفظ بما عندك حتى تصل إلى غيره ولا تلتقي ما في يدك رجاء لما هو
أكثر منه فلعلك لاتناله لحادث يحدث . ومثل ذلك قولهم « لا يرسل الساق إلا
مسكاً ساقاً » أي لا يترك معتمداً إلا إذا وجد مثله . وأصله في الحرباء لا يترك
ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ، قال الشاعر :

أني أتبع لها حرباء تنضبة^(٣) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً
أجود ما قيل في الحياء قول الخنساء :

ومحرقٌ عنه القميص تحاله بين البيوت من الحياء سقيا
حتى إذا رفع اللواء رأته تحت اللواء على الخنيس زعيماً
أخذه بعضهم وأحسن :

يشبهون سيوفاً في صرامتهم وطول أنضية الأعناق والقمم
إذا غدا المسك يُجري في مفارقهم راحوا كأنهم مرضى من الكرم

(١) في الأصل تصحيف في بعض الكلمات ، والتصحيح من القاموس .

(٢) كان قائداً شجاعاً ، شهد وقائع خراسان سنة ١٠٢ وأصيبت عينه فجعل

عليها قطنة فعرف بها . وفي الاصل (ثابت بن فظنه) .

(٣) في أمثال الميداني « بليت بأشوس من حرباء تنضبة » .

وقال غيره :

كرّم يغيض الطرف فضل حياته
وكالسيف إن لا ينته لأن مسه

ويدنو وأطراف الرماح دوان
ووداه إن خاشنته خشان

وقال أبو دهب :

تزرر الكلام من الحياء تخاله
عقم النساء فلا يلدن شبيهه

صمتاً وليس بجسمه سقم
إن النساء بمثله عقم

ولا أمانة بين الناس عريانا

أجود ما قيل في تفضيل الجد على العقل والاختبار بأن الحظ والعقل لا يجتمعان قول الاول:

ومالب اللبيب بغير حظ
رأيت الحظ يستر عيب قوم

بأغى في المعيشة من قيل
وهيئات الحظوظ من العقول

والعرب تقول «اسع بجيد أودع» .

أجود ما قيل في التنزه والتصون وترك السؤال قول بعضهم : السخاء أن
تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً . فجعل اليأس مما في أيدي الناس
سخاءً لأن النفس إذا سخت وسمحت لم تتطلع إلى مال الغير كما انها اذا ضاقت
وحرصت ناقت الى ما ليس لها ، وهو معنى حسن دقيق أخذه ابن أبي حازم فقال:

ومنتظر سؤالك بالعطايا
أفضل من عطاياها السؤال

إذا لم يأتك المعروف طوعاً
فدعه فالتنزه عنه مال

وما أحسب اني سمعت في هذا المعنى أحسن من هذا وقلت :

ألا إن القناعة خير مال
وان تصبر فان الصبر أولى

لدى كرم يروح بغير مال
بمن عثرت به نوب الليالي

تجمل إن بليت بسوء حال
فان من التجمل حسن حال

أجود ما قيل في مضاء العزم وثبوت الرأي والفظنة من الشعر القديم قول

أوس بن حجر :

الألمعى الذي يظنُّ بك الظنُّ كأن قد رأى وقد سمعا
وقالت الحكماء لا يذمُّ الرجل بعمله حتى ينتفع بظنه . وكان عمر رضى الله
عنه يقول إذا أنا لم أعلم ما لم أرماعلمت ما رأيت . وقلت :

أما نك مصروفٌ إلى كلِّ راهبٍ وسبيك موقوفٌ على كلِّ راغبٍ
تباشرتِ الدنيا بجدِّ واكِّ واكتفتِ فلم تتباشرِ بالغيوثِ الصوائبِ
تبسمَ منك الدهرُ عن زائنٍ ^(١) له وعين عليه في اختلافِ النوائبِ
بصيرٌ له دونَ العواقبِ فكرةٌ تكشف عن رأى وراءِ العواقبِ
ليشركَ مجدُّه لانزالَ تحوطه وتحميه بالنصلينِ عزمٍ وقاضبِ
كأنى إذا أمسكتُ منك بعُرْوَةٍ أخذت باهدابِ الغيومِ السواكبِ
وليس في المضاء والعزيمة أجود من قول أى تمام :

وركب كأطرافِ الاسنةِ عرسوا على مثلها والليلُ تسطو غياهبه
لأمر عليهم ان تمَّ صدوره وليس عليهم أن تمَّ عواقبه
مأخوذ من قول الأول :

غلامٌ وغى تقمها فأودى وخانَ بلادُه الزمنُ الخوون
وكان على الفتى الاقدامُ فيها وليس عايه ماجنتِ المنون
وقوله : وقد علم الافشين وهو الذى به يُصانُ رداء الملك من كلِّ جانبِ
بأنك لما استخذل الأمر ^(٢) واكتسى اهابى سيني فى وجوهِ التجاربِ
تجلتهُ بالرأى حتى أريته به ملءَ عينيه مكانَ العواقبِ
سلت له سيفين رأياً ومنصلاً وكلُّ لنجمٍ فى الدجنةِ ناقبِ
وكنت متى تهزز لخطب تعشه ^(٣) ضرائب أمضى من رقاق المضاربِ
وقال : وسارت به بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنسا والقنابلِ

(١) فى هامش النسخة (راقب له) إشارة لنسخة فيها كذلك .

(٢) فى الديوان (النصر) . (٣) فى الاصل (لحظ تعيشه) .

ومن جيد ما قيلَ في كتمان السرِّ قول الأول :

تلاقت حيازي (١) على قلب حازم
أواخي رجالاً لستُ أطلعُ بعضهم (٢)
وقال الآخر: سأ كتمه سرى وأحفظُ سره
علم فينسى أوجهول يديعه
كتوم لما ضمت عليه أصابعه
على سرِّ بعضٍ ان قلبي واسعه (٣)
ولا غرني أنى عليه كريمُ
وما الناس إلا جاهل وعليم

والمثل السائر :

إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسه
فصدرُ الذي يستودع السرَّ أضيقُ

أحسن ما قيل في العقل ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد :

وأفضلُ قسمِ الله للمرءِ عقله
إذا كملَ الرحمنُ للمرءِ عقله
يعيشُ الفتى بالعقل في الناسِ انه
ومن كان غلاباً بعقل ونجدة
يزين الفتى في الناسِ صحة عقله
ويزري الفتى (٤) في الناسِ قلة عقله
ونحوه قول الآخر :

ولم أرَ مثلَ الفقرِ أوضعَ للفتى
ولم أرَ من عدمٍ أضرَّ على الفتى
إذا عاشَ بين الناسِ منعدم (٥) العقل

وقال سهل بن هرون : العقل راية الروح والعلم راية العقل والبيان ترجمان العلم.
أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أحمد بن عبد الواحد أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي
قال قال قس بن ساعدة أفضل العقل معرفة الرجل بنفسه (٦) وأفضل العلم وقوف

(١) في الأصل (حياذي) . (٢) في النسخ (بينهم) .

(٣) في النسخ (ذاسعة) . (٤) سقط « الفتى » من النسخ .

(٥) في الأصل (من عدم) . (٦) في نسخة (نفسه) .

المرء عند علمه وأفضل المروءة استبقاء الرجل ماء وجهه وأفضل المال ما قضيت منه الحقوق . ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال بأقوام جعلوهم أعلى ما فيها فضر بوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة فقالوا أحلم من الاحنف ومن قيس بن عاصم وأجود من حاتم ومن كعب بن أمامة وأشجع من بسطام وأبين من سحبان وأرمي من ابن تقن وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا أعقل من فلان فلم لهم لم يستكملوا عقل أحد على حسب ما قال الاعرابي وقد قيل له حد لنا العقل فقال كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط .

ووصف بعضهم الحجاج بالعقل وعكس أمره آخر فوصفه بالحق قال عتبة بن عبد الرحمن رأيت عقول الناس تتقارب إلا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف وإياس بن معاوية ، ثم قال أبو الصفدي كان الحجاج أحق بنى مدينته في بادية النبط ثم حامم دخولها فلما رحل عنها دخلوها من قرب . وقال يونس بن حبيب كان والله يفتق ولا يرتق . ويحرق ولا يرفق ، وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدياً من الحجاج فلما طال مكثه في ولايته واشتد في سلطانه وترك الناس الرد عليه فسداد به ، وقال له عبد الملك ان الرجل لا يكون عاقلاً حتى يعرف نفسه وأمير المؤمنين يقسم عليك لتخبره عن نفسك فقال أنا حديد حقود ذو قسوة حسود ، فانتحل الشر بمخذا فيره وجمه بزوره . ومن العجب أنهم قالوا من عرف نفسه نجا وقد عرف الحجاج نفسه وهو هالك . وقالوا العاقل لا يخبر بميب نفسه وقال بعضهم لا يعرف الرجل حقيقة ما اشتمل عليه من العيب كما أن آكل الثوم لا يجدر أن يجده من نفسه وقلت في ذلك :

لو تمَّ شيءٌ من الدنيا لذي أدبٍ لا نضاف مال إلى علمي وآدبي
 قتمَّ جاهي عند الناسٍ كاهمٍ وطابَ عيشي في أهلي وأصحابي
 عز الكمال فلا يحظى به أحدٌ فكلُّ خلقٍ وإن لم يدبرِ ذوطاب

وقال اسماعيل بن غزوان كل علم لا يكون في مغرس عقل وبيان لا يكون في نصاب علم وخلق لا يجري على عرقه فليس له ثبات إذا احتيج إلى الثبات وقال أبو داود :

على اعراقه يجرى المذكي وليس على تكلفه وجهه
وقال بعض الملوك لحاجبه : أدخل عليّ رجلاً عاقلاً فأدخل عليه رجلاً قال
بم عرفت عقله قال رأيتك يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتاء واللبيس^(١)
في الحر والجديد في القبر . وما قيل في علامة العاقل أعجب إلى من قول الأول :
علامة العاقل أن يكون عالماً بأهل زمانه حافظاً للسانه مقبلاً على شانه . وقال
بعضهم إنما تنفع التجارب من كان عاقلاً . ومما يدخل في الباب ما أخبرنا أبو أحمد
عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن عمه قال لم يقل أحد في التفرح بالمنادمة إلى
الاخوان والتسلي بمنامة أهل الحفاظ بمثل قول بشار حيث يقول :

وأثبتتُ عمراً بعض ما في جوانحي وجرعته من مرٍّ ما أتجرعُ
ولا بدّ من شكوي إلى ذي حفيظة إذا جعلت أسرار نفسي تطلع
ومن أجود ما قيل في ترك الشيء إذا أدبر قول بعض الاعراب :
إذا ضيعت أول كل أمر أبت اعجازه إلا التواء
وإن حملت أمرك كلَّ وغد^(٢) ضعيف كان أمر كما سواء
وإن داويت دنيا بالتناسي وبالبيان أخطأت الدواء
وقال الأعشى :

إذا حاجةٌ ولتلك لا تستطيعها فيخاطر فأم غيرها حين تسبقُ
فذلك أحرى أن تنال جسيمها وللقصد أهدى في المسير وألحقُ
ومن أجود ما قيل في المهابة من قديم الشعر ما ينسب إلى الفرزدق وهو أخيه
في علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما :

يفضي حياءً ويفضي من مهابته فما يكلمُ إلا حين يبتسمُ
جعلته مهيباً في السكون والاعضاء ولو جعلته مهيباً مع الصولة والبطش لما كان

(١) في النسخ غير منقوطة، واللبيس: الثوب قد أكثر لبسه فأخلق كافي القاموس .

(٢) في الأصل « رغد » .

كذلك فهو بليغ جداً . وأنشدنا أبو أحمد عن بعض رجاله لشاعر في بعض العلماء هو الامام مالك بن أنس إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى :

يأبى الجواب فما يرجع هيبه والسائلون نواكس الأذقان
هدى التقى وعز سلطان النهى وهو المهيب وليس ذا سلطان
ومن أحسن تشبيه جاء في الهيبة قولهم (كان على رؤوسهم الطير) وذلك أن الهائب تسكن جوارحه فكان على رأسه طائراً يخاف طيرانه إن تحرك وقال أبو نواس :
أضمر في القلب عتاباً له فان بدا أنسيت من هيبته
ومثل هذا في النسب كثير وشبيهه قول الأول :

أها بك إجلالاً وما بك قدرة على ولكن ملء عين حبيبها
وما هجرتك النفس أنك عندها قليل ولا أن قل منك نصيبها
لا ترى أجود من قوله « ملء عين حبيبها » ولا أحسن ولا أبغ ولعلك لا تجد لفظة تقوم مقامها ، ويقولون حسن يملأ العين . وهيبة تملأ الصدر . وقال
وتملأ عين الناظر المتوسم * وقال ابن الرومي :

في فتية من ولد المنصور أملأ للعين من البذور
وقال آخر * إذا ذكرت أمثالها تملأ الفم * وقد أجاد أبو تمام في صفة الهيبة والحفاة فقال :

نبت المقام يرى القبيلة واحداً ويبرى فتحسبه القبيل قبيل
وقال :

قد أترعت منه الجوانح هيبه^(١) بطلت لديها سورة الأبطال
لو لم يزاحفهم لزاحفهم له ما في قلوبهم من الأوجال
ومثله قول ابن المعتز :

أنا جيش إذا غدوت وحيداً ووحيد في الجحفل الجراء

(١) في ديوان أبي تمام « رهبة » .

وقلت في نحو ذلك :

قبيلكم في العزِّ يعلو قبائلاً وواحدكم في المجدِ يكثر معشراً
وقال الأشجع في إبراهيم بن نهيك وقد ولي المعونة :

شدَّ الخطامَ بأنفِ كلِّ مخالفٍ حتى استقامَ له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان إلا هيبةً تلقى البريءَ بفضلِ جرمِ المجرم
منعت مهايتك النفوسَ حديثها بالشيءِ تسكره وإن لم تعلم
ونهجت من حزمِ السياسةِ منهجاً فهمت مذاهبهُ الذي لم يفهم
وأبلغ من هذا كله ما أنشدناه أبو أحمد عن المبشمي عن المبرد :

وأبيت حياً في الحروب محاهم والجيش باسمِ أيهم يستهزم
يقول به الجيش يستهزم إذا ذكر فليس أبلغ منه . ومثله قول الفرزدق :
لييك وكيف خيل ليل مغيرة تساقى الحمامَ بارِ دينة السميرِ
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة دعوها وكيف والجياذ بهم تجرى
ومثله قول الآخر :

سماؤك تمطر الذهبا وحربك يلتظي لهبا
وأى كتيبة لاقتك لم تستحسن الهربا
فجعلها تستحسن الهرب إذا لاقته ولا تخشى اللائمة إذا فرت منه فهو غاية .
ومما هو بليغ في باب المهابة قول الأشجع :

وعلى عدوك يا ابنَ عمِّ محمدٍ رصدان ضوءُ الصبحِ والاضلامُ
فاذا تنبهَ رعتهُ وإذا غفا (١) سلت عليه سيوفك الاحلامُ
فنقله أبو نواس إلى غزل فقال :

قاسيتُ فيه الهومَ والأطما وصرتُ فيه بينَ الورىِ علما
أكون يقظان في تذكره حتى إذا نمتُ كان لي حلما

(١) في الأصل « هدى » .

ومما هو أبلغ من ذلك كله قول النبي ﷺ « نُصرت بالرُّعب » وما وصف أحد هية صاحب السلطان إذا بدا كما وصفها البحترى في قوله :

إذا ما مشى بين الصفوف تقاصرت رؤسُ الرجال عن أشم سميدع
 يقومون من بُعد إذا أبصروا به لا يبلج موقور الجلالة أروع
 ويدعون بالاسماءِ مثني وموحداً إذا حضروا باب الرواق المرفع
 وإن سار كفّ اللحظ عن كل منظر سواه وعض الصوت عن كل مسمع
 فاست ترى إلا إفاضة شاخص إليه بعين أو مشير بأصبع
 وقوله: تراءوك من أقصى الساطق قصرُوا خطاهم وقد جازوا الستور وهم عجل
 ولما قضا صدر السلام تهافتوا على يدِ بسام سجيته رسل
 إذا أسرعوا في خطبة قطعتمهم جلاله طلق الوجه جانبه السهل
 إذا نكسوا أبصارهم من مهابة ومالوا بلحظ خلت أنهم قبل

وقال أبو بكر الصولى وهو من البليغ :

إذا ما بدا والقوم فوق سرورهم تناثرت الأشراف منهم على الأرض
 وقال البحترى :

ومبجل وسط الرجال خفوفهم نقيامه وقيامهم لعوده
 فالله يكلؤه لنا ويحوطه ويعزه ويزيد في تأييده

أبلغ ماجاء في وصف العلم قول على رضى الله تعالى عنه : قيمة كل امرئ ما يحسنه .
 وشذ به بعضهم فقال : قيمة كل امرئ علمه .

ولأعرف في مدح العلم وعدّ خصاله أبلغ من كلامه رضى الله تعالى عنه خاطب به
 كـ ابن زياد أئبته لك هنا وان كان مشهوراً : أخبرنا أبو أحمد حدثنا الهيثم بن أحمد
 ابن إرياء حدثنا على بن حكيم الأذرى حدثنا الربيع بن عبد الله المدنى حدثنا
 عبد الله بن حسن عن محمد بن على عن آبائه عن كميل بن زياد قال أخذ بيدي على
 رضى الله تعالى عنه فلما أصحرتنا قال يا كميل إن هذه القلوب أوعية وخيرها أوطاها

فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج راع
أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يأووا الى ركن وثيق
يا كميل العلم خير من المال العلم يجرسك وأنت تجرس المال والمال تنقصه النفقة
والعلم يزكو على الانفاق ، يا كميل محبة العلم دين تدين به تسكتسب به الطاعة في
حياتك وجميل الاحدوثه بمد وفاتك، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، يا كميل
مات خزان المال والعلماء باقون ما بقى الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب
موجودة هاه ان ههنا لعالمًا جمًّا لو أصبت له حملة بلى أصبت لقنًا^(١) غير مأمون
يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا فيستظهر بحجج الله على أوليائه ، أو متقادًا لجملة الحق
لابصيرة له في اجنائه فيقذح الشك في قلبه عند أول عارض من شبهة ، أو لا ذا
ولا ذا فمنهوم بالذات سلس القياد للشهوات ومغرم بالجمع والادخار ليس من رعاة
الدين أقرب شهبًا بهم الانعام السائمة اللهم بلى لاتحلوا الأرض من قائم بحجة
إما ظاهر وإما خائف اثلاً تبطل حجة الله وتبيناه وكم وأين أولئك الأقلون عددًا
الأعظمون قدرًا بهم يحفظ الله تعالى حججه حتى يودعوها أسماع نظرائهم ويزرعوها
في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقائق الأمور فباشروا روح اليقين واستلانوا
ما استوعده المترفون وآنسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان
أرواحها متعلقة بالحل الأعلى ، يا كميل أولئك أولياء الله من خلقه وعماله في أرضه
والدعاة الى دينه هاه شوقًا الى رؤيتهم .

ومما حث به على تحفظ العلوم قول بعض الاوائل : خير العلم ما إذا غرقت

بسفينتك سبح معك ، وقال الخليل :

افخر وكأثر بالتقريب حجة إنها فخر المسكائر

واعلم بأن العلم ما أوعيت في صحف الضمائر

وقال أبو هلال رحمه الله تعالى لو قال « ماضنته صحف الضمائر » كان

(١) اللقن : السريع الفهم - كما في القاموس .

أجود ، وقال غيره :

استودع العلم قرطاساً فضيعه
وبئس مُستودع العلم القراطيس
وقلت : تقل غناء عن جهول مغمر
دفاتر تلتقى في الظروف وترفع
تروح وتغدو عنده في مضبغة
وكائن رأينا من نفيس يضيع
ومن المختار في طلاقة اللسان قول الآخر :

إذا قال لم يترك مقالاً ولم يقف
لمى ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان كما اتحنى
وينظر في اعطافه نظراً الصقر
ونحوه : لا خير في حشو الكلا
م إذا اهتديت الى عيوبه

وأجود ما قيل في إقامة الاعراب وترك التفسير ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

وبعجبني زى الفتى وجماله
ويسقط من عيني ساعة يلحن
على أن للاعراب حداً ورُبما
سمعت من الاعراب ما ليس يحسن
ولا خير في اللفظ الكريه استماعه
ولا في قببح اللحن والقصد أزين

سمعت أبا أحمد يقول أحسن ما سمعت في السؤال قول عبد الله بن العباس وقد
سئل بم أدركت هذا العلم قال بلسان سؤال وقلب عقول . ثم أخبرنا قال أخبرنا
الحسن بن علي بن عاصم ثنا الهيثم بن عبد الله حدثنا علي بن موسى الرضى حدثني
أبي حدثني أبو جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن الحسن رضى الله تعالى عنهم
قال قال رسول الله ﷺ « العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فإنه يؤجر فيه
أربعة السائل والمستمع والعالم والمحب لهم » وأجود ما جاء في السؤال من الشعر
ما أنشدناه أبو أحمد أنشدنا ابن الانبارى عن أبيه :

شفاء العى في طول السؤال
وعذلك في المقال وفي الفعال
وبحثك في الأمور عن المعاني
وتخريج المقال من المقال
وقولاك بالصواب إذا أتت
شواهدك ورفضك للجدال
وصمتك حين تسمع من حكيم
ليفهمك الصحيح من المحال

أجود ما قيل في صفة اللسان وأتمه ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أحمد بن عيسى العكلى حدثنا الخليل عن عبد الله بن صالح بن مسلم القاضي قال قال بعض الحكماء لابنه يا بني اللسان أداة يظهر بها البيان وشاهد يخبر عن الضمير وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يزد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة ومعزيرد الأحران وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو إلى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغين ومُله يوقف الاسماع ألا ترى أن الله تعالى رفع درجة اللسان بأن أنطقه بالتوحيد وليس شيء من الجوارح ينطق به غيره .

ومن أجود ما احتج به للكلام ما أخبرنا به أبو أحمد حدثني أبي حدثنا أحمد ابن أبي طاهر حدثنا أبو تمام قال تذاكرنا الكلام في مجلس سعيد بن عبدالعزيز التبوخي وحسنه والصمت ونبله فقال سعيد ليس النجم كالقمر انك إنما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شيء فهو أكبر منه . ومثله ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن أحمد حدثنا أبو تمام حدثنا أبو عبد الرحمن الأموي قال ذكر الكلام في مجلس سليمان بن عبد الملك فذمه أهل المجلس فقال سليمان كلا إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس كل من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

ومن أجود ما احتج به للصمت ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبي أخبرنا أحمد بن أبي طاهر حدثنا حبيب بن أوس حدثني عمرو بن هاشم البيروتي قال تحدثنا بيباب الأوزاعي وفينا اعرابي من بنى عليم بن ضاب لا يتكلم فليل له بحق ما سميت خرس العرب ألا تتحدث مع القوم فقال إن الحظ للمرء في أذنه وأن الحظ في لسانه لغيره وإنما جعل للمرء أذنان ولسان ليكون استماعه ضعف كلامه . قال فحدثنا الأوزاعي فقال والله لقد حدثكم فأحسن .

وقد سوى بعضهم بين الصمت والكلام فحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي تمام حدثني يحيى بن اسماعيل الأموي حدثني اسماعيل

ابن عبید اللہ قال قال جدی : الصمت منام الماقل والنطق یقظته ولا یقظة إلا بمنام . قال أبو ہلال : وأنا أقول الصمت یورث الحبسة والحصر وإن اللسان كلما قلب وأدیر بالقول کان أطلق له : أخبرنی بعض أصحابنا قال ناظقت فنی من بعض أهل القرى فوجدته ذلیق اللسان فقلت له من أين لك هذه الذلاقة قال كنت أعد كل یوم إلى خمسیں ورقة من كتب الجاحظ فأقرأها برفع صوت فلم أجز علی ذلك مدة حتی صرت إلى ماتری . وسمی البیان سحرّاً لدقة مسلكه وأول من نطق به رسول اللہ ﷺ وهو من أجمع ما مدح به البیان : حدثنا أبو القاسم عبد الوہاب بن ابراہیم أخبرنا أبو بكر أحمد بن حماد العقدی أخبرنا أبو جعفر أحمد بن الحارث الخزاز أخبرنا المدائنی قال قال أبو الحسن بن مسلم بن محارب بن مسلم بن زیاد عن عیینة بن عبد الرحمن عن أبیه أن رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قال لعمر بن الاہتم أخبرنی عن الزبرقان بن بدر فقال مطاع فی أذنیہ شدید العارضة مانع لما وراء ظهره . فقال الزبرقان : إنه لیعلم منی أكثر من هذا ولكنه حسدنی . فقال عمرو : أما واللہ یارسول اللہ انه لزم المروءة ضیق العطن أحمق الوالد لئیم الخال وما كذبت فی الأولى ولقد صدقت فی الأخری رضیت فقلت أحسن ما أعلم وسخطت فقلت أسوأ ما أعلم فقال رسول اللہ ﷺ (ان من البیان لسحراً وان من الشعر لحكمة) وأما تعجب رسول اللہ ﷺ من نقضه وإبرامه فی حال واحدة ومثل هذا من البلاغة أصعب مراماً وأعجز مطلباً وقد أشبعنا القول فیہ فی کتاب صنعة الکلام .

ومما یدخل فی بابہ ما أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا الصولی حدثنی الطیب بن محمد الباہلی قال موسى بن سعید بن عن أحمد بن یوسف الكاتب قال دخل خالد بن صفوان التیمی علی أبی العباس السفاح وعنده أخواله من بنی الحارث بن كعب فقال له ماتقول فی أخوالی قال هم ہامة الشرف وخرطوم السکرم وغرس الجود إن فیہم لخصالاً ما اجتمعت فی غیرہم من قومہم انہم لأطولہم أمماً وأکرمہم

شياً وأطعمهم طعاماً وأوفاهم ذمناً وأبعدهم همأهم الجرة في الحرب والرغد في الجذب والرأس في الخطب وغيرهم بمنزلة العجب . فقال لقد وصفت أبا صفوان فأحسنت فزاد أخواله في الفخر ففضب أبو العباس لاعمامه فقال أفخر يا خالد فقال أعلى أخوال أمير المؤمنين فقال نعم وأنت من أعمامه فقال وكيف أفخر أقواماً هم من بين ناسج برد وسائس قرد ودانج جلد دل عليهم الهدهد وغرقتهم الفأرة وملككتهم امرأة . فأشرق وجه أبي العباس وجعل يضحك . قال وحدثني ابن المزرع قال سمعت عمرو بن بحر الجاحظ وقد ذكر كلام خالد هذا يقول والله لو نفكر في جمع معانيهم واختصار اللفظ في مثاليهم بعد ذلك المدح المهذب سنة لكان قليلاً فكيف على بديه لم يرض فكراً .

وأجود ما قيل في كراهة المزاح قولهم ان المزاح هو السباب الاصغر ، وقيل المزاح سباب النوكي . وأجود ما قيل في تخوف عاقبته قول أبي نواس :

انه نار وقدح القادح وأي جسد بلغ المسازح
ومثله : صارَ جسدًا مافرحت به رُبَّ جدٍ جرَّه لعب

وقلت : غضبت للمزح ولم تنظر في موقعه المزح في موضعه كالجد في موضعه .

أجود ما قيل في التظافر والتعاون قول قيس بن عاصم المنقري يوصي ولده وقومه وجدت في كتاب غير مسموع لما حضر عبد الملك بن مروان الوفاة وعابنته وقال يا بني أوصيكم بتقوى الله وليعطف الكبير منكم على الصغير ولا يجهل الصغير حق الكبير وأكرموا مسلة بن عبد الملك فانه نابكم الذي عنه تعبرون ومجنكم الذي به تستجيرون ولا تقطعوا من دونه رأياً ولا تعصوا له أمراً ، وأكرموا الحجاج بن يوسف فانه الذي وطأ لكم المغابر وذل لكم قارب العرب وعليكم بالتعاون والتظافر وإياكم والتقاطع والتدابير . فقال قيس بن عاصم لبيته :

بصلاح ذاتِ البينِ طولُ بقائكم إن مُدَّ في عمري وإن لم يمدد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود

إن القداح إذا جمن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش أيبد
 عزت ولم تكسرو إن هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد
 ثم قام علي بن خالد بن يزيد بن معاوية وخالد بن عبد الله بن أسيد فقال لهما قد
 حضر من الأمر ماريان فان كان في نفوسكما شيء من بيعة الوليد نزعناه وجعلنا
 الأمر حيث شئتما قالوا بل رضينا أكل الناس لها وأقواهم عليها قال أما والله لو
 غيرها قلتما لتما قبلي ثم رفع طرف فراشه فإذا تحته سيف مجرد فقال للوليد لأعرفنك
 إذا أنامت تعصر عينيك وتمسحها نعل الأمة الوعكاه شمر وبرز والبس جلد
 النمر وادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا . ثم لم يزل
 متمثلاً بقول الشاعر :

وهل من خالد أما هلكنا وهل بالموت بالناس عار
 ثم قال الحمد لله الذي لا يبالي أصغير هلك في ملكه أم كبير ثم قضى . فقال هشام
 ابن عبد الملك :

وما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما
 فسمعها الوليد فتظير منها فرفع يده فلطمه وقال إنك أعور مشؤوم هلاقت كما
 قال التميمي :

إذا سيدنا منا ذرا حد نابه تخمط فينا ناب آخر مكرم
 فسمع مسلة الصيحة فقال ذروا الصياح فانكم إن استقمتم استقام الناس
 وإن اختلفتم اختلفوا .

أخبرنا أبو حمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال
 كان عبد الملك بن مروان ذات ليلة في سمره مع ولده وأهل بيته وخاصته فقال ليقبل
 كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفضل من رأى من الشعراء تفضيله
 فأنشدوا وفضلوا فقال بعضهم أمرؤ القيس وقال بعضهم النابغة وقال بعضهم
 الأعتى ، ولما فرغوا قال أشعر والله من هؤلاء جميعاً عندي الذي يقول :

وذى رحمٍ قلمتُ أظانارَ ضغنه
 إذا سُمتهُ وصلَ القرابةِ سامنى
 وأسعى لىكى أبنى ويهدم مصالى
 يحاولُ رغمى لا يحاولُ غيرهُ
 فان أنتصر منه أ كن مثلَ رائش
 فبادر متى التأى والمرءُ قادرُ
 فان أعفُ عنه أغض جفنا على القذى
 حفظتُ الذى قد كان بينى وبينه
 فما زلتُ فى لِين له وتطف
 لا ستلَّ منه الضغنَ حتى سلاته
 فقالوا يا أمير المؤمنين من قائل هذه الأبيات فما أحسنها وأرضاها قال معن
 ابن أوس المزنى .

ومن أجمع ما قيل فى المعروف قول النبي ﷺ « المعروف كاسمه » أخبرنى
 عم أبى عن أبيه قال قال العتابى كنت واقفاً بباب المأمون أنتظر من يستأذنه لى
 فأقبل يحيى بن أ كتم فقمته ليه فقلت استأذن لى على أمير المؤمنين فقال لست
 بحاجب فقلت ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان قال سلكت بى غير سبيلى قلت
 ان الله قد آتفك بجاه وهو مقبل عليك بالزيادة ان شكرت وبالنقصان ان كفرت
 وأنا لك منذ اليوم أنفع منك لنفسك أدعو الى ازدياد نعمتك وتأبى على ولكل
 شىء زكاة وزكاة الجاه رفق المستعین وقد قال رسول الله ﷺ (أفضلُ المعروف
 فضلُ جاهك تعود به على من لاجاه له) فقعدت ودخل فما لبث ان خرج
 الحاجب يسأل عنى فدخلت فقال حدثنا أبو نصر التمار عن سفيان بن عيينة عن
 ابن نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله
 ﷺ على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وجعفر الطيار وعمر بن الخطاب

رضي الله تعالى عنهم أجمعين فذاكروا المعروف فقال علي : المعروف حصن لمن الحصون وكنز من الكنوز فلا يزهدنك فيه كفر من كفره فقد يشكر الشاكر ماضاعه جحود الكافر . وقال العباس : المعروف أفضل الأمور وأوثق الحصون ولا يتم إلا بثلاثة تعجيله وتصغيره وستره فاذا عجلته هنأته واذا صغرت عظمته واذا سترته تمتته ان بأهل المعروف من الرغبة أكثر مما بأهل الحاجة اليهم وبيان ذلك أن لهم ذكره وسناؤه ونفخه فمهما أتيت من معروف فانما أتيت لنفسك . وقال عمر إن لكل شيء أنفاً وأنف المعروف السراح . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « فيم أتم » فقالوا تنذاكر المعروف فقال عليه الصلاة والسلام « المعروف كاسمه وأول من يدخل الجنة المعروف وأهله » .

ومن أجود ما قيل في بذل المعروف وان كان قليلاً ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجوهري عن المنقري عن الأصمعي عن بعض العباسيين قال كتب كلثوم بن عمرو الى رجل في حاجة : بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه وجنته . أما بعد فانك كنت روضة من رياض الكرم تتسبح النفوس بها وتستريح القلوب اليها وكنا نغنيها من النجعة استتماماً لزهرتها وشفقة على نضرتها وادخاراً لثمرتها حتى مرت بنا في سفرتنا هذه سنة كانت قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها وأخلفتنا غيومها وكذبتنا بروقها وفقدنا صالح الاخوان فيها فاتجعتك وأنا بأتجاعي بك كثير الشفقة عليك مع علمي بأنك نعم موضع الزاد واعلم بأن الكريم إذا استحى من اعطاء القليل ولم يحقر الكثير لم يعرف جوده ولم تظهر منه وأنا أقول في ذلك :

ظل اليسار على العباس محدود	وقلبه أبدأً بالبخل معقود
إن الكريم ليخفي عنك عسرته	حتى تراه غنياً وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل	زرر الميون عليها أوجه سود
إذا تكهرت أن تعطى القليل ولم	تفزع على سعة لم يظهر الجود

بث النوال ولا ينفك قلته فكل ماسد فقراً فهو محمود
قال فشاطره ماله حتى بث إليه قيمة نصف خاتمه وفرد نعله . ومن مليح ماجاء

في هذا المعنى قول ابن الرومي :

أبا عمرو لك المثل المعلى	وجدتُ عدوك التربُّ الذليلُ
رأيت المظلَّ ميداناً طويلاً	يروضُ طباعهُ فيه البخیلُ
فما هذا المظالمُ فدتك نفسى	وباعك بالندى باعٌ طويلُ
أظنك حينَ تقدرُ لي نوالاً	يقلُّ لديك لي منهُ الجزيلُ
فلا تقدر بقدرك لي نوالاً	ولا قدرى فيحقرُ ماتيلُ
وأطلق ماتهمُ به عساهُ	كفافي أيها الرجلُ النیيلُ
وإلا فالسلامُ عليك منى	نبت دارُ فالمرعَ بي الرحيلُ
إذا ضاقت على أمل بلادُ	فما سدت على عزيمِ سبیلُ

وقال غيره :

وما الجودُ عن فقرِ الرجالِ ولا الغنى
ولكنهُ خيمُ الرجالِ وخيرها
ومن عجيب المعاني في عظم السؤالِ وموازنته للنوال بل رجاحته عليه ما
أخبرنا به أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد أخبرنا السكن بن سعيد عن محمد بن
عباد قال دخل كوثر بن ذفر بن الحارث الكلابي على يزيد بن المهلب فقال له أيها
الأمير أنت أعظم قدراً من أن تستعان أو يستعان عليك وليس تفعل من المعروف
شيئاً إلا وهو يصغر دونك وأنت أكبر منه وليس العجب أن تفعل ولكن العجب
أن لا تفعل . فقال سل حاجتك قال حملت عشر ديات وقد بهظنتي فقال قدأمرت
لك بها وشفعتها لك بمثلها فقال أما سألتك بوجهي فأقبله منك وأما ما ابتدأتني
به فلا حاجة لي فيه . قال ولم وقد كفيتك مؤنة السؤال ؟ قال لا لي رأيت الذي
أخذت مني بمسألتي إياك بوجهي أكثر مما نالني من عرفك وكبرهت الفضل على
نفسى . فقال له يزيد أسألك بحقك على لما رأيتني أهله من انزال الحاجة بي الإقبلتها قبليها .

وسأل العتابي رجلاً فحصر وأقل فقبل له قد أقلت فقال وكيف لا أقل
ومى ذل المسألة وحيرة الطلب وخضوع الهيبة وخوف الرد . وقيل لا آخر متى
يكون البليغ عيباً قال إذا سألت حاجة لنفسه . وقال أحمد بن أبي خالد الأحمول :
ما استكثرت بذلاً بذلته قط لأنى أرى الأجر والشكر أكثر منه ولا استصغرت
معروفاً قط لأنى أراه أكبر من تركه .

ومن جيد ما قيل في الترغيب في المعروف قول الأول :

فانك لا تدري إذا جاء سائلٌ أنت بما تعطيه أم هو أسعدُ
عسى سائلٌ ذو حاجةٍ إن منعه من اليوم سؤالاً أن يكون له غدُ

هذا آخر كتاب الخصال والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد
النبي الأُمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى بصرنا سبل الحمد ووقفنا على طرق الظم لنضع كلاً منهما في موضعه
ونستعمله في حينه ونلحقه بمستحقه إذ ذكروا من أحبه فقال (نعم العبد إنّه أوّاب)
ووصف من مقتله فقال (هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَعِيمٍ مَنَاعٍ لِلسَّخِيرِ مُعْتَدٍ
أَتَيْمٍ عُتْلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَرِيمٍ) فذم قوله وفضله وطاب شيمته وخلقه وهتك
بالشم عرضه وسود بالذم وجهه جزاء بما اكتسب من ذميم الفعل ووفقاً لما أطلقه
من اسم المقال نكلاً من الله والله عزيز حكيم . وصلى الله على نبيه محمد البشير النذير
الداعي إلى الله بأذنه والسراج المنير وعلى آله الطيبين وعترته .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في المعاتبات والهجاء والاعتذار وهو :

﴿ الباب الثالث من كتاب ديوان المعاني ﴾

وهو يشتمل على ثلاثة فصول

﴿ الفصل الأول في المعاتبات ﴾

فمن أوائل ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال قال عليه الصلاة والسلام لطلحة حين رأى تلونه عليه « فراق جميل خير من صُحبة على دَخْنٍ » والدخن والدخل الفساد والمدخول الفاسد وقد دخل فسد ، وروى (على دخل) ومن قديم ماجاء في ذلك قول أبي ذؤيب :

تريدنَ كما تجمعينِ وخالداً وهل يُجمعُ السيفانِ ويحك في غمد

يقول لأُم عمرو امرأة من هذيل وكان رجل منهم يقال له وهب بن عمرو - وقيل وهب بن جابر - هويها فامتنت عليه فخرج يوماً يتصيد فختل ظبية فلما أخذها أنشد :

فمالكِ يا شبيهة أمِّ عمرو إذا طابتنا لا تأمنينا

فمينك عينها اذ تنظرينا^(١) وجيدك جيدها لو تنطقينا

وساقك ساقها^(٢) ولا أمِّ عمرو خدلجة يضيقُ بها البرينا

ورأسك أزعر ولا أمِّ عمرو غداً يُعفرنَ وينثنينا

ثم خلا منها فبلغ ذلك أم عمرو فواصلته وكان رسوله اليها أبو ذؤيب فلما أبيع وترعرع رغبت اليه واطرحت وهباً وخشى أبو ذؤيب الفضيحة فقصر عنها

(١) «تنظرينا» غير موجودة في الاصل . (٢) (ساقها) غير موجودة في الاصل .

وجعل يرسل إليها خالد بن ابراهيم^(١) فلم تلبث ان علفت خالداً وتركت أبا ذؤيب
فجعل أبو ذؤيب يعاتب خالداً ، مثل قوله :

فنفسك فاحفظها ولا تُبَدِّدْ^(٢) للعدى من السرِّ ما يُطَوَّى عليه ضميرُها
رعى خالدٌ سرِّي لياليَ نفسهُ توالى على قصدِ السبيلِ أمورُها
فلما تراماهُ الشبابُ وغيهُ وفي النفس منه غيرةٌ ونحورها^(٣)
لوى رأسه عني ومال بودةُ أفانيجُ حَوْدٍ كان فينا يزورها
تعلقه منها دلالٌ ومقلَّةٌ تظلُّ لأصحابِ الشقاءِ تدبرها
وما أنفسُ الفتيانِ إلا قرائنُ تبينُ ويبيقُ^(٤) هامها وقبورها
فأجابه خالد :

لا يبعدين الله حلمك اذ غزا وسافرَ والاحلامِ جمَّ عثورها
لعلك إما أمُّ عمرو تبدلتِ سواك خليلاً شامئاً تستخيرها^(٥)
فلا تجزعن من سنة أنت سرتها فأول راضُ سنة من يسيرها
وهذا جواب لانرى أقطع منه لأنه ذكر أنه انما جوزى بمثل فعله :
فان التي فينا زعمتَ ومثلها لفيك ولكني أراك تجوزها^(٦)

(١) خالد هذا هو ابن أخت أبي ذؤيب وابن عمه ، على ما في ديوان أبي
ذؤيب ، وفيه (خالد بن زهير) لا (بن ابراهيم) . وأبو ذؤيب هو خويلد بن خالد
ابن محرث من بني تميم بن سعد بن هذيل ، شاعر مفلق ، أدرك الجاهلية والاسلام
قدم المدينة على النبي ﷺ وهو في مرضه فات قبل وصوله بلييلة وشهد دفنه ، وتوفي
في خلافة عمر ، وسئل حسان : من أشعر الناس فقال حياً أم زجلاً ؟ قالوا حياً
قال هذيل ، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب . (٢) في نسخة «نفس» .
(٣) في ديوان أبي ذؤيب «فتنة وفجورها» . (٤) في الاصل (ويثني) .
(٥) تستخيرها : تستعطفها وأصله أن الغزال والعجل يخور إلى أمه فتجيبه ، معناه
تطلب منها أن تجيبك . (٦) تجوزها أي تصدل عنها . وفي الديوان (تجوزها) .

لم تنتقذها من ابن عويمر وأنت صقي نفسه وسجيرها
فان يك يشكوم من قريب مخانة^(١) فتلك الجوازي عقبها ونصورها
وفيه يقول أبو ذؤيب:

يرى ناصحاً فيما بدا فاذا خلا فذلك سكين على الخلق حاذق
ثم ان وهباً بعث ابنه عمراً فوهب لها ذات يده فواصلته وكان لعمر و علائقتها
وخلاد سرها فجاء خالد ليلاً وعمر و معها على شراب فقتله وهرب فبلغ الخبر وهباً
فركب في جمع فقبعوه حتى لحقوه فقتلوه فقال أبو ذؤيب يرثيه:

لعمر و أبي الطير المربة غدوة على خالد ان قد وقعن على لحم
كليه وربى لن تعودى بمثله عشية لآفته المنية بالردم
فانك لو أبصرت مصرع خالد منعت^(٢) الستار بين أظلم فالحزم
علمت بأن الباب ليست؟ ولا البكر لاضمت يدك على غم
ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا التفت الأبطال مجتمع الحزم
ومن قديم العتاب الممزوج بالشكوى قول جميل:

لحي الله من لا ينفع الودُّ عنده ومن حبله إن مدَّ غير متين
ومن هو إن تحدث له العين نظرة تقصب لها أسباب كل قرين
ومن هو ذو لونين ليس بدائم على العهد خوان لكل أمين
ومن هو عند العين أما لقاؤه فحلوه وأما غيبه فظنون

وكتب بعض الكتاب: لو كنت أعلم أنك تعتب إذا طابتك سلكت في
ذلك مذهباً لا يبلغ فيه القصوى ولا اقتصر على الأدنى ولا أخليتك من الاستزادة
في غير شكوى والتعريف في غير تعنيف والاحتجاج في غير تنكيت ولا توقيف
ولكن شر القول مالا يسمع وليس لقاؤه فيه منتفع وأشبه البر بالمعوق ما استكرهت

(١) في ديوان أبي ذؤيب (وان كنت تشكو من خليل مخانة) وفي النسخ

نقص كلمات في الايات استدر كناها من الديوان . (٢) في النسخ غير منقوطة:

عليه النفوس ، وقد قال الشاعر :

وليس بمغن في المودة شافعٌ إذ لم يكن بين الضلوعِ شفيعٌ
وكتب الكرخي : قد واصلت أياماً تباغاً غدوًّا إليك ورواحاً حتى ملني البكور
وسمى التهجير وشكائي الطريق ولخاني الصديق في كل ذلك أعاق بالحجاب
وتستقبلني ردة البواب :

ولاخير في ودِّ امرئ متكارهٍ عليك ولا في صاحبٍ لاتواقته
وهذا ذره^(١) عتاب جاش به الصدر وضاق عن كتمانهِ الصبر فان عطفك
حفاظ فأهل الفضل والبر أنت وإلا فاني على العهد الذي كان بيننا ولا أقول كما قيل :
فما ملني الانسانُ إلا ملتهُ ولا فاني شيءٌ فظلت له أبكى
ولا أقول كما قيل :

وإني على عهد الأخلاءِ دائمٌ ولست إذا مال الصديقُ على حرفٍ
إذا أنالم أصفح وأغضض على القذى فلا انبسطت في الحادثاتِ إذا كفي
ومن أظف الكلام قول بعض الكتاب : أنفذ إلى أبو فلان كتاباً منك
فيه ذره عتاب كان أحلى عندي من تعريسة الفجر وألذ من الزلال العذب
فلك العتيبي ولبيك وسعديك داعياً مستجاباً له وعاتباً معتذراً إليه ولو شئت مع
ذلك أن أقول إن العتب عليك أوجب والاعتذار لك أزم لقلت ولسكني
أسامحك ولأشاحك وأسلم لك ولا رادك لأن أفعالك عندي مرضية وشيمك لدى
مقبولة ولولا أن للحجة موقعا لفصرت العنان عما أجريت إليه من هذا العتاب
وكففت اللسان عما أطلقته فيه من مر هذا الخطاب وقلت :

إذا مرضتم^(١) أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذرُ
ولا ترى كلاماً أظف من هذا ولا أحسن في معناه . وكتب بعضهم لست
أقتضى الوفاء بكثرة الإلحاح فأثقل عليك ولا أقبل الجفاء بترك العتاب فأغتم

(١) في القاموس : ذره من خير : شيء منه . (٢) في الاصل (إذا مرضنا) .

القطيعة منك والمثل السائر « ويبقى الود ما بقى العتاب » . وقلت :

أمنماً إذا جتكم أستعيرُ فكيف إذا جتُ أستوهبُ
ومثلي إذا كان في معشرٍ فلعزُّ عندهم منكب
يقرب مثلي إذا ما نأى ويكرم مثلي إذا يقرب
عتبتك للود لا للقلبي وواصل صديقاً ماتعتب

ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

إذا رأيتُ ازوراراً من أخى ثقة ضاقتُ على برحبِ الارضِ أوطاني
فإن صددتُ بوجهي كي أكافتهُ فالعينُ غضبي وقلبي غيرُ غضبان

وقد أحسن العباس بن الأحنف في قوله :

كنا نعاتبكم لياليَ عودكم حلوا المذاقَ وفيكم مستعتبُ
فالآن اذ ظهرَ التعتبُ منكم ذهبَ العتابُ وليس عنكم مذهب
ومن مشهور العتاب قولهم :

طال المطالُ فلا خلودَ فحاجةٌ مقضيةٌ أو برُّ ينفعُ
واعلمُ بأنى لأمرشُ بحاجةٍ إلا وفي عمري بها مستمتع
ومن جيد المعانيات قولُ أبي تمام في أبي دلف :

يا أيها الملكُ النائي بفرتهِ (١) وجوده لمرجى (٢) جوده كسبُ
ليس الحجابُ بمقصٍ عنك لي أملاً إنَّ السماءَ تُرجسى حينَ نحتجب
مادونَ بابك لي بابِ أودُ به وما وراءك لي مشوى ومطلب
وقوله في أبي سعيد :

لعوركِ لليأسِ غيرُ المرثِ خيرٌ من الطمعِ الكاذبِ
وللريبِ تحصره بالنجاحِ خيرٌ من الأملِ الخائبِ

وقال يعاتب موسى بن إبراهيم الرافعي في ضنه عنه بجاهه :

(١) في الاصل « برؤيته » . (٢) كذا في ديوان أبي تمام ، وفي الأصل « مراعى » .

سأقطع أرسانَ العتابِ بمنطقٍ
وانَّ امرأً ضنتُ يدهاُ على اسرىءِ
أخذه من قول مسلم :

وأحبتُ من حبها الباخلينَ
إذا سئلتُ عرفاً كسا وجهه
بغارٍ على المالِ فعلَ الجوادِ
وقول أبي تمام :

لا ل وهبٍ أكفُّ كلما اجتديتُ
قومٌ تراهم غيارى دُونَ مجدهم
ومنها: دنيا ولكنها دنيا ستنصرم
ومنها: فلا تقل قدمٌ أزرى ببهجتهِ
. وقد أحسن ابن الرومي وأجاد في قوله لقومٍ إستعان بهم فأعانوا خصمه :

تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا
وقد كنت أرجو منكم خيراً ناصر
فان أنتم لم تحفظوا لمودتى
قفوا موقفَ المذمور منى بمنزل
هى النفسُ إما أن تعيشَ عزيزةً
عفاءً على ذكر الحياة إذا حمت
وهذا مثل قوله أيضاً :

عفاءً على الدنيا إذا مستحقها
بهاها ولن يرجى لديه منوعها

وسأل بعض الزرّساء أن يكتب له كتاباً إلى رئيس فقال :

أتبخلُ بالقرطاسِ والخطِّ عن نخ
وكفأكَ أندى في العطايا من الرزى

(١) في ديوان مسلم المطبوع «نيا بآمن اللؤم حمراً وسوداً». (٢) في الديوان «آن يجوداً».

فلا يكن المبتدول للوم ^(١) سممه وقرطاسه ^١ بين الصيانة والخزن
وهي طويلة. وقال جحظة يعاتب على شدة الحجاب :

الله يعلم أننى لك شاكر ^٢ والحرف للفعل الجميل شكور
لكن رأيت بيب دارك جفوة ^٣ فيها لصفو صنعة تكدير
مابال دارك حين تدخل جنة ^٤ وبيب دارك منكر ^٥ ونكير
غيره : ^(٦) سأترك هذا الباب مادام إذنه على ما أرى حتى يلين قليلا
إذالم أجد يوماً إلى الآن سلماً وجدت ^٧ إلى ترك الحياء سبيلا
وقول أبى تمام * ان السماء ترجى حين تحتجب * مأخوذ من قول الأوّل :
وإنى لأرجوكم على بطء سعيكم كما في بطون الحملات رجاء
وقد أحسن أبو تمام في معاقبة ابن أبى دواد واستبطائه إياه في قوله :
رأيت الملا معمورة منك دارها إذا اجتمعت يوماً ^(٨) وقرّ قرارها
وكم نكبة ظلماء تحسب ليللة تجلى لنا من راحتك نهارها
فلا جارك العافي تناول محلها ولا عرضك الوافي تناول ظارها
فلا تمكن المظل من ذمة الندى فبئس أخوالأيدى الكبار ^(٩) وجارها
فان الأيدى الصالحات كبارها إذا وقعت تحت المطال صغارها
وما نفع من قدبات بالأمس صادقاً ^(١٠) إذا ماسمأ اليوم طال انهارها
وخير عدات المرء ^(١١) محتضراتها كما أن خيرات الليالى قصارها
وما العرف ^(١٢) بالسويف الا كخلة تسليت عنها حين شطّ مزارها

(١) (للوم) ساقطة من الأصل فاستدر كناها من ديوان ابن الرومى المخطوط .

(٢) نسبها ابن خلكان لأبى العميل ، وفيه (يخف) مكان (يلين) و (اللقاء)

في موضع (الحياء) . (٣) في ديوان أبى تمام « جأشاً » .

(٤) في ديوان أبى تمام « الغزار » . (٥) في الأصل « ضارياً » .

(٦) في ديوان أبى تمام « الحر » . (٧) في الديوان « وما النفع » .

وقد أحسن في هذه الأبيات ما شاء وفي قوله أيضاً للملك بن طوق وقد حجبه :
 قل لابن طوق رحاسعد إذا خبطت نوائب الدهر أعلاها وأسفلها
 أصبحت حاتمها جوداً وأحنفها حلاماً وكيسها علماً ودغفلها
 مالي أرى الحجر الفيجاه^(١) مقفلةً عني وقد طال ما استفتحت مقفلها
 كأنها جنة الفردوس معرضة وليس لي عملٌ زاك فأدخلها
 وليس لهذا التمثيل نظير في حسنه وبراعته ..

وكتب الصحاح أبو القاسم^(٢) إلى بعضهم يعاتبه في صغر كتابه إليه : كتابي
 وعندي نعم من أعظمها خلوص ودك وبقاء عهدك ورد لي كتاب حسبته
 يطير من يدي لحنه ويلطف عن حسي لقلته وعهدي بك تروى إذا سقيت
 وتجزل إذا أعطيت فما الذي أحالك وبدل حالك أملال أم كلال أم اقلال وليس
 عندي أنك تملُّ صديقاً صدوقاً وشفيقاً شقيقاً ولا عندي أنك تكمل ولو ملأت
 الأرض كلاماً وشحنت صفحات الجو نظاماً ولا عندي أنك تقلُّ وبجر فضلك
 فياض وثوب علمك فضفاض فما أملك وقد نبوت وزهدت وجفوت إلا أن أصبر
 على هجرتك كما تمتعت بصلتك لتكون عني نسخة أخلاقك إذا قربت وبعدت
 ووصلت وصددت وأكره أن أطيل وقد قصرت وأكثرت وقد أقلت فتسأمني كما
 سئمت عادتك وتتركني وقد تركت شيمتك فأحب أن تطالني بأخبارك وعوارض
 أوطارك إن شاء الله تعالى :

إذا أنت ثابتة الصديق ولم يكن يودك لم يعتبك حين تعاتبه
 ومن يرع شرقى البلاد سوامه وغربها يملكه ؟ صاحبه
 ومن يخلط الماء الزلال بأجن من الماء تجب ما تطيب مشاربه
 وكتبته - أبا عن كتاب نقصت فيه من الخطاب : وقفت على الفصل
 المؤذن بالجفاء المشتمل على سوء الجزاء وعلى ما احتواه من ذنوب الخطاب ووضع الدعاء

(١) في ديوان أبي تمام «البيضاء» . (٢) هو الصحاح بن عباد الوزير البليغ المشهور .

وعجبت كيف حططت الدماء من رتبته المعروفة وخفضت الخطاب عن درجته
 المألوفة وأنت على منزلتك لم تزد تقيراً وأنا في درجتي لم أنقص قطيراً فكيف
 لو زدت زادك الله بصراً بمالك وعليك وأراك من عييك مالا يتصور لديك
 وكفالك من شر نفسك ما هاصر عليك من كيد عدوك وشماتة حسودك ولا
 أختر لك أن تتكبر كلما تكبر وتتجبر كلما تجبر فقد سمعت ما قال يحيى بن خالد :
 من بلغ رتبة فتاه أخبر أن محله دونها ومن بلغها فتواضع أعلم أن حقه فوقها
 فكيف والأحوال على ما كانت عليه لم يصر الهلال بدراً ولا الشبل ليناً ولا الفصن
 ساقاً ولا القطوف معتاقاً . والعرب تسمى الكبر تيهاً وهو الخيرة لأن صاحبه لا يهتدى
 لرشاد ولا يصل إلى سداد ولولم يكن إلا التطير من اسمه دون التحلى بقبح سمته
 ورسمه لكان الماقل حقيقاً بتركه وخليفاً برفضه ، وقد قيل ليس لمعجب رأى
 ولا لمتكبر صديق فإياك أن تحرم نفسك بكبرك الذى يضرك ولا ينفكك ويحطك
 ولا يرفعك استفادة الاخوان الذين هم أبلغ في الخير والشر من البيض الحداد
 وأحضر عناء في الأمن والخوف من الطرائف والتلاد فان ذلك غبن كبير وحرمان
 جسيم ، وقد قال الأول :

مابال من أوله نطفةٌ وآخره جيفةٌ يفخرُ

ولبعض نبي هاشم وهو الرضى رحمه الله تعالى :

ولرب مولى لا يفضُّ جماعه طولُ العتابِ ولا عناءُ العذَلِّ

بطنى عليك وانت تلامُّ شعبه والسيف يأخذ من بنان الصيقل

ضاق الزمان فضاقت فيه قلبي والماء يجمع نفسه في الجدول

وقال بعضهم في يزيد بن المهلب :

فمن يلازم النازلون محله ؟ فنزلكم للحمد والشكر منزلُ

رأى الناس فوق المجد مقدار مجدكم فقد يسألوك فوق ما كان يسأل

وقصر عن مسعاكم كلُّ آخرٍ وما فاتكم ممن تقدم أولُ

بلغتُ الذي قد كنتُ أملةُ لكم
 وملكَ حقُّ واجبٌ غيرُ أني
 فأنتم أنتم أنعمتمُ وبررتُمُ
 وإن كنتمُ أوليتموني تفضلاً
 وكم ملحفٍ قد نالَ منكم رغبةً
 وعودتموني قبل أن أسأل الغني
 وقال ابن الرومي :

من الحيفِ تحسيسٌ^(١) النوالِ ومطله
 وكن نخلةً تلوى وتسنى عطاءها
 وقال : يا شبيهَ البدرِ في الحسنِ وفي بُمدِ المثالِ
 جُددٌ فقد تنفجرُ الصخرةُ بالماءِ الزلالِ
 وله في المعانيب مالا أعرف لغيره - قال :

يا ابن الوزير الذي تمتَ وزارتُه
 إن كنتُ أحسنتُ في وصفِ ما أتركمُ
 وإن أكن قلتُ مالا أستحقُّ به^(٢)
 إن المديحَ إذا ماسارَ مُنفرداً
 فقد يعرُّ بليغٌ في بلاغته
 أسهبتُ فيكم لكي أعلى فطاطني
 إن السلايمَ لا تبني أطاولها
 لكن ليصعدَ انجاداً تشرِّفه
 وقد هبطتُ بما شيدتهُ لكمُ
 لا تجتمعنَّ على العارِ والنارِ
 فأثروا في بالأحسانِ آثارا
 منكم ثواباً فردوه وما سارا
 من الثوابِ كسي من قاله طازا
 وقد يظنُّ سوى المختارِ مختارا
 تقصيركم بي فقد أزمعت إقصارا
 يوماً ليهبطَ بانيننَّ اغوارا
 حتى يمدَّ إليها^(٣) الناسُ أبصارا
 من حائقٍ ولعلَّ الله قد خارا

(١) في الأصل « تطفيف » وفي ديوان ابن الرومي « تحسيس » .

(٢) في الديوان « أو كنت قد قلت مالا أستحق به » . (٣) في الديوان (إليه) .

كم هابط صاعد من بعد مهبطه^(١)
 نقلت في كفة الميزان فانكدرت
 صبراً فكم ناهض من بعد وقته
 لابني شمير^(٢) صروف غير غافلة
 وقال: وتابع بعد الفتح قوماً سبقتهم
 ولم يصف من شيء صفاء طوبى
 وما جاء مدح مثل مدح فيكم
 ومالى لا أنفك أنى مسنداً
 لعمرى لقد غوثت غير مقصر
 وكم قائل أبلغت فيما تقوله
 وقلت: قد كنت توليني الحسنى وتكرمنى
 فما بدا لك في جود ومكرمة
 ارجع الى الحالة الأولى فان لنا
 وحسن أحدوثه لو كنت تبصرها
 أركب من المسك في أصداع غانية
 وللصاحب بن عباد في الاستزادة والعتاب أبيات لم يمر بي من شعره أجود منها فنها:
 سيدشهد أبناء المفاخر كلهم بأن مضيع الأكرمين مضيع
 يززعك الواشون عن حومة العلا وكان بعيداً أن يززع لعل
 وقد طرف البحترى في قوله يستبطن محمد بن العباس الكلابي:
 المئة الدينار منسية في عدة أشبعها خلفا
 لاصدق اسماعيل فيها ولا وفاء ابراهيم إذ وفي

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (هبطته). (٢) في الديوان (القوم).

(٣) ابنا سمير: الليل والنهار لأنه يسمر فيهما أى يتحدث - كما في جنى الجنيتين.

ان كنت لاتنوى نجاحاً لها فكيف لا تجملها ألفا
وقوله : عمرت أبا السحق مصلح العمر ولا زال مزهواً بأبائك^(١) الدهر
فأنت ندى نجيا به حيث لا ندى وقطره يرجى جوده حيث لا قطر
على أنى بعد الرضا متسخطاً ومستعباً من خطه سهلها وعر
وقد أوحشتنى ردة لم أكن بها بأهل ولا عندي بتأويلها خبر
فلم جئت طوع الشوق من بعد غابتي الى غير مشتاق ولم ردتى بشر
وما باله أبى دخولى وقد رأى خروجى من أبوابه ويدي صفر

ومن جيد ما قيل في حسن الاقتضاء قول أبى تمام :

وإذا المجد كان عوفى على المرء وتقاضيته بترك التقاضى

وقول الآخر : أروح بتسليم وأغدو بمثله وحسبك بالتسليم متى تقاضيا

وفي خلاف ذلك قول بعضهم : ثقى بكرمك تمنع من اقتضائك وعلمي بشغلك

يحدو على اذ كارك . ومما يجرى مع هذا الباب قول الآخر :

أنت أمضى من أن تحرك للجسد ولكن شراة الشعراء

وفي خلاف ذلك قول الآخر :

أروح وأغدو نجوكم فى حوائجى فأصبح منها غدوة كالذى أمسى

وقد كنت أرجو للصديق شفاعتى فقد صرت أرضى أن أشفع فى نفسى

وقول الآخر : ولعموت خير من حياة زهيدة ولمنع خير من عطاء مكدر

ومن مديح الاستبطاء ما كتب بعضهم : كتابى ليس باستبطاء وأما كى ليس

باستغناء ولكن كتابى تذكرة لك وأما كى ثقة بك . وكتب عثمان الى على رضى

الله تعالى عنهما : أما بعد فقد بلغ الماء الزبى والحزام الطيبين وطعم فى من لا يدفع عن نفسه :

فان كنت ما كولا فكن خيرا آكل وإلا فأدركنى ولما أمرق

ومما جاء فى ذم العتاب قول بعض الحكماء : العتاب رسول الفرقة وداعى التلى وسبب

(١) فى ديوان البحترى « بأيا ملك » .

السلوان وبعث الهجران. وقال بعضهم: العتاب يبعث التجنى والتجنى ابن المحاجة والمحاجة
أخت العداوة والعداوة أم القطيعة. وقال بعضهم: سبيل من يأخذ على أيدي الأحداث أن
لا يكدرهم بالتوبيخ لئلا يضطروا إلى القحة. وقال غيره العتاب داعية الاجتناب فإذا
انبسطت المعاتبة انقبضت المصاحبة. وقال آخر: حرك اخوانك ببعض العتاب لئلا
يستعذبوا أخلاقك وأغض عن بعض ماتنكر منهم لئلا يوحشهم الحاحك. وهذا
أقصد ما قيل في هذا المعنى. وكتبت في فصل لى: العتاب مقدمة القطيعة وطلية
الفرقة فتجنبه قبل أن يجنبك حظك من السرور برؤية أحبابك وانتقل عنه قبل
أن ينتقل بك عن مقر غبطتك بمشاهدة أودائك وإن لم تجد منه بدأ فاقصد فيه
ولا تكثر منه فإن الكثير من المحبوب ممول فكيف من المكروه والاقتصاد في
المحود ممدوح فكيف من المذموم. وقال ابن الرومي:

أرّفه ما أرّفه في التفاضى	وليس لديك غير المثل نقد
خلا وعد مددت إليه كفى ^(١)	فأعرض دونه مظل يمده
إذا إنجاز وعدك كان وعداً	فيكفنى من الوعدين وعد
وقال: سألت قفيزين من حنطة	فجدت بكر من المنع واف
وأنتمت منعك لى بالمجاب	مهلاً هديت ففى المنع كاف
كأنى سألتك حبّ القلوب	ذاك الذى من وراء الشفاف
وقد أجاد الآخر حيث يقول:	
وكن عند ما نرجوه منك فاننا	جميعاً لما أوليت من حسن أهل
ولا نعتذر بالشغل عنا فانما	تناط بك الآمال ما اتصل الشغل

(١) فى ديوان ابن الرومي المخطوط «مددت اليه عيني» .

﴿ الفصل الثاني من الباب الثالث في الهجاء ﴾

قالوا أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن يونس قال قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده جلساؤه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعر ودوا أنهم اقتدوا منه بأموالهم ، وشعر لم يسرهم به حمر النعم ؟ فقال أسماء بن خارجة نحن يا أمير المؤمنين ، قال وما قيل فيكم ؟ قال قول الحارث بن ظالم :

وما قومي بشعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا

فو الله يا أمير المؤمنين إنى لأبئس العمامة الصفيقة فيخيل لى أن شعر قفاى قد بدا منها . وقول قيس بن الخطيم ^(١) :

همنا بالاقامة ثم سرنا مسير حذيفة الخير بن بدر ^(٢)

فما يسرنا أن لنا بها أوبه سود النعم . فقال هانيء بن قبيصة أولئك نحن يا أمير المؤمنين ، قال ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

فغض الطرف إنك من نميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

والله لو ددنا أننا اقتديناه بأملأ كنا ، وقول زياد الأعمج :

لعمرك مارماحُ بنى نميرٍ الصدور ولا قصار ؟

فو الله ما يسرنا به حمر النعم . قال أبو بكر وذكر أن جريراً لما قال :

والتغليُّ إذا تنحَّحَ للقرى حكَّ استه وتَمَثَّلَ الأمثالا

(١) كان شاعر الأوس وأحد رجالاتها ، اشتهر بتبعه قاتلى أبيه وجده حتى

قتلها وقال في ذلك شعراً ، أدرك الاسلام وقتل قبل أن يسلم .

(٢) في النسخ نصحيح صححناه من ديوان قيس .

قال قد قلت بيتاً فيهم لو طمن أحد في استه لم يحكما .

وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبي جعفر عن المدائني قال مرت امرأة بيني
نمير فتغامزوا اليها فقالت يا بني نمير لم تعملوا بقول الله تعالى ولا بقول الشاعر :
يقول الله تعالى (قُلْ لِلَّهِ مَنِينَ يَفْعَلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) ويقول الشاعر :
* فغض الطرف إنك من نمير * فخرجلوا وكان النميري إذا قيل له ممن أنت ؟
قال من نمير فصار يقول من بني عامر بن صعصعة .

ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسارى

ولو يرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار

وهذا مثل قول الآخر :

ولو أنَّ عبدَ القيس ترمى بلؤمها على الليل لم تبدُ النجومُ لمن يرى

وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى بينن خائصا

وكان من حديث هذا الشعر أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة

تنازعا الزعامة فقال عامر : أنا أفضل منك وهى لعمري ولم يمت - وعمه عامر بن

مالك بن جعفر بن كلاب وكان قد اهتز وسقط - وقال علقمة : أنا أفضل منك أنا

عفيف وأنت عاهر وأنا وفي وأنت غادر وأنا ولود وأنت عاقر وأنا أدنى إلى ربيعة .

فتداعيا إلى هرم بن قطبة ليحكم بينهما فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثائة من

الابل مائة يطعمها من تبعه ومائة يعطيها الخاك ومائة يعقرها إذا حكم . فأبى هرم

ابن قطبة أن يحكم بينهما مخافة الشر ، وأبى أن يرحلا فخلا بملقمة وقال له : أترجو

أن ينصرك رجل من العرب على عامر فارس مضر أندى الناس كفاً وأشجعهم لقاءً

لسان رمح عامر أذ كر في العرب من الأحوص وعمه ملاعب الأسنه وأمه كبشة

بنت عروة الرحال وجدته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الفحياء وأمك من

النخع وكانت أمه مهيرة وأم علاثة^(١) من النخع ، ثم خلا بامر فقال له أعلى علقمة
تفخر أنت تناوته أعلى ابن عوف بن الأحوص أعف بنى عامر وأحلمه وأسوده
وأنت أعور عافر مشؤوم أما كان لك رأى يزعلك عن هذا أ كنت تظن أن أحداً من
العرب ينصرك عليه . فلما اجتمعوا حضر الناس للقضاء قال أنتما كر كبتى البعير فرجعا
راضين . والصحيح أنه تواري عنهما ولم يقل شيئاً فيهما ولو قال أنتما كر كبتى الجمل
لقال كل منهما أنا اليمنى فكان الشر حاضرآ . ولقد سأله عمر بن الخطاب رضى الله
تعالى عنهما بعد ذلك لمن كنت حاكماً لو حكمت؟ فقال اعفى يا أمير المؤمنين فلو
قلتها لعادت جذعة فقال عمر صدقت مثلك فليحك . فارتحلوا عن هرم لما أعيام نحو
عكاظ فلقبهم الأعمشى منحدرآ من اليمن وكان لما أرادها قال لعلقمة اعقدلى حبلاً
قال أعقد لك من بنى عامر قال لا تغنى عنى قال فمن قيس قال لا قال فما أنا رائدك .
فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقيل له كيف تجيره من أهل
السماء؟ قال ان مات وديته فقال الأعمشى لعامر أظهر انكما حكمتانى ففعل فقام
الأعمشى فرفع عقيرته في الناس فقال :

حكمتموه ففضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن^(٢) الخاسر
علم ما أنت^(٣) الى عامر الناقض الاوتار والواتر
واللامس الخيل بخيل إذا تار عجاج الكسه التائر
ساد وأنى رهطه سادة وكبرآ سادوك عن كابر

وشد القوم على الابل المائة فعقروها وقالوا عامر وذهبت به الفوغاء وجهد
علقمة أن يردها فلم يقدر على ذلك فجعل يتهدد الأعمشى فقال الأعمشى :
أناى وعيد الحوص من آل جعفر فباعبد عمر ولونبيت الأحوصا

(١) بياض فى الأصل ، وذ كر القصة صاحب الأغانى بغير هذه الرواية . (٢) «غبن»
ساقطة من الأصل فاستدر كناها من بلوغ الأرب . (٣) فى الأصل «لانت» .

فما ذنبنا أن جاشَ بحر ابن عمك
 كلا أبايكم كان فرع دطامة
 تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
 يراقبن من جوع خلال مخافة
 رمى بك في أخراهم تركك الندى
 فعضَّ حدَّ يد الأرض ان كنت ساخطاً
 فبكي علقمة لما بلغه هذا الشعر وكان بكاؤه زيادة عليه في العار . والعرب تعير
 بالبكاء ، قال مهلهل :

يبكى علينا ولا نبكى على أحدٍ
 لنحنُ أغلظُ أكبَاداً من الأبل
 وقال جرير :

بكي دوالٌ لا يرفأ الله دمه
 وكان الحطيئة مع علقمة وليد مع عامر ^(١) فقال الحطيئة :
 يا عام قد كنت ذاباع ومكرمة
 لو أن مسعاة من جاريته أمم
 جارت قرماً ^(٢) أجاد الأحوسان به
 ضخم الدسيعة في عرينه شمم
 لا يصعب الأمر إلا حيث يركبه ^(٣)
 ولا يبيت على مال له قسم
 وقال : فما ينظر الحكام في الفصل بعدما ^(٤)
 بدا واضح ذو غرة وحجول

(١) كذا في النسخ ، وفي طبقات الجمحي (وكان الحطيئة مع علقمة بن ثلاثة
 حين نافر عامر بن الطفيل) . (٢) وفي رواية (جارت فرعا) وفي ديوان الحطيئة :
 جارت قرماً أجاد الأحوسان به جزل المواهب في عرينه شمم
 والأحوسان : الأحوص بن جعفر بن كلاب - واسمه ربيعة وكان صغير العينين -
 وعمرو بن الأحوص ، كما في جنى الجنتين في المثنيين للمحبي .
 (٣) في طبقات الجمحي وديوان الحطيئة (الإريث يركبه) .
 (٤) في الأصل (بعدها) والتصحيح من ديوان الحطيئة :

وهاتان القصيدتان جيدتان بارعتان في معنيهما ولكن الناس استخفوا قول
الأعشى * علقم لالنت الى عامر * فر على ألسنتهم وسقط شعر الحطيئة .

أخبرنا أبو علي بن أبي جعفر أخبرنا جعفر بن محمد حدثنا أبو عبيدة العسكري
حدثنا محمد يعني ابن الوليد حدثنا أبو زكريا عن الأصمى قال قال عبد الملك
ابن مروان لأمية ^(١) مالك وللشاعر إذ يقول :

إذا هتفَ العصفورُ طارَ فؤادهُ وليثُ حديدُ النابِ عندَ الثرائدِ ^(٢)

قال أصابه حد من حدود الله تعالى فأقمته عليه ، قال فهلا درأته عنه بالشبهات ؟
قال كان أهون عليّ من أن أعطل حدّاً من حدود الله تعالى فقال يابني أمية أحسابكم
أحسابكم أنسابكم أنسابكم لا تعرضوا للهجاء ^(٣) فان للشعر مواسم لا يزيد لها الليل
والنهار إلا جدة ^(٤) والله ما يسرني أني هجيت بيت الأعشى حيث يقول :

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خائصا
ولى الدنيا بمخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عرض الدنيا كان قد أخذ عوضاً
لقول ابن حرثان :

على مكثريهم حق من يعتر بهم ^(٥) وعند المقلين الساحة والبذل
هكذا رواه لنا والبيت زهير . وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة في
الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا تر حلّ لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
وأخبرني أبو أحمد سمعت بعض الشيوخ يقول اجتمع مطيع بن إبّاس ويحيى
ابن زياد وحامد عجرد وجعفر بن أبي وزرة في مسجد الكوفة فامتروا ^(٦) في أهجى
بيت قالته العرب ثم اتفقوا على قول الفرزدق في جرير :

- (١) في الاصل (لابنه) (٢) عجز البيت في الأصل غير منقوط فصححناه
من الامالى والعقد الفريد ، وفيه (صوت) مكان (هتف) . (٣) في الاصل (للفصحاء)
(٤) في الاصل (حيرة) . (٥) في الأغاني « رزق من يعتر بهم » .
(٦) في الأصل غير منقوطة .

أنتم قرارة كل معدن سوءة وكل سائلة تسيل قرار
أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم اطمانت كذاك لكل سائلة قرار
وقالوا أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

مازال فينا رباط الخليل معلة وفي كليب رباط اللؤم والعمار
قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأهمهم بولى على النار

قالت بنو تميم ماهجينا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت . وهو يتضمن
وجوها شتى جعلهم بخلاء بالقرى وجعل أهمهم خادمهم يأمرونها بكشف فرجها ،
وجعلهم يبخلون بالماء أن يطفئوا به النار فيأمرونها بأن تطفئها بيولها بينهم وبين
المجوس لتعظيم المجوس النار ، الى غير ذلك وان نارهم من قلتها كانت تطفئها بيولها .

وقالت بنو مشاجع ماهجينا بشعر أشد علينا من قول جرير :

وبرحران غداة كبل معبد نكحت نساؤهم بغير مهور

وقالت بنو كليب ماهجينا بشعر أشد علينا من قول الفرزدق :

أست كليباً إذا سيم سوءة أقر كقرار الخليلة للبعل

وقالوا بل أهجى بيت قالته العرب قول الطرماخ :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل الكارم ضات
وقال بعض الشيوخ لو أن هذا البيت لجرير أو لمن في طبقته لحكم على جميع

ما في معناه وبعده وهو أبلغ ما قيل في الاحتقار والتقليل والجبين :

ولو أن حرقوصاً على ظهر نملة تشد على صفي تميم لوئت

ولو جمعت يوماً تميم مجموعها على ذرة معقولة لاستقلت

ولو أن أم العنكبوت بنت لها مظلتها يوم الندى لاستظلت

ولو أن برغوثاً يرفق مسكه إذا نهلت منه تميم وعلت

وأبلغ ما قيل في الخول قوله أيضاً :

لو كان يخفى على الرحمن خافية^١ من خلقه خفيت عنه بنو أسد
 قوم^٢ أقام بدار الذل أولهم كما أقامت عليه خدمة^٣ الوتد^(١)
 وقال ابن الأعرابي قال أبو عمرو بن العلاء أحسن الهجاء ما تنشده العاتق في
 خدرها فلا يقبح بها مثل قول أوس :

إذا ناقة شعرت برحل وتمرق إلى حكم تعدى فضل ضلالها

وقال ابن الأعرابي وأنا أقول مثل قول جرير :

ولو أن ثعلب جمعت أحسابها يوم التفاخر لم ترن مثقالا

وقيل أهجى ما قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤم أكرم من وبر ووالده واللؤم أكرم من وبر وما ولدا

قوم^٢ إذا جرجان منهم^(٢) أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وقال النجاشي^(٣) في بني العجلان :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الرأد عن كل منهل

فاستعدوا عليه عمر بن الخطاب فقال ما قيل فيكم ؟ فأنشدوه :

إذا الله حادى أهل لؤم ورقة فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر إن كان مظلوماً استجيب له ، قالوا وقد قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال ليت آل الخطاب هكذا . قالوا وقد قال :

ولا يردون الماء إلا عشية إذا صدر الرأد عن كل منهل

(١) سقط من النسخ بعض عجز البيت فاستدر كناه من العقد الفريد .

(٢) في الأصل « إذا ما حرجانهم » .

(٣) في الأصل هنا « النحاس » وفي موضع آخر (النخاش) والصواب

« النجاشي » وهو شاعر أمير المؤمنين على رضی الله تعالى عنه على ما في بلوغ الأرب وغيره .

قال عمر : ذاك أقل للكأك - يعني الازدحام ، قالوا وقد قال :
تعارف الكلاب الضاريات لحومهم ويا كلن من عوفٍ وكعبٍ ونهشل
قال أحياناً^(١) القوم قتلاهم ولم يضيعوهم ، قالوا وقد قال :
وما سُميَ العجلان إلا لقليلهم مُخَذِ القعبِ واحلبُ أيها العبدُ واعجل
فقال عمر خير القوم خادمهم ثم بعث إلى حسان فسأله فقال ما هجأهم وإنما
سلح عليهم قهدهد النجاشي وقال ان عدت قطمت لسانك .

وكانوا يتمدحون بتقديم الورد وكان أعزهم أسبقهم إلى الماء بابله ومثل قوله :
* تعارف الكلاب الضاريات لحومهم * قول البحترى :

ورددتُ العتابَ عليك حتى سئمت وأخرُ الودَّ العتابُ
وهانَ عليك سخطى حين تغدوا بمرضٍ ليس يأكلهُ الكلاب
ومن التناهى فى الاحتقار والحوول قول بعضهم^(٢) :

قالوا الأشاقر تهجوهم فقلت لهم ما كنتُ أحسبهم كانوا ولا خلقوا
قومٌ من الحسبِ الزاكي بمنزلة كالفقع بالقاع لا أصلٌ ولا ورقٌ
انَّ الأشاقرَ قد حلوا بمنزلة لو يرهبونَ بنعلٍ عندنا علقوا
لا يكثرُونَ وإن طالَّتْ حياتهم ولو تبولُ عليهم فأرةٌ غرقوا
وقول الآخر * لو يحووا بالحرير ما وجدوا * وقول الآخر ، أستغفر الله من قوله :

يكادُ من رقةٍ ولؤمٍ يخفى على البارئِ القديم
وقول أبي الهيثم :

يا جعفرَ بن القاسمِ بن محمدٍ مالى أراك عن الندى معزولا
إني أقولُ مقالةً تجرى بها لو كنتَ من كرمٍ كنتَ قليلا

وقول أبي تمام :

ما كنتُ أحسبُ أنَّ الدهرَ يمھانى حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحد

(١) فى الأصل «أحياناً» (٢) نسبت فى العقد باختلاف فى بعض الألفاظ لزيد الاعجم .

ونحوه قوله: هب من لشيء يريد حجابهُ ما بالُ لا شيءٍ عليه حجاب
وقال * وأنت أنزر من لا شيء في العدد *

ومن مشهور ما قيل في بلوى الأختيار بالأشرار قول الأول :

فلو أني بليتُ بهاشميَّ خولتُهُ بنو عبد الداني

صبرتُ على عداوته ولكن^(١) تعالى فانظري بمن ابتلاني

وشكارجل إلى أبي العيناء رجلاً فقال فك دخل في العدد وخرج من العدد،

يقول هو يعد في الحساب ويخرج من عدد التحصيل ، وهو من قول القائل :

خرجنا الغداة إلى نزهة وفينا زياد أبو صعصعه

فسته رهط به خمسة وخمسة رهط به أربعة

وقلت في معناه :

أنظر اليهم ولا تعجبك كثرتهم فأنما الناس قولوا كلما زادوا

ولا يهولنك من دهمائهم عدد فليس للناس في التحصيل أعداد

عجبتُ من زهدهم فيما يزينهم والناس مذ خلقوا في الخير زهاد

ومن التناهي في صفة الخمول قول عبد الصمد في أبي العباس محمد بن يزيد المبرد :

سألنا عن ثماله كلَّ حيِّ فقال القائلون ومن ثماله

فقلتُ محمد بن يزيد منهم فقالوا زدتنا بهم جهاله

ومن الاستحقار الشديد قول مسلم :

أميس قل لي أين أنت من الوري لأنت معلوم ولا مجهول

أما الهجاء فذقَّ عرضك دونه والمدحُ عنك كما علمت جليل

فأذهب نأت طليقُ عرضك إنه عرضُ عززت به وأنت ذليل

فجمله دور الاء والهجاء فوقه فلا يهجي لضعته وقلته .

ومن ههنا أخذ إبراهيم بن الحسن قوله :

(١) وفي نسخة « لمان على ما ألقى ولكن » .

فكن كيف شئت وقل ما نشأ وأبرق يمينا وأرعد شمالا
نجابك لئوم منجى الذباب حتمه مقاديره أن ينالا
وهذه الأبيات وإن كانت مشهورة فإن لايرادها ههنا معنى كبيراً وذلك أني
لست أجد خيراً منها في معناها وأجود، وقد شرطت أن لأضمن هذا الكتاب
الاكل جيد اللفظ بارع المعنى ، وأنت أيضاً إذا احتجت اليه تتناوله من قرب .
وأنشد الجاحظ :

ووقت أنك لاتسبُّ حماك لئومك أن تسباً
وقال الآخر : بذلة والديك كسيت عراً وباللؤم اجترأت على الجواب
وقال غيره : دناءة عرضك حصن منيع ثقيلك اذا ساء منك الصنيع
فقل لعدوك ما تشتهي فأنت الرفيع المنيع الوضع
وقلت : لست الوضع ولا الصغير وإنما أنت الوضع عن الوضع الأصغر
لاتفخرن وإن غدوت مقدماً فعلى جبينك سيمياء مؤخر
وقال أبو نواس :

ما كان لو لم أهجه غالب قام له هجوى مقام الشرف
يقول قد أسرف في هجونا وإما زاد بذلك السرف
غالب لا تسعى لتبني العلا بلغت مجدداً بهجائى ققف
قد كنت مجهولاً ولكننى نوهت بالمجهول حتى عرف
فجعل شرفهم ونباهتهم بهجائه إياهم ، وقوله :

وما أبقيت من غيلان إلا كما أبقت من البظر المواسى
ومن قديم الهجاء لمن لا يقع في حياته وفي موته فجيعة قول بمضهم :
وأنت امرؤ منا خلقت لغيرنا حياتك لانفع وموتك فاجم
وقال ابن الرومى :

فلا تخش من أسهمى قاصداً ولاتأمنن من العاير

ولكن وراك معراتها نضاؤلٌ قدرك في الخاطر
وقال غيره:

إني هجوتُ بكلِّ لفظٍ مقذعٍ زيداً وكان له الهجاءُ مديحاً
وقلت: يا أبا القاسم هل أبصرت شهاً لك في قبحك
ونظيراً لك في شؤمك أو لؤمك أو شحك
إن من شبيهك الكلب فقد بالغ في مدحك
وقلت: أهنت هجائي يا ابن عروة فاتحى على ملام الناس في البعد والقرب
وقالوا أتيجو مثله في سقوطه فقلت لهم جريتُ سيفي على كلب
وقال ابن الرومي:

خسأت كلباً مرّ بي مرّة فقال مهلاً يا أبا خالد
حسبكم خزياً نبي آدم شركتكم إياه في الوالد

ومثله ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني ابن لنكك (١) لنفسه:

وعصبة لما توسّطتهم صارت (٢) على الأرض كالخاتم
كأنهم من سوء أفهامهم لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليسُ سروراً بهم لأنهم طاروا على آدم
وقلت: قلت للكلب حين مرّ بي أخساً فكأنني كويت قلبك كيا
أترى انني أعدك كلباً أنت عندى إذا نبحت الثريا

ومن التناهي في الاستصغار والخول قول زياد الأعجم:

إذا ماتني الله امرؤٌ وأطاعه فليس به بأسٌ وإن كان من جرم

وله جمعت جرمٌ على رأس نملة لباتوا شباعاً يضرطون من الشحم

ومن بليغ ماجاء في الاستصغار مارواه قدامة قال قال محمد بن ناشد سألني

(١) هو أبو الحسن محمد شاعر البصرة وأهجي أهل زمانه بالمقطعات .

(٢) في رواية « ضاقت » .

فلان عن رجل فقلت يساوي فلس ، فقال قد زدت في قيمته درهمين .

ومن أبلغ ما قيل في الهجاء قول ذي الرمة :

وأمثل أخلاقِ امرئٍ القيسِ أنها صلابٌ على طول الهوانِ جلودها
وما انتظرتُ غيابها لملمة^(١) ولا استؤمرت^(٢) في حلٍّ أمرشودها
إذا امرئياتٌ حلن^(٣) بيلدة من الأرض لم يصلح ظهوراً صعيدها
وقال غيره : لعمر ك ما تبلى سراويلُ عامرٍ من اللؤم ما دامت عليه ظهورها
وقال أبو سعيد الخزومي :

يا ثابت بن أبي سعيدٍ إنها دولٌ وأحراها بأنٍ تنقلها
هلا جعلت لنا كحرمةٍ دعبل في استِ أمِّ كلبٍ لا تساوي دعبلها
وقالوا أهجى بيت قاله محدث بيت حماد في بشار :

نسبتَ إلى بردٍ وأنت لغيره فهيك لبرد نلت أمك^(٤) من برد
وأخبرني أبو أحمد أخبرني أبو الحسن الصيمري عن أبي العلاء قال حماد مجرد
* نسبت إلى برد وأنت لغيره * قال بشار تهباً لحمد في هجائي في هذا البيت
خسة معان أوردتها جرير في الفرزدق فلم يقدر عليها حيث يقول :

لما وضعت على الفرزدق ميسمى وضع البعيث جدعت أنف الأخطل
ومن أجود ما هجى به الدعش قول دعبل في مالك بن طوق :
الناسُ كلهمُ يسعى لحاجتهِ ما بينَ ذى فرح منها ومهموم
ومالكٌ ظلُّ مشغولاً بنسبتهِ يرمُّ منها خراباً غير مرموم
يبسني بيوتاً خراباً لأنيسَ بها ما بينَ طوقٍ إلى عمرٍ وبنِ كلثوم

(١) في الشعر والشعراء (العظيمة) . (٢) في الشعر والشعراء (استؤذنت) .

(٣) في الشعر والشعراء (نزلن) . (٤) سقط من الأصل (نلت أمك)

فاستدر كنها من الأغاني وهي بالكاف ، وفيه (دعيت إلى برد)

وقال ابراهيم بن اسماعيل النسوي (١) :

لو أن موتى تميم كلهم نشروا وأثبتوك لقيـل الأمرُ مصنوعُ
إن الجديد إذا ما زيدَ في خَلقٍ تبينَ الناسُ أنَّ الثوبَ مرقوعُ
وقالوا أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح الخبر
ولست أعرف أبلغ في الهجاء من قول الأول :

إن يفجروا أو يفسدروا أو يبخلوا لم يبخلوا
وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

هذا أبلغ من ذكر الفروج والقول الفاحش المقذع في الأمهات والاخوات .
ومن البليغ قول حسان :

أبناء طارف لن تلقى لهم شهباً إلا التيوس على أبقائها الشعرُ
ان نافروا نفروا أو كثروا كثروا أو قامروا الزنج عن أحسابهم قمرؤا
كأن ريحهم في الناس إذ خرجوا ريح الكلاب إذا مامسها المطر (٢)

قد استوفى المعنى عند قوله (ريح الكلاب) ثم قال (إذا مامسها المطر) فجاء
بتتميم حسن . وقالوا قول جرير * تنفت شواربهم على الابواب * وقالوا قول حسان :

أبوك أبو سوءٍ وخالك مثلهُ ولست بخيرٍ من أيكٍ وخالكِ
وإن أحقَّ الناسِ ان لا تلومهُ على اللؤم من أنى أباهُ كذلكا

ومن الافراط في صفة البخل قول ابن الرومي في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

تجنب سليمان قتل الندى فقد يئس الناس من فتحه
فلو كان يملك أمر استه لما طعم الحش في سلحه

(١) في الأصل (النبوي) ولعل صوابه (النسوي) نسبة الى نسا التي يجوز

فيها نسوي ونسائي . وهو ابراهيم بن اسماعيل بن يسار النسائي شاعر ابن شاعر .

(٢) قى ديوان حسان المطبوع اختلاف في بعض الألفاظ .

وأبلغ ما قيل في الهجاء باللزم قول الفرزدق :

ولو تُرمى بلؤم بني كليب نجوم الليل ما وضحت لسا
ولو لبس النهارُ بني كليب^(١) لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزيزُ بني كليب ليطلب حاجةً إلا بجار
وقد مر البيتان الأولان فيما تقدم . ومن الافراط في الهجاء قول الآخر :
لو أطلع الغرابُ على تميم وما فيها من السواتِ شابا
وقول الآخر :

سَلَّ اللهُ ذَا الْمَنِّ مِنْ فَضْلِهِ وَلَا تَسْأَلُنَّ أَبَا وَائِلِهِ
فَمَا سَأَلَ اللهُ عَبْدَهُ لَهُ نَحَابَ وَلَوْ كَانَ مِنْ يَاهِلِهِ
وقال الآخر : ولو قيل للكلبِ ياباهلي لأعولَ من قبح هذا النسبِ
وأنشدني أبو أحمد أنشدني أبو مسلم بن بحر لابراهيم بن العباس وهي أبيات
مشهورة أوردتها لأنني لست أجد مثلها في معناها :

ولما رأيتك لافسقا تهابُ ولا أنتَ بالزاهدِ
وليسَ عدوك بالمتقى وليسَ صديقك بالحامدِ
أنيتُ بك السوقَ سوقَ الرقيقِ فنادتُ هل فيك من زائدِ
على رجلٍ غادرٍ بالصديقِ كفورٍ لنعمائه جاحدِ
فما جاءني رجلٌ واحدٌ يزيدُ على درهم واحدِ
سوى رجلٍ حارٍ منه الشقا وحاستُ به دَعْوَةُ الوالدِ
فبعتك منه بلا شاهدِ مخافةً أدركَ بالشاهدِ
وأبتُ الى منزلي سالماً وحلَّ البلاءُ على الناقدِ
وقد أحسن التصرف فيها فما قاربه في معانيها أحد .

وأبلغ ما قيل في البخل قول ابن الرومي :

(١) في الأصل «بنو كليب» والتصحيح من منتهى الطلب في أشعار العرب .

يُقْتَرُ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ وليس يباقي ولا خالد
 فلو يستطيعُ لتقتيره تنفس من منخر واحد
 رضيتُ لتشتيت^(١) أمواله يدي وارثٍ ليس بالحمد

والناس يظنون أن ابن الرومي ابتكر هذا المعنى وإنما أخذه مما رواه الجاحظ
 أن فلاناً كان يقير^(٢) إحدى عينيه ويقول ان النظر بهما في زمن واحد من السرف .

ومن الفرد الذي لا شبيه له قول بعضهم :

الى الله أشكو انى بت طاهراً فجاء سلولى^٣ فبال على رجلى
 فقلتُ اقطعوها بآرك الله فيكم^٤ فانى كريم غير مدخلها رحلى
 وقلت : وقتت لديكم للسلام عليكم^٥ وقوفى على أطلال سلمى وعاتكه
 يرومك تسليم العفاة كأنه بوادر طمن في الضلوع مواشكه
 وما فيكم حر يكرم ضيفه^٦ ولكن إذا ماساء أكرم فائله
 وان كنتم ناساً وما أنتم به^٧ فان القروود والكلاب ملائكه

وليس في هذا الباب أبلغ من هذا ولا أعرقى سبقت اليه . وقال بعضهم :

سمعت المديح أناساً دون ما لهم رد قبيح وقول ليس بالحسن
 فلم أفر منهم إلا بما حملت^٨ رجل البعوضة من فخارة اللبن
 وهذا كما تراه بليغ جداً . وقال الآخر * يعطيك ماتعطيك مكحلة *

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر لدعبل :

أنقفل مطبخاً لا شيء فيه من الدنيا تخاف عليه أكل
 فهذا المطبخ استوثقت منه فما بال الكنيف عليه قفل
 ولكن قد بخلت بكل شيء^٩ فحتى السلاح منك عليك بخل
 وأنشدنا : وإن له إطباخاً وخبراً وأنواع الفواكه والشراب
 ولكن دونه حبس وضرب^{١٠} وأبواب تطابق دون باب

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « لتفريق » . (٢) في النسخ « يقتر » .

يدودون الذبابَ يمرُّ عنه
 وقال الخليل بن أحمد :
 لا تعجبنَّ خيرَ زلٍّ عن يدهِ (١)
 وقال أبو تمام :
 صدقَ أليتهُ (٢) ان قال مجتهداً
 وان همتَ به فافتكُ بخبزته
 قد كان يعجبني لو أنَّ غيرتهُ
 وقال آخر : يزداذُّ لوماً على المديح كما
 وقلت : مخبرُ الأميرِ عشيَّةً
 وإذا بدأ جليسه
 وتحوطه أحرأسه
 فالزورُ يصفعُ عنده
 وقال آخر: قتي لرغيفه فرط وشغف
 إذا كسر الرغيف بكى عليه
 ودون رَغيفه قلعُ الثنايا
 وقال آخر: إنَّ هذا القتي بصون رَغيفاً
 هو في سفرتين من أديم الطا
 مُختمت كلُّ سلة برصاص
 في جرابٍ في جوفِ تابوتِ موسى
 وقلت : لنا سيدٌ واحدٌ ماجدٌ
 ليثيمٌ إذا جاءهُ طارقٌ
 كأمثالِ الملائكةِ الغضابِ
 فالكوكبُ النحاسُ يسقي الأرضَ أحياناً
 «لا والرغيفِ» فذاك البر من قسمه
 فان موقعها من لحمه ودمه
 على جرادقةٍ كانت على حرمه
 يزداذُّ ننتُ الكلابِ بالمطر
 يغدو عليه يلاعبه
 أفضى إليه يعاتبه
 وتذبُّ عنه كتابته
 والضيفُ ينتف شاربه
 واكليانٍ من درٍّ وشنر
 بكاء الخنساء إذ فجعت بصخر
 وحربٌ مثل وقعة يوم بدر
 ما إليه لا كلٍ (٣) من سبيل
 بُف في سلتين في مندليل
 وسيورٍ قددن من جلد فيل
 والمفاتيحُ عندَ ميكائيل
 يقتل في الجود آباءه
 فقد جاءه كلُّ ما ساءه

(١) في الاصل غير منقوطة . (٢) أي قسمه .

(٣) في المقعد الفريد « لناظر » وفي الأصل تصحيف صححناه من المقعد .

وهل يطعمُ الناسُ في خبزِهِ إذا كان يمنعهم ماءهُ
فما ولنغ الكلب في لؤمِهِ لما زال يقذفُ أمعاءَهُ
وسمعت عن أبي حفص يقول قال جعفر بن محمد العسكري أبلغ ما قاله محدث
في البخل قول بعضهم :

الحابس الروثَ في أعفاج بقلته خوفاً على الحبِّ من لقطِ المصافير
وأجود ما قيل في البخل قول بعضهم :

وعدت فأكدت المواعيد بيننا وأقامت إقلاع الجهام بلا وبيل
وأجرت لي جبلا طويلا تبعته ولم أدر أن اليأسَ في طرف الجبل
وقال أبو نواس :

رأيتُ قدور الناس سوداً من الصلبي^(١) وقدر الرفاشين زهراء كالبدر
يبيئها للمعنى بفنائهم ثلاثا كنقط الثاء من نقط الخبر
إذا ماتنادوا للرحيل سعى بها أمامهم الحولى من ولد الذر
ولو جئتها ملأى عبيطاً^(٢) مجزراً لا أخرجت ما فيها على طرف الظفر
غيره: يحصن زاده عن كلِّ ضرس ويعمل ضرسه في كلِّ زاد
ولا يروى من الآداب^(٣) شيئاً سوى بيت لا برهه الأيادي
قليل المال تُصلحه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد
وقلت في مثله :

يطعمُ دونَ الشبع أولادهُ ويختمُ البرمةَ والجفنه
لم يروِ إلا خبراً واحداً قد تذهبُ البطنةُ بالفظنة
وقال آخر: ظاهتك اذ سألتك ماء كرم وماء الكرم للرجل الكريم
وقلت: لك برمةٌ تزهرتها من أن تدنسَ بالدمِّ
بيضاءُ يُشرقُ نورها كالبدري في غسقِ الظلم

(١) الصلبي بالكسر: النار. (٢) لحم عبيط: أى صحيح طرى. (٣) في رواية «الاشعار»

لو كانَ عرضك مثلها كنتَ المَدَّحَ في الأُمم
أو كانَ فملك مثلَ قو لك كنتَ تاريخَ الكرم
ومن أبخل بيت قيل :

وما رَوَّحْتَنَا لثذبَّ عنا ولكن خفتَ مرزومةَ الذباب
وقال أبو نواس يصف قدراً :

ينصُّ بمحقوق الجرادةِ صدرها وينضحُ ما فيها بعودِ خلال
وتغلي بذكرِ النارِ من غيرِ حرِّها وتنزلها عفواً بغيرِ جمال^(١)
هي القدرُ قدرُ الشيخ بكر بن وائل ربيع اليتامي تام كلُّ هزال
وقال ابن الرومي :

رأى البخلَ طبأفهو يحمي ويحتمى فلست ترى في بيته غيرِ جائع
ومن أجود ما قيل في زيادة البخل والشح مع زيادة المال قول ابن الرومي :
إذا غمرَ المالُ البخيلَ وجدتهُ يزيد به يبساً وان ظنَّ^(٢) يربط
وليس عجباً ذاك منه فأنه إذا غمرَ الماءُ الحجارةَ تصلبُ
وهو مأخوذ من قول بعض حكماء الهند . وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن أبي طاهر :
رغيفك في الحجابِ عليه قفل وحراسُهُ وأبوابُهُ منيعه
رأوا في بيته يوماً رغيفاً فقالَ لضيفه هذا وديعه
وأنشدنا عنه :

له حاجبٌ كدونه حاجبٌ وحاجبٌ حاجبه محتجب
وقال أبو تمام :

لا تكلفنَّ وأرضُ وجهك صخرةً في غيرِ منفعةٍ مؤونةَ حاجب

(١) في الأصل « جفال » بالفاء ، والتصحيح من القاموس حيث قال :
الجمال بالكسر : خرقة ينزل بها القدر . (٢) سقط من الأصل (يبساً وان
ظن) فاستدر كناها من ديوان ابن الرومي المخطوط .

وقال آخر: لاتتخذُ باباً ولا حاجباً
 وأنشدنا: أعجبت أن ركب ابن حزم بغلة
 وعجبت أن جعل ابن حزم حاجباً
 وقال آخر: إحتجب الكاتب في دهرنا
 القومُ يخلون بحجابهم
 وقال آخر وأحسن:

وصاحبٌ أسرفت في مدحه
 حجابهُ أزمسنى منزلى
 وقلت في معناه:

مدحت فلم تصدق ولم تك مُذنباً
 وما الجهلُ إلا أن تقرّظَ معشراً
 وأنشدنا أبو أحمد:

لاخيرَ في صاعد فأذكرهُ
 ليس له ما خلا اسمه نسبهُ
 ومن أظرف ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي:

لك وجهٌ كأخراصك فيه
 كخطوطِ الشهودِ مشتبهاتِ
 وقلت: إن كانَ شكلك غيرَ متفقٍ
 من عصبية شتى إذا اجتمعوا
 لمحاتٌ كثيرةٌ من رجال
 معلماتٍ أن لستَ بآبنِ حلالِ
 صورتَ من نطفٍ قد اختلفت
 فوئنتَ من ذا قبجٍ منظره
 فكذا خلالك غيرُ مؤتلفة
 فوئنتَ ذلك خناه^(١) أو صلفه
 شبهت داركم به عرفه
 فأتتَ خلالك وهي مختلفة
 وورئتَ ذلك خناه^(١) أو صلفه
 والدرُّ لا ترزى به الصدفة

وأجود ما قيل في عظام الجسم مع قلة العقل من الشعر القديم قول حسان :

* جسم البغال وأحلام العصفير * وقال ابن الرومي :
طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ فليس يحسن إلا وهو مصلوبٌ
وقال وأحسن :

إذا فقت الذمِّمَ بحسن جسمٍ فلا يسبقك بالشيم الثريفة
فيصبح أفضلَ الرجلين نفساً وتصبح أعظمَ الرجلين جيفة
وأنشدنا أبو أحمد أنشدني ابن لنكك لنفسه :

إثنان لم ينكرهما منكرٌ بغض أبي إسحق والموت
ويدعى العلم على أنه قد طار بالجهل له الصوت
لا يلتقي والعلم في مجلس أو يلتقى الإدراك والفوت

و كتب ابن العميد :

وليت شعري بأى حلى تصديت له وأنت لو توجت ^(١) بالثريا وتمنطقت
بالجزءاء وتوشحت بالهجرة وتقلدت قلادة الفكّة ما كنت إلا عطلاً ولو توضحت
بأنوار الربيع الزاهر وشدخت في جبينك غرة البدر الباهر واستعرت من الصباح
نوباً وخضت أوضاع النهار خوفاً ما كنت إلا غفلاً .

وأبلغ ما قيل في صفة ثقيل ما أنشدناه ابن أبي حفص عن جعفر :

وثقيل أشدّ من غصص الموات ومن زفرة العذاب الأليم
لوعصت ربّها الجحيم لما كان سواه عقوبةً للجحيم
وأبداع ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ربما يثقل الجليس وإن كان خفيفاً في كفة الميزان
ولقد قلت حين طل على القوم ^(٢) ثقيل أربي على ثهلان

(١) في الأصل « توجت » . (٢) في الأصل « ولقد قلت حين في الأرض » وفي
العقد الفريد « ولقد قلت إذ أظل على القوم » . وفيه « أبعران » بدل « أباسفان » .

كيف لم تحمل الأمانة أرضاً حملت فوقها أبا سفيان
أخذه ابن الرومي فقال:

أنت فضلٌ وفضلُهُ وفضلُهُ الشيء لغوهُ
مُحِقراً الفضلُ ثم صَغُرَتْ عَنْهُ
ثم عَرَجَتْ فَاحْتَوَاكَ انْتِقَاصُ
ثم بردت فانتصفت من النا
فقبولُ النفوسِ إِيَّاكَ عِنْدِي
إِنَّ قَوْمًا أَصْبَحَتْ تَنْفِقُ فِيهِمْ
أَوْ أَنَا سَ غَدَا وَرَأْحَا مِنَ الظَّرِّ
فمَنِي ظَفَرُوا بِزُورِ ظَرِيفٍ
كَأَلْ عَارِبٍ لَمْ يَرَوْا دَرْمَكَ البِسرِ^١ فَهَمَّ يَعْظُمُونَ خَيْرَ الشَّعِيرِ
وَكَذَا القَوْمُ لَمْ يَرَوْا لِحَةَ البَحْرِ^٢ فَهَمَّ يَكْبُرُونَ مَاءَ الغَدِيرِ
يَا ثَقِيلًا عَلَى القُلُوبِ خَفِيفًا
فِي المَوَازِينِ دُونَ وَزَنِ النَّقِيرِ
طَرِ سَخِيفًا وَقَع مَقِينًا فَطُورًا
كَسْفَاةً وَتَارَةً كَثِيرِ
وَلَهُ: وَثَقِيلٌ سَبْحَانُهُ مِنْ ثَقِيلٍ
وَتَعَالَى عَنْ كُلِّ مِثْلٍ وَنَدُّ
حَمَلِ اللَّهِ أَرْضَهُ تَقْلِيهَا وَعَلَاهَا بِثَالِثٍ مِنْ أَدُّ

وأجود ما قيل في تباعد الأشباه من الأقرباء^(٢) ما أخبرنا به أبو أحمد عن
الصولي قال سمعت المبرد يقول لم يقل في تباعد الأشباه من الأقرباء أجود من قول
ابن أبي عيينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه في كلمة:

أبوك لنا غيثٌ نعيشُ بفضله^(٣) وأنت جرادٌ ليس يبقَى ولا يَدْرُ
له أثرٌ في المسكراتِ يسرُّنا وأنت تعفى دائماً ذلك الأثر

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط «لعل خطة» وفي الأصل نقص كلمات إستكملناه

من الديوان . (٢) في نسخة «القرناء» . (٣) في الأغانى (يعاش بوبله) .

لقد قنعت قحطان خزيًا بخالد فهل لك فيه يخزك الله يا مضر
 فسمع المهدي بيته هذا فقال بل تكرمون وتؤثرون . وله في مثل ذلك يقول
 في قبضة بن روح بن حاتم يفضل عليه ابن عمه داود بن يزيد بن حاتم :
 أقبيصُ لستَ وأنَّ جهدتَ ببالغٍ ^(١) سعيَ ابنِ عمك في الندى داود ^(٢)
 شتانَ بينك يا قبيصُ وبينه إنَّ المذمَّمُ ليس كالحمود
 داودُ محمودٌ وأنَّ المذمَّمُ عجباً لذلك وأتانا من عود
 ولربَّ عودٍ قد يشقُّ لمسجد ^(٣) نصفاً وسائرهُ لحشَّ يهود ^(٤)
 وقلت في خلاف ذلك :

كم حاجةٌ أزلتها بكريم قومٍ أو لثيم
 فاذا الكريم من اللثيم أو اللثيم من الكريم
 سبحان ربِّ قادرٍ قدر البرية من أديم
 فشر يفهم ووضعهم سيان في شرفٍ ولوم
 قد قلَّ خيرٌ غنيهم فغنيهم مثلُ العديم
 وإذا اخترت حميدهم ألفيته مثل الذميم
 لا (نفع فيه) ^(٥) للصفير من الأمور ولا العظيم
 أنظر إلى كبرِ الجسو م ولا تسلِّ رفع الجسيم

وقالوا أنصف بيت قيل في الهجاء قول حسان :

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 أنهجوه ولست له بكفء فشر كما خبير كما الفداء

-
- (١) في الأغاني (بمدرک) . (٢) في الأغاني (ذي العلاء داود) .
 (٣) سقط من النسخ (لمسجد) فاستدر كناها من الأغاني .
 (٤) في النسخ مصحفة ، والتصحيح من الأغاني .
 (٥) في النسخ يياض ولعله سقط (نفع فيه) أو (خير فيه) أو ما يقار بها وزناً ومعنى .

يقوله في أبي سفيان بن الحارث ، وفيه يقول أيضاً :
 أبوك أبٌ حرٌّ وأمك حرّةٌ وقد بلد الحرّانِ غيرَ نجيب
 فلا يعجبنيّ الناسُ منك ومنهما فما خَبَثُ من فضةٍ بعجيب
 وأخبرنا أبو علي بن أبي حفص أخيراً نا جعفر بن محمد قال أهدى ما قالت العرب قول الشاعر :
 فصراً على ذلِّ ربيع بن مالك وكلُّ ذليل خير عاداته الصبر
 تحالفكم فقرٌ قديمٌ وذلةٌ وبئسَ الخليقانِ المذلةُ والفقر

.....

ومن غير هذا الفن ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال قال أبو سرح
 سمعني أبو دلف أنشد :

لا يمنعنك خفضُ العيشِ في دعةٍ نزوعُ نفسٍ إلى أهلِ وأوطانِ
 نلتقي بكلِّ بلادٍ إن حلتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانِ
 فقال هذا الأُم بيت قائله العرب . والنزوع ههنا ردء والجيد النزاع ، وأما
 جعل هذا البيت أبو دلف الأُم بيت قائله العرب لانه يدل على قلة رعاية وشدة
 قساوة ، وحنين الرجل الى وطنه من المناقب التي يعتد بها ويمدح لأجلها لما فيه
 من الدلائل على كرم الطينة ووفور العقل ، وقد قالت الحكماء : حنين الرجل الى
 وطنه من علامات الرشدة . وقال بزرجمهر : من علامات العاقل بره باخوانه
 وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه ، وقال أعرابي : لا تشك بلداً فيه قبائلك
 ولا تجف أرضاً فيها قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها جزءاً من
 السوط وأكيس الصبيان أشدهم بفضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حينئذ إلى
 أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لامهاتها وأكرم الناس آلفهم للناس .
 وقلت : إذا أنا لأشتاق أرضَ عشيرتي فليس مكاني في النهي بمكين
 من العقل أن أشتاق أولَ منزل غنيتُ بخرق في ذراه ولين
 وروض رطاه بالأصائل ناظري وغصنُ ثناه بالعداة يميني

وَأَيَّ لَأَنْسَى الْعَهْدَ إِذَا أَتَتْ بِنَاتِ النَّوَى دُونَ الْخَلِيطِ وَدَوَى
 إِذَا أَنَا لَمْ أُرْعَ الْعَهْدَ عَلَى النَّوَى فَلَسْتُ بِأَمُونٍ وَلَا بِأَمِينٍ
 وسند كرم من هذا الباب طرفاً فيما بعد ان شاء الله تعالى (١). ومما لا تنكاد
 تجد أجود منه في معناه ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال دخل بعض الشعراء
 على بعض الأمراء ببرقيده (٢) فجعل ينشده وجعل الأمير يعاتب جارية بين يديه
 ولا يسمع منه فخرج وهو يقول :

أَدَبٌ لِعَمْرُكَ فَاسِدٌ مِمَّا تُؤَدِّبُ بَرَقِيمِدُ
 مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ فَكَيْفَ يَعْرِفُ (٣) مَا يَرِيدُ
 مَنْ لَيْسَ يَضْبِطُهُ الْحَدِيدُ فَكَيْفَ يَضْبِطُهُ الْقَصِيدُ (٤)
 مَالِي رَأَيْتُكَ مَرْسَلًا أَيْنَ السَّلَامُ وَالْقِيُودُ
 أَغْلَا الْحَدِيدُ بِأَرْضِكُمْ أَمْ لَيْسَ يَصْطُكُ الْحَدِيدُ

وقلت في المعنى الذي تقدم :

قَلَّ خَيْرُ ابْنِ قَاسِمٍ فَغَنَاهُ كَعْدَمُهُ
 كَادَ مِنْ خَشْيَةِ الْقُرَى يَخْتَبِي فِي حِرَامِهِ
 جَازَ فِي اللُّؤْمِ حَدَّهُ كَأَيْسِهِ وَعَمِهِ
 كَادَ بِعَدِيكَ لَوْمُهُ لَوْ تَسَمَّيْتَ بِاسْمِهِ

وقلت : قرانا بقولاً إذ أنحننا بيبابه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
 وقفنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر (٥) قائم

(١) وذلك في « القول في الحنين إلى الأوطان في الجزء الثاني ص ١٨٦ » .

(٢) بليدة في طرف بقعاء الموصل . (٣) في معجم البلدان (يدري) مكان

(يعرف) . (٤) هذه الأبيات الثلاثة هي التي ذكرت في معجم البلدان ،

وأما البيتان الآتيان فلعلهما من أبيات أخرى أوردها ابن خلكان في ترجمة

يوسف البياسي . (٥) في الأصل هنا (أعبر) وسيأتي في موضع آخر (أعبر) .

فصامٌ وصوم الليل ليس بجائز وان جازٌ في فقه^(١) اللثام الاشائم
 أجازَ صيامَ الليل حين استفرَّه^٢ تعاوَرُ ضيفٌ في دُجى الليلِ طائم
 فبتنا أديمَ الليلِ نطوي على الطوى كأننا على غبراءَ من ظهرِ واشم
 وأطمعنا لما مرقتنا^(٣) من الدُّجى دحاريجَ لا تنساقُ في حلقِ طاعم
 مُدَوِّرةً سودَ المتون^(٤) كأنها خصى الزَّنجَ لاحت تحت فيشِ قوائم^(٥)
 فأبشارها تحكى بطونَ عقاربٍ وارؤسها تحكى أنوفَ محاجم
 ومن أعجب الهجاء هجو الرجل نفسه وهو مارويناه للحطيشة ثم قال ديك الجن :

أيها السائلُ عني لست بي أخبر مني
 أنا إنسانٌ برأى الله في صورةِ جنى
 بل أنا الاسمجُ في العيسن فدع عنك التظني
 أنا لا أسلم من نفسي من يسلم مني

وهجأ أبو نواس نفسه من حيث لا يعلم فقال في رجل وعده أبو نواس وعداً ثم مطله :
 وأخوس^(٥) ولاجٌ عليٌّ ورائحٌ^٦ رجاءَ نوال لو أعين^(٦) بوجود
 زويتٌ^(٧) له وجهاً قطوباً عن الندى وأياسته من وعده بوعيد^(٨)
 فان كنتَ لآعن سوء فملك مقلماً فدونك فاستظهر بنعل حديد
 فعندى مطلٌ لا يطير غرابه مطير ولا يدعى له بوليد
 ومن خبيث الهجاء قول ابن الرومي :
 منى الهجاء ومنك الصبر فاصطبر لشرِّ منتظر ياشرِّ منتظر

(١) في الأصل (نقد) مكان (فقه) الواردة فيايساى .

(٢) في الأصل (فرقتنا) . (٣) يريد الباذنجان . (٤) في الأصل (قيس) .

(٥) في ديوان أبي نواس (وأخوس) بانحاء المعجمة ، ولعل ما في الأصل هو

الأقرب . (٦) في ديوان أبي نواس (لويغان) . (٧) في الديوان (قطبت له) .

(٨) في الديوان (من نائل بوعيد) .

أنت اللثيم فان تصبر فمن قحة
على الهوان وإن تجزع فمن خور
رأيت عيبك شعري حين تالمه
شبيهه عضُّ أخيك الكلب للحجر
فانظر إلى الكلب مرماً لتعلم أن
لم تترك شيئاً منه ولم تدر
وقال ابن الزمكدم :

وليلٍ كوجه البرقعيدى ظلمة
وبرد أغانيه وطول قرونيه
سريت ونومي فيه نوم مشرد^١
كعقل ابن هرون ورقه دينه^(١)
على أولق فيه اختبال^(٢) كأنه
أبوجابر في خطبه وجنونه

ومن أبلغ ما قيل في الجبن من الشعر القديم قول الشاعر :

ولو أنها عصفورة لحسبتها مسومةً تدعوا عبداً وأزماً

أى لورأيت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا مسومة، ومثله قول عمرو بن الورد:
وأشجع قد أدر كتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
ومثله قول الآخر :

مازلت تحسب كل شيء بدمهم
خيلاً تكبر عليهم ورجالا
وقال أبو تمام :

موكل بفضاء الأرض يشرفه
من خفة الخوف لا من خفة الطرب
وأبلغ ما قاله محدث في ذلك قول ابن الرومي :

وفارس أجبن من صفره
يحول أويهور من صفره
لو صاح في الليل به صائح^٣
لكانت الأرض له طفره
يرحمه الرحمن من جبنه
فيرزق الجندبه النصره

وقال في سليمان بن عبدالله بن طاهر:

قرن سليمان قد أضر به
شوقه إلى وجه سيدته
لا يعرف القرن وجهه ويرى
قفاه من فرسخ فيعرفه

(١) في معجم البلدان (كعقل سليمان بن فهدودينه) . (٢) في المعجم (فيه الهباب) .

وقال فيه : هو الأسد الورد في قصره ولكنه ثعلب المعركة
ومن ظريف ماجاء في ذلك قول أبي العمر هرون بن محمد من أهل آمل خرج
عليه اللصوص فلم اليهم متاعه وهرب : أنشدناه أبو أحمد عن الانباري :
طلبت تشجني ضلاً بتضليل وللشجاعة خطب غير مجهول
هاتي شجاعاً بغير القتل مصرعه أوجدك ألف جبان غير مقتول
والله لو أن جبريلاً كفل لي بالانصر ما خاطرت نفسي لجبريل
إسمع أحدثك عن بأسى شكر؟ خلاف بأس المساعيز البهليل
لما بدت منهم نحوى ؟ تسرع الذعر في عرضي وفي طولي
حتى اتقيتهم طوعاً بذات يدي وانصعت أطوي الغلاميلا إلى ميل
الله خلصني منهم و ؟ حتى تخلصت مخضوب السراويل
وهذا خلاف ما قاله المتنبي :

وإذا لم يكن من الموت بدٌّ فمن العجز أن تموت جباناً

وقال سعيد بن العاصي حين هرب مروان بن محمد :
لجَّ الفرارُ بمروانٍ فقلتُ لهُ حادَ الظلومُ ظليماً ههُ الهربُ
أني الفرارُ وتركِ الحربِ إذ كشفت عنك الهويتنا فلا دينٌ ولا حسبُ
فراسه الحلم فرعون العذاب وان تطلب نداءه فكاب دونه كلبُ
فشبهه بالنعامة في الجبن وهو من أنفر الحيوان . وقال بعض العرب :
نفرجة ينفر من ظل الشجر فؤاده أنثى وضرسه ذكر
والنفرجة الجبان . ومن جيد ما قيل في النضير قول بعضهم :

الكوكب الذنبى يخبر بالعجائب بعد سبعة

خلعوا عليه وبجلوا ه وصار في عزٍّ ومنعه

وكذاك يفعل بالجدو ر لنجرها في يوم جمعه

وقريب منه : وزارة العباس منكوسة تقطلع الدولة من أسها

كأنه حين غدا راكباً في خلعة يعجز عن لبسها
 جارية السوء إذا جربت ثياب مولاها على نفسها
 وأكسل ما سمعناه ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن عماد عن سليمان عن يحيى بن
 سعيد الأموي لبعضهم :

سألت الله أن يأتي بسلي وكان الله يفعل ما يشاء
 فيأخذها ويطرُحها بجنبي ويرقدُها وقد كشفَ الغطاء
 وبأخذني ويطرُحني عليها ويرقدُها وقد قضى القضاء
 ويرسل ديمةً سحاً علينا فيفسلنا ولا يلتقي عناء
 أخبرنا أبو أحمد عن أبي عمر عن ثعلب قال قلت لابن الأعرابي من أحق
 الأعراب؟ قال أعرابي سبق الناس إلى الموسم وجعل يدعو الله لخاله وشأنه
 ويقول : اللهم اقض حاجتي قبل أن يدهمك الوفد . قال ثعلب أفلا أدلك على أحق
 منه الذي يقول :

خلق السماء وأرضه في ستة وأبوك يمدد حوضه في عام
 وسألني بعض الأديب من أهل البصرة فقال أي الشعراء أشد حمقاً؟ قلت الذي يقول:
 أتبه على إنس البلاد وجنسها ولو لم أجد خلقاً لتهدت على نفسي
 أتبه فلا أدري من التيه من أنا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
 فان صدقوا أني من الانس مثلهم فما في عيب غير أني من الانس
 فقال ما عدوت ما في نفسي . وقال بعضهم لابنه إياك والكبر وكيف الكبر مع
 النظافة التي منها خلقت والرحم التي فيها حملت والغذاء الذي به غذيت .

ومن بليغ ماجاء في ذم الكبر قول بعضهم : التواضع مع السخافة والبخل أحد
 من السخاء والأدب مع الكبر والعجب . وقلت في مثل هذا :

وعندهم مُذنبٌ مُذنبٌ أحمد من محسن مدل

وأبلغ ما قيل في صلابة الوجه قول الأعرابي : لو دق بوجهه الحجارة لرضها

ولو خلا بالكعبة لسرقها .

ومن المنظوم قول بعضهم :

لو كنت من شيء خلافاً لم يكن ليكون إلا مشجباً في مشجب
يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب
والبيت الأول مأخوذ من قول بعضهم : فلان يشجب من حيث رأيت ووجدت (لا) .
وقد أحسن ابن أبي العتاهية في قوله :

قتلت (لا) فإنها خلعت خلة العدم^(١)

فهي تستهلك الجميل وتأتي على الكرم

وقول أبي تمام :

وسابح هطل التعداء هتان على الجزاء أمين غير خوان
أظني الفصوص ولم نظماً قوائمه فخل عينيك في ظان ريان
فلو تراه مسيحاً في الحصى ريم تحت السنابك من مثني ووحدان
أيقنت ان لم تثبت أن حافره من صخرة تدمر أو وجه عثمان

وقال في معناه يمدح رجلاً وبهجو عثمان هذا :

عثمان لا تلهج بذكر محمد يرضيك طول المجد عنك وعرضه
بذلك كله امساكه ويفوت بسطك في المسكارم قبضه
وكان عرضك في السهولة وجهه وكان وجهك في الحزونة عرضه
وقال أبو الشعمق :

صلابة الوجه سلاح الفتي ورقة الوجه من الحرفه

من كان صلباً وجهه محكماً فانت منه الدهر في طرفه

ومن أنجل ما قاله محدث قول ابن طباطبا الأصبهاني يخاطب غلامه :

إجعل الزوج من سراجك فرداً واقتصد يا غلاماً والقصد أجدى

ان يكنُ فعدك الضياء رديناً فاقصادي للزر أردى وأزدي
وقد غير هذا البيت في وجوه الأبيات المقولة في البخل .

ومن أملح ما قيل في مخالفة ظاهر الرجل باطنه قول بعضهم :

إذا ما جئتَ أحمدَ مستبيحاً فلا يفرركَ من ظره الأنيقُ
لهُ خلقٌ وليسَ عليه خلقٌ كسارقةٍ تروق ولا تريق

ومن ملح في الدعوة رزين العروضي :

لقد جئتَ يا ابنَ أبي تبَّعٍ بأُمِّ الدَّواهي لدى المجمع
حلفتُ بأنك^(١) من حميرٍ وليس اليمين على المدعى

وملح أيضاً في قوله :

ان فخرَ الناسِ بأبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلتَ وأرغمتَ أباً خاملاً أنا ابنَ أختِ الحسنِ الحاجب

ومن أملح ما قيل في إفشاء السر قول بعضهم :

أودَّعتُهُ السرَّ فالفيتُهُ أُمٌّ من كأسٍ على راح

وقال السري :

تنتي عنك فاستشعرتَ هجراً خلالَ فيك لست لها براض

وانك كلما استودعتَ سراً أُمٌّ من النسيم على الرياض

وقد أحسن كعب بن زهير غاية الاحسان في قوله :

ولا تمسك بالعهد الذي عهدتَ إلا كما يمسك الماء الغرايل

وأخذة الخطيئة فقال :

أغر بالآ إذا استودعتَ سراً وكانوا على المتحدِّثينا

والكانون: الرجل الثقيل، قال الشاعر :

ليت الكوانين في زبل معلقة تحت الثريا بجبل ثم ينقطع

(١) في الأصل «حلفت بأبائك» .

وقدمر فيا تقدم بيت الحطيثة .

ومدح ابن الرومي ابن المدير ^(١) فردمديحه فقال فيه :

رَدَّتْ عَلَى مَدْحِي بَمَدِّ مَطْلٍ وَقَدْ دَنَسَتْ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَا

وقلت امدح به من شدت غيري ومن ذا يقبل المدح الرديدا

ولاسيا وقد اعلقت ^(٢) فيه مخازيك اللواتي لن تبيدا

ثم اخنى عليه بالهجاء حتى قال فيه وقد ضربه الريح بالاهواز ضربة في وجهه مدحه بها البحتري مدحا كثيرا فمن ذلك قوله :

ووجه ضمان البشر فيه موقف ^{هـ} على النجح والحاجات تُتري عجالها

به من صفيح الهند وشم تبينه ^{هـ} صفيحة ^{هـ} وضح يروق جالها

متى ربدتها عزة ^{هـ} أو حفيظة ^{هـ} أعيد اليها بالسؤال صقالها

متى ترها يوما عليها دليلها ^{هـ} تعجبك من شمس عليها هلالها

وذكرها ابن الرومي فأفحش في قوله :

بوجه أبي اسحق صدع ^{هـ} كمرضة ^{هـ} له قصة غير الذي هو يظهر

يخبر عنه أنه أثر ضربة ^{هـ} ببعض سيوف الزنج حين يخبر

وماضربته الزنج في الوجه بل رأى ^{هـ} أبورهم فانشق في وجهه حر ^{هـ}

في آيات سخيفة فطلبه ابن المدير أشد الطلب فلما ظفر به وأراد قتله أنشأ يقول :

حَقَّكَ الصَّفْحُ عَنْ ذُنُوبِي وَحَقِّي أَنْ قَتَلِي مُحَمَّلٌ لَكَ طَلْقٌ

فاعف عن عبدك المسيء ولا تبطل بما يستحو ^{هـ} ماتستحق ^{هـ}

فمعا عنه وأجازه . وقال يهجو بخيلا :

نمائك عندي التي أقر بها ^{هـ} انك أصبحت لي من الغير

وحبك الذم لا تقي بك ما ^{هـ} أشبه خطم الخنزير بالقدر

أبديت في أوليات لؤمك ما ^{هـ} قدرت في أخريات الأخر

(١) في دائرة المعارف للبستاني (ابن المهدي). (٢) في الأصل (أعبتت) .

كالفطران الذي يرى أبدأً في رأسه ماقتنى من العكر
وهو من قول الناس أول الدن دردى . وقالت العلماء البلاغة أن يجعل المعنى الدنى
رفيعاً والمعنى الرفيع وضيقاً . ومثل قول ابن الرومي قول الديلمي :
في أوان الشباب حاجلى الشيبب وهذا من أول الدن دردى
وليس هذا بالختار لا بتدال لفظه . وقلت في بخيل :

قفع البردُ ضيف عمرٍ وفأضحى مثل من فيه ياأخي زمانه
بات للبرد في طهارة سوء ومن الجوع والطوى في بطانه
وهو قدماً للضيف جوعٌ وقرَّ ولمولاه ذلَّةٌ ومهانه
جمع الرأس بين رأسه ورجلى فكأنى في بيته أرسانه ؟
وقلت : ضفت عمراً نجمانى برغيف زادنى أكله على الجوع جوحا
ثم ولى يقول وهو كئيبٌ لهف نفسى على رغيف أضيعا
كان خداعة الضيوف ولكن ربما أصبح الخدوعُ خديما
كنت أنزلته محلاً رفيعاً فعدا ذلك الرفيعُ وضيعا
عجباً منه إذ أتبح هجاءُ كيف لم يمتنع وكان منيعا
(اتفاق الأسماء والألقاب وتباعد ما بينها فى الأخلاق)

قال الأوّل فى ذلك :

يزيد الخير إن يزيد قومي سميك لايزيد ولا نزيد
يقودُ عصابةً وتقودُ أخرى فيرزق من يقودُ ومن تقودُ
شبيهاً فى الولادة والتسمي ولكن لايجودُ كما تجود
ومثله : على وعبدُ الله بينهما أبٌ وشتان ما بين الطبايع والفعل
ألم تر عبد الله يلحى على الندى علياً ويلحاه على البخل
ومثله : فان يك مجرانا إلى جمع نسبة فى رأى والأخلاق مختلفان
ومأنت مثلى فى مقام أقومه لدى البأس إلا أننا أخوان

آخر: لئن وصلتْ أُوْتْنَا انتساباً لقد قطعتْ مرارتنا العقولُ
 أبوكَ أبى وأنتَ أخى وليكنَ تباينتِ الطبائِمُ والشكولُ
 أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قال لنا المكثف بالله يوماً ما أهدتك بيت
 من الشعر وأفجر قائل أنعرفونه؟ فقال يحيى بن على المنجم قول أبى نواس:
 ألا فاسقنى خراً وقل لى هى الخبرُ ولا تسقنى سرّاً إذا أمكن الجهرُ
 فقلت له ان المأمون أمر أن يخطب بهذا البيت على منابر خراسان وقال من
 عيوب محمد أنه استجلس رجلاً يقول ألا اسقنى خراً، وليكن الحسين بن الضحاك
 الخليع قد قال ما هو أهدتك من هذا قال وما هو؟ فأنشدته:

أتبعْتُ مُسْكراً بسكرٍ وابتعتُ خمرأً بقمرٍ

فقال هذا لعمري أهدتك من ذلك. قال أبو هلال رحمه الله تعالى: وأبلغ
 الهجاء ما يكون بسبب الصفات المستحسنة التي تخص النفس من الحلم والعلم والعقل
 وما يجرى مجرى ذلك، وليس الهجاء بقبح الوجه وضؤولة الجسم وقصر القامة
 وما في معنى ذلك بليغاً مرضياً، وينبغي أيضاً أن يتضمن الهجاء والمدح من نعوت
 المهجو والمدح وأسماؤهما وصفاتهما ما هما مشهوران به فاذا ذكر لم يجفيا.

خبرنا أبو أحمد عن أبى بكر بن دريد عن أبى عثمان^(١) عن التوزى عن أبى عبيدة
 قال مدح مصعب بن عمير الليثى عاصم بن عمرو بن عثمان بن عفان فحرمه فقال^(٢):

سيروا فقد جن الظلام عليكم فبئس امرؤ يرجو القرى عند عاصم
 دفعنا إليه وهو كالرُحِ خاطباً^(٣) فشدَّ على أكبَادنا بالعمائم
 ومالى من ذنبٍ إليه عدته سوى أنى قد جئته غير صائم
 فلولا يدُ الفأروق عندى رميته بقافيةٍ يحدى بها في المواسم

(١) (أبى عثمان) غير موجودة في الأصل فردناها اعتماداً على ماورد في أسانيد
 الكتاب في غير هذا الموضع. (٢) ذكر صاحب الاغانى ثلاثة أبيات منها منسوبة
 للحزبن باختلاف في بعض الألفاظ. (٣) في الاغانى « كالتييس طاعماً ».

فليتك من جرّم بن زيانَ أُوْبى نعيم أو النوكى أبان بن دارم
 أناسٌ إذا ما الضيفُ حلَّ بدارهم غداً جائعاً غرثان ليس بناءم
 فلما بلغ ذلك عاصماً قال ما أكثر من يسمي عاصماً حتى يقول : عاصم بن عمرو بن
 عثمان بن عفان فبلغه ذلك فقال :

جنبتها عاصماً من أن تلمَّ به أعنى ابن عمرو بن عثمان بن عفان
 إذا أناخت به الضيفان طارقة جاءت بنوه إلى الضيفان ضيفاناً
 فبلغه ذلك فقال : الآن طوقى بها طوق الحمامة لعنه الله تعالى . وقال بعضهم :
 أرى ضيفك في الدار وكرُب الموت يغشاهُ على خبزك مكتوبٌ سيكفيكم اللهُ
 وقال بشار (١) :

وضيفٌ عمرو وعمرو يسهران معاً عمرو لبطنته والضيفٌ للجوع
 آخر: نوالك دونهُ خرطُ القِتاد وخبزك كالثريا في البعاد
 ولو أبصرت ضيفاً في المنام حرمتَ المنامَ إلى التناد
 أرى عمرَ الرغيفِ يطولُ جدّاً لديك كأنه من قوم عاد
 وما أهجوك أنك كفاء شعري ولكنى هجوتك للتكساد
 وقال آخر: رأى الصيفَ مكتوباً فظنَّ لبخله ونصيفه ضيفاً فقامَ بوائبه
 ورأيت في ألفاظ هذا البيت زيادةً فقلت :

قد كان للمال ربا فصار في البخل عبدهُ وصحف الصيف ضيفاً فقامَ بلطمُ خده
 وقال أبو نواس : * على خبز إسماعيل واقيةُ البخل * أخبرنا أبو أحمد أخبرنا
 أحمد بن عماد أخبرنا ابن حدثني محمد بن عمران بن مطر الشامي حدثني خالي الحسن
 ابن محمد قال نصب إسماعيل بن أبي سهل في صحن داره فاصطحبنا أربعين يوماً
 ومعنا أبو نواس فبلغت نفقته أربعين ألف درهم - فقال أبو نواس بعد ذلك فيه :

خبزُ إسماعيل كالوشى إذا ماشقٌ يرفا

(١) من المولدين ، كان رقيقاً ضريراً ، اتهم بالزندقة فضرب حتى مات .

عجباً من أثر الصنعة فيه كيف يخفى
 إن رفاك هذا أطف^(١) الأمة كما
 فإذا ألصق بالنصف من الحروف نصفاً^(٢)
 أطف الصنعة حتى ماترى مطمن أشفى^(٣)
 مثل ماجاء من التنوير ما غادر حرفاً
 وله في الماء أيضاً عملٌ أبداع ظرفاً
 مزجه العذب بماء الـبـير كى يزداد ضعفاً
 فهو لا يسقيك منه مثل ما يشرب^(٤) صرفاً

فلم يسبق أبو نواس إلى هذه المعاني وهي كما تراها غاية . قال وقال فيه أيضا :

على خبز إسماعيل واقيةُ البخل فقد حلَّ في دار الأمان من الأكل
 وما خبزُهُ إلا كمنقاهٍ مفرَّبِ تصوَّرُ في بسطِ الملوك وفي المتل
 يحدث عنها الناسُ من غير رؤيةٍ سوى صورةٍ ما ان تمرَّ ولا تحلى
 وما خبزُهُ إلا كأوى يرى ابنه ولم يراوى في الحزونِ وفي السهل^(٥)
 وما خبزه الا كليب بن وائل ليالى يحمى^(٦) عزه منبت البقل
 وإذ هو لا يستبُ خصان عنده ولا الصوت مرفوعٌ بمجدٍ ولا هزل
 فان خبزُ إسماعيل حلَّ به الذي أصابَ كليلاً لم يكن ذلك عن ذلِّ
 ولكن قضاءً ليس يسطاع ردهُ بحيلةٍ ذى مكرٍ ولادهى ذى عقل
 وكان الجاحظ يفضل قوله * وإذ هو لا يستبُ خصان عنده * على قول مهلهل
 * واستبَّ بعدك يا كليبُ المنزل * وغير ذلك قال ابن الرومى :

- (١) في ديوان أبي نواس « أحذق الامة » . (٢) في الديوان « وإذا قابل
 بالنصف من الجردق نصفاً » والجردق: الرغيف . (٣) في الديوان (مفرز أشفى) .
 والاشفى بالكسر: المثقب . (٤) في النسخ (يشرب) مكان (يسقيك) وبالعكس .
 (٥) في ديوان أبي نواس « في حزون ولا سهل » . (٦) في الديوان « ومن كان يحمى » .

وقينة أبرد من ثلجة تظلُّ منها النفسُ في ضجة
 كأنها من ننتها ثومةٌ لكنها في اللونِ أترجَه
 تفاوتتْ خلقتها فاعتدتْ لكلِّ من عطل محتجَه (١)
 كأنها والوشمُ في جلدها زرنخةٌ شيبتْ بلبنجه
 خراجةٌ للفسقِ دخالةٌ تعجبها الدخلةُ والخرجه
 كأنما فقحتها فحمةٌ فت عليها طابث ثلجَه

وهي أبيات سخيفة تركت أكثرها لسخفه . ونقل قوله * فهي لمن عطل محتجَه *

إلى موضع آخر فقال في اسماعيل بن بلبل :

لأُسقيتْ نعي تسربلتها كم حجبةٌ فيها لزنديق
 وقد أبدع أبو نواس في قوله يهجو جعفر بن يحيى :

قالوا امتدحتْ فإذا اعتضتْ قلتُ لهم خرقَ النعالِ وإخلاقِ السراويل (٢)
 ذاك الأمير الذي طالتْ علاوتهُ كأنه ناظرٌ في السيفِ بالطول

وكان جعفر طويل الوجه والفتا . وقال فيه أيضا * قفا ملك يقضي الهموم على بثق *

وقلت : سوداء يذرفُ دمعها مثلَ الاتونِ إذا وكفُ
 وكأنها من قبحها سلحُ العليلِ على الخرفِ

وقال أبو تمام :

فأشهدُ (٣) ماجسرتَ عليَّ إلا وزيدُ الخليلِ دونك في الشجاعه
 ووجهك إذ رضيتَ به نديما فأنتَ نسيجٌ وحدك في القناه
 ولو بدلتُهُ وجهاً إذا لم أصلٌ به نهراً في جماعه

ومن أعجب ما قيل في كبر الأنف قول كشاجم :

لقد مرَّ عبدُ الله في السوقِ راكباً له حاجبٌ من أنفه وهو مطرقُ
 رعيت له من جانب السوقِ مخطاةً توهمت أن السوقَ منها سيفرقُ

(١) في الأصل « فهي لمن عطل محتجَه » . (٢) في ديوان أبي نواس

« إبلاء السراويل » . (٣) في ديوان أبي تمام « فأقسم » .

فأقدر به أنفأ وأقدر برُّه على وجهه منه كنيفٌ معلقٌ
وقال غيره: أنت في البيت وعزيبك في البيت يطوفُ

ومن أقبح ماجاء في قبح الاسنان قول جرير:

إذا ضحكت شبهت أنيابها العلي خفافس سودا في صرارة قلب
وأما خص الأنياب العلي دون السفلى لأنها تبدو في التبسم والتكلم وعند
التثاؤب، وهو كقول الآخر:

إذا كان يهدى برد أنيابها العلي لأفقر مني أنى لفقير

فشبه أسنانها بالخفافس وسعة فيها بالقلب، والصرارة: الماء الفاسد فشبه به فساد
نكمتها. وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن الرياشي عن ابن سلام قال دخلت ديباجة
المدنية على امرأة فقيل لها كيف رأيتها قالت لعنها الله كأن بطنها قرية وكان
تديها دبة وكان استها رقعة وكان وجهها وجه ديك قد نفش عرفه يقاقل ديكاً.

ومن بديع الهجاء بالتبرق والتمخط والبخر قول ابن الرومي:

من سدّة في أنفك المورّم	تحسب مزكوما وان لم تزكم
إن لم تنزع مرّة تنخم	محشرج الصدر برطلي بلغم
دكنا رقطاء بقيح أودم	نخامة كالضفدع الموشم
تضطر من أنف وتفسو من فم	ممتخطاً بالكوع أو بالمصم
حتى دعاك الملائم أرحم ترحم	ذانكهة من لم تمته يصدم

وقال جحظة^(١) في البخر:

وأعرض عني جانباً فحييت	تنفس في وجهي فكادت أموت
وربكما يا صاحبي خريت	ونسى؟ حتى حسبت بأنني
	وقال بعضهم في سرعة الكلام:
فراريج يلقى بينهن سويق	كأن نبي را الان إذ جاء جمعهم

(١) هو أحمد بن جعفر البرمكي، لقبه عبد الله بن المعتز بجحظة.

وقال دعبيل في قصر الشعر :

فدوهاءُ شوهاءُ لها شعرةٌ
كانها خملٌ على مسح

وقال ابن المعتز في أمردينتف :

وَخَدُهُ مُشَوِّكٌ مَزْوَرٌ التلويز
وَأَنْفُهُ كَسْتَرَةٍ مُشْتَرِقِ الْأَفْرِيزِ^(١)
وَقَلْتُ : لَعِبَ الزَّمَانُ بِحَسَنِ وَجْهِ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ مَعْرُوفَ الْجَمَالِ فَلَمْ يَزَلْ
عَهْدِي بِهِ مُتَكَفِّرٌ مُتَعَصِّفٌ
وَكَأَنَّما صَدَّغَاهُ فِي وَجَنَاتِهِ
كَأَنَّهُ فَرِيضَةٌ كَثِيرَةُ الشُّونِيزِ
تَحْسِبُهُ إِذَا بَدَأَ سِجَاةَ النُّورِوزِ
لَعِبَ الصَّبَا بِالرَّبِّعِ حَتَّى أَقْفَرَا
يَنْتَابُهُ^(٢) الْحَدَثَانِ حَتَّى أَنْكَرَا
ثُمَّ اغْتَدَى مُتَصَنِّدَلًا مُتَزَعْفَرَا
جَعَلَانِ يَنْتَابَانِ سِلْحًا أَصْفَرَا

وقال ابن الرومي في غير هذا المعنى يحكى عن امرأة :

أَنَا كَعْبَةُ النَّبِكَ الَّتِي نَصَبْتُ لَهُ
فَتَيْبَةٌ بَيْنَ مَقَابِلٍ وَمَدَائِرِ
كَأَجِيرَى الْمُنْشَارِ يَجْتَذِبَانِهِ
وَلَا أَعْرِفُهُ سَبَقَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى وَهُوَ مِنْ أَظْرَفِ مَعْنَى وَأَعْجَبِهِ .
فَتَلَقَّ مِنِّي^(٣) حَيْثُ شَدَّتْ وَكَبَّرِ
مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمَقْبَلِ أَوْ مَدِيرِ^(٤)
مُتَنَازِعِينَ فِي فَلَيجِ صَنْوَبِرِ

وقال أيضاً وهو من ظريف المعاني :

رَأَيْتُ فِي دَارِ حَسَنِ مَشْرَعَهُ
لَهَا بِظُورٍ فِي اسْتِهَا مَجْمَعَهُ
وَأَمْرَاةٌ قَاعِدَةٌ مَرْبَعَةٌ
كَأَنَّهَا أَتْرَجَةٌ مَقْقَعَةٌ

وقال في خصي أراد أن يتزوج بامرأة :

قُلْ لِنَجْحِ أَخْطَاتِ بَابِ النَّجَاحِ إِذْ نَعَاطَيْتَهُ^(٥) بِلَا مِفْتَاحِ
لَسْتُ بِالسَّابِحِ الْمَجِيدِ فَدَعِ عَنَسِكَ رُكُوبَ الْبَحَارِ لِلْسَّابِحِ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (تحشى من الافريز) . (٢) في الأصل مبهمه من

النقط . (٣) في ديوان ابن الرومي (فتلق منها) . (٤) في الديوان (ولمدبر) .

(٥) في ديوان بن الرومي المخطوط (بل نعاطيته) .

فقطع الحبَّ بالخصيِّ كما يفضعُ فقد المردى بالملاح
 ليتَ شعري بما تظنك تصبي قلب ودان يا كسيرَ النجاح
 أبوجه كأنه وجهُ قردٍ حائل اللونِ جامد المصباح
 نمشة فوق صفرة قتره كوزيم الذُّباب في اللقاح
 إنما أنتمُ فقاحٌ فمهلاً ماغناء الفقاح في الأرحاح
 إنَّ من يعشق النساء بلا أبيض كمثل الغازي بغير سلاح
 لن يكونَ الطعانُ إلا برمح فدعوا^(١) الطعن للطوال الرِّماح
 ثم قال: معشراً شبهوا القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح
 وهي طويلة. ومن أعجب ما قيل في البحر قول الخالدي في رجل حلق سبالة بعد أن أطاله:

حلفتَ سبالك جهلاً بما يوارى من النكرات القباح
 فعدبت صجبك حتى المساء وعذبت عرسك حتى الصباح
 فلا أبعد اللهُ ذاك السبال فقد كانَ سترًا على مستراح

وقال ابن السكن:

رجلٌ يعقُّ الكأس كلَّ عشية ويعاقب المسواك كلَّ صباح
 وقلت: قال لي صاحبي وقد صفقته نفحات الكروس من في وصفه
 لعنَ اللهُ ليلةً بتُّ فيها مع رفيقي كأننا في الكنيف
 وقد أبدع ابن الرومي في قوله:

فسا على القوم فقالوا له إن لم تقم من بيننا قمنا
 فقال لا عدتُ فقالوا له من ينف فيه ذا كما كنا

وقال أيضاً يذكر قينة:

مسمومة^(٢) الرِّيق إذا قبلتُ صمفت التقبيل تقبيلاً

(١) في ديوان ابن الرومي (فاتر كوا).

(٢) في الاصل «مسخوقة» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط.

قبلها جلودِ عرارة يحسنُ للبخراءِ تقيلاً
 فاحشةُ النقصانِ لكنها قد كَلَّتْ بِالْبُظْرِ تَكْيِلاً
 أزرى بها اللهُ فلم يعطها إلا بطولِ البُظْرِ تفضيلاً
 إذا بدا الفيلُ وخرطومُهُ قلنا أطارَتْ بظرها الفيلاً
 غول بيت الشرب من قبها يرونَ في النومِ التهاويلاً
 ما أحسنَ الأرقمَ طوقاً لها وأحسنَ الأسودِ كليلاً
 قد عَذَّبَ اللهُ امرأً نالها طورَينِ تعجِلاً وتأجيلاً
 لها ضراطٌ ريمهُ عاصفٌ يطفيءُ في الليلِ القناديلاً
 حلت سراويلي على واسع ماخنته إلا سراويلاً
 أحللت تنكيلى ياب استها فكان للتنكيلِ تنكيلاً
 لورامت التوبة لم تستطع لسنة الشيطانِ تبديلاً
 يابسة العود وقد ذلت قطوفها للنيلِ تذيلاً

وهي طويلة عجيبة ليس لأحد في ملاحظتها وعلو وجودتها وكثرة معانيها شيء .

ومما قيل في طول اللحية قول ابن الرومي :

ولحية لو شاء ذو المعارج أغنى بها كواسد النواسج^(١)
 بنسج مسحين لخان الدارج^(٢) وفرق الباقي على الكواسج

ومن ذلك قول بعضهم وهو مشهور :

ألم تر أن الله أعطاك لحيةً كأنك منها قاعدٌ في جوالقي
 وقال الآخر : ألم تر أن الله أعطاك لحيةً كأنك منها بين تيسين قاعدٌ

وكان العوفي إذا كتب كتاباً أخذ لحيته تحت إبطه وإذا كلمه انسان من
 الجانب الآخر التفت إليه فخلصت لحيته من تحت ابطه فمرت على الكتاب

(١) سقط من النسخ « كواسد النواسج » وكذلك في شعر ابن الرومي نقص

كثير في الأصل استكملناه من الديوان المخطوط . (٢) في الديوان (الديزج) .

فطمست جميع ما كتبه فيقول اللهم غفرا ، فقال فيه بعضهم أوفى غيره :
 لحيه قاضي القضاة لوجهته مجهودها لم تكن كمنفقته
 إذا أراد السكرى توسدّها فقد كفته مكان مرفقته

وقال رتبة بن مصقلة لأبي شيبة القاضي : لو كانت لحيته هذه من الذنوب
 لكانت من الكبائر . وقد قيل من تدلت لحيته فقد تقلص عقله .

وقلت : قل للمدلل بلحية موفورة وسما ولحية كل الحى جبهه
 لا يعجبك طول نبذك إنّه من طال لحيته تكوسج عقله
 وقد أجاد ابن الرومي وأبلغ وجمع في أبيات من المعاني ما لم يجمعه أحد في
 هذا الباب وهو قوله :

ان تطلّ لحيه عليك وتعرض	فالحالى معروفة للحمير
علق الله في عذاريك مخلّا	ة ولكنها بغير شمير
لو غدا حكمها على لطارت	في مهب الرياح كل مطير
ارع منها موسى فانك منها	شهد الله في أنام كبير
أيما كوسج رآها فيلقى	ربه بعدها صحيح الضمير
هو أحرى بأن يشك ويغرى	باتهام الحكيم في التقدير
ما تلقاك كوسج قط إلا	جور الله أيما تجوير
لحيه أهملت فطالت وفاضت	فاليها تشير كف المشير
مارأتها عين امرئ مارأتها	قط إلا أهل بالتكبير
روعة تستخفه لم يرعها	من رأى وجه منكر ونكير
فأتق الله ذا الجلال وغير	منكر منك ممكن التغيير
أوقفصر منا فحسبك منها	قيد شبر علامة التذكير
لو رآها النبي يوماً لأ	في لحي الناس سنة التقصير
واستحب الأحماء فيهن والخلق	مكان الاعفاء والتوفير

أراد قول النبي ﷺ « أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا عَنِ اللَّحْيِ »^(١) .
 وقلت : ان أبا عمرو له لحيةٌ بيضةٌ البعض من البعض
 مضى الى السوق وعثنونه أقام في البيت فلم يمض
 وهو إذا ما مرَّ في سكةٍ يملأها بالطول والعرض
 يدوسها الناسُ بأقدامهم كأنها أرضٌ على الأرض

وأخبرنا أبو أحمد عن أبيه قال قال الجواز كان لبعض أصحابنا في الظاهرة تل
 تراب فأتاه غلامه برجل يضرب له اللين وقد حمل في عنقه قالباً وإذا لحيته ملء
 القالب فقلت له ليس في قالبك فضل يدخل فيه الطين مع لحيتك فقال إنى سأخرجها
 من القالب قبل ضرب اللين وإنما أردت أن أدفئها فيه قليلاً ، قال فلما رأيت حقه
 قلت يحتاج أن يضرب في كل يوم ألف لينة . قال خريم أنا أقدر على ذلك .
 وقال الناجم : لابن شاهين لحيةٌ طولُهُ شطرٌ طولها
 فهو الدهر كله عائرٌ في فضولها

ولولا القصد لجمع أعيان المعاني والشرط المتقدم تركت التشنيع المفظوظ من
 المنظوم والمنثور على أن العلماء لو تركوا رواية سخييف الشعر لسقطت عنهم فوائد
 كثيرة ومحاسن جمة موفورة في مثل شعر الفرزدق وجريير والبعيث والأخطل
 وغيرهم ولولم يصلح ذكر الفروج بتصريح أسمائها لكان تسمية أهل اللغة
 إياها بذلك خطأ وهذا محال^(٢) .

ومما قيل في الذمامة وقصر القامة ما ينسب لأبي نواس وهو لغيره^(٣) :
 إذا استنَّ في قوهية متبخترا فقل جردٌ يستنُّ في لبنٍ محض

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم بألفاظ مختلفة - كما في
 كشف الخفا . (٢) ولكن للكناية محاسن ، وفي معنى الحديث الشريف
 ان الله يكره الفحاش البذيء اللسان . (٣) نسبها القالى في الامالى لرجل من
 أهل الكوفة : وفيها : إذا راح في قبضية متأزراً فقل جمل يستن في لبن محض

فأقسم لو خرت من استك بيضة^{هـ} لما انكسرت من قرب بعضك من بعض
وقال غيره: ألا يا بندق الشطرنج في القيمة والقامه
وقال آخر: يعثر الناس في الطريق من دمامته؟
وقال آخر: فقام إلى الغلام أسي وغيظاً بقدر لم يزد فيه القيام^{هـ}
وقال ابن الرومي: أنت تشتم عرضي وأنت في طول أبري
وقال الناجم: ينقص الأحرار من شأنه وهو أخو القلة والنقص
كأنه البرغوث لم يخطه في صغر الجثام والقرص
وقال: وعازب الرأي ضعيف مغرور مكائر في العلم وهو مكشور

في جسم عصفور وحلم عصفور

وقال آخر: كأنهم كلي غم الأضحى إذا قاموا حسبهم^{هـ} قعودا
وفي غير هذا المعنى قول الآخر:
إذا لبس البياض فعدل قطن وأن لبس السواد فعدل فخم
وقال ابن الرومي في القبح والسواد:
وجهك يا جعفر من قبحه أولى من العورة بالستر
كأنما تأوى إليه الدجى إذا هوى انقضت عن الفجر
وقال ابن طباطبا في مجدور:

ذو جُدري وجهه يحكيه جلد السمكه
أو جلد أفعى ساخت أو قطعة من شبكه
أو حلق الدرع اذا أبصرتها مشتبهه
أ. سفر محبب أو كرش منفركة
أو منخل^{هـ} أو عرض^{هـ} رقعته منهته
أو حجر الجما كم من وسخ قد دلكه
أو كور زنبور اذا فرخ فيه تركه

أو كدر الماء إذا ظهر فيه حبك
أو سلحة جامدة تنقر فيها الديكة
بيغضه من قبحه كل طريق سلكه

وقد أبدع ابن الرومي :

جدري ما شأنها وهي شين كل أثر في ذلك الوجه نقش
بدلت من ضفائر وقرون^(١) حمل أنف فيه لفرخين عش

وقلت في غير هذا المعنى :

قد حسن ظاهره وباطنه وأمره مخبره ومنظره
شمره تجدد في عوارضه مثل المسكا الرطب تسفره

وقال ابن طباطبا في أسودين : أخبرنا أبو بكر أحمد أخبرني عبد الله بن أبي
عامر قال كان أبو الحسن العلوي المعروف بابن طباطبا قصد يوماً أبا علي بن رستم
فصادف على بابة عثمانين أسودين كالفتح متعممين بعماتين حراوين فامتحنهما

فوجدهما من الأدب خاليتين فدخل مجلس ابن رستم وكتب في درج :

رأيت يباب الدار أسودين دوى عماتين حمر أو بين

كجمرتين فوق فحمتين قد غادر الروض قرير العين

جد كما عثمان ذو النورين فإله أنسل ظلمتين

يا قبح شين صادر عن زين حدائد تطبع من لجين

ما أنما إلا غرابا بين طيرا فقد وقعتا

ردا ذوى ا في المصرين المظهرين الحب للشيخين

وخليا الشيعة للسبطين لا تبرما إبرام رب الدين

ستمطيان في مدى عامين صكا بخفين الى حنين

وقال أبو تمام يهجو عياشاً بعد ما مات :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (عوضت من ذوائب وقرون)

كرت على اللؤم (١) بما سادته وساءه كرتك الخاسرة
 أسهرت عين اللؤم منذ انطوت عليك أنوابك بالساهرة
 قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن أذنت بالآخره
 يا أسد الموت تخلصته من بين لحي أسد القاهره
 أبارك المكره من مثله فاقرة نجتك من فاقره
 وقال فيه : وتصور القبر الذي ضمته (٢) حتى ظننا أنه المقبور

فأتيج لأبي تمام مخلد الموصلي فهجاه بعد موته فقال :

سقى حمارك ياطأني غادته من المنى وقطبان من الكمر
 حر الخلاق وبرد الشعر اتلفه فجاءه الموت من حر ومن حصر

ومما قيل في البرد أيضاً قول بعضهم في المبرد :

ويوم كنار الشوق في القلب والحشا على أنه منها أحره وأومد (٣)
 ظللت به عند المبرد قائلاً فما زلت في أنفاظه أتبرد
 وفلج أحد الشعراء فسئل عن رجل فقيل له ما كان سبب فالجه ؟ قال أكل بيتين

من شعره . ومن جيد ما قيل في برد الغناء قول بعضهم :

كاد من برده يجمد روجي ضرب الله شقه بغنائه
 وقال غيره : غنى لنا نصر قتلنا له مصعب جراك على السبع
 وحرّك العود بأطرافه فكان يحتاج إلى الصنع
 فقتت من مجلسه هارباً أدعو على كفيه بالقطع

وقال كشاجم : ومغن بارد النفسمة مختلّ الدين

مارآه أحد في دار قوم مرتين

صوته أقطع لذات من صيحة بين

(١) في ديوان أبي تمام (على البخل) . (٢) في الديوان (الذي أسكنته) .

(٣) الومد : الحر الشديد مع سكون الريح .

وقلت: قد أسمعنا غناءً لا خلاقَ به
 حتى إذا ارتفعت في الصوت لا ارتفعت
 وكلما انخفضت فيه مرزومة
 لا تجد عنه بأبوابٍ مصبغة
 كما تمرّك آذان السنابير
 أهدت لسمعي تهديرَ الخنازير
 خلت الزناير تشدو في القوارير
 نصبتهنّ شراكاً للداير
 وقال ابن الرومي:

وإذا غنت ترى في حلقها
 وقال الناجم: وقنية شتمها قنوتُ
 مفقودة الكل غير بطن
 وقال غيره: كأن أبا الحسين اذا تغنى
 يلوك لسانه طوراً وطوراً
 وقال المصيصي: وتحسب الندمان في حلقه
 ما عجبني منه ولكنني
 وقلت في عواد: يقول لنا غير ما يضرب
 ككيسان يكتب غير الذي
 فيكتب غير الذي قاله
 فصمتاً إذا شئت اطرابنا
 ولا ناسي؟ إذا جئتني
 وقلت: تغنى لنا فجعلنا عليه
 جعلنا اللطام له الحمة
 كل عرقٍ مثل بيت الأراضه
 أحسن أصواتها السكوت
 مثل فبي عنكبوت
 يحاكي طاساً في عين شمس
 كأن بضره ضربانِ ضرس
 دجاجةً يخفقها ثعلب
 من الذي يعجبه أعجب
 ويضرب غير الذي نحسب
 يقول المحدث والمكتب
 ويقرأ غير الذي يكتب
 فنحن إذا قلت لا نظربُ
 فاني إذا جئتني أذهب
 عمائم تنزع جلد القفا
 وتنف الشوارب فيها سدى

ومن جيد ما قيل في تغير وجوه الاحداث عند خروج اللحي قول البسامي:
 قالوا تغير عن ملاحظته
 يازهرة ومحاسناً مسخت
 قد كانت الأبصار تجرحه
 قلت الزمان يريك العبرا
 ماذا لحاه الشعر لو شعرا
 واليوم يجرحها إذا حصرا

وقال سعيد بن حميد :

فَلَا تَحِينَ حِينَ بَدَتْ بِجَدِّكَ لِحْيَةً
ذهبت بملحك ملء كف القبايض

وقال ابن طباطبا : يامن يزيل خلقه الر

حن عما خلقت

تب وخف الله على

هل لك عنده

بالحية ان سُئلت

وقلت : حصلت في سى ذا غلظة

كأننى مشطُ ابن منصور

بأصبع منه وأظفور

وتارة من قشر بلور

وتارة في لون كافور

حكاية زور من الزور

إذ غرس الظلمة في النور

وقلت : من شقوة المرد أن تبدوشواربهم

ياويجهم من لحي جدت منافسهم

قد آتيت في هذا الفصل على ما فيه مقنع وبالله التوفيق .

﴿ الفصل الثالث في الاعتذار ﴾

الاعتذار أيدك الله ذلة ولا بد منه لأن الاصرار على الذنب فيما بينك وبين

خالقك هلكة وفيما بينك وبين صديقك فرقة وعند سائر الناس مثلبه وهجنة فعليك به

إذا واقعت الذنب وقارفت الجرم ولا تستنكف من خضوعك وتذلل في فريما

استنير العز من تحت الذلة واجتنى الشرف من شجرة الندلة ورب محبوب في مكروه

والحمد شهد يجتنى من حنظل * ومما خص به الاعتذار ان الحق لا يثبت

لباطله والحقيقة لا تقوم مع تخييله وتمويهه وان رده لا يسمع مع الكذب اللائح في

صفحاته ، وقالوا المعاذير مكاذب ، ويقولون مع ذلك لا عذر في رد الاعتذار والمعتذر من الذنب كن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره ، ولم يرو عن أحد قبل النابغة الذي أتى في الاعتذار شعر فيه أجود منه ، ومما نرويه له فيه قوله حين سعى به المنخل الشكري إلى النعمان وزعم أنه غشى المتجرده حظية النعمان وذلك حين وصفها النابغة فقال :

وإذا لمستَ لمستَ أختمَ ^(١) جأثماً متحيزاً ^(٢) بمكانه ملءَ اليد
وإذا طعنتَ طعنتَ في مستهدفٍ رابى الحِجْسَةَ بالعبيرِ مقرمداً
وإذا نزعْتَ نزعْتَ عن مستحصفٍ نزعَ الحزورَ بالرشاءِ المحصداً

فقال المنخل للنعمان هذا وصف من ذاقها . فوقر في نفس النعمان ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريظ فأبلغوه أن النابغة ما زال يذكرها ويصف منها فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة فعرفه ذلك عصام حاجب النعمان وهو الذي قيل فيه * نفس عصام سودت عصاما * فصار يتمثل به فيقال عصامي وليس بعظامي إذا كان يكسب المآثر لنفسه ولا يتكلم على مآثر الأموات من أسلافه ، ويقولون كن عصامياً لأعظامياً . فانطلق النابغة إلى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر ولد النعمان فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ثم اتصلت به كثرة مدائح النابغة لهم فحسدهم عليه فأمنه وراسله في المصير إليه فصار إليه وجعل يمتدح مما عرف به ومن مدحه لآل غسان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيّةً وليس وراءَ الله للمرءِ مذهبُ
لئن كنتُ قد بلغتَ عنى خيانهُ لمبلسك الواشي أغشُ وأكذبُ
ولست بمستبق أخاً لائمهُ على شعثِ أيُّ الرجالِ المهذبُ

وقد ذكرنا هذا في أول الكتاب ، وقوله :

وعيدُ أبي قابوسَ في غيرِ كُنْهِهِ أنا أنى ودوني راكسٍ ^(٣) فالضواجع ^(٣)

(١) في الاصل «أجتم» . (٢) في الاصل (متحيزاً) .

(٣) راكس : واد ، والضواجع : موضع .

فبتُّ كَأَنِّي ساورتني ضئيلةٌ من الرُّقش في أنيابها السَّمُّ نافعٌ
أتاني أبيتَ اللعنَ انك لمتنى وتلك التي تستك منها المسماعُ
إلى أن قال :

فان كنت لاذوا الضفن عنى مكذبٌ ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقولهُ
ولا أنا مأمونٌ بشيءٍ أقولهُ فانك كالليل الذي هو مدركي
وقال : أنبتت أن أبا قابوس أو عدني مهلاً فداءً لك الأقوم كلهم
وان خلت أن المتأني عنك واسع ولا قرار^(١) على زأر من الأسد
وما أتمرُّ من مالٍ ومن ولد لا تقذفنني بركن لا كفاء له
وان تأثفك الاعداء بالرِّفد^(٢) ما قلت من سيءٍ مما أتيت به
إذاً فلا رفعت سوطي إلى يدي ها إن ذى عذرةٍ إلاتكن نفعت
فأن صاحبها قد تاه في البلد^(٣)

فخلع عليه النعمان خلع الرضا وكن حبرات خضرا مطرفة بالجواهر، وقد ذكرنا
الحديث بطوله فيما تقدم . وما سلك أحد طريقته هذه فأحسن فيها كاحسان
البحترى : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى سمعت عبد الله بن المعتز يقول :
لوم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف إيوان كسرى فليس للعرب مثلها
وقصيدته في صفة البركة * ميلوا إلى الدار من ليلي نحيبها * واعتذاراته في قصائده
إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلها ، وقصيدته في دينار التي
وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله وهي التي أولها * ألم تر تغليس الربيع المبكر *
وصفة حرب المراكب في البحر لكان أشعر الناس في زمانه فكيف وقد انضاف
إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه في قصائده . فن اعتذاراته قوله في قصيدته التي
أولها * لوت بالسلام بناً خضيباً * فقال فيها :

(١) في ديوان النابغة (ولامقام) . (٢) أى احتوشوك فصاروا حولك كالأنافى ،
والرفد جمع رفدة وهي العصبة (٣) في ديوان النابغة (فان صاحبها مشارك النسكد) .

ونائبة أوشكت أن تنوبا
 فلقيتني^(١) بعد بشرٍ قطوبا
 وأكبر قدرك أن أستربيا
 سبيل اغترار فالتقى شعوبا
 وما كنت أعهد ظني كذوبا
 أذمُّ الزمان وأشكو الخطوبا
 طرقاً ومرعاً محلاً جديبا
 أفاض الدهموع وأشجى القلوبا
 تخالجنى الشكُّ في أن أتوبا
 إما بعيداً وإما قريبا
 وأنظرُ عطفك حتى يشوبا
 ولقيني نحساً من الطير أشاما
 أرى سخطه ليلاً مع الليل مظالما
 بقية عتب شارفت أن تصرماً
 تلبث في أعقابها وتلوماً
 كليلاً وإن راجعته القول جمعما
 وأوهه الواشون حتى توها
 رباه وطلقاً ضاحكاً فتجهما
 ومنتمم منى امرؤً كان منعا
 يرى الحمد غنماً والملاحه مغرما
 ولا خوف إلا أن تجور وتظالما

فدينك من أي خطب عرا
 وإن كان رأيك قد حال في
 يريني الشيء تآنى به
 واكره أن أتمادى على
 أكذب نفسي بأن قد جنيت^(٢)
 ولو لم تكن ساخطاً لم أكن
 أيصبحُ وردى في ساحتك
 وما كان سخطك إلا الفراق
 ولو كنتُ أعرف ذنباً لما
 سأصبرُ حتى ألقى رضاك
 أراقبُ رأيك حتى يصحَّ
 وقوله : عذيري من الايام رنقن مشربي
 واكسبني سخط امرىء بت موهناً
 تبلج عن بعض الرضا وانطوى على
 إذا قلت يوماً قد تجاوز حدّها
 وأصيد إن نازعتهُ الطرف^(٣) رده
 ثناه العدى عنى فأصبح معرضاً
 وقد كان سهلاً واضحاً فتوعرت
 أمتخذُ عندى الاساءة محسن
 ومكتسب في الملامه ماجد
 يخوفنى من سوء رأيك معشر

(١) في الاصل (فأوليتني) (٢) في ديوان البحترى (أ كذب ظني بأن قد سخطت).

(٣) في ديوان البحترى (نازعتة اللحظ).

أعيذك أن أخشاك من غير حادث
 أليست الموالي فيك نظم^(١) قصائد
 أعد نظراً فيما تسخط هل ترى
 رأيت العراق ناكرتني وأقسمت
 وكان رجائي أن أووب مملكا
 حياء فلم يذهب بي الغي مذهباً
 ولم اعرف الذنب الذي سؤتني له
 ولو كان ما خبرته أو ظننته
 أذكرك العهد الذي ليس سؤدداً
 وما حمل الركبان شرقاً ومغرباً
 أقر بما لم أجنه متنصلاً
 لي الذنب معروفاً وان كنت جاهلاً
 ومثلك من أبدى الفعال أعادةً
 وان صنع المعروف زاد وتما

ونحن نقول ان لكل شيء ثمناً وثمان خضوع المعتذر قبوله . وكتبت: وسيلتي
 اليك الثقة بكرم أخلاقك وشرف أعراقك وقد طلبت المسامحة منك بك وجعلت
 كرمك أقوى أسبابي اليك وقد خفضت لك جناح الذل في التئصل مما فرط
 ففضل علي بالقبول لئلا يلحقني هجنتان هجنتان تذللي لك وأخرى ردك لي . وقد
 قيل: ارض لطالب الخضوع ذنباً مذلة الاعتذار . وفي هذا المعنى ما كتب بعضهم:
 لما تعذر علي العذر جعلت معولي على فضلك أبلغ عذراً قدمه وأقوى سبباً أو كده .
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي روق عن السكري عن ابراهيم الندي قال قلت لرجل:
 ما حملك على بذلك وجهك في حوائج الناس؟ قال اني لم أسمع شيئاً أحسن من بناء
 حسن علي رجل أحسن ومن شكر حر وشفاعة شفيع لطالب شاكر ولا اني لا أبلغ

المجهود ولا أسأل من لا يوجد وليس صدق العذر عندي بدون أنجاز الوعد ولا
اكداء السائل بأغلاظ من الاجحاف بالمسؤول ولا أرى السر أغبالي بالمسألة بحسن
ظنه بي أوجب حقاً على من المرغوب اليه الذي يتحمله من لدى والعرب تقول ان
مع الهيئة الخبيثة والفرصة خلسة فثب عند صدور الأمور ولا تتبع اعجازها . وقال
ابن المعتز العذر مع التعذر واجب . ومن أعجب الاعتذار في التقاضي قول بعضهم :

هزرتك لأنى ظننتك ناسياً لوعدي ولا أنى أردتُ التقاضيا
ولكن رأيتُ السيفَ في حالِ سله الى الهزِّ محتاجاً وان كان ماضيا

ومن مليح ما يجري في هذا الباب ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي
حاتم عن العتيبي عن أبيه عن شيخ من قریش قال قال رجل لسليمان بن عبد الملك :
ان القدرة تمنع الحفيظة وأنت تجل عن العقوبة وان تعف فأهل ذلك أنت وان تعاقب
فأهل ذلك أنا ، فعفا عنه ، فأخذ بعض المحدثين فقال :

فان عاقبتى فبسوءِ فعلى وما ظلمت عقوبةً مستفيدِ
وان تغفر فاحسانٌ جديدٌ دعوتَ به الى شكر جديدِ

تم الباب والحمد لله وحده .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم عونك . جمع الله شملك ووصل جملك وتمتع بأحبتك وأعطاك مأمولك
في نفسك وأعزتك وأعاذك من قطيعة أحبابك وجنبك تجنب أودائك ولا جعل
للهمجر عليك سبيلا ولا للفراق عليك دليلاً لينعم باللذة جسمك ويعمر بالسرور قلبك
فتعيش في ضمان الفرح ويوئس حاسدك باعباء الترح انه حميد مجيد فعال لما يريد .
العشق أدام الله توفيقك من شرائف أخلاق الغنيان وكرائم سجايا الشبان

يطلق لسان العيسى ويفتق حيلة البليد ويبعث على السخاء بما تسمح به نفس الكريم
وينحردون بذله اللئيم ويدعو الى استعمال الفتوة و اظهار المروءة في تنظيف اللباس
وتحسين الرياش و يجدد حب المساعدة والائتلاف و كراهة التباين والاختلاف
إلى غير ذلك من محمود الحال وممدوح الخصال وإذا رزقت منه نصيباً جزلاً فوفه
حقه واسلك به طريقه وتأمل ما أهديت اليك فيه فإنه يعينك عليه ويحسن أسبابه لك
ويكبت لأمتك فيه ويكون جلاءً لناظرِك وشجعناً لناظرِك إن شاء الله سبحانه وتعالى .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في التشبب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك وهو)

﴿ الباب الرابع من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أرق بيت قالته العرب قول امرئ القيس :

وما ذرّفت عينك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل
يقول ما بكيت إلا لتجرحي قلباً معشراً أي مكسراً ، يقال برمة اعشار اذا
كانت مشعوبة ، يريد أن قلبه عليل وأنت تزيدينه علة بسهميك يعني عينها ، والمقتل
المدلل . ومثله قول الشاعر :

رمتك ابنة البكري عن فرع ضالة وهنّ بنا خوص يخلنّ نعاماً
ولم نسمع للاعشار بواحد . وأخبرنا أبو أحمد قال حكى لي عن ابن سلام
أنه قال أنسب بيت قالته العرب :

ولما التقى الحيان أقيت المصا ومات الهوى لما أصيت مقاتله
وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

إذا قلت إني مُشتفٍ بلقائها فم التلاقي بيننا زادنا سقما

وأبلغ من هذا قول أبي نواس :

ما يرجع الطرفُ عنها حين أبصرها حتى يعودَ إليها القلبُ مُشتاقاً
وقد أحسن ابن الرومي ولأعرف في معناه أبلغ منه :

أعاقها والنفسُ بعدَ مَشْوَقَةٍ إليها وهلْ بعدَ العناقِ تدانى
والثمَّ فاها كي تموتَ حزازي فيشتدُّ ما ألقى من الهيجان
وما كان مقدار الذي بي من الجوى ليشفيه ما ترشفتُ الشفتان
فإنَّ فؤادي ليس يشفي ريسه سوى أن ترى الروحان تمزجان

ومن البليغ في الاشتياق ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن اسماعيل :

هبتُ شمالاً فقالَ من بلد أنت به طابَ ذلك البلدُ
وقبَّلَ الريحَ من صبابته ما قبَّلَ الريحَ قبله أحدُ

وأبلغ ما قيل في شدة الحب قول بعضهم وقد قيل له ما بلغ من حبك فلانة ؟
قال انى أرى الشمس على حيطانها أحسن منها على حيطان جيرانها . وقال نصر بن
الحجاج لامرأة أحبك حباً لو كان فوقك لا ظللك أو كان تحتك لا أظلك ، أخذه بشار فقال :

إني لا أكرم في الحشى حباً لها لو كان أصبح فوقها لا ظلها
وبيت بين جوانحي وجدُّ بها لو بات تحت فراشها لا ظلها
وقلت : أحبك يا شبيهة الشمس حباً تفردَ بالتمام فلا تمامُ
فلو ألقىته ما بين ماءٍ ونارٍ كان بينهما التمامُ

وقال ابن الرومي في اجتماع الأهواء على محبوبه :

سالة نورٍ ليس يدركها (١) اللمس إذا ما بدا أغضى له البدر والشمس
به (٢) أمست الأهواءُ يجمعها هوى كأنَّ نفوس الناس في حبه نفس

وقال بشار :

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط (يدركه) . (٢) (به) سقطت من
الأصل فاستدر كناها من الديوان ، وفي الأبيات تصحيف صححناه منه .

ولستُ بناسٍ من يكونُ كلامه بأذنى وان غُيبتُ قرطاً معلقا

ومن ظريف التشبُّب أيضاً قول ابن المعتز :

كذبتَ يامن لحاني في مودِّته ماصورة البدر الأدون صورته

ياربُّ ان لم يكن في وصله طمعه ولم يكن فرج من طول جفونه

فاشف السقام الذي في لحظ مقلته واستر ملاحه خديه بلحيته

ومن الظريف قول كشاجم :

كان الشفاء اللعس منها خواتم من التبر مختوم بهن على الدر

ولأعرف في وصف الفم أحسن من هذا .

وأحسن ما قيل في حث الشوق من قديم الشعر قول عمرو بن شاس الأسدى :

إذا نحن أدلجنا وأنت امامنا كفى لمطايانا بذكرك حاديا (١)

أليس يزين (٢) العيس خفة أذرع وان كن حسرى ان تكون اماميا

وآتم من ذلك شرحاً قول الآخر :

إذا عقلت خبت وإن هي خلت لرتع لم ترتع بأذنى المراتع

كان لديها سائفاً يستحذها كفى سائفاً بالشوق بين الأضالع

ومن جيد ما قيل في ازدياد الشوق على القرب قول الآخر :

صَبَّ يَحْتُ مطاياهُ بذكركم وليس ينسأكم ان حل أوسارا

يرجو النجاة من البلوى بقربكم والقلب يلهب في أحشائه نارا

ومن ظرف الاعرابي قوله أنشده المبرد :

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا عاد قلبي في معاهدتها ذكر

وقلت له ولقاءً ويحك سببت لك الضرب فاصبر إن عادتك الصبر

ونحوه قول الآخر :

قد قطع الاحراج أعناق الابل فهي تسير سير مشتاق عجل

(١) في الأغاني « بوجهك هاديا » . (٢) في الأصل « يزن » وفي الأغاني (يزيد) .

وقول الآخر وقد ألفز :

إنَّ لها لسائغاً خَدجاً لم يُدَلِّج اللبلةَ فيمن أدلجا
وفي خلاف ذلك يقول العباس بن الأحنف :

أيام يقتل شوقها زيارتي كلنا يقتل برده عطش الصدى
فأما أجود ما قيل في التذکر علی البعد فقول بعضهم :

اذكر أخانا تولى الله صحبته أنى وان كنت لالقاءه ألقاه
الله يعلم أنى لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينسائه
وقلت : ذكرتهم والنوى بيني وبينهم
بل كيف أذكر عهداً لست ناسيه
هل يعرض الذکر إلا بعد نسيان
ونحوه يقول السرى :

غضبان ينسانى وأذكره وينام عن ليلى وأسهره
وبجوره ماضار مورقه حظى وحظ سواى مشره
وكفى الهوى لو كان مكتفياً مارحت أضمره وأظهره
لم يقتسم فى العاشقين أسى إلا وحظى منه أوفره
فأصيح فى نفس أصدده وأعوم فى دمع أجده

ومن مליح ذلك قول بشار :

ولست بناس من يكون كلامه بأذنى وان غبت قرطاً معلماً

أجود ما قيل فى إخفاء الحركة عند زيارة المعشوق من الشعر القديم قول امرى القيس :

سموت إليها بدم ما نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال

وأحسن من هذا وأظرف قول وضاح اليمى (١) :

واسقط علينا كسقوط الندى لبلة لانه ولا زاجر

(١) غلب عليه هذا اللقب لبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل ، شاعر عجيب

فى تشبيهه ، قتله الوليد بن عبد الملك لتشبيهه بوجهه .

وهذا أبلغ أيضاً لأن سقوط الندى أخفى من سمو حباب الماء لأن لسمو حباب الماء صوتاً خفياً ليس ذلك لسقوط الندى وهو من آيات ظريفة أولها :

قالت ألا لاتلجن دارنا إن أبانا رجلٌ غائرٌ
أما رأيتَ البابَ من دوننا قلتُ فاني وائبٌ ظافرٌ
قالتُ فانَّ القصرَ من دوننا قلتُ فاني فوقهُ ظاهرٌ
قالتُ فانَّ الليثَ طاد به قلتُ فسيفي مُرهفٌ باتر
قالتُ فهذا البحرُ ما بيننا قلتُ فاني سابحٌ ماهر
قالتُ أليسَ اللهُ من فوقنا قلتُ بلى وهو لنا غافر
قالتُ فأما كنتَ أعينتنا فأنتَ إذا ما هجمَ السامر
واسقط علينا كسقوط الندى ليلةَ لانهٍ ولا زاجر

ومن مליح ماجاء في هذا المعنى قول المؤمل :

وطارقات طرقتني رسلاً والليل كالطيلسانٍ مُعتكرٌ
فقلنَ جئنا إليك عن ثقةٍ من عند ضوءٍ كأنها قمر
هل لك في غادةٍ مُنعميةٍ يحار فيها من حسنها النظر
في الجيد منها طولٌ إذا التفتت وفي خطاها إذا مشت قصر
فقلتُ أسعى الى مُحجَّبةٍ تضيء منها البيوتُ والحجرُ
جودى ولا يمنعك الخضرُ فقلتُ لما بدا تخفها
قالتُ توقروا ودع مقالك ذا أنت امرؤٌ بالقبيح مشتهر
والله لانت ما تطالب أو يثبت في بطن راحتي شَعْر
لا أنت لي قيمٌ فتخبرني ولا أميرٌ عليٌّ مؤتمر
قلتُ ولكن ضيفٌ أتاك به تحت الظلام القضاء والقدر
فاحتسبي الأجرَ في إلتنه وباشرى قد تناول العسر
قالتُ فقد جئتُ تبتهني عملاً تكادُ منه السماءُ تنفطرُ

فقلت لما رأيتها خرجت وغشيتها الهموم والفكر
لا قاب لله في الصبا أبداً أنثى ولكن بما قب الذكر
قالت لقد جئنا بمتدع وقد أتنا بغيره التذر
قد بين الله في الكتاب فلا وازرة غير وزرها ترر
قلت دعى سورة لهجت بها لا تحرم لذاتنا السور
وجهك وجه تمت محاسنه لا وأبى لا يمسه سقر

ومثل هذا أصعب ما يرام من الشعر ولا يكاد يوجد في هذا المعنى أحسن من هاتين المقطوعتين . ومن أحسن ما عذر به المعشوق في سوء فعله قول كشاجم:

تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء^(١) أفعالها
وهي من آيات قليلة النظير :

هل حاكم يمدى على ظبية ظالمة في كل أفعالها^(٢)
دائمة الأعراض عنى فما يخطر لي ذكره على بالها
صغيرة عظمها حبها عندي وأغراني باجلالها
تستدفع الأعين عن حسنها بعوده من سوء أفعالها
لم أطعم العذال فيها وقد أصغت إلى أقوال عذالها
تمضى بليل فاذا أقبلت أقبلت الشمس باقبالها
قلت وقد أبصرتها حاسراً عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من برد ساقها لاحترقت من نار خلالها

وأحسن في هذا المعنى ولا أظنه سبق إليه .

وقد أحسن ابن الرومي في ذكر الخلال والساق أيضاً وهو قوله :

وإذا لبس خلالا كذب أسماء الخلال

يقول لا تخلخل الخلال في سوقهن أى لا تتحرك فقد كذبه أسماءها ، وذلك أن

(١) في ديوان كشاجم (من قبيح) . (٢) في الديوان (جائرة في كل أحوالها).

اشتقاقها من التخلخل وهو التحرك . وفي نحو ما تقدم قول كشاجم :

وكانَ الشمسَ نيطَ بها قمرٌ يَمْنَاهُ والقَدحُ
صدٌّ إذ مازحتهُ غضباً ما على الأَحبابِ إذ مزحوا
وهو لا يدرى لنخوته أننا في النوم نصلح
نمَّ لا أنسى مقاتله « أطفيلٌ ويقترح »

ومن أفراد المعاني قول الشاعر :

وإني لأغضى الطرفَ عنها تستراً ولى نظراً لولا الحياءُ شديدُ
وسها قالتُ لقد نلت ودّه وما ضرّني بخلٌّ فكيف أجودُ
وقالوا أنسب بيت قالته العرب قول الآخر :

ستبقى لها في مُضمرِ القلبِ والحشا سريرةٌ ودٌّ يومَ تبلى السرائرُ
ومن أجود ما قيل في حسن الحبيب في عين المحبوب قول عمر بن أبي ربيعة :
خرّجتُ عداةَ النحرِ أعرضَ الدُّمى فلم أرَ أحلى منك في العينِ والقلبِ
فوالله ما أدرى أحسنًا رزقته أم الحبُّ يعمى مثل ما قيل في الحبِّ
وهو من قول النبي صلى الله عليه وآله « حُبُّكَ الشَّيْءُ يعمى ويصمُّ »^(١) وأنشدني أبو
أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد الشامي عن الزبير بن بكار لعمر بن أبي ربيعة:

زعموها سألتُ جاريتها وتعرّتْ يومَ حرٍّ تبترد
أكما ينعتني تبصرنني عمر كنَّ الله أم لا يقتصد
فتضاحكنَ وقد قلنَ لها حسنٌ في كلِّ عينٍ من تودَّ
حسدًا حملنهُ من أجاهاً وقديماً كان في الناسِ الحسد

وأنشدنا عنه قال أنشدنا اسحق لرجل:

حلفت بصحراء الخجون وناقتي لها بين قاع الأخشبين حنينُ
غموساً لقد فصلت في الحسد بطة على الناس أوبى من هواك جنون

(١) رواه أبو داود والامام أحمد وغيرهما .

وأنكر بعض المحدثين أن يكون استحسانه لحبيبه لافراط حبه أو لجنونه له فيه
فقال وأحسن :

حسنٌ لله في عيني وفي كلِّ العيون
قينه بيضاء سوداء القرون
لم يصبها سقمٌ قطُّ سوى سقم العيون
لم أصفها بجمال لهوى أم لجنون
بل لحسنٍ وجمال قولٍ حقٍّ ويقينٍ
وقد أبدع الآخر في قوله في المعنى الأول :

يا من يلوّم عليه أنظر بعيني إليه
فلمست تبرح حتى تصير ملك يديه
وقد جمع القائل جمعاً حسناً في قوله * وفي أربع منى حكّت منك أربع *
أجود ما قيل في صفة النساء من الشعر القديم ما أخبرنا به أبو أحمد قال قال
ابن سلام أحسن ما قيل في صفة النساء :

كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهنَّ قيط ليله ومد
وتشبيه النساء ببيض النعام تشبيه قديم وهو كثير مشتهر .

قالوا أحسن ما قيل في الوجه من الشعر القديم قول قيس بن الخطيم :
تبدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب (١)
مأخوذ من قول النمر بن تولب :

فصدت كأنَّ الشمس تحت قناعها بدا حاجبٌ منها وضنت بحاجب
وهو أحسن ما قيل في إعراض المرأة ، ونقله قيس إلى موضع آخر وزاد فيه فقال :
كان المنى بلفائها فلقيتها وهوت من هو امرئ مكدوب
فرأيت مثل الشمس عند طلوعها في الحسن أو كدونها لغروب

(١) في منتهى الطلب من أشعار العرب « وضنت بحاجب »

أراد في وقتين يمكن الناظر النظر إلى الشمس فيها . ونحو ذلك قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة القدر

وفضلها كثير على الشمس فقال وأحسن :

بأبي وأمي أنت من معشوقة^(١) طين^(٢) المدو لها فغير حالها

وسعى إلى بعب^(٣) عزة نسوة^(٤) جعل الآله^(٤) خدودهن نعالها

ولو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عند موقف^(٥) لقضى لها

قوله عند موقف غاية ما يكون من الاحسان .

ومن أحسن ما قيل في حسن الوجه قول عمر بن أبي ربيعة :

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت^(٦) وجوه زهاها الحسن أن تتقنما

تبالهن بالعرفان لما رأيتني وقلن امرؤ باغ أكل وأوضعا

وقرّبن أسباب الهوى لتيتم يقيس ذراعاً كلما قسن أصبعا

فذكر أنهم لم يتقنن الحسن وجوههن ، أخذه من قول الشماخ :

لها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرداء المحبراً

ثم تصرف المحدثون في تشبيهه أى الوجه بالشمس فقال ابن الرومي

كالشمس غابت في حمرة الشفق * وزاد أبو نواس فقال في الأمين قبل الخلافة :

تبيه الشمس والقمر المنير إذا قلنا كأنهما الأمير

فان يك أشبها منه قليلاً فقد أخطأها شبه كثير

لأن الشمس تقرب حين تسمى وأن البدر ينقصه المسير

ونور محمد أبداً تمام على وضح الطريقة لا يحور

وقد أحسن الآخر وقد جعل في البدر مشابهة من وجه المرأة فقال :

(١) في أمالي القالى (من مظلومة) . (٢) أى فطن ، وفى الاصل غير منقوطة .

(٣) فى الامالى « بصرم عزة » . (٤) فى الامالى (جعل المليك) .

(٥) فى الامالى (موقف) . (٦) فى الأغانى « أشرفت » .

يابدر إنك قد كسيت مشابهاً
وأراك تمصح في الحاق وحسنا
وقال العباس بن الأحنف :

قلت ظلوم وما جارت وما ظلمت
البدرُ ليس له عينٌ مُكحلةٌ
وقال النظام : يامشرقاً ملاً العيو
أوفى على شمس الضحى

وزاد آخر على هؤلاء كلهم فقال :

إذا عبتا شبهتها البدرَ طالعا
وحسبك من عيب لها شبهُ البدرِ
ومن أبلغ ما قيل في حسن الوجه من طريقة أخرى قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

فذكر أن حسنه يزيد على تكرار النظر والمعهود في كل شيء نقصانه على
كثرة التأمل ولا يكاد الشيء الرائع يروعك إذا اعتدته . وقريب منه قول كشاجم :
بيضاء يحضر طيب العيش ما حضرت وانأت عنك غاب اللهو والفرح
كلُّ اللباس عليها معرضٌ حسنٌ وكلُّ ما تنغني فهو مقترح
والمعارضة تمخير للجوارى على حسب ألوانهن فالبيضاء تبرز في المعرض الأحمر
والأسود والأزرق والسوداء في الأصفر فذكر أن هذه تحسن في كل معرض
فهو غاية . وقريب من المعنى الأول قول كشاجم أيضاً :

منعمة يُقرَّبهما هواها وإن نزحت بمنزلها البلادُ
يعادُ حديثها فيزيدُ حسناً وقد يُستقبحُ الشيءُ المعادُ

وقال الخالي :

إذا كنت لم أفقد الغائبين
تباعد نفس إذا ما بعدت
وان غبت كنت فريداً وحيداً
فليس تماود حتى تعودا

وهو من قول أبي نواس :

أشبهك الشيءَ مُحسنًا فما أتمم ذلك حتى تزيدا

وقال بعضهم : وكلما عدت فيه يكون في العودِ أحمد

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العبناء عن الأصمعي قال أحسن ما قيل

في اللون قول ابن أبي ربيعة :

وهي مكنونةٌ تحير منها في أديم الخلد بين ماء الشباب

قال وما أعرف أحداً أخذه فأحسن فيه مثل أحمد بن إبراهيم بن اسمعيل فإنه قال :

باتَ يعنى يمالج السهرا وراح نشوان يقسم النظرا

أعيد ماءُ الشباب يرغد في خديه لولا أديمه قطرا

وقال ابن الأحنف :

وقد ملئت ماءَ الشبابِ كأنها قضيبٌ من الریحانِ ريانٍ أخضر

وقال السري : ومخطف يهتز عن ماء الصبا كأنما يهتز عن ماء العنب

وقلت : ووجهٌ تشرَّبَ ماء النعيم فلو عصرَ الحسنُ منه انعصر

يمرُّ فأمنحه ناظري فينشر ورداً عليه الخفر

تمتعت العينُ في نفسه فما جملت بطووع القمر

وقال ابن المعتز : يحرك الدل في أنوابه غصنا ويطلع الحسنُ من أزراره قمر

وقال ابن الرومي : متعات وجهك في بديهتها جددٌ وفي أعقابها آخر

وقوله : مخففة منقطة تراها كأن لم يعد نصفها الغذاء

إذا الاغياب جددٌ حسن شئٍ من الأشياء جددها اللقاء

ومثله قوله : لا شئ إلا وفيه أحسنه فالعينُ منه اليه تنتقل

فوائد العين منه طارقة كأنما أخرياتها الأول

وقد أطرف أبو نواس في قوله :

إنَّ اسمَ حسن لوجهها صفةٌ ولا أرى ذا غيرها اجتماعا

فهي إذا سميت فقد وصفت قد يجمع^(١) اللفظ معنيين معا
وقد بالغ ذو الرمة في قوله :

فيا لك من خدّ أسيلٍ ومنطقٍ رخيّم ومن خلقٍ تعلل جادبه
إلا أنه ذكر خلقها أجمع ، والجادب : العائب ، هو يقول ان الذي يعيبها لا يجد
عيباً فهو يتعلل . وهو في خبر حسن : أخبرنا به أبو أحمد عن العبشمي عن
المبرد حدثنا عمر بن شبة^(٢) حدثني اسحق بن ابراهيم الموصلي حدثني أبو صالح
الفراري قال ذكر ذو الرمة في مجلس فيه عدة من الاعراب فقال عصمة بن مالك
- شيخ منهم كان قد بلغ مائة وعشرين سنة - إياي فاسألوا عنه كان من أطرف بني
آدم خفيف العارضين حسن الضحك حلو المنطق وكان اذا أنشد بربر وحبس صوته
فاذا راجعك لم تسأم حديثه وكلامه ، وكان له أخوة يقولون الشعر : منهم مسعود
وحرفاس وهو أوفى وهشام وكانوا يقولون القصيدة فيزيدون فيها الأبيات فيغلب عليها ،
فجمعني وإياهم ربع فأتاني يوماً وقال لي يا عصمة إن مياً منقرية وبنو منقر أخبث حي وأقوفه
لا أثر وأبصره في نظر فهل عندك من ناقة زردار عليها مياً فقات اي والله إن عندي
للجؤذر قال عليّ بها فركبناها جميعاً وخرجنا حتى نشرف على بيوت الحبي فاذا هم خلوف
وإذا بيت مية خلوف فعرف النساء ذا الرمة فقمنا إلى بيت أمي وجئن حتى
أتخنا وسلمنا وقعدنا نتحدث واذا أمي جارية المود؟ واردة الشعر صفراء فيها عسر
وإذا عليها سب أصفر وكان أخضر فتحدثن ملياً ثم قلن له أنشدنا يا ذا الرمة فقال
نُشدهن يا عصمة فأنشدهن قوله :

نظرتُ الى أظمان مَيِّ كَأَنَّهَا ذُرَى النَّخْلِ أَوْ أُنْثَى تَمِيلُ ذَوَائِبُهُ^(٣)
فَأَوْشَكَتِ الْعَيْنَانِ^(٤) وَالصُّدْرَ كَأَنَّ مِغْرَورِقٍ نَمَتْ عَلَيْهِ سِوَاكِبُهُ

(١) في ديوان أبي نواس (ويجمع اللفظ). (٢) في الاصل (شعبة) وكذلك في بعض
ألفاظ الخبر تصحيف صححنا أكثره من مصارع العشاق والامالي وغيرها .
(٣) في ديوان ذي الرمة المخطوط «مولية ميس تميل ذوائبه» . (٤) في ديوان

بكى وامق^(١) جاء الفراق ولم تجل جوائلها أسراره ومعاتبه
 فقالت ظريفة منهن لكن الآن فليجل فنظرت اليهامي ، ثم مضيت في القصيدة الى قوله :
 اذا سرحت من حب مي سوارح^م عن القلب اتته جميعاً عوازيه
 فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مي ما أصحبه وهنيئلاً فتنفس ذوارمة تنفسه
 كدحرها يطير شعر وجهه ، ومضيت حتى انتهيت الى قوله :

وقد حلفت بالله مية ما الذي أقول بها إلا الذي أنا كاذبه
 إذا فرماني الله من حيث لا أرى ولا زال في أرضي عدو أحراربه
 فقالت الظريفة قتلته قتلك الله فقالت مي خف عواقب الله يا غيلان ، ثم مضيت
 حتى انتهيت إلى قوله :

إذا راجعتك^(٢) القول مية أوبدا لك الوجه منها أو نضال الدرع سالبه
 فيالك من خد أسيل ومنطق رخم ومن خلق^(٣) تعلق جادبه
 فقالت الظريفة للنساء ان لهنين لشأنا فقمنا بنا فقمنا وقمت معهن فجلست في
 بيت أراها منه فسمعتها قالت له كذبت والله وما أدري ما قال لها وما كذبت به ، فلبث
 قليلاً ثم جاء في ومعه قارورة فيها دهن وقلائد فقال طيب أتحفتنا به مي وهذه قلائد
 للجوزر ولا والله لا أقول دهن بديراً وشدهن بدؤابة سيفه ثم انصرفنا فكان يختلف
 إليها حتى تقضى الربيع ودعا الناس الصيف فأتاني فقال يا عصمة قدرحت مي ولم
 يبق إلا الأثار والنظر الى الديار فاذهب بنا ننظر في ديارها ونقفوا آثارها فخر جناح
 أتينا منزلها فوق ينظر ثم قال :

ألا فاسلمي يا دارمي على البلي ولا زال منها لاجر عاتك القطر
 قال عصمة فما ملك عينيه فقلت مه فانتبه وقال إني لجلد وان كان مني ماترى .

ذى الرمة « فأبدت من عيني » وفي المصارع والامالي (فأسبلت العينان والقلب
 كاتم) . (١) في ديوان ذي الرمة (هوى الف جاء الفراق ولم تجل) .
 (٢) في الديوان والمصارع (إذا نازعتك) . (٣) في الامالي « ومن وجه » .

قال فمارأيت أحداً كان أشد منه صباية ولا أحسن عزاءً وصبراً ثم انصرفنا وتفرقنا
وكان آخر العهد به . ومن بديع ما قيل في حسن الوجه قول الصنوبري :

الم قلبي ناره وما شعر دبت إليه عقرب وقت السحر
دبت إلى ظلي بعينيه حور ديب لوطي نواري وانتشر
فظفرت لاطفرت أي ظفر وهكذا العقرب للقمير

أحسن ما قيل في العيون : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي
قال قال أبو عمرو لأصحابه : ما أحسن ما قيل في العيون ؟ قال بعضهم قول جرير :

إن العيون التي في طرفها حور قتلنا ثم لم يُحيين قتلنا
يصر عن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله أركاننا
وقال آخر قول ذي الرمة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالاباب ما تفعل الخمر
وقال آخر بل قوله :

يدكرني ميا من الظبي عينه مراراً وفاها الاقحوان المنور
(مراراً) حشوا لا يحتاج اليه ، فقال أبو عمرو وأحسن من هذا كله قول عدى بن الرقاع ^(١) :

وكأنها بين النساء أطارها عينيه أحور من جاذرِ جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنه وليس بناثم
أخذ بعض المحدثين قول جرير . وهن أضعف خلق الله أركاننا . فقال :

كأما ازدادت قوى أجفانها ضعفاً تقوين على ضعف القوى
ومثله أيضاً قول الناشي .

لا شيء أعجب في جفنيه أنهما لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا
وقد أحسن ذو الرمة في قوله :

(١) الرقاع هو جد جده وعرف بالنسبة اليه لشهرته ، كان شاعراً مقدماً عند بني
أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، يعد في الطبقة الثالثة من شعراء الاسلام .

إذا عرضت بالرمل أو ماء عوهج لنا قلت هذا عين ميّ وجيدها
ومن التمثيل القليل النظير قول ابن المعتز :

ويجرح أحشائي بعين مريضة كما لأن متن السيف والحدّ قاطع
ومن أحسن ما قيل في النظر قول ابن الرومي :

نظرت فأفصدت الفؤادَ بسهمها ثمّ اثنتُ عنه فكادَ بهم
وبلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم
ومن البديع النادر الغريب في ذلك قول بعضهم :

جعل القنور بعينه كحلا فحفوته وحسن بها المسرة ؟
وقول الآخر :

ينظرن من خلل السجوفِ كأنما يمطرن أحشاء الكريم نبالا
ومن أظرف ما سمعناه في هذا المعنى قول محمد بن أبي الموج :

لله ما صنعت بنا تلك الحاجر في المعاجر
أمضى وأنفذ في القلو بمن الحناجر في الحناجر^(١)
وقلت : فأرعى تحت حاشية الدياحي شقائق وجنة سقيت مداما
إذا اكرت لواحظ مقلتيه حسبت قلوبنا مطرت سهاما
وإن مالت بعطفه شمول سقانا من شمائله سقاما

(١) دخل أعرابي على ثعلب الراوية فقال أنت الذي تزعم الناس أنك أروى
لشعر العرب؟ قال كذا يزعمون، قال أنشدني أغزل بيت قيل في العميون فأنشده
بيتي جرير * ان العميون التي في طرفها حور * فقال لا هذا شعر غث قد لا كنه السفلة
بألسنتها هات غيره ، فقال ثعلب أفدنا فقال الاعرابي :

نبارز أبطال الوغى فنيبدها ويقتلنا في السن لحظ الكواعب
وليست سيوف الهند تفي نفوسنا ولكن سهام فوقت بالحواجب
فحن ثعلب استحسانا لها وقال اكتبوها ولو بالحناجر على الحناجر - كما في هامش الاصل .

وقال ابن الرومي :

تقسّمها نصفان نصف مؤنث^{هـ} ونصف كخوط الخيزران مذكراً^{هـ}
تعبد من شاءت بعين كأنها وإن سئمت ريامن النوم تسهر^{هـ}
وقلت : راحت تيمس^{هـ} وحولها خرد^{هـ} كالبدري بين كواكب شهب^{هـ}
فلأت طرفي من محاسنها ونسيت^{هـ} ما يجني على الصب^{هـ}
عين لعل السيف لحظتها أصبحت آمنة على قلبي

وقال ابن المعتز :

كم ليلة عانقت^{هـ} فيها يده حتى الصباح موسداً كفيه^{هـ}
فسكرت^{هـ} لا أدري أمن سكر الهوى أم كأسه^(١) أم فيه أم عينيه^{هـ}
وغدا قم^{هـ} عليه عسده^{هـ} وسه ؟ أثر من التقبيل في شفنيه^{هـ}
وسقام عين لم تذق طعم الكرى بدعو العوائد في الصباح اليه^{هـ}
وقلت : إذا ما جاءني الأخذ^{هـ} غني تشاغل طرفه^{هـ} بالأخذ مني

وقال البحترى :

أجد النار تستعار^{هـ} من النا ر وينشامن سقم عينيك سقمي^{هـ}
وقلت : يسقى^{هـ} الى مفرطق^{هـ} في كفه كأس^{هـ} وبين جفونه كاسان^{هـ}
وقد أطرف البحترى في قوله :

والذي صير الملاحه في عي^{هـ} ---نيه وقفاً والسحر في أجفانه
لا أطعت^{هـ} العذول فيه وإن أس^{هـ} ---رف في ظلمه وفي عدوانه
فدعا اللوم في التصابي فاني لأرى في السلو^{هـ} ماتريانه
وقلت : ومقلة كحميا الكأس مسكرة وحاجب كلال الشهر مقرون^{هـ}
وقلت أيضاً :

ونسقيك في ليل^{هـ} شبيه بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بخدّها

(١) في نسخة « كونه » مكان (كأسه) .

فتسكرو من عين وكأس ووجنة تحييك أعتاب الكؤوس بوردها
 وقالوا أجود ما قيل في الثغر من شعر المتقدمين قول جرير :
 تجرى السواك على أغر كأنه بردٌ تحدر من متون غمام
 وقالوا بيت النابعة :

تجلو بقادمتي حمامة أيكة برداً أسف لثاته بالأمس
 كالأقوحان غداة غب سمانه جفت أطاليه وأسفله ندى
 شبه الشفتين لرقهما بقادمتي حمامة . وقالوا بيت بشر بن أبي خازم :
 يُفلجن الشفاه عن اقحوان^(١) جلاه غب سارية^(٢) قطار
 ومن أحسن ما جاء في ذلك قول البحرى :

ولما التقينا والتقى موعده لنا تبين رامى الدر منا ولاقطه
 فن برد تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
 وهذا أحسن من قول الأول ومنه أخذ البحرى :

إذا هن ساقطن الأحاديث بالضحى سقاط حصى المرجان من كف ناظم
 ومن أحسن ما قيل في بياض الثغر قول البحرى أيضاً :

ويرجع الليل مبيضاً إذا ضحكت عن أبيض خضل السمطين وضاح
 فجعله يجلو الظلام لبياضه ، وذكر كثرة الريق فقال خضل لأن قلة الريق
 تورث تغير الفم ، وذكر حسن تنضيد الثغر فجعله سمطين . فلا يرى في هذا المعنى
 أجمع من هذا البيت . وقد أحسن ابن طباطبا :

نقره عند سرده كالغراب المزرد
 مثل درر منظم بين درر منضد^(٣)

وقد أحسن البحرى وأبلغ في قوله :

(١) في الأصل «عن اخوان» والتصحيح من «منتهى الطلب من أشعار العرب» .
 (٢) في الأصل (سائرة) . (٣) (منضد) غير موجودة في الأصل .

وأرتنا خدّاً يراح له الور دُ ويشتمه جنى التفاح
وشتمتاً يفضُّ من لؤلؤ النظم — م ويُرزى على شتيت الأفاحي
فأضاءت تحت الدُّجينة للشر ب وكادت تضيءُ للمصباح
وأشارت إلى الغناء بالحال ظِ أمراض من التصابي صحاح
فطربنا لمن قبل المثاني وسكرنا ممنه قبل الراح
وتدير^(١) الجفون من عدم الألباب مالا يدورُ في الأقداح
وقلت : مخضبة الأطراف تحسب أنها أساريم في أفواههن عميقُ
دهانٍ منها نرجس يرشق الحشا وهل نرجس يالرجال رشوق
ومبتسم عذب المذاقة موق تجمَع فيه لؤلؤ ورحيقُ
وقلت لبعض البغداديين ما أحسن ما قيل في طيب النكهة والريق وحسن

الثغر ؟ فقال قول ابن الرومي :

وقلت أفواهاً عذاباً كأنها بنايعُ خمر خضبت لؤلؤ البحر
فقلت إلا أن قوله (لؤلؤ البحر) فضل لا يحتاج إليه لأن اللؤلؤ لا يكون إلا في
البحر ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لنسبته إليه فائدة .

وقد أحسن ابن الرومي في وصف طيب النكهة فقال :

وما نعترها آفة بشرية من النوم إلا أنها تتخترُ
كذلك أنفاس الرِّياض بسحرة تطيبُ وأنفاس الأنام تغيرُ
هذا التمثيل مليح جداً . وأجود ما قيل في الريق أيضاً قوله :

يارب ريق بات بدر الدجى يمجُّه بين ثناياها
يروى ولا ينهاك عن شربه والماء يرويك وينهاك

ولا أعرف لهذا البيت نظيراً في معناه . وقد سبق ابن الرومي إلى قوله :
سقتُه ابنة العمري من خمر عينها ووجنتها كأساً يميّت ويدنفُ

(١) في ديوان البحترى (قد تدبر) .

فقال امزجها بالرُّضابِ لعله
فصدت ملياً ثم جادت بريقة
فراح بضعف سكره من مزاجها
فهل من مزاج زاد في سكرِ شاربٍ
وقال : مَزَجَتْ خَمْرَةَ عَيْنِهَا بِرَيْقَتِهَا
فاشتد إسكارها إيايَ إِذْ مَزَجَتْ
وأخبرنا أبو أحمد عن يحيى عن الرياشي قال قال الاصمعي أحسن ما قيل
في الثغر قول ذى الرمة :

وتجلى بفرع من أراك كأنه
ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى
وقد أحسن ديك الجن في قوله :

وقهوة كوكبها يُزهرُ
وردية بحدها ؟

مهفف لم يبتسم ضاحكا
وقد جمع كشاجم فأحسن في قوله :

البدرُ لا يفنيك عنها إذا
في فها مسكٌ ومشولةٌ
فالمسكُ للنكهةِ والخمرُ للسرِّ يقسةِ واللؤلؤُ للثغرِ

جمع ثم قسم تقسيماً صحيحاً ولم يترك مزيداً . ومن البارع المشهور في هذا المعنى
قول الصنوبري :

تلك الثنايا من عقدها نظمتُ
وقال غيره وأحسن التقسيم :

وثنايا وريقة كغدير
وعقار وروضة من أقاح

قال ابن المعتز : شرب عذب مشارعه
 وقال : قلت للكأيس وهو يكرع منها
 وقال : يامر إن أنكرتني فلكم
 بأبي حبيب كنت أعهد
 عبق الكلام بمسكة نفحت
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

تعطيك منطقتها فتعلم أنه
 وهو من قول بشار :

يا أطيّب الناس ريقاً غير مختبر
 وقول بشار من قول قيس :

كأنّ على أنوابها الخمر
 وما ذقتّه إلا بعيني تفرّساً
 ومثله قول الآخر : وتبسم عن ألى اللثام مفلج
 وقال ابن الرومي :

بدا لي وميض مؤذن أنّ صوبه
 وما ذقتّه إلا لشيم ابتسامها
 وقال عمار بن عقيل (١) :

كأنّ على أنيابها مبيت السكرى
 تأمل عين لا تقيل إذا ارتأت
 وقال آخر وأحسن : بأبي فم شهد المحبله
 كشهادة لله خالصة
 وقلت في معنى الأول : أقول للملاح من خدره
 وقبعه يردى تهلل في تعب؟
 وقلب وما أنباك أشعر من قلب
 قبل المذاق بأنه عذب
 قبل ألعيان بأنه ربُّ
 والليل يرخى الفضل من ستره

(١) شاعر مقدم فصيح ، كان يسكن بادية البصرة ، والنحويون فيها يأخذون عنه اللغة.

أبدره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من بدره
 قدمات الرقة في شطره ومات الغلظة في شطره
 فأزره غصت بأردافه ووشحه جالت على خصره
 أصبحت لأدري وان لم يكن في الأرض شيء أنا لم أدريه
 أشعره أحسن من وجهه أم وجهه أحسن من شعره
 ودره يؤخذ من لفظه أم لفظه يؤخذ من دره
 وثره ينظم من عقده أم عقده ينظم من ثره
 فن عذير الصب من صدده ومن يجير القلب من هجره
 ياليت يعرف حبي له عساه يجزيني على قدره

أحسن ما قيل في حديث النساء قول القطامي :

فهنَّ يبنذن من قولٍ يصبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى
 وقد أحسن القائل :

هى الدرُّ منشوراً إذا ما تكلمت وكالدرِّ منظوماً إذا لم تكلم
 تعبدُ أحرار القلوب بدؤها وتملأ عين الناظر المتوسم
 وقد أحسن ابن المعتز غاية الاحسان فى قوله :

لعمرك ما أجدى هوأك سوى المتى على وما أنفأك إلا كما أخلو
 ثم قال : وشر أحاديث عذاب لوانها جنى النحل لم يمجج حلاوتها النحل
 الناس كلهم شهبوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل وزاد ابن المعتز هذه الزيادة فأحسن.
 وعندى ان أحسن ما قيل فى وصف حديثهن قول بعض المحدثين وهو ابن الرومى :

وحديثها السحرُ الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم^(١) المتحرز
 ان طال لم يُمِلل وان هى أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز
 شرك القلوب وفتنة^(٢) مامثلها للمطمئن وعقلة المستوفز

(١) فى من غاب عنه المطرب (الماشق) . (٢) فى الأمالى (ونزهة)

ومن جيد ما قيل في الحديث ومشهوره قول ابن الرومي :

ولقد سئمت مآربي فكأن أطيها خبيث

إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبداً حديث

وقلت: وحديث كأنه عقد ربا بت أرويه للرجال وتروى

وحديث الرجال روضة أنس بات يرعاه أهل نبل وسرو

ومن جيد ما قيل في الحياء ما أخبرني به عم أبي قال قال أبو العباس الفضل

ابن محمد اليزيدي قال قال الهيثم قال لنا صالح بن حسان يوماً هل تعرفون بيتاً

شريعاً في امرأة خفرة؟ قلنا نعم بيت حاتم إذ يقول :

يضيء بها البيت القليل خصاصه إذا هي ليلاً حاوات أن تبسما

قال لم يصف شيئاً ، قلنا فبيت الأعمى :

كان مشيتها من بيت جاريتها مر السحابة لاريث ولاعجل

قال قد جعلها خرجت وهذا ضد الخفر ، قلنا فهات ما عندك قال قول أبي

قيس بن الاسلم^(١) :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعل عن إتيانهن فتمتذر

أجود ما قيل في العناق قول بكر بن خازمة^(٢) :

أني رأيتك في نوم تعانقني كما تعانق لأم الكاتب الألفا

وهذا من المقلوب لأن الألف تعانق اللام ، ويجوز أن يحتج له بأن يقال

الألف لاتعانق اللام إلا واللوم معانقة لها . ومن أطرف ما قيل في ذلك قول ابن المعتز :

كأنني عانقت ريحانة تنفست في ليها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى حسبنا من جسد واحد

وقلت في نحو ذلك :

(١) من شعراء الجاهلية ، كانت الأوس قد أسندت إليه حربها وجعلته رئيساً

عليها فساد . (٢) كان وراقاً ضيق العيش ، طيب الشعر مطبوعاً .

ونحن نظم في الهوى واحد^{هـ} كأننا عقدان في نحر

وقال التنوخي :

لله أيام^{هـ} مَضِينَ قطعها وطوالها بالقاصراتِ قصار^{هـ}
أخلو النهار على النهار واني والشمسُ لى دونَ الشعارِ شعار^{هـ}
خداه^{هـ} وَرَدَّ والنواظرُ نرجس^{هـ} والثغر سوسن^{هـ} والرضابُ عُقار^{هـ}
حتى اذا ما الليلُ أقبلَ ضمنا مُدونَ الازارِ من العناقِ إزار^{هـ}
فعلى النحورِ من النحورِ قلادة^{هـ} وعلى الخدودِ من الخدودِ خمار^{هـ}

وقد أحسن وطرف إلا أنه أخذ قوله «من العناق إزار» من قول ابن الرومي :

طالما التفت إلى الصبي...ح لنا ساق^{هـ} بساق

في قناع من^{هـ} لثام وإزار^{هـ} من^{هـ} عناق

وأشاد أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن سعيد لابن عيد كأنه الكاتب :

وكلانا مُرتدٍ صاحبه^{هـ} كارتداءِ السيف في يوم الوغى

بجدودِ شافيات^{هـ} من جوى وشغاه^{هـ} مُرويات^{هـ} من ظما

نتساقِ الريق^{هـ} فيما بيننا زامات القطازع^{هـ} بقطا

أحسن ما قيل في الشعور من الشعر القديم قول الأعرشي :

فأنضيت منها إلى جنّة^{هـ} تدلّت^{هـ} على^{هـ} عناقيد^{هـ}ها

ليس لأشعار المتقدمين نظير ، وكان بشار يتعجب من حسنه ويقدمه على جميع

ما قيل في الشعر . وقد أحسن القائل :

بيضاء تسحب^{هـ} من قيام فرعها وتقيب^{هـ} فيه وهو جثل^{هـ} (١) أسحج^{هـ}

وكانها فيه نهار^{هـ} ساطع^{هـ} وكانه^{هـ} إيل^{هـ} عليها مظلم^{هـ}

أخذه بعضهم فقال وأحسن :

(١) في الأصل غير منقوطة والتصحيح من (من غاب عنه المطرب)

وفي الامالي «وحف^{هـ} أسحج^{هـ}» .

نشرت على ذوائباً من شعرها حذر الكواشح والعدو المحنق
فكأنني وكأنها وكأنه صبحان باتا تحت ليل مطبق
وقد أحسن السرى القول في سواد الشعر مع أوصاف آخر وهو قوله :

مصقولة بسنى الصباح وجوها (١)
أغصان بان أبدعت (٢) في حملها
طالت ليالى الحب بعد فراقها
ولرب ليالات بهن تفرجت
ماكان ذاك العيش إلا سكرة
وقال ديك الجن :

أنظر الى شمس القصور وبدرها والى خزامها (٣) وبهجة زهرها
لم تبل عينك أيضاً في أسود جمع الجمال كوجهها في شعرها
وقال أبو تمام :

بيضاء تسحب شعرها من وجهها فى حسنه أو وجهها من شعرها
وقال أبو نواس :

وسالت من عقيصتها سلاسل كسرت حلقا
وقال آخر : سيقرب منك الردى عنوة
فهل أنت باك على اثره
سيكثر من بعد ترحاله
بنفسى الذى قلقه وشحه
يربك الخنادس إداره
مليح الدلال قليل النوال
وقلت : رخيم فاطر اللحظ
إذا مانأت عنك أحماله
وهل تشجينك أطلاله
توجع صب وإعواله
وضاق بما فيه خلخاله
ويدى لك الصبح أقباله
جميل وان قل أجماله
رشيق مخطف الخصر

(١) في ديوان السرى (جياهما). (٢) في الديوان (أغربت). (٣) في الاصل (حدامها).

وقد مُعَمَّ بالليل وقد قنع بالفجر
وما ينفعني حسنك يا أحسن من بدر
إذا كان نصبي منك طول البين والهجر
وقال كشاجم :

بالله يامتفرداً في حسنه ^(١) ومقلتا هروت بين محاجره
ومحكياً أردافه في خصره ومصافحاً خلخاله بصفائره
ويكأتم الاسرار حتى إنه ليصونها من أن تمر بخاطره
لا تعصين على قى يرضى بما أوليته ولو انتقلت بناظره
أخذ قوله * ومصافحاً خلخاله بصفائره * من قول أبي نواس :

باتوا وفيهم شمس دجن ينعل أقدامها القرون
نعوم أعجازهن عوماً وتلثنى فوقها المتون
غريب شكل بديع حسن أفرد ^(٢) المثل والقرين
بانوا بروحى فصرت ^(٣) وقفاً لا بى حراك ولا سكون

وقال نصر بن أحمد :

سلسل الشعر فوق وجه فحاكى ظلمة الليل فوق ضوء الصباح

وقال السرى :

قصرت ليلة الخورنق حسناً والليالى الطوال فيه قصار
إذ وجوه الأنام فيه رياض ومياه السرور فيه غار
وجنات تمير الورد فيها وتمور جرت عليها المقار
فضحاه من الذوائب ليل ودجاء من الخلود نهار
وقال : ومالت غصون طوقتها مناطق ولاحت شمس توجتها خانداس

(١) في ديوان كشاجم (بالله يامتفرداً بجماله) . (٢) في ديوان أبي نواس

(أعوزه المثل والقرين) . (٣) في الديوان (فصرت شخصاً)

وقلت : وذى غنج يأوى إلى فرعه الدجى
ففيه ظلام بالصباح معمم
يروق سليمي منك جعد مسلسل
وفرعك من صبغ الشباب ممسك
ووجهك مثل الروض يغسله الحيا
أبلغ ما قيل في صفة الاصداع والعدار : فمن بديع ما قيل في الصدغ قول ابن المعتز :

له ظمرة كجناح الغداف
وفي عطفة الصدغ خال له
وقوله : وكان عقرب صدغه وقفت
وقوله : غلالة خده ورد جنى
وقلت : وكان دارة صدغه وعداره
وقال ديك الجن :

وقام مختلفاً كالبدر مطلقاً
رقت غلالة خديه فلو رميا
كان لآما أدبرت فوق وجنته
وقلت : إذا التوى الصدغ فوق وجنته
وقلت : الغيم بين ممسك ومكفر
فإذا شربت فمن رحيق سلسل
من ريق أهيف كالقضب محضرا
فإذا جلا لك غرة في طرة
فانظر عناق ممسك لمكفر
وإذا تعانق خده وعداره
وقال آخر : عجبي لخضرة زعفران عداره
والخشف ملتفتاً والغصن منقطفا
باللحظ أو ماها بأن يكفا
واختط كاتبها من تحتها ألفا
رأيت تفاعاً بها عضه
والروض بين مجدد ومدبج
وإذا رشفت فمن شتيت أفلج
أو كفت أباج كالصباح الأبلج
ألوى بقلبك أبلج في أدعج
يجلوه حسن مفلج ومضرج
فانظر عناق عقائق وبنفسج
ومن العجائب زعفران أخضر

وقال ابن المعتز :

من كفَّ ريم تثنى مناطقه على هضم الكشحين ممشوق
يعطيك ماشاء من معانقة مقفلة من وراء ممشوق
مسطر الخلد بالعدار ولا يحسن غصن^ه الا بتوريق
وقلت : له وجنتا ورزد وعينا غزاله وغرّة اصباح وطرة غيب
وصدغ يناجى الاذن وهو معقرب وطوراً يناغى الخلد غير معقرب
له من ظلام الليل أحسن^ه ملبس وفوق ضياء الصبح أحسن ملعب

وقال الصنوبري :

تلك طرار^ه عليك أم حلق^ه زانك صدغان أم هما زرذ
وقلت : يفتن^ه القلب بخد^ه لم يدع^ه للورد قدرا
مثلهما تكتب^ه بالمسك على الكافور سطر
وعذار يسحر^ه الصب^ه وما يعرف^ه سحرا
وبصدغ دار^ه في الخلد^ه كما تعقد^ه عشر
كلما أظلم^ه (ليلي) ^(١) كان (لى) وجهك فجر

وقال ابن المعتز :

لعمرك ما أزر^ت بيوسف^ه لحي^ه ولكنه قد زاد حسناً وأضعفا
فلا تعتذر من جبه^ه في التحائه فإيحسن^ه الدينار^ه إلا مسيفا
وقال في خضرة الشارب :

تبسم^ه إذ ما زحمت^ه فكأما تكشف^ه عن درجاب زبرجد^(٢)
وقال بعض المتأخرين وأحسن :
ومعذرين كأن^ه نبت خدودهم أقلام^ه مسك تستمد^ه خلقا
قرفوا البنفسج بالشقيق ونظموها تحت الزبرجد^ه لؤلؤ^ه وعميقا

(١) ما بين القوسين غير موجود في الأصل . (٢) في ديوان ابن المعتز (زمرد).

وَقَلْتُ : وَعَافَقْتُ خَلْفَ مَنْ صَدَغَهُ خَلْفًا
 كَالْعَيْنِ فِي الْعَيْنِ وَكَالْجِيمِ فِي الْجِيمِ ؟
 وَقَلْتُ وَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ :
 كَأَنَّ النَّوْرَ مُضْحِكٌ يَقُقُ
 وَعَظْفَةُ الْغَصْنِ شَارِبٌ خَضِرٌ
 وَقَلْتُ : وَتَرَى النَّوْرَ مِثْلَ مُضْحِكِ خَوْدِ
 وَتَرَى الْغَصْنَ مِثْلَ شَارِبِ أَمْرَدِ
 وَلَعَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّيْلِيِّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ :

وَشَادَنَ سَائِقَاتِ الشَّعْرِ قَدْ سَلَكْتُ
 فِي عَارِضِيهِ عَلَى جَهْدِ بَهَا طَرَقَا
 هَذَا الْبَيْتِ مُتَكَلِّفٌ جَدًّا :
 لَمَّا رَأَتْ أَنَّهَا قَدْ أَخْطَأَتْ وَجَنَّتْ
 وَتَتْ تَعُودُ فِدَارَتِ كُلِّهَا حَلَقَا
 وَهُوَ مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ كِشَاجِمِ :
 عِلْمُ الشَّعْرِ الَّذِي عَاجَلَهُ
 أَنَّهُ جَارٌ عَلَيْهِ فَوْقَهُ

فَقَالَ هَذَا (وَقَفَ) وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (دَارَتْ حَلَقَا) الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا هَذَا .
 وَقَلْتُ : لِأَنَّ الَّذِي دَارَ مِنْ صَدْغِكَ وَأَنْعَطْنَا
 وَصَارَ نُونًا إِذَا صِيرْتَهُ أَلْفَا
 مَا كُنْتُ إِذْ خَنَنْتِي إِلَّا أَخَانِقِي
 لَمْ تَسْتَعِضْ مِنْهُ إِذْ ضَمِعْتَهُ خَلْفًا
 لَمْ أَسْبِقْ لِمَعْنَى الْبَيْتِ الْأَوَّلِ .
 وَقَلْتُ :

قَدْ التَّوَيْتُ ضِدْغَهُ وَاخْتَطَّ عَارِضُهُ
 كَأَنَّهُ أَلْفٌ مِنْ فَوْقِهِ نُونٌ
 وَقَلْتُ أَيْضًا وَلَمْ أَسْبِقْ إِلَى مَعْنَاهُ :
 وَمُفْتَجِحٌ قَالَ الْكَمَالُ لَوَجْهِهِ
 كُنْ مَجْمَعًا لِلطَّيْبَاتِ فَكَانَهُ
 زَعَمَ الْبَنْفَسِجُ أَنَّهُ كَمَذَارِهِ
 حَسَنًا فَسَلَوْا مِنْ قَفَاهُ لِسَانَهُ
 أَعْنَى الْهِنَةِ النَّاجِيَةِ تَحْتَ وَرَقَةِ الْبَنْفَسِجِ : وَقَلْتُ :

بَنْفَسِجٌ عَارِضُهُ يَنْثِي
 إِلَى حَمْرَةٍ مِنْ وَجْنِيهِ
 فَيَجْعَلُ قَلْبِي فِي كَفِهِ
 يَسِيءُ إِلَيْهِ وَيَمْدُو عَلَيْهِ

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَالصَّدْغُ فَسُوقُ الْعَذَارِ مِنْ كَسْرِ
 كَصُورِ الْجَائِثِ يَرُدُّ ضَرْبَتَهُ

وقال * وصدغه كالصولجان المنكسر *

أجود ما قيل في حسن القد ورقة الخصر وكبر العجيزة: أخبرنا أبو أحمد
أخبرنا أبي عن عسل بن ذكوان، وأخبرنا به أبو علي بن أبي حفص عن جعفر
ابن محمد العسكري عن بعض رجاله قال قال أبو عمرو بن العلاء لأصحابه أنشدوني
أحسن ما قيل في حسن القد وعظم العجيزة فأنشده بعضهم قول علقمة:

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^(١) كأنها رشاً في البيت ملزوم
قال لم تأت بشيء، فأنشديت ذى الرمة:

ترى خلفها نصفاً قناة قويمه ونصفاً نقا يرتج أو يتمرمر
وأنشديت الأعمشى:

صفر الوشاحين ملء الدرع بهنكة^٢ إذا عشت يكاد الخصر ينحول^(٢)
وأنشديت ذى الرمة:

عجزاً ممكورة^٣ خصانة^٣ قلق^٣ عنها الوشاح وتم الجسم والقصب^(٣)
فقال أحسن من هذا كله قول الحارث:

غرثان سمط وشاحها قلق شبعان من أردافها المرط
قال أبو هلال أخذه عبد الله بن عبد الله بن طاهر فقال:

سلمى وتسلمى تفوق المتى؟ والوصف أنواعاً وألوانا
وشاحها يحسد^٤ دخلخالها كجائع يحسد^٤ شبعانا

نقله إلى وصف السلو، وأخذه ابن المعتز بلفظه ومعناه فقال:

وظباء^٥ غرائر مشبعات المآزر

ومن البديع قول أبي نواس:

وربان من ماء الشباب كأنه^٦ يظلم من ضمير الحشا ويجماع

(١) في ديوان علقمة (خرعبة). (٢) في ديوان الأعمشى (ينخزل).

(٣) قلق وشاحها لضمور بطنها: والقصب: العظام التي بها المخ.

أخذه الآخر فقال :

ظبي كأنَّ بخصره من ضميره ظمأ وجوعا
وقلت : وقد بعصن اووانا كشمات كافر
وقد شدت زنانيرا على مثل الزنابير

وقد أحسن ابن المعتز حيث يقول :

وتحت زنانير شدة عقودها زنانير عكان معاقدها السرر
وقال مؤمل وأفرط :

من رأى مثل حبيتي تشبه البندر إذ بدا

تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وأنشد أبو أحمد قال أنشدني أبو بكر بن دريد (١) :

قد قلت لما مرَّ يخطو ماشياً (٢) والرِّدفُ يُجذبُ خصره من خلفه

يا من يُسلمُ خصره من ردفه سلم فؤاد محبيه من طرفه

وقد أحسن القائل في وصف لين القوام والسرغ ؟

ممن له حسن الرحيق وطيبه ومزاج شاربه ومشى نريه

وقلت : لا والظباء الآنسات إذ آرانت فاقن حسن عيونهن فتونا

ان لحن لحن كواكباً وأنحن نحن لظماً أو ملن ملن غصونا

وبدرن من مقل اليك فواتر يكسين قلبك بالفتور فتونا

ماخنت عهد هوى عليك وقفته وأخو المروءة لا يكون خوونا

وقبل هذا: مترجح الأرداف مضطمر الحشا لدن القوام يكاد بمقد ايننا

داب النعم له فأنمر صدره ثمراً إذا حلت الثمار حلينا

يقال حلا الشيء في الفم وحلى في القلب . وكتبت في فصل لي : والله يعلم أني

أخدمه بالضمير خدمة لو تصورت له لرآها الرائي روضاً ممطوراً وشياً منثوراً

(١) نسب البيتان في ذيل الأملى لخالد الكاتب. (٢) في الذيل (لما أن بدا متبخترا)

ولؤلؤاً منظوماً ومنثوراً بل لا يبصر أعطاف الغتيان تتثنى تنى الأغيصان في قراطق
 الحبير ومن ررات الديباج والحرير وقد اطلعت أزرارهم بواهر الأتار مطرفة
 بعقارب الاصداع وحلق الاطرار فأقبلوا يسفرون عن غرة الصباح ويسمون
 عن حباب الراح ويمزجون الدلال بنجمل أسأره فيهم الوصال فاذا حضروا وكلوا
 الابصار وإذا غابوا استوهبوا القلوب والافكار فهم الداء والدواء ومنهم السقم والشفاء .
 ومن الافراط في ذكر الغيد وهو لين القامة قول ماني (١) :

أتمنى الذى إذا أنا أوما ت إليه بطرف عيني تجنى
 أهيف كالتضيب لو أن رجماً حرّ كت هذب ثوبه لتثنى

وأجود ما قيل في النهود وعظم العجيزة قول الأعرابي : بيضاء جمدة لا يمس
 الثوب منها إلا مشاسنه كتفيتها وحلمتى تديها . أخذه الشاعر فقال أو أخذه الاعرابي
 من الشاعر :

أبت الروادف والتدى لقمصها مسّ البطون وان تمسّ ظهورا
 وإذا الرياح مع العشى تناوحت تبهن حاسدة وهجن غيورا
 وقلت : تمشي بأرداف أبين قعودها بين النساء كما أبين قيامها
 وقال ابن المعتز في النهود :

يا عُصناً ان هزه مشيه خشيت أن يسقط رمانه
 إرحم مليكاً صار مستعبداً قد ذلّ في حيك سلطانه

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن العكلى عن ابن خالد عن الهيم
 ابن عدى قال قعد اعرابي إلى جانب دار إسماعيل بن على بالكوفة فخرجت جارية
 فطفق الاعرابي ينظر إليها فقال له رجل ما نظرك إلى شيء غيرك أقبل على شأنك
 واصبر ، والجارية تسمع - فقال الاعرابي ربلات تصطاك وغصن يهتز ومدى محرق
 أهابه وتقول اصطبر، فضحكت الجارية وقالت والله ما مدحتنى أحد مثل ما مدحتنى

(١) هو مان الموسوس الشاعر المصرى المشهور .

به . فقال بأبي أنت وأمي أن الهوى يظهر جيد القول ويبدى المستتر الكامن وانك
لما يما يكنى عنه الريلات مجامع الفخذين ؟ . وقلت :

أيا وَرَدًا على غصن بكرَّ اللحظ يلقطه
ورمانًا على قنن يكادُ المشي يسقطه
آتى والبدرُ يحسدهُ وشمسُ الدجْن تغبطه
وخوفُ الناس يقبضهُ وحبُّ الوصل يبسطهُ

وأحسن ما قيل في الثدي :

قبيحٌ بمثلِك أن تهجرى وأقبح من ذاك أن تهجرى
أفانلتى بفتورِ الجفونِ ورَّماتينِ على منبر
كحقيقين من لبِّ كافورةٍ برأسيهما نقطتنا عنبر

والناس يستحسنون قول مسلم بن الوليد :

فأقسمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فقطتُ بكفيتها (١) ثمارَ نحوورها كأيدى الأسارى أثقلتها (٢) الجوامع

وهو حسن جداً ومثله قول النميري :

أعيرُ كيفَ بحاجةٍ طلبت إلى صمِّ الصخور
للهِ درُّه عداكم كيفَ انتسبنَ إلى الغرور
ولقد تبيتُ أنا ملي تجنينَ رمانَ الصدور

وقال علي بن الجهم :

شاخص في الصدر غضبان على قيب البطن وطى العكن
يملاً الكفَّ ولا يفضلهُ وإذا أنتيته لا ينثنى

وقد طرف ابن الرومي في قوله :

صدورُ فوقهنَّ حقاق عاج وحلى زانهُ حسنُ اتساق

(١) في ديوان الصريع « فقطت بأيديها » . (٢) في الإصل « أثقلتها » .

يقول القائلون إذا رأوها أهذا الخلى من هذى الحقائق
 أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن يعفر:
 يسمى بها ذو ثؤميتين مقرطق^(١) قَتَاتُ أَنَامِلُهُ مِنَ الْفَرَصَادِ
 فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس:
 يا قمرًا أبصرتُ في مآتمْ يندبُ شجواً بين أترابِ
 يبكي فيلقى الدرّ من نرجسٍ ويلطمُ الومردَ بعنابِ
 وقال ديك الجن:

ودعتها الفراق فاشتكت كبدى وشبكت يدها من لوعة يدي
 وحاذرت أعين الواشين وانصرفت تعضُّ من غيظها العناب بالبرد
 فكان أوّل عهد العين يوم نأتُ بالدمع آخر عهد القلب بالجلد
 ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر:

قالوا الرّحيل فأسرعت أطرافها في خدّها وقد اكتسبن خضابا
 فاخضرت موضع كنفها فكأتما غرست بأرض بنفسج عنابا
 وقال الناشيء وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى:

من كفّ جارية كأنّ بنانها من فضة قد طرّفت عنابا
 وكانّ يمانها إذا نطقت به يلتقى على يدها الشمال حسابا
 وقال أيضاً: لناقينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمين
 تخالّ تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين
 وقال: متعاشقان مكأمان هواهما قد نام بينهما العتاب فطابا
 يتناقلان اللحظ من جفنيهما فكأتما يتدارسان كتابا
 وإذا هدّت عين الرقيب تخالست كفها جلس السلام سلابا
 بأنامل منه يلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا

(١) في الأصل «كأتما» وفي منتهى الطلب من أشعار العرب (مقرطق).

فكأنما يجنى لها من كفه عنباً وتجنبيه له عنابا
يذكر أثر المداد بأنامله وأثر الخضاب بأناملها. وقلت :

انظر الى النقش من أطرافها البضه مثل البنفسج منشوراً على فضه
أوخلتها أخذت أطراف جرمة فنضدته على جمارة غصه
ومن غريب ما قيل في نظم حليهن قول الممرين تواب :

كعاب عليها لؤلؤ وزبرجد ونظم كأجوان الجراد مفصل
قوله «كأجوان الجراد» غريب بديع لم يسبق اليه ولا أعرف أحداً أخذه منه .

ومن البديع قول الدمشقي :

بدر بدا والشمس في كفه وأنجم الليل عليه رعاث
وهو من الليل ومن طرفه وشعره في ظلمات ثلاث

أحسن ما قيل في صفة الدمع إذا امتزج بالدم قول أبي الشيبص :

لهوت عن الأحزان إذا سفر الضجى وفي كبدى من حرهن حريق
مزجت دماً بالدمع حتى كأنما يذاب عليها لؤلؤ وعقيق
وقول أبي تمام : نثرت فريد مدام لم تنظم والدمع يحمل بعض ثقل المغرم^(١)
وصلت نجيباً بالدموع^(٢) فخذها في مثل حاشية الرداء المعلم
وقال : أبيت أراعى أنجم الليل بعدكم فيا ليت شعري هل تراعونها بعدى
ودمع نثرت دره وعقيقه كأنى حلت العقد من طرف العقد

ومن أجود ما قيل في بياض الدمع على حمرة الخدما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

لو كنت يوم الوداع حاضرنا وهن يطفئن لوعة الوجد
لم تر إلا الدموع جارية تسقط من مقلة على خد
كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

ونحوه قول ابن الرومي :

(١) في ديوان أبي تمام (شجو المغرم) . (٢) في الديوان (وصلت دموعاً بالنجم)

لَمَّا دَنَا الْبَيْنُ وَرَاحَ الدَّلُّ وَدَعَّتْهَا وَدَمَعَهَا مُنْهَلٌ
وَخَدَّهَا مِنْ قَطْرِهِ مُخْضَلٌ كَأَنَّهُ وَرَدُّ عَلَيْهِ طَلٌ

ومن أجمع بيت قيل قول المحدثين :

فَأَسْلَبْتُ لَوْ لَوْأًا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ
ليس لهذا البيت نظير . وقلت :

يَبْكِي فَيَسْقِي الدَّمْعُ وَجْتَهُ كَمَا يَسْقِي الطَّلُ وَرَدَةَ غَضَهُ؟

ومن المشهور قول بعضهم وهو حسن :

كَأَنَّ الدَّمْعَ عَلَى خَدِّهَا بَقِيَّةُ طَلٍّ عَلَى جِلْمَارٍ
ونحوه ما أنشدناه أبو أحمد في العرق :

يَجْدُرُ مِنْ أَرْجَاءِ صُورَةِ وَجْهِهِ مِنْ الْفَمِ سَحٌّ فِي الْجَبِينِ وَفِي الْخَدِّ
فِرَادَى وَمَثْنَى يَسْتَبِينُ كَأَنَّهُ سَقِطٌ نَدَى وَفِي عَلَى وَرَقِ الْوَرْدِ
ومثله ما قلت :

أَخْرَجَهُ الْحَمَامُ كَالْفَضَى يَحْسُدُ مِنْهُ بَعْضُهُ بَعْضًا
كَأَنَّمَا الْمَاءُ عَلَى جِسْمِهِ طَلٌّ عَلَى سَوَسِنَةٍ غَضَى

وفي صفة الدمع :

تُورِدُ دَمْعِي مِنْ خَدِّكَ مُخْتَلِسٌ وَسَقَمُ جِسْمِي مِنْ عَيْنِكَ مُسْتَرْقٌ
لَمْ يَبْقَ لِي رَمَقٌ أَشْكُوهُ أَوْ أَكْبَهُ وَإِنَّمَا يَتَشَكَّى مِنْ بِهِ رَمَقٌ

وأبلغ ما قيل في امتلاء العين من الدمع قول بعض الأعراب أظنه :

فَظَلْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زَجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظَرُ
وقول البحترى في معناه :

وَيَحْسُنُ دَلُّهَا وَالْمَوْتُ فِيهِ وَقَدْ يَسْتَحْسِنُ الْمَوْتَ الصَّقِيلُ
وَقَفْنَا وَالْعَيُونُ مُشْغَلَاتٌ يَمَاجُ دَمْعَهَا طَرَفٌ قَلِيلٌ (١)

(١) في أمالي القالي (بغالب دمعها نظر قليل) .

نَهْتَهُ رَقَبَةُ الْوَاشِينَ حَتَّى تَمْلُقَ لَا يَغِيضُ وَلَا يَسِيلُ

قوله «يحسن دلها والموت فيه» أحسن ما قيل في الدلال .

ومن أعجب ما قيل في الدمع قول بعضهم ونسب إلى السرى ولأظنه له :
 بِنَفْسِي مِنْ رَدِّ التَّحِيَّةِ ضَاحِكًا فَنَجَّدَ بَعْدَ الْيَأْسِ فِي الْوَصْلِ مَطْمَعِي
 إِذَا مَا بَدَأَ أَبْدَى الْغُرَامُ سِرَائِرِي وَأَظْهَرَ لِلْعَذَالِ مَا بَيْنَ أَضْلَعِي
 وَحَالَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ تَعَشَّقُهُ مَعِي
 وهذا معنى ظريف حسن جداً .

ومن حسن الاستعارة في صفة الدمع ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولي :

قَدْ كَانَتْ فِي طَوْلِ الْبَكَاءِ لِرَاحَةٍ وَعَنَّانٌ سَرَّيٌّ فِي يَدِ الْكُتْمَانِ
 حَتَّى إِذَا الْإِعْلَانُ نَبَهَ وَاشِيًا رَقَاتٌ دُمُوعِي خَشِيَّةَ الْإِعْلَانِ

ومن البديع في ذلك قول بشار وهو مشهور :

مَاءُ الصَّبَابَةِ نَارُ الشَّوْقِ تَحْذَرُهُ فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِمَاءٍ خَافَ مِنْ نَارِ
 وَقَلْتُ : أَشْكَو الْهَوَى بِدُمُوعِ قَادَهَا قَلِقَ حَتَّى عَلِقْنَ بِجَمْعِنَ رَدَّهَا الْغُرُقَ
 فِي فِؤَادِي سَبِيلٌ لِلْأَمْبِي جَدُّ وَفِي الْجَفُونِ مَقِيلٌ لِلْكَرَى قَلِقَ
 لَهَيْبٌ قَلْبِي أَفْضَ الدَّمْعَ مِنْ بَصْرِي وَالْعُودُ يَقْطُرُ مَاءً حِينَ يَحْتَرِقُ

ولأظنني سبقت إلى هذا التمثيل . وقال ابن المعتز :

وَإِطْمَاءُ خَدِّ تَجْعَلُ الْوَرْدَ دَخْرًا وَتَنْثَرُ دَمْعًا لَا يَبِيعُ بِأَثْمَانِ

ونظير المصراع الأول قول صاحب مصر :

وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ تَغْيِرًا وَصَبَا وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي أَجْدَرَا
 لِأَحَادَ تَفَاجَ الْخُدُودِ بِنَفْسِجَا لَثَمِي وَكَافُورَ التَّرَائِبِ عُنْدِيرَا

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشد الحسن بن رجاء عن المبرد يوم أبيت ذى الرمة :

لَعَلَّ أَحْدَارَ الدَّمْعِ يُعَقِّبُ رَاحَةً مِنْ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْمِيَّ الْبَلَابِلِ

وقال له من قال في مثله ؟ فقال قد ملح الحسن بن وهب في قوله :

إبك فما أكثر نفع البكا
والحبُّ إشفاقٌ وتعليل
إفزع إليه في ازدحام الجوى
ففيه مسلاةٌ وتسهيلٌ
وهو إذا أنتَ تأملتَهُ
حزنٌ على الخدين محلول

وقد ملح العباس بن الاخنف :

إني لأجحدُ جبم وأسرهُ
والدمعُ يشهدُ أنني لك عاشقُ
وقال : طالَ عهدي بها فلما رأني
والدمعُ معترفٌ به لم يجحد
والناسُ قد علموا وان لم يشهد
نظمتُ لؤلؤاً على تفاح
وقد أحسن الآخر في قوله :

إذ لاجوابٍ لمفحم متحير
إلا الدشموع تصانُ بالاطراف

قوله « تصان بالاطراف » عبارة صحيحة جيدة . وقال آخر :

تقول غداةَ البين عندَ وداعها
لك الكبد الحرسى فسروك الصبر
وقد سبقتها عبرةٌ فدموعها
على خدها ييضُ وفي نحرها حمر
معناه إذا انحدرت إلى نحرها إنصبغت بلون الطيب والزعفران بها .

ومن غريب المعنى قول الآخر :

عَدتْ بأحبتى طولُ المطايا
فبانَ النومُ وامتنعَ القرار
وكانَ الدمعُ لى ذخرًا معدًّا
فأنفقتُ الذخيرةَ يومَ ساروا

أجود ما قيل في طيب عرف المرأة : جميع ما مر بي من الشعر في هذا الفن متقارب في المعنى لا يفضل بعضه بعضاً إلا في القليل ، ومنه ما هو جيد المعنى حلو المعرض فتركته لأن الشرط قد تقدم بإيراد الجيد لفظاً ومعنى وورصفاً وذلك قليل ليس يقع إلا بعد التصفح الطويل والتعب الكثير :

فن أجود ما قيل في ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ماروضةٌ من رياض الحزن معشبة
خضراء جاد عليها مسبلٌ هطل
بضاحك الشمس منها كوكبٌ مشرقٌ
مؤزرٌ بعيمِ النبتِ مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذ ذنا الأصل
وقول القطامي وهو جيد النظم متضمن لماء الطلاوة :

وماريجُ قاعِ ذى مُخزَأمى وحنوة له أرحُّ من طيبِ النبتِ طازب
بأطيب من مَيِّ إذا ما تقلبتُ من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب^(١)

إلا أنه جاء بالمعنى في بيتين. ومما هو مضطرب الرصف جيد المعنى قول ابن الطثرية:
خود يكون بها القليل يمسه من طبعها عبقا يطيب ويكثر
هذا البيت على غاية اضطراب الرصف :

شكر الكرامة جلدها فصفا لها إنَّ القبيحةَ جلدها لا يشكر
قوله (شكر الكرامة جلدها) فى غاية من الحسن . أخذه ابن الرومى فقال :

ألوف عطر تذكى وهى ذاكيةٌ إذا أساءتْ جوارَ العطرِ أبدان
نعيم كل نهار من مجامرِها ويشمسُ الليل منها فهو ضحيان
كأنها وعشان الندى يشمها شمسٌ عليها ضباباتٌ وادخان

وأخذ ابن المعتز قول القطامى ببعض لفظه إلا أنه زاد زيادة حسنة وجاء بالفاظ
بديمة وهو قوله :

وماريجُ قاعِ زاهرٍ مست الندى	ورروض من الرِّيحان سحت سحائبه
فجاء سحيراً بين يوم وليلة	كما جرَّ من ذيل الغلالة ساحبه
بأطيب من أنوابِ شمر موهبا	إذا الليلُ أدجى دابر كئائبه
إذا رغبت عن جانب من فراشها	تضوَّع مسكاً أين مالت جوانبه
وقد طرف ابن الاحنف فى قوله :	
ذكرتك بالرِّيحان لما شمته	وبالراح لما قابلت أوجه الشرب

(١) الذى فى ديوان القطامى :

وماريجُ رَوْضِ ذى أقاح وحنوة	وذى نفل من قلة الحزن طازب
بأطيب من ليلى إذا ما تمايلتُ	من الليلِ وسنى جانباً بعد جانب

تذكرت بالرَّيحان^(١) منك روائحاً^(٢) وبالرَّاح طعماً من مقبلك العذب
 وأنشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبيد الله بن عبد الله لنفسه :
 تطيرتُ أيامَ اجتنابك أن ترى مكانك عيني لا خلا منك خاليا
 فأسكنته نوراً كريك طيبه يد كرفي منك الذي لست ناسيا
 وقد أحسن وحسنه قليل . وقيل لأعرابي أبة رائحة أطيب؟ قال رائحة بدن
 تحبه أو ولد تربه فقال ابن الرومي * ريحه ريح طيب الاولاد * وقلت :
 يمرُّ بي وفدُ الصبا والليل يقضي نجبهُ
 مرَّ بروضٍ زاهرٍ ذرَّ عليه عشبهُ
 فختاته من طيبه نشوة من أحبه
 ومن البليغ قول سحيم^(٣) :

فما زال بردى طيباً من ثيابها إلى الحولِ حتى أنهج البرد باليا
 وأبلغ من ذلك وصفهم طيب المواضع التي وطنها الحبيب ، وأول من قال
 ذلك النميري^(٤) :

تضوع مسكاً بطن نمان إذ مشتُ به زينبُ في نسوةٍ خفرات
 ومن أحسنه وأرشقه قول جميل :
 ألا أيها الربع الذي غير البلا عفا وخلا من بعد ما كان لا يخلو
 تداوبَ ريح المسك فيه وإيما به المسكُ إذ جرَّتْ به ذيلها جملُ
 وقوله : وأنت الذي حبيت سعيماً إلى بدا إلى وأوطاني بلاداً سواهما
 حللت بهذي مرّةً ثم مرةً بهذي فطاب الوادبان كلاهما

(١) في ديوانه (بالتفاح) في الموضعين . (٢) في ديوانه (سوالفا) . (٣) هو عبد بنى
 الحسحاس ، كان أسود حلو الشعر رقيق الحواشي . (٤) «النميري» ساقطة من الاصل
 فاستدر كذاها من الأغاني حيث ذكر البيت في أخبار النميري وهو محمد بن عبد الله
 شاعر غزل . ولد من شعراء الدولة الأموية ، وفيه «عطرات» بدل (خفرات) .

وقال الآخر :

أرى كل أرض يعمتها^(١) وإن مضت لها حججٌ يزيداد طيباً ترابها
وقد طرف ابن الاحنف في قوله :

وجدت الناس ساطع المسك من دجلة قد أوسع المشارب طيبا
فهم ينكرون ذلك وما يدرون أن قد حلت منها قريبا
وقال البحرى : فكان^(٢) العبير بها واشياً وجرس الحلى عليها رقبيا
وقلت : تأملت منها غزلاً ريبيا وبدراً منيراً وغصناً رطيبيا
جئت لك عن خضل واضح بيت سناه عليها رقبيا
وهزت لنا بسراة الكثيب قضيباً تفرع منه كثيبيا
عشية راحت وأترابها يقد بن للهجر طرفاً مريبيا
كواكب ليل إذا مارأت كواكب شيب تهاوت غروبيا
وأقمار روض قمرن^(٣) العقول وغزلان رمل قلبن القلوبيا
إذا زدتها نظراً زدتنى جمالاً بدبماً وشكلاً غريبيا
رحلن العشية من ذى الغضا وخلفن فيه جمالاً وطيبيا
وقد أحسن القائل في قوله :

جارية أطيبت من طيبها والطيب فيها المسك والعنبر
ووجهها أحسن من حليها والحلى فيها الدرُّ والجوهر
ولو قيل ان هذا أحسن ما قاله محدث في ذلك لم يكن بعيداً . ومما هو غاية قول
إمرئ القيس :

ألم تر أنى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
وقد طرف القائل :

(١) في الأصل (دمتها) . (٢) في الديوان (فصان) (٣) في هامش الأصل : ما عليه
لو قال «عقلن العقول» ليطابق الجنس كما قال «قلبن القلوب» فكان أوقع في النفوس .

أناها بمطرٍ أهلها فتضاحتُ وقالت وهل يحتاج عطرٌ إلى عطر
وقد أجاد البحترى :

لنا من ريقه راح ومن رياه ريحان
وأشدنا أبو أحمد في طيب الريح إلا أنه وصف رجل :
سقى لأيام مضت وكان معها حلوم
أيام بقي لي ويفنى رهطه الرجل العريم
إذ لا دليل على في برد الضحى إلا النسيم
أجود ما قيل في حب الصغار من شعر المتقدمين قول نصيب (١) :
ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسى النشاء الصغار
بروحي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها اتصار
إذا ما للذئب ضاعفت الحشايا كفاها ان يلاث لها الأزار
ومن مליح ذلك قول عوف بن محلم (٢) :

وصغيرة علقتهما كانت من العن الكبار
كالبدر إلا أنها تبقى على ضوء النهار
وأشدني أبو أحمد عن الصولي قال أنشدني عبد الله بن الحسن وقدم ملح وطرف :
جارية أذهلها اللعب عما يقاسى الهائم الصب
شكوت ما لقاء من حبا فأقبلت تسأل ما الحب
ومن مليح ذلك ما روى أن عبد الملك بن مروان عرضت عليه جارية فقال لها
أبكر أنت أم ثيب ؟ فقالت بل ثيب فأشده عبد الملك :

قالوا عشقت صغيرة فأجبتهم خير المطي لدى ما لم يركب
كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة لبست وحية لؤلؤ لم تثقب

(١) هو نصيب بن رباح الشاعر الفحل المتقدم في المديح والنسيب .

(٢) الخراعي الشاعر العالم الأديب الراوى صاحب البيت المشهور (إن الثمانين) :

فقاتل الجارية: إن المطايا لا يلذُّ ركوبها مالم تذلَّ بالزمام وتركب
والدرُّ ليسَ بنافع أربابه مالم يؤلف في النظام ويثقب
قد أحسننا جميعاً إلا أن وجه الكلام أن يقال يثقب ويؤلف في النظام .
أصدق ما قيل في صفة الحب قول العباس بن الأحنف :

من كان يزعم أن يدارى في الهوى حتى يشكك فيه فهو كذوب
الحبُّ أملك للفؤادِ بقهره من أن يرى للسرِّ فيه نصيب
وقلت : آفة السرِّ من جفوَ نِ دوامِ دوامِ
كيف يخفى مع الدمو ع الهوى في الهوامِ
مارأينا أخا هوى سرُّه غير ذائع
إن نيرانَ حبه باديات الطواع

من أظرف ما قيل في ذكر الشركة في الهوى ما أنشدنيه أبو أحمد :

مالي جفيتُ وكنت لأجفني وعلامةُ الهجرانِ لا تخفي
وأراك تمزجني ونشريني ولقد عهدتكَ شاربِي صرفا

وقد أحسن العباس بن الأحنف في هذا المعنى وهو قوله :

يافور لم أهرجركمُ للمللة مني ولالمقالِ واشِ حاسد
لكنني جربتكم فوجدتكم لاتصبرونَ على طعام واحد

وقد جاء أبو نواس بهذا المعنى إلا أن قول العباس أطبع ، قال أبو نواس :

أتيت فؤادها أشكو إليه فلم أخلص إليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها محبٌ ولألفا محبٍ كلَّ عام
أظنك من بقية آل موسى فهم لا يصبرون على طعام

رما سبق به العباس الشعراء كلهم قوله :

أحرم منكم بما أقولُ وقد نال به العاشقونَ من عشقوا
صرتُ كافي ذبالةً نصبتُ تضيء للناسِ وهي تحترق .

وأول من ذكر هذا المعنى صاحب كلبلة ودمنة . وإلى معنى قول البيت الأول
يوميء قول البحري :

قصائد ماتنكُ فيها غرائب تألق في أضعافها وبدائع
مكرمةُ الانساب فيها وسائلٌ الى غير من يجبي بها وذرائع
ومما سبقت اليه من المعاني ما قلته :

رفعَ السترُ فأنثى غصنُ بانٍ يتجلى الهلالُ في معناه
ليس لي أن أنالَ ما أتمنى من جنى وصلةِ اللذيدِ جناه
فلو أنى كنت في بعضِ شعري فاذا ماشدها قبوت فاه

ومن أبلغ ما قيل في بخل المشوق من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن أبي
بكر بن دريد عن عبدالرحمن عن عمه :

وما نظفةٌ كانت سلاله بارقٍ تمت عن طريق الناس ثم استظلت
بأطيب من أثياب تلم بمدا حدا الليل أعقاب النجوم فولت
وقد بخلت حتى لو أتى سألها قذى العين من ضاحي التراب لضنت

ومن أحسن ما قيل في وقوف النظر على المشوق قول بعضهم (قيد الحسن
الحدقا) وهو من قول امرئ القيس « قيد الأوابد » وقد أحسن الآخر في قوله :

ظبيُّ له من قلوبِ الناس نابتةٌ من المودة تجنى أطيبَ الثمر
إذا بدا رمت الأبصار وجنته دمماً فلم تختلف عينان في نظر
ونحوه قول المتنبي :

وخصر تنبت الابصارُ فيه كأنَّ عليه من حدق نطاقا
ومن أجود ما قيل في كمال الحسن ما أنشدناه أبو أحمد :

كلُّ شيء من محاسنها كامنٌ في حسنه مثلاً
ليس فيها ما يقالُ له كملت لو أنَّ ذا كمالا

وقال أبو نواس * لومنى الحسن ما تمداها * أخذه أبو تمام فقال :

معتدل لم يعتدل عدله في عاشق طال به خبله
 أطرقه أحسن أم طرفه وحسنه أكمل أم عقله
 انظر فما عاينت في غيره من حسن فهو له كله
 لو قيل للحسن تمنّ المنى إذا تمنى أنه مثله
 أي خصال حازها سيدي لو لم يكدر صفوها مطله
 وقال أبو نواس: تمت وتم الحسن في وجهها
 للناس في الشهر هلال ولي فكل شيء ما خلاها محال
 وقال: متائه بجباله صلف من وجهها كل صباح هلال
 لو كانت الأشياء صورته لا استطاع كلامه تيبها
 وقال: ألاحظ حسن وجهه حتى إذا كملت تاهت على التيهها
 وقال غيره: شكوت إلى شبيهك إذ تجلي فتجرحني وأجرحها
 وكان كأنك إشرافاً وحسناً هواك فلم يزل شكوى الحزين
 أحسن ما قيل في إعراض الحبيب قول النمر بن تولب:

قصدت كأن الشمس تحت قناعها بداحاجب منها وضنت بحاجب
 وقد مر قبل . ومن ظريف ماجاء في ذلك قول ابن الرومي:

مساء في إعراضه عنى ولكن سرني
 سالفناه عروض عن كل شيء حسن

وقال الآخر وأحسن:

صدّ عنى محمد بن سعيد أحسن العالمين ثانی جيد
 صدّ عنى من غير جرم إليه ليس إلا الحسنه في الصدود

والفرد الذي لا شبيه له في كثرة اعتلال المعشوق على العاشق وكثرة تمجينه عليه قول بعضهم:

شكوت فقالت كل هذا تبرما بحبي أراح الله قلبك من حبي
 فلما كتمت الحب قالت لشرما صبرت وما هذا بفعل الشجي الصب

وأذنو فتقصيني فأبعد طالباً
فشكواى تؤذيها وصبرى يسوءها
وقريب منه قول مسلم :

ويخطى عذرى وجه جرمى عندها
إذا أذنبت أعددتُ عذراً لذنبها
بذكرك مات اليبسُ في حضرة المني
قد أصاب صفة العاشق . وقلت :

صبابة نفس لا ترى الهجرَ حالياً
نزلتُ على حكم الصبابة والهوى
ولو لا الهوى ما كنتُ آملُ باخلا
ومن شأنه أنى إذا ما ذكرتهُ
على أننى أنأى فأذنو تذكراً
ويهجبنى حُبى له وصبابى
فلو ظننى أسلوه لم أكُ هاجراً
ولكن عشتى في ضمان جفونه
ومن أصاب وصف العاشق الصادق

إذا قربتُ دارهُ كلفتُ وإن نأتُ
وإن وعدتُ زَاد الهوى لا تتظارها
ففى كلِّ حال لا محالة فرحة
ومثله قول الآخر :

وما فى الارض أشقى من محبِّ
تراه باكباً فى كلِّ حين
فيسكى ان نأوا شوقاً اليهم
وان وجدَ الهوى حلوَ المذاق
مخافةً فرقة أو لاشتياق
ويسكى ان دنوا خوف الف . ا :

رضاها فتعتدُّ التباعدَ من ذنبى
وتجزع من بعدى وتنفرُ من قربى

فأجنى اليها الذنبَ من حيثُ لا أدرى
فان سخطتُ كان اعتذارى من العذر
وإن كنتُ لم أذكرك إلا على ذكر

وصبوة قلبٍ ما ترى القلبَ شافياً
فصرتُ أرى للخلِّ ما لا يرى ليا
أرحم ظلاماً وأذكرُ ناسياً
جفانى وسماى إذا غبتُ جافياً
ولستُ كمن يدنو فينأى تناسياً
اليه وإمساكى عليه ودادياً
ولو خالنى أنساه لم يكُ نائياً
فيأمن سلوانى ويرجو غرامياً

المشوق على حقيقته الذى يقول :

أسفتُ فلا للقرب أسلو ولا البعد
وإن بخلتُ بالوعدِ متُّ على الوعد
وحبك ما فيه سوى محكم الجهد

فتسخن عينه عند التناسل وتبرد^(١) عينه عند التلاق
ووصفه الهوى بالحلاوة مع هذه الصفات وصف بديع غريب . ومثله قول ابن الاحنف :

إذا رضيت لم يهنئ ذلك الرضا لصحة علمي أن سيئبعه عتب^(٢)
وأبكي إذا ما أذنبت خوف عتبتها^(٣) فأسألها مرضاتها ولها الذنب
وصالكم صرمٌ وحكمٌ قلى وعطفكم صدٌّ وسامكم حرب
ومثل البيت الأول قول سعيد بن حميد وروى لفضل الشاعر:

ما كنت أيام كنت راضيةً عنى بذاك الرضا بمقتبط
علماً بأن الرضا سيئبعه منك التجنى وكثرة السخط
فكلُّ ما ساءنى فمن خلق منك وما سرّنى فمن غلط

ومن البديع في طلب نيل المشوق قول الآخر :

عدينا موعداً ثم اجحدينا فكم من مبطل حقاً بجحد
والأفاندى من غير وعد فقد تكف السماء بغير وعد

وقلت في نحو ذلك :

تسي على بعد الديار تنائياً وخلفك عند القرب من عصب البعد
كثير سرورى في قليل وفائه وعند ابتسام البرق قهقهة الرعد

ومن أبلغ ما قيل في الرضا عن المشوق بالقليل قول جميل :

أقلب طرفى فى السماء لعله يوافق طرفى طرفها حين تنظر

ومثله قول ابن المعلوط :

أليس الليل يلبس أم عمرو وإيانا فذاك لنا تدان
بلى وأرى السماء كما تراها ويعلوها النهار كما علانى

وأنشدنى أبو أحمد عن ابن الانبارى لجميل^(٤) :

(١) في الأصل (تسخن). (٢) في ديوان ابن الاحنف (علمى به أن سوف يتبعه العتب)

(٣) في ديوان ابن الاحنف (خوف صدها). (٤) هو جميل بن معمر البندرى

وإني لأرضى من بينةً بالذي لو استيقن الواشى لقرتُ بلائله
 بلا وبالا استطيع وبالمنى وبالأمل المكذوب^(١) قد خاب آمله
 وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضى أو آخره لا للستقي وأوائله
 وكان جميل يصدق في حبه وكثير يكذب . ومن ردىء هذا الباب قول بعضهم :
 وما نلتُ منها محرماً غير أنى إذا هي بالتُ بلتُ حيث تبول
 وعفة هذا كعفة المتنبي في قوله :

إني على شعفى بما فى خمرها لأعفُ عما فى سراويلاتها
 سمعت بعض الشيوخ يقول من الفجور ما هو أحسن من هذه العفة إذ عبر
 عنها بهذا اللفظ . وأخبرنا أبو أحمد أخبرنا الجوهري عن عمر بن شبة قال حدثني
 أبو يحيى الزهرى عن رجل ذكره قال قيل لكثير ما أنسب بيت قالته العرب ؟
 قال الناس يقولون :

أريدُ لأنسى ذكراها فكأنما تمثُلُ لى لىلى بكلِّ سبيل
 وأنسب عندى منه :

وقل أمُّ عمري وداؤه ودواؤه لديها ورياها الطيب الموافق
 وهذا البيت جيد المعنى ردىء الرصف . وأبلغ ما قيل فى شدة الحب ما أنشدناه قدامة :
 يودُّ بأنَّ يمسى سقيماً لعلها إذا سمعتُ منه بشكوى ترأسله
 ويهترُّ للمعروف فى طلب العلى لتحمدَ يوماً عندَ سلمى شمائله
 وقلت فى معناه :

وقلتُ عساها إن مرضتُ تعودنى فأحبتُ لو أتى غدوتُ مريضاً
 وزدتُ اتساعاً فى المكارم والعلا ليصبحَ جاهي عندهنَّ عريضاً
 ومن الشعر المختار فى النسب قول أبي المطاع :

كان كثيرٌ راوية جميل وجميل راوية هدبة وهدبة راوية الحطيئة والحطيئة راوية
 زهير بن أبى سلمى . (١) فى وقفات الاعيان (وبالأمل المرجو) .

أفدى الذى زرته والسيفُ يخفرنى
ولحظُ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجاداً في العناق لهُ
حتى لبستُ نجاداً من نوائبه
فباتَ أنعمنا بالأبِ بصاحبه
من كان في الحبِّ أشقانا لصاحبه
وقلت في معنى البيت الآخر :

بقدرِ الصبابةِ عندَ المغيبِ
تكونُ المسرَّةُ عندَ الحضورِ
وأطيب ما كان برُدِّ الثغورِ
إذا هو صادفَ حرَّ الصدورِ
ومن المختار في صفة المدار :

وقلت الشعرُ يسلينى هواهُ
ولم أعلم بأنَّ الشعرَ حينى
فظلتُ لشقوتى أفدى وأمى
سوادَ عذاره بسوادِ عينى

ومن أعجب ما قيل في التهالك في الحب ونهاية التقرب الى المعشوق قول ديك الجن :

بانوا فصارَ الجسمُ من بعدهم
ما تصنعُ الشمسُ لهُ فياً
بأىَّ وجهٍ أتلقاهمُ
إذا رأونى بعدهمُ حياً

ومن أبدع ما قيل في عدم السلو قول ابن الرومى :

أسماءُ أىُّ الواعدِينَ ترينهُ
أشدَّ كما مطلقاً فانى لا أدرى
أأنتِ بنيلِ منك يبردُ غلتى
أم النفس بالسلوانِ عنك وبالصبرِ

لم يقل في بعد الحبيب أحسن من قول ابن الاحنف : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى
عن هارون بن عبد الله المهلبى قال كنا عند دعبل فذكر العباس بن الأحنف فقال
جيده قليل ولا أعرف أحسن من شعره في الشعر :

هى الشمسُ مسكنها في السماء
فعرَّ الفؤادَ عزاءً جميلاً
فلن تستطيعَ إليها الصعودَ
ولن تستطيعَ إليك النزولاً

ومن البديع القليل النظيرِ قوله أيضاً يذكر كلام الناس فيه وفي معشوقه :

قد سحب الناس أذيالَ الظنونِ بنا
وفرَّقَ الناسُ بيننا قولهم فرقا

فكاذب^(١) قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

وهذا معنى غريب بديع ماأظنه سبق إليه .

ومما هو في معنى قوله * هي الشمس مسكنها في السماء * الخ قول الآخر :

شكوت^١ إلى بدرٍ هوأى فقال لي ألت ترى بدرَ السماء الذي يسرى

فقلت بلى قال التمسهُ فإنه نظيرى ومثلى في علوِّ وفي قدر

فإن نلتهُ فاعلم بأنك نائلي وإن لم تنله فابغِ أمراً سوى أمرى

فكان كلا البدرين صعباً مرامه^(٢) فويلي من بدرِ السماء ومن بدرى

ومن الغريب البديع في مدح الفراق لكان القبلة والاعتناق قول محمد بن

عبد الله بن طاهر :

ليس عندي شحطُ النوى بعظيم فيه غمٌ وفيه كشفُ غوم

من يكن يكرهُ الفراقَ فاني أشتهيهِ لموضع التسليم

إنَّ فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقه لقدوم

فلكم قبلةٍ وغيبة شهر (هي) خيرٌ من امتناع مقيم

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن المسيب لابن الرومي :

فاذا كان في الفراق عناقٌ جعل الله كلَّ يوم فراقا

أجود ما قيل في خفقان القلب قول قيس بن ذريح^(٣) :

كأنَّ القلبَ ليلةٌ قيل يفتدى بليلى العاصرية أو يراح

قطاةٌ عزها^(٤) شركٌ فباتت تجاذبه وقد علقَ الجناح

فلولا التضمين الذي فيه لكان غاية. ومن الغريب في ذلك قول ديك الجن :

ومملوء من الحزن يعالج سورة الأرق

(١) في ديوان ابن الأحنف « فجاهل^١ » . (٢) في الاصل (صعباً فراقه) .

(٣) الكنتاني من شعراء العصر الاموي من سكان المدينة شعره على الطبقة في التشبيب

والحنين . (٤) كذا في الأملی ، وفي الأصل « غزاها » وفي الصناعتين « غرها »

تَكَادُ غُرُوبُ مُقْلَتِهِ تَعْمُ الْأَرْضَ بِالْفَرْقِ
كَأَنَّ فُؤَادَهُ قَلْقَا لِسَانُ الْحَيَةِ الْفَرْقِ

وقد أحسن في قوله أيضا :

علمت قلبي وجيباً لست أعرفه ما أنكر القلب إلا كلما خفقاً
ياشوق إلفين حال البينُ بينهما فمافصاه على التوديع فاعتنقاً
لو كنت أملك عيني ما بكيت بها تطيراً من بكائي بعدم شفقا

وقد أحسن القائل وجاء بما في نفس العاشق :

ولو داواك كلُّ طيب (ركب) بغير كلام ليلى ما شفاكا
ولو أصبحت تملك كلَّ شيء سوى ليلى عنتت على غناكا
ومن أعجب ما قيل في الشفقة على المشوق قول أبي دافع العجلي :
أحبك يا جبانُ وأنت منى مكان الروح من جسد الجبان
ولو أنى أحبك حبَّ نفسي خلفتُ عليك بادرةَ الطعان
لاقدامي إذا ما الخيلُ جالتُ وهابَ شجاعها وقعَ الطعان

خص الجبان لأنه أشد شفقة على نفسه من الشجاع وهذا من جيد الاستطراد.
ومن بليغ ما قيل في الحب مع الشجاعة ومن أجود ما قيل في اليأس عن الوصل
قول مجنون ليلى أو غيره :

خرجتُ فلم أظفر وعدتُ فلم أفر بنيل كلا اليومين يوم بلاء
فيا حسرتي ما أشبه اليأسَ بالعتى وان لم يكونا عندنا بسواء
وقال : وقد أيقنت نفسي بأن حيلَ بينها وينك لو يأتي يأس يقينها
أرى النفس عن ليلى تعانى بلاعنا وقد جن من وجدى بليلى جنونها
ومثل ذلك : فان يك عن ليلى غنى وتجلدُ فرُّب غنى نفسٍ قريبٌ من الفقر

ومن أطرف ما قيل في النحول ما أنشدنيه أبو أحمد :

إذا (يوماً) بليت وذاب جسمي لعلَّ الريحَ تحمليني إليه

وقال ابن المعتز :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيتهُ فما يطبق ضعفه^(١) حل اسمه
فلا يراك تائداً إلا بمينٍ وهمه

وقال كشاجم :

وما زال يرى أعظمَ الجسمِ حبها
وقد ذُبتُ حتى صرتُ إن أنا زرتها
وينقصها حتى لظنّ عن النقص
أمنتُ عليها أن يرى أهلها شخصي

وقال ديك الجن وبالغ :

أنحلّ الوجدُ جسمهُ والحنين
لم نرس أنه جليدٌ ولكن
وبرآه الهوى فما يستبين
دقّ جدّاً فما تراه العيون

وقال نصر بن أحمد :

قد كان لي فيما مضى خاتمٌ
وذُبتُ حتى صرتُ لوزجّ بي
فاليوم لو شئتُ تمنطقتُ به
في مُقلّةِ النائمِ لم ينتبه
الحسن بن وهب^(٢) :

أبليتُ جسماً من بعد جدته
كانه رسمُ منزلِ خلقي
فما تكادُ العيونُ تبصره
تعرفه العينُ ثم تنكره

ومما لأظن أن له شبيهاً قول بعض الحول وليس في هذا المعنى :

حمدتُ إلهي إذ بليتُ بحبها
نظرتُ إليها والريبُ يظنني
على حوّلٍ يعني عن النظرِ الشرز
نظرتُ إليه فاسترحتُ من العذر
ومن فصيح ما قيل في إفشاء الهوى صاحب ؟ قول بعض نساء الأعراب :
ألا قاتل الله الهوى ما أشدهُ وأصرعه للمرء وهو جليدٌ

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع (فلم يطق من ضعفه)

(٢) هو الكاتب الشاعر الوجيه صاحب الاخبار مع أبي تمام ، رثاه البحري لمات .

دعاني الهوى من نحوها فأجبتهُ فأصبح بي حيثُ يريدُ
وقال كشاجم وأحسن في قوله وليس من هذا المعنى :

أقبلتُ ثمَّ عرَّجتُ ليتها لم تُعرج
في حدادٍ كأنها وردةٌ في بنفسج

ومن أحسن ما قيل في مجيء الفراق بعد التلاق قوله أيضاً :

لم أستتمَّ عناقهُ لقدمه حتى بدأتُ عناقهُ لوداعه
فضى وأبقى في فؤادى حسرةً تركته موقوفاً على أوجاعه

وأنشدني أبو أحمد قال أنشدني الصولي أنشدني الحسين بن يحيى أنشدني

الحسين بن الضحاك لنفسه :

بأبي زورٌ تلفت له فتنفستُ عليه الصعدا
بينما أضحك مسروراً به إذ تقطعتُ عليه كذا

وأنشدنا عنه لأبي العميش (١) :

أقيتُ ابنةَ السهمي زينبَ عن عُفْرِ ونحن حرامٌ مسمىَ عاشرةِ العشر (٢)
فكلمتها ثنتينِ كالثلجِ منهما وأخرى على لوحٍ أحرَّ من الجمر
الأولى تسليم اللقاء فهي باردة طيبة والأخرى تسليم الوداع .

ومن جيد ما قيل في تجدد الشوق على قرب الديار قول بعض العرب :

ويزدادُ في قرب الديار صبايةً ويبعدُ من فرطِ اشتياقِ طريقها
وما ينفع الحرَّ أن ذا اللوع أن يرى حياضَ القرى مملوءةً لا يذوقها
ومن جيد ما قيل في رد العذول :

(١) هو عبد الله بن خليل ، كان كاتب عبد الله بن ظاهر وشاعره ، كان
مكثراً من نقل اللغة عارفاً بها ، شاعراً مجيداً . (٢) في البيت تصحيف صححناه
من الأملى ، وفيه : عن عُفْرِ : عن بعد أي بعد حين ، ونحن حرام : أى محرمون ،
ومسىَ عاشرة العشر بمعنى أنه أقيها بعرفات عشية عرفة وهو مسمى عاشرة العشر .

إذا أمرتني العاذلاتُ بهجرها هفت كبدٌ مما يقلن صديع
وكيف أطيع العاذلاتِ ووجهها بؤرقتي والعاذلاتُ هجوع
ومن جيد ما قيل في رياضة النفس على الهجر ما أنشده أبو اسحق الموصلي :
وأني لأستحيى كثيراً وأتقى عيوباً وأستبقى المودّة بالهجر
وأندرُ بالهجرانِ نفسي أروضها لأعلم عند الهجرِ هل لي من صبر
وقال غلام من فزارة :

وأعرض حتى يحسب الناسُ أنما هي الهجرُ لا والله ما بي لك الهجرُ
ولكن أروضُ النفسَ أنظر هل لها إذا فارقت يوماً أحبها صبرُ
وزاد العباس بن الأحنف فقال :

أروضُ على الهجرانِ نفسي لعلها تمسك لي أسبابها حين تهجر
والزيادة في قوله :

وأعلمُ أن النفسَ تكذبُ وعدّها إذا صدقَ الهجران يوماً وتغدر
وما عرّضت لي نظرةً مذعرفتها فأنظر إلا مثلت حين أنظر
وهذا من قول جميل :

أريدُ لأنسى ذكراً فكأنها تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل
وذكر بعضهم أنه بهجرها مخافة العين تصيب وصلها : أنشدناه أبو أحمد عن
الصولي عن أحمد بن يحيى ، وأحمد بن سعيد الدمشقي عن الزبير :

خشيتُ عليها العينَ من طول وصلها فهاجرتها يومين خوفاً من الهجر
وما كان هجراني لها من ملالةٍ ولكنني جرّبت نفسي على الصبر
ومن فصيح الشعر الداخل في هذا الباب قول إبراهيم بن العباس أنشدناه أبو
أحمد عن الصولي عن ثعلب وأبي ذكوان قالوا أنشدنا إبراهيم بن العباس لنفسه :

يمرُّ الصبا صفةً حابسا كن ذى الغضا فيصدعُ قلبي أن يهبَّ هبوبها
قريبةٌ عهدٍ بالحبيب وإنا هوى كلِّ نفس أين حلَّ حبيبها

تطلعُ من نفسى اليك طوالمُ عوارفُ أن اليأسَ منك نصيبها
 وإنما أغار إبراهيم بن العباس على ذى الرمة حيث يقول:
 إذا هبت الأرواحُ من نحو جانبٍ ^(١) به أهلِ ميِّ زاد شوقى ^(٢) هبوبها
 هوى تنرفُ العينان منه وإنما هوى كلِّ نفسِ أينَ ^(٣) حلَّ جيبها
 سؤال العباس بن الأحنف في غير هذا المعنى :

متى تبصرنى ياظلم تبينى شمائلَ بادی البثِّ منصدع القلب
 بريئاً تمنى الذنبَ لما هجرته ^(٤) لكيا يقال الهجر ^(٥) من سبب الذنب
 وقد كنتُ أشكو عتمها وعتابها فقد فجعتنى بالعتابِ وبالعتب
 أشفق عليها من أن تهجره بغير ذنب فيقال إنها ماول فيلحقها هجنة .
 ومن أجود ما قيل في الوقوف على الديار قول امرئ القيس * قفا نبك من
 ذكرى حبيب ومنزل * وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في
 مصراع فليس له شبيه في جميع أشعارهم . وأحسن ما قيل في وصف الديار وبلاها
 ما أنشدناه أبو أحمد عن المبرمان عن أبي جعفر عن أبيه :

ولم يترك الأرواح والقطرُ والندى من الدارِ إلا ما يشفُ ويشفق
 وقلت : قد عريت ألهما حين اكتستُ أرديةَ الرِّيحِ عشياً وضحى
 لم يبقَ فيها غيرُ ما يدكى الجوى ويصرفُ النومَ ويبعثُ البكى
 وأنشدنا أبو القاسم :

ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسنَ البلى مما لبسنَ اللياليا
 ولاعرابي : طللان طالَ عليهما الأبدُ دثرا فلا علم ولا نضدُ
 لبسا البلى فكأما وجدا بعدَ الأوبةِ مثل ما أجدُ

- (١) في ديوان ذى الرمة (من كل جانب) . (٢) في الديوان (هاج شوقى)
 (٣) في الديوان (حيث حل) . (٤) في ديوان العباس المطبوع (صرمته)
 (٥) في الديوان (الصرم) .

وهذا مثل قول جرير * أحب لحب فاطمة الديارا * والذي أورد من أنواع هذه المعاني إنما هو إشارة إلى جمهورها وتنبية على معظمها ولو اتبعت كل ما فيه أمثاله وعلقت عليه أشكاله أكثر واتصلت وتوفرت حتى أملت وأضجرت وتجاوز الحد في القول من هذه فيه وهجنة على قائله؟ . ومن أجود ما قيل في حب السودان :
 أحبُّ النساءِ السودَ من حبِّ تكتمٍ ومن أجلها أحببتُ من كانَ أسودا
 فجنثي بمثلِ المسكِ أطيبَ نفحة وجنثي بمثلِ الليلِ أطيبَ مرقدًا
 البيت الثاني على غاية الجودة وحسن التمثيل . وقلت :

صرفتُ ودِّي إلى السودان من هجر وما (أميل) إلى روم ولا خزر
 أصبحتُ أعشقُ من وجهٍ ومن بدن ما يعشقُ الناسُ من عينٍ ومن شعر
 فإنَّ حسبتِ سوادَ الجلودِ منقصةً فانظر الى سعةٍ في وجنة القمر
 وروى للجاحظ :

يكونُ الخالُ في وجهٍ مليح فيكسوه الملاحاةَ والجالا
 ولستَ تملُّ من نظرٍ إليه فكيفَ إذ رأيتَ الوجهَ خالا
 وقد مليح بعضهم في خلاف ذلك :
 إن الذي يعشق من لا
 وإن من يعشق زنجيةً
 كالأذى ذلك في الظامة

أجود ما قيل في الخيال من قديم الشعر قول قيس بن الخطيم :
 أني سريت وكنت غير سرور وتقربُ الاحلامُ غير قريب
 ما معنى يقظى فقد تؤننه في النوم غير مكدر^(١) محسوب
 كان المنى بلقائها فلقيتها ولهوت من هو امرئ مكذوب
 وقول عمرو بن قميئة^(٢) :

(١) في ديوان قيس (غير مصدر) . (٢) من قدماء الشعراء في الجاهلية ، يقال إنه أول من قال الشعر من زار وهو أقدم من امرئ القيس ، وهو شاعر نخل .

نأتك أمانة إلا سؤالا وإلا خيالاً يوافي خيالاً
خيالي يخيل لي نيلها ولو قدرت لم تخيل نوالاً
وهذا من معاني القدماء غريب وهو أبلغ ما قيل في بخل المشوق ، ومن هاتين القطعتين
أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال ، ومن البارع الفصيح في هذا المعنى قول البعيث^(١) :
أزارتك ليلي والركاب خواضع وقد بهر الليل النجوم الطوابع
فأعطت آيات المنى غير أنها كواذب إن حصلت لها وخواضع
على حين ضم الليل من كل جانب جناحيه وانقضت نجوم ضواجم
وأعجلها عن زورة لم أفر بها من الصبح حاد يزعج الليل ساطع
وأحسن النميري حيث يقول :

عجباً لطيفك أنه يشكو الجوى وهو الجوى

أخذه مسلم فقال :

طيف الخيال عهدنا منك إماما داويت سقماً وقد هيجت أسقاما
ومن اللفظ الغريب قوله : * ز الكرى طيفها وهنا خيالي *
لأعرف أنه سبق إلى هذا اللفظ . وقال أبو تمام :

استزارته فكرتي في المنام فأتاه في خيفة^(٢) واكتتام
يا لها ليلة تزاورت^(٣) الأرواح فيها سرّاً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب غير أنا في دعوة الأحلام

وهذه معان إلا أنه ليس لألفاظها طلاوة . ومن غريب المعاني في هذا قول دعبل:
سرى طيف ليلى حين حان هبوب وقضيت شوق حين كاد يؤوب
ولم أر مطروقاً يحمل بطارق ولا طارق يقرى المنى وبثيب

(١) هو خدش بن بشر من بني مجاشع ، كان أخطب بنى تميم وسمى البعيث بقوله :

تبعت منى ماتبعث بعدما استمر فؤادي واستمر عزيمي

(٢) في ديوان أبي تمام « فأتاني في خيفة » . (٣) في الديوان (تنزهت) .

يقول ان العادة أن يقرى الطارق المطروق والخيال طارق يقرى المطروق .

ومن الغريب الدقيق قول ابن الرومي :

طرقنا فأنالت نائلا شكره لو كان في النبة الجمود
ثم قالت وأحست عجيبي من سراها حيث لا تسرى الأسود
لا تعجب من سرنا فالسرى عادة الأقمار والناس هجود
فأريت في هذه الأبيات زيادة وتضميناً فقلت :

رقت غفلة الرقيب فزارت تحت ليل مطر ز بهار
فتمجبت من سراها فقالت غير مستطرف سرى الأقمار
ثم مالت بكأسها فسقتني جلنارية على جلنار
آخر : فإليت طيفاً خيلته لي المنى وإن زادني شوقاً إليك يعود
أكلف نفسي عنك صبراً وسلوة وتكليف ما لا يستطاع شديد

الجيد أن يقول (تكلف ما لا يستطاع) وأما تكليفه في الحقيقة فغير شديد على المكلف

وأما جعل هذا التكليف مكان التكلف وهو رديء . وقال الحمدوني :

لم انله فنتله بالاماني في منامي سراً من الهجران
واصل الحلم بيننا بعد هجر فاجتمعنا ونحن مقترنان
وكان الارواح خافت رقيباً فطوت سرها عن الأبدان
منظره كان نزهة العين إلا أنه ناظره بغير عيان

وقال ابن المعتز :

لا فرج الله عن عيني برؤيته ان كنت أبصرت شيئاً بعده حسنا
إلا خيالاً عسى ان نمت يطرقني وكيف يحلم من لا يعرف الوسنا
وقال : كلامه أخذع من لحظه ووعدته أكذب من طيفه

وليس لأحد في الخيال ما للبحتری كثرة فمنه قوله :

بعينيك اعوالى وطول شيبتي وإخفاق عيني من كرى وخفوق

على أن تهويماً إذا عارض الطي^(١) سرى طارقاً في غير وقت طروق
 فبات يعاطيني على رقبة العدى ويمزج ريقاً من جناه بريقي
 وبث أهاب المسك منه وأتقى رداع عير صائك وخلق
 أرى كذب الاحلام صدقاً وكم صغت إلى خبر أذناى غير صدوق
 وما كان من حق وبطل فقد شفى حرارة متبول وخبل مشوق
 وقلت في خلاف ذلك:

طرق الخيال فزار منه خيالاً فسرى يغازل في الرقاد غزالاً
 يا كشفه للكرب إلا أنه ولى على دبر الظلام فزالاً
 ففدا التيم وهو أكبر صبوة وأشدّ بلبالاً وأكسف بالاً
 وما قيل في الامتزاج والاختلاط مثل قول الخريبي^(٢):

ليالى أرى في جنابك روضة وآوى إلى حصن منيع مراتبه
 وإذ أنت لى كالحمر والشهد ضعفا بماء لصف ضعفته جنائبه
 وقال بشار:

لقد كان ما بينى زماناً وبينها كما بين ريح المسك والعنبر الورد
 أجود ما قيل في صفة الركب: أخبرنا أبو أحمد أخبرنا الصولى حدثنا محمد بن
 سعيد عن عمر بن شبة قال كان الناس يقدمون قول أبي النجم ويتمجبون من حسنه:
 كأن تحت درعها المنعطف ضخم القذال حسن المحط
 وقد بدا منها الذى تطفى كأنما قط على مقط
 شطاً رميت فوفه بشط كرامة الشيخ اليماني الشمط
 لم يعمل في البطن ولم ينحط

حتى قال بشار:

(١) في الاصل (اطأى) (٢) هو اسحق بن حسان، اتصل بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة، وله فيه مدائح جياذ، عمى بعد ما أسن، وقال في ذلك شعراً.

عجزاء من سرب بني مالك لها حرٌّ من بطنها أرفع
 زينَ أعلاهُ بأشرافه وانضمَّ من أسفله المشرع
 قال أبو هلال رحمه الله تعالى أول من أتى بهذا المعنى النابغة حيث يقول :
 وإذا طمنت طمنت في مستهدفٍ رابى المجسةِ بالعبيرِ مُقرِّمد
 وإذا نزعَتْ نزعَتْ عن مستحصفٍ نزع الحزورُ بالرِّشاءِ المحصد
 يصف ضيقه ويقول إن النازع منه يتعب من نزعها كما يتعب الحزور - وهو
 الغلام - إذا استقي من البئر .

وأحسن ابن الرومي في وصف الضيق والحرارة حيث يقول :
 لها هنُّ تستعيرُ وقدمته من قاب صبِّ وصدري ذى حنق
 كأنما حرُّه لخالبه ما أوقدت في حشاه من حرق
 يزداد ضيقاً على المراس كما تزداد ضيقاً أنشوطه الوهق
 وقال في سخته :

بسع السبعة الاقاليم طراً وهو في أصبعين من إقليم
 كضمير الفؤاد يلتهمُ الدُّنيا وتحمويه دفنا حيزوم
 ومن النادر قول الناجم :

إن ردف الفتاة عجنةُ خبا زٍ وقد أمها من الأدم جينه
 وقال المفضل بن غيلان (١) :

ومركب كبيضة الأدهى كأن نبت الشعرِ المطلب
 عليه شونيزٌ على فرقى

ومما يجرى مع ذلك قول بعضهم :

أقولُ والقومُ تعادى بهم الى الوغى مضمرةٌ قرح
 استحمل الله على مركبٍ بحثٌ بالسيرِ ولا يبرح

(١) هو والد عبد الصمد بن المفضل الشاعر المشهور .

وهو مثل قول مسلم :

مامركب من ركوب الخيل يعجبني
ومثل الأول : فبات يسرى ليله ولم ينم
وقال الفرزدق : ثم اتقتني بجهم لاسلاح له
كأن رمانه في جوفه انفجرت
وأبلغ ما قيل في كبره قول الفرزدق :

إذا بطحت فوق الأثافي رفعتها
يقول إنها إذا بطحت على وجهها لم يمسه الأرض منها شيء لان نهود نديبها وكبر
ركبها مثل أثافي القدر لبدنها ، وهذا أبلغ من قول بشار الذي اختاره الأصمعي .
وقال الراجز في وصف الضيق :

كأن هجماً^(١) شديداً أبهره يدارك المصّ ولا يفتره

ومما قيل في حب الكبار قول المجنون :

وعهدى بليلي وهي ذات موصد
فشبّ بنو ليلي وشبّ بنوا بنها
ابن المعتز : من معبني على السهر
وابلائي من شادن
ومن البديع قول ابن الأحنف :

لعمري لقد كذب الزاعمون
ولو كان حقاً كما يزعمون
بأنّ القلوب تحاذي القلوب
لما كان يشكو محب حبيبا

ومما يلحق بالفصل الأول ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن البلعي عن أبي
حاتم قال سمعت الأصمعي يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه
نلت له هذا يأمر المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام العذري^(٢) في آخر

(١) في نسخة (هماً) (٢) شاعر اسلامي من التميمين .

أبياته التي أنشدها :

أراني تعرفوني لذكراك رعدة^(١) لها بين جلدى والعظام ديب
وما هو إلا أن أراها فجاءة فأبته حتى ما أكاد أجب
وأصرف^(٢) عن رأبي الذي كنت أرتئي ويعزب عني ذكره^(٣) ويغيب
ويضمر^(٤) قلبي عذرها ويميناها على فمالي في الفؤاد نصيب
فقال الرشيد من قال هذا وهما فاني أقوله علماً والله درك يا أصمعي فاني أجد عندك
ما يضل عنه العلماء ، فأخذه محدث فقال :

يؤازر^(٥) قلبي على وليس لي يدان بمن قلبي على يؤازر^(٦)

وأخذه سهل بن هرون فقال :

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غراً بما تجني على يدي لاعلم لي أن بعضي بعض أعدائي
وهذا شعر فيه تكلف ، أخذه البحترى :

ولست أعجب من عصيان قلبك لي عمداً إذا كان قلبك فيك يعصيني
وقال ابن الأحنف :

قلبي الى ما ضررتي داعي يكثر أسقامي وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

ومن جيد ما قيل في قرب الدار مع تباعد القلوب قول النظار الفقعسي :

يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسماها
الإنما بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء
وفي خلافة : وإني زوار لمن لا يزورني إذا لم يكن في وده بمررب
يقرب لي دار الحبيب وإن نأت وما دار من أفضته بقررب

(١) في الأغاني (وإني لتغشاني لذكراك هزة) (٢) في الأغاني (وأصدف)

وهما بمعنى . (٣) في الأغاني (وأنسى الذي أزمعت حين تغيب) .

ومن ظريف الشكاية قول ابراهيم بن العباس :

فدعنى راغماً أشقى بوجدى وخذ قلبي إليك بغير حمد
سقام لا يرقُّ علىَّ منه ووجد لا يكافئهُ بودٌ
وقد أصفيتهُ ودَى بجهدى فعارضَ في الجفاءِ بمثل جهدى

ومن جيد مامدح به الفراق قول بعض الكتاب : في الفراق مصافحة التسليم
ورجاء الأوبة والسلامة من الملل وعمارة القلب بالشوق والدلالة على فضل
المواصلة واللقاء . وقال الشاعر :

جزى الله يومَ البينِ خيراً فإنه أرانا على علاته أم ثابت

وكتب بعضهم في معنى قول الشاعر * وما في الأرض أشقى من محب * وقد تقدم :
تفكرى في مرارة البين يمنعنى من التمتع بحلاوة الصبر وتكره عيني أن تقر بك مخافة
ان تسخن يبعدك فى عندا لاجتماع كبد ترحف وعند التناهى مقلة تكف . ومثله :
لا الذى يده السلامة بروح دارك وبعد مزارك ما زادنى اللقاء إلا صباة وأسفاً والاجتماع
إلا نزاحا وكلفنا لأنى منقسم القلب بين رجاء يمدنى بقربك وحذر يوعدنى يبعدك وإذا
قربت دارك كلفت وان نأت أسفت فلا فى القرب أسلو ولا البعد .

وسمعت لماني الموسوس^(١) معنى أظنه ابتكره وهو :

بكت عيني غداة البين دمعاً وأخرى بالبكى بخلت علينا
نعقتُ التى بخلت علينا بأن غمضتها يومَ التقينا

وسبكه البيت الأول ورصفه ردىء جداً لا خير فيه وإنما استغربت المعنى
فأوردته . وقد أخذه ابن الرومي فشرحه وزاد فيه وهو من قوله :

ولقد يؤلفنا اللقاءُ بلبلة جعلت لنا حتى الصباح نظاما
نجزى العيون جزاءهن عن البكى وعن السهاد فلا نصيبُ اثاما
فنيبحنُّ مرادهن يردنه فيما ادعَيْن ملاحهً ووساما

(١) هو أبو الحسين محمد المصرى ، شاعر لبن الشعر رقيقه ، لم يقل غير النزل .

ونكافي الأذنان وهي حقيقة
 فنثمين من الحديث مثوبة
 ونكافي الأفواه عن كتابها
 فبيحرن ملامتاً ومراشفاً
 نجزي الثلاثة أنصباء ثلاثة
 مقسومة آناؤها أقساما

وخلال الكاتب معنى يلحق بما تقدم وهو قوله :

بكيتُ دماً حتى بكيتُ بلا دم بكاءً قى فرد على شجن فرد
 أبكى الذي فارقتُ بالدمع وحدهُ لقد جلَّ قدرُ الدمع فيه إذا عندي
 وكتبت في فصل لي : قد جل شوقي إليك ووجدى بك عن أن يبرد نارهما
 ويسكن أوارهما دمع ينصب على مثله فتحسبه دراً يتكسر على در ويمتزج بالدم
 فتخاله شذور عتيق في نظام فريد .

ومما يلحق بما تقدم أيضاً قول سعيد بن حميد (١) :

وما كان حبيبها لأوّل نظرة ولا غمرة من بعدها فتجلت
 ولكنها الدنيا تولت فما الذي يسلى عن الدنيا إذا ماتوت
 وقال أعرابي :

أعلل أصحابي بجدّي وباطلي وأسماء جدّ القلب منى وباطله
 ومن بديع المعاني قول ابن أبي فتن :
 أدميتُ بالألحاظِ وجنتهُ فاقتصَّ ناظره من القلبِ
 أخذه على بن عاصم فقال :

ضربتُ إغنى يدي خان يميني جلدى
 فاقتصَّ لما اغرورقتُ مقلته من كبدي
 فلا أقلتُ بعدها سوطي من الأرض يدي

(١) هو الشاعر الكاتب المترسل ، كان حسن الكلام فصيحاً ، وكان والده شاعراً

ومن أجود ما قيل في تكافؤ الحسن قول الراجز وكان ينبغي أن يقدم :
 جاءت تهض الأرض أي هضَّ يدفعُ منها بعضها من بعض
 يقول يتحير الناظر فيها ولا تقف عينه على واحدة فيصيدها بعين لأن بعضها
 يشغل عن بعض . ومن بديع المعاني قول بعض الشعراء :

قصارك منى الودِّ مادمت حيةً وودك ماء المزن غير مشوب
 وآخر شيء أنت في كل مضجع وأول شيء أنت عند هبوب
 ومن جيد القول في الفراق قول أبي محلم :

وما خفتُ وشكَّ البينِ حتى رأيتهم معض ؟ أعماط لهم وقطوع
 لعمرك ماشي مريتُ بذكره كآخر يأتي بفتة فيروع
 ومما لا أعرف في معناه أجود منه قول بعضهم :

ما بينَ بابِ الوزيرِ والمسجدِ الجا مع ظبيٍّ كالظباء في جيده
 أطاره رَمَّةٌ فقد ضاعَ لا ضاعَ وضاعَ التميزُ في بلده
 ليسَ له ناقدٌ فيعرفهُ وآفةُ التبرِ ضعفٌ منتقده
 وفي خلاف ذلك قول صاحب البصرة :

ولستُ بواصفٍ أبداً حبيباً أعرضهُ لأهواءِ الرِّجالِ
 تراني آمنَ الشركاءِ فيه وآمنَ فيه أحداثِ الليالي
 معنى آخر :

وقائلة متى يفنى هواهُ فقلتُ لها إذا فنى المـالـح
 معنى آخر : وإذا أتيتك زائراً متشوقاً قصرَ الطريقُ وطالَ عند رجوعي
 معنى آخر : إذا طلعت شمس النهار فأنها أمارَةٌ تسليبي عليك فسلمى
 آخر التشبُّب والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي قال فأبلغ وأنعم فأسبغ ، أحل الملاذ ومنح لينعم
عباده في العاجل وبدل على ما أعد لمحسنهم في الآجل فقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ
كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا) وقال (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَأَعْمَلُوا صَالِحًا) وقال تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ) وله الحمد على كمال بره وتمام لطفه والصلاة على خير خلقه
محمد النبي وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب
وما يجرى مع ذلك - ثلاثة فصول وهو :)

﴿ الباب الخامس من كتاب ديوان المعاني ﴾

﴿ الفصل الأول في ذكر النار ﴾

فأول ما نذكر فيها قول الله تعالى (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُسَوَّرُونَ) الى
قوله (نَحْنُ جَمَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَاعًا لِلْمُقْسِيْنَ) فذكر منفعتها وحسن
عائدها في الدنيا والدين فأما منفعتها في الدين فانها تذكر ما أعد الله تعالى لعصاته
منها في دار العذاب فيكون ذلك مزجرة لمن تذكر ومنهارة لمن تبصر ، وأما منافعتها
في الدنيا وكثرة مرافقتها فغير مجهولة وقد خص الانسان بخيرها دون سائر الحيوان

فليس يحتاج إليها شيء سواه وليس به عنها غنى في حال من الأحوال ولهذا عظمها
المجوس وقالوا إنها قد أفردتنا بنفعها فينبغي أن نفردها بتعظيمنا على أنهم يعظمون
جميع ما فيه نعمة على العباد فلا يدفنون موتاهم في الأرض ولا يستنجون في الأناهار،
رؤى على عهد كسرى رجل يغتسل في دجلة فضربت رقبتة ، وكانت العرب إذا
تحالفت تحالفت على النار ويدعون على من يغدرو وينقض العهد بجرمان منافها . وقد أحكمتنا
ذلك في كتاب الاوائل . ومن عجيب التشبيه في النار قول الأول :

كَأَنَّ الرِّيحَ تَقْطَعُ مِنْ سَنَاهَا بِنَائِقِ حَبَّةٍ مِنْ أَرْجَوَانٍ
وقول ابن المعتز :

وموقدات بن^(١) يضرم من اللهب يشبعنه من فحم ومن حطب
يرفعن نيراناً كأشجار الذهب

وقال آخر : كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات على ارسان قصار
وقول أبي تمام في إحراق الافشين :

نارٌ يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفت شوقاً إزار
صلى لها حياً وكان وقودها ميتاً ويدخلها مع الفجار

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي حدثنا أحمد بن اسمعيل حدثني جعفر بن علي بن
الرشيد فقال أنشدنا المعتصم قول بعض الهاشميين في فتحه هرقة :

ريمت هرقة لما أن رأت عجباً جو السماء^(٢) ترتمي بالنفط والقار
كأن نيراننا في جنب قلعهم مصبغات^(٣) على ارسان قصار

فقال لابن داود وقد أنشدنا شاعر طائي أوصلته الى في حرق القادر أفسين شيئاً من
هذا الجنس استحسنته فقال أحمد ما أحفظه وإنما أحضر الشاعر فقال بعض أولاد
الحجاب أنا أحفظ القصيدة والموضع فقال هات فأنشد :

ما زال سرُّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرُّ الزناد الواري

(١) في الأصل غير منقوطة . (٢) في الأصل (جوائماً) (٣) في الأصل (مصقلات)

ناراً يساورُ جسمه من حرِّها لهبٌ كما عصفت شقَّ إزار
طارت لها شررٌ^(١) يهدمُ لفحها أركانهُ هدماً بغيرِ منار^(٢)
ففتسلنَ منه كلُّ مجمع مفصل وفعلنَ فاقرةً بكلِّ فقار
رمقوا أعلى جذعه فكأنما رمقوا هلالَ عشية الإفطار
كروا وراحوا في متون ضوامرٍ قيدت لهم من مربط النجار
لا ينزلون^(٣) ومن رآهم خالهم أبداً على سفيرٍ من الأسفار
فقال المعتصم أحسن ما شاء قد أمرت له بعشرة آلاف درهم ولهذا الذي حفظها
بنصفها ، قال فتعجبنا من فطنة المعتصم ومن رزق هؤلاء على غير طلب ولا أمل
قال فلم يبق في العسكر أحد إلا حفظ قصيدة أبي تمام . وقلت :

أوقدتُ بعدَ الهدوِّ ناراً لها على الطارقين عَيْنُ
شرارها إن علا نضارُ لكنَّهُ إن هوى لجين
دعتهمُ فأنثى إليها محبهم قرة رأين؟
إلى كريمِ الفعالِ سمح عطاؤه للكرم زين
يقضى ديونَ الملا ببذلٍ إذ ليس يقضى لهم دين

وقال ابن المعتز :

وقد نعلى شررُ الكانون كأنه تشارُ ياسمين
وقلت : نار تلعب بالشقوق كأنها محللٌ مشقةً على حبان
ردتْ عليها الريحُ فضلَ دخانها فأنتت به سيجاً على عصان
فالجوُّ يضحك في أبيضاض شرائر منها ويمبس في أسوداد دخان
وقال أبو فضلة :

اشربْ على النار في السكوانين إذ ذهبتْ دولةُ الرِّياحين

(١) في ديوان أبي تمام (شعل) . (٢) في الديوان (بغير غبار) .

(٣) في ديوان أبي تمام (لا يرحون) .

بَدَّتْ لَنَا وَالرَّمَادُ يَجْجِبُهَا كَجَلَنَارٍ مِنْ تَحْتِ نَسْرِينَ
وقلت في معناه :

قَصْرَتْ بُدَّ الشَّتَاءِ بِحَرِّ جَر وَأَخْتِ الْجَرِّ صَافِيَةَ الرَّحِيقِ
تَرَى نَبْدَ الرَّمَادِ بوجنَّيْهِ كَكَافُورٍ يَذُرُّ عَلَى خَلُوقِ
وَقَاتِ : تَحَرَّكَتِ الشَّمَالُ مُفَقَّرًا لِيَلِي فَهَاتِ الرَّاحَ مِنْ أَيْدِي المَلَّاحِ
جَرَادِ الْجَرِّ يَسْتَرُهُ رَمَادُهُ كَمَثَلِ الوَرْدِ يَسْتَرُهُ الأَفَاحِي
وَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ مَعَطَرَاتُهُ تَطِيرُ مِنْ بَيْنِ أَنْفَاسِ الرِّيَّاحِ
وَأُرْدِيَةُ الظَّلَامِ مَسْكَاتُهُ مَطَرَرَّةُ الحَوَاشِي كَالصَّبَاحِ

وقال ابن المعتز في سقوط الشرر على الثياب والبسط :

فَتَرَكَ البَسَاطَ بَعْدَ الحَدِّ ذَا نَقْطِ سَوْدٍ كَجِلْدِ الفَهْدِ
وقال أيضا * وصيرت جبايهم مناخلا * وقلت :

كَأَنَّما النَّارُ بَيْنَهُ ذَهَبٌ وَالْجَرُّ مِنْ تَحْتِهِ يَوَاقِيتُ
ومن بديع ما قيل في القدور على النار قول بعض العرب :

كَأَنَّ صَوْتَ غَلِيهِ المَسْتَعْجَلِ قَصْدَ الشَّبُوحِ لِلسَّيُوحِ الجَهْلِ
وقال ابن المعتز :

وَالسَّيْفُ رَاعِي إِيْلِي فِي المَحْلِ يَسْلِمُهَا ^(١) إِلَى قَدُورِ تَغْلِي
تَرَقَّلَ فِيهَا بِالوَقُودِ الجَزْلِ أَرَقَّالَهَا فِي السَّيْرِ تَحْتَ الرِّجْلِ
وقالوا أحسن ما قيل في الاثافي والرماد قول ابن هرمة ^(٢) :

نَبْكَى عَلَى زَمَنِ وَنَوَى هَامِدِ وَجِوَالِمْ سَقَعَ الخُدُودِ رِوَاكِدِ
عَرِينِ مِنْ عَمَدِ القَدُورِ وَأَهْلِهَا فَعَمَكُنْ بَعْدَهُمْ بَهَابِ لَابِدِ
فَوَقِينَهُ عَثَّ الصَّبَا فَكَأَنَّهُ دَنْفَ يَرِنُ الدَّمْعَ بَيْنَ عِوَائِدِ؟

(١) في ديوان ابن المعتز (يسوقها) . (٢) ابراهيم بن علي الكداني

القرشي ، من سكان المدينة ، مدح الوليد الأموي بدمشق فأجازه .

وقال أبو تمام: أناف كالخودِ لطنَ حزنًا ونؤى مثل ما انفصم السوار
ومما يجرى مع ذلك القول في الشمعة ، ومن أجود ما قيل فيها قول السرى
• شفاؤها ان مرضت ضرب العنق * وقول الآخر * موقوف بين حريق وغرق *

وقلت: كم قد جنيتُ اللهُ من غصنه ما بين أنوارٍ ونوار
من روضة بللَ أعطافها سقيطُ أنداءٍ وأمطار
وأوجه تحسبها أشمساً في ليل أصداغ وأطار
وشققتُ عنها ستورَ الدُّجى نارٌ على نارٍ على نار

وقلت في السراج:

وحيةٌ في رأسها دُرَّةٌ تعملُ في وجهِ الدُّجى غرَّة
وجنتها أكبرُ من رأسها فهي إذا أبصرتها عبره
كم من مريبٍ أهدتكَ ستره وصيرته في الورى شهره
يردفها أصفرُ في أصفر يقدمها أسودُ في حمرة

وقال السرى في الكانون:

وكأنما الكانونُ ألبَ جمره أحداق أسدٍ يدرين أسودا
يكسو خدود الشرب من نفحاتها قبل الكؤوس وحسبها توريدا

وقلت في الكانون:

وبركةٌ مترعة الأرجاء فارغةٌ من سبلِ الأنواء
يغسل فيها حلة الظلماء أقامت النارَ مقامَ الماء
نارٌ كوجه غادة حسناء ترقصُ في مبدعة صفراء
والجرُّ في حلتِه الحمراء مثل بنانٍ عل بالخناء
وأسهم تصبغ بالخناء فها كها ريجانة الشتاء
واشربُ عليها حلبَ الصهباء فشربُ صهباءَ على شقراء

يطرف عينَ البؤسِ والضراء

ومن أجود ما قيل في الفحم قول بعضهم :
 فحمٌ كيوم الفراقِ تشمله نارٌ كمنارِ الفراقِ في السكبد
 أسود قد صارَ تحت حمرتها مثلَ العيونِ اكتحلنَ بالرمد

﴿ الفصل الثاني من الباب الخامس ﴾

(في ذكر ألوان الطعام)

العرب تشبه البر بقراضة الذهب وبمناقير النفران ، والنفران جمع نفرة ^(١) وهي عصفورة : أخبرنا أبو أحمد عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال شيخ من أهل البادية ضفت فلاناً فأنا في بجزرة من حنطة كأنها مناقير النفران قد انتفخت في الملة حتى رأيت الحجر يتمدر منها يتمدر الحشو من البطان و تراها حين غمرت بالسمن يجول فيها المثراد كما يجول الضبعان في الضفرة ، ثم أنانا بتمر كأنه أعناق الوردان يدخل فيها الفرس . الحشوصغار الابل ، والضفرة الرمل المتعقد . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن عبد الله بن محمد القرشي عن المثني بن معاذ العنبري عن بشر بن المفضل عن عقبة الراسبي قال دخلت على الحسن وهو يأكل خبزاً ولحماً فقال لي هلم إلى طعام الأحرار . والعرب تدعو الخبز أم جابر . وأخبرنا أبو أحمد حدثنا الجلودى حدثني محمد بن زكريا حدثني مهدي بن سابق حدثنا شبيب قال استأذن خالد بن صفوان على يزيد بن المهلب فأذن له فوجده يتغدى فقال يا ابن صفوان أذن فكل فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت؟ فوصف ما أكل ثم قال أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وكانما تجرى عليه سبائك الذهب ثم أتيت بيناني بيض البطون زرق العيون سود المتون حذب الظهور مقفعات الأذنان صغار الرؤوس غلاظ القصر عراض السرر مع بصل

(١) في الأصل (نفرة) .

نظيف كأنه قطع الزند وخل ثقيف مرى حريف ، قال أبو هلال ما سمعت في وصف السمك أحسن من هذا ولا أتم .

وقريب منه ما أخبرنا به أبو خليفة عن ابن سلام عن محمد بن القاسم قال قال الأعمش جلس له أماتشهي بناني زرق العيون بيض البطون سود الظهور وأرغفة باردة لينة وخلأ حاذقا ؟ قال بلى قال فأنهض بناقال الرجل فنهضت معه فدخل منزله وقال خذ تلك السللة فكشفها فاذا فيها رغيغان يابسان وسكرجة كامخ وشبت قال فجعل يأكل وقال لي تعال كل قلت فأين السمك فقال ما عندي سمك وإنما قلت أتشتهيه وأنا والله أشتهيه . أخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن المغيرة بن محمد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال قال أبو صوارة ^(١) وكان بمكة مثل الأشعب بالمدينة في شهوة الأكل : يا أبا سعيد الأرز الأبيض باللبن الحليب بالسكر السليمانى بالسمن السلى ليس من طعام أهل الدنيا . ومن أحسن ما قيل في الرقاق قول ابن الرومى :

مانسَ لأنسَ خبازاً مررتُ به يدحو الرِّقاقةَ وشكَّ الملحَ بالبصر
ما بينَ رؤيتها في كفه كِرةٌ وبينَ رؤيتها قوراء كالقمر
وقلت : وخبز بأبدي الخابزين كأنه ترأس تعاطيها الجنود جنود
وأطعمة حلتُ بساحتها المنى إذا جاءَ من أرداحنَّ يريد
وضمتُ إلى الخلاء فيه فواكهٌ عليهنَّ أهواءُ النفوسِ وفود
وقال الصنوبرى في رقاق وروؤوس :

غير ماراج من رقاقٍ رقيقٍ فوق هام على عداد الهام
ذاك كالماء ذى الجباب وهاتيك عليه كطير ماء نيام
بالأقباليهنَّ وما يبيدين من مضم شديد الضرام
كأناس يؤشحون مناديل إذا خرجوا من الحمام
ورصف هذه الأبيات غير مختار عندي وإنما أردتها لجودة معانيها

(١) (أبو صوارة) غير موجودة في الأصل فاستدركناها من العقد الفريد .

وإصابة التشبهيات فيها، وقوله (غير مارج) فإن الرواج لفظ عامي لا يستعمله الفصحاء.

وقال ابن الرومي :

هامٌّ وأرغفةٌ وضاءٌ فخمَةٌ قد أخرجتُ من جاحمٍ فوارِ
كوجوهِ أهلِ الجنةِ ابتسمتُ لنا مقرونةٌ بوجوهِ أهلِ النارِ

وقال غيره في :

وقادمٍ من جاحمٍ فوارِ محلل الشقشقِ والأنوارِ
ملبساً حُلَّةَ جِلنارِ يقسر منه جِلده النضارِ

عن بدن أبيض كالخمار

ومن النادر البديع في هذا المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودى عن محمد بن زكريا عن عبد الله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال كان عوانة يكثر أكل الرؤوس فقيل له إنها متخمة فقال إنها فاكهة اللحم . وأخبرنا عن محمد بن زكريا عن الأصمعي قال قيل لأعرابي كيف تأكل الرؤوس قال أفك لحبيه وأنخص عينيه وأفصص أذنيه واخديه وأرمى بالدماع الى من هو أحوج مني اليه فقيل له إنك لا تحق من ربيع قال وما حق ربيع إنه ليتجنب العدوى ويتبع المرعى ويراج بين الأطباء فما حقه ياهل الأقطاب (١) وقيل لأحدكم ما أحب الفاكهة اليك قال أما الرطب فاللحم وأما اليابس فالقديد . وقلت في صفة لحم :

تركتُ سمينَ اللحمِ بيضٌ بعضه ويحمرُّ بعضُ خلطك الدرَّ بالتمر
وأعرضتُ عن حلواءِ شق فنونها فيبيضُ الى حمرٍ وحمرٌ الى صفر
الى ثردةٍ رقطاءَ قطع فوقها مقفعةٌ خضراءُ في ورق خضر

وحاجة الانسان إلى الطعام إنما هي من أجل ما يأخذ الهواء من جسده فيحدث فيه خلل فاذا أكل اللحم فقد رم الجسد بما هو من جنسه فكأنه رقع الديقاج بالديقاج فاذا أكل غير اللحم فكأنه رقع الديقاج بالكرباس، وفي الحديث «من

(١) في أمثال الميداني (وما حق الربيع والله إنه ليتجنب العدوى ويتبع أمه في المرعى

ويراجح بين الأطباء ويعلم أن حنينها له دعاء فأين حقه) .

ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه .

وأحسن ما سمعت في جل مشوى قول السرى :

أنفه معصر البردين أبيض صافي حمرة الجنين
خلف شهرين على خلفين ثم رعى بعدهما شهرين
نجسه شبران في شبرين يا حسنه وهو صريع الحين
برفة مرهفة الحدين بكف شاو عطر الكميين
كسارق حد من اليدين ذو طرف يستوقف العيين
يريك مرأة من اللجين مذهبة المقبض والوجين
شق حشاه عن شقيقتين أختين في القد شبيبتين
كما قرنت بين كأتين أو كرتى مسك لطيفتين^(١)
ان شين ذورقين ناجمين فانه زين بغير شين

ومن المشهور قول ابن الرومى فى دجاجة مشوية :

وسميطة صفراء دينارية^م ثمناً ولوناً زفها لك حزور^م
طفت تجول بندرها حوذاية^م فأقى لباب اللوز فيها السكر
ظلنا نقشر جلدها عن لحمها فكان تبراً عن لجين يقشر^م
يا حسنها فوق الخوان وبنتها قدأما بصهرها تنفرغر^م
وتقدمتها قبل ذلك ثرائد^م مثل الرياض بمنلهن^م يصد^م
ومدقات كلهن^م مزخرف^م بالبيض منها ملبس ومدن^م
وأنت قطائف^م بمداك لطائف^م ترضى اللهاة بها ويرضى الخنجر
ضحك الوجوه من الطبرزد فوقها دمع الميون من الدهان تعصر^م
وقلت فى سكباجة :

سكباجة طيبة نشرها كأنها عود^م على مجمر

(١) سقط هذا المعجز من الاصل فاستدركناه من ديوان السرى المخطوط .

يا حسنها في القدر إذ أقبلتُ
ويستنيرُ الشحمُ في لحمها
يا حسن باذنجانها إذ بدا
كأنه ماء خلوق جرى
وقال ابن الرومي في دجاجة :

عظيمة الزورُ بصدرٍ نهد
مرهفة ذات شباً وحدّ
أجريتُ منها في مجال العقد
لغير ما دخل وغير حقد
بل رغبة فيها شبيه الزهد

وقلت في قدور على نار :

كتبتُ أستعجل الندامى
وقد أنانى الغلامُ يسمي
والنارُ تستعجل القادورا
بأرغف تشبهُ البدورا
وعندنا قهوةٌ شمولُ
لو قطعتُ صيرتُ شذورا
تكونُ قبلَ المزاج ناراً
فانقلبتُ بالمزاج نورا
فانهض إلى سرعة إلينا
ننثر على نفسك السرورا

وقال الشعبي ما رأيت فارسياً أحسن من زيد على تمر ، وأنشد لبعض الاعراب :

ألا ليت لي خبزاً تسربل رائباً
وخيلاً من البرني فرسانها زيد

ومن عجيب ما روى عن الاعراب في شهوة الطعام ما أخبرنا به أبو أحمد عن
أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن جعفر بن سليمان قال لقيت اعرابياً فقلت
هل لك في ثردة ؟ فتنفس الصعداء ثم قال :

وهاً على مجحومة
بالدسم مؤسومة
وصحفة مكتومة
واللحم مضمومة
قد كمت عراقا
وألحفت رقاقا
منقوشة الحواشي
بطيب التماشي

بفلفل وحص فكل هنيئاً وارقص

فأخذت بيده وذهبت إلى المنزل فأمرتهم فصنعوا نردة كما وصف فلما قدمتها ارتعش طرباً ثم قال أي أبى والله هذه المرقصة ثم وثب على رجله فرقص ساعة وجلس فأكل أربعة أرغفة في نردة وستة ثم قبل رأسى وقال بأبى أنت وأمي لك حاجة في بدونا؟ قلت تمضى ، ثم قال أي والنردة والله ما دخلت الحضر إلا في طلبها ثم أنشأ يقول :

عمرتُ بطناً لم يزل مصفراً لم يعرف الرشفَ ولا المزردا
حتى لقد أوجعت والله ترى ما صنعت كفاى في جنب القرى

وقال ابن خلاد في خبز الأرز والملح :

إذا الطابقُ المنصوبُ ألقى ثيابهُ وقدت جيوبُ الخبز شبرين في شبر
رغيف بملح طيب النشر خلطة خوارجه تغنيك عن أرج القطر
عليه من الشونيز آثارُ كاتب وجلبابُ ورَّاق ينقطُ بالخبير
ومن سسم قد زعفرؤهُ كأنهُ قراضةُ تبرٍ في لجينية غر
وقال في الباقلاء :

فلا تنسَ فضلَ الباقلاءِ فانه من المرق قدوافى به الفضل في الزبر
إذا جعلوا فيه سذلباً ونعماً وجزءاً من الزيت المقدس في الذكر
فما صدف العاج المغشى ظواهرأ بطاشى أفرندٍ معقدة الخضر
بأحسن من مخضرة العفن إذ بدت بوا كرم منها في الحاسد والازرد
ثم قال : ويالك بأذنجانة سابرية جلاها نسيمُ الليل نائرة الفجر
فجاءتْ بأبواب الحداد مدلهما بأذناهما العم المعقفة الخضر
وأكرم بهانياً إذا بز ثوبها فأبدت لنا عن واضح الكشح والصدر
فجعلها شطرين نلقمُ شطرها وتبعهُ قبلَ الاساعةِ بالشطر
وقال ابن الرومي في الهريسة :

أياهنتاهُ هل لك في هريس
أمل الليل صانعها بضربِ
وبينَ يدبك من مرى عتيق
أرانا حولَ صحفتها^(١) بروكا
فيا لله من لقم هنا كم
تجاذب بالشجيج وبالغظيط

وقال مسكين الدارمي في قدور على النار :

كأنَّ قدورَ قومي كلَّ يوم
كأنَّ الموقدين لها جمالٌ
بأيديهم مغارفٌ من حديدٍ
وقلت في هريسة :

هريسةٌ بيضاءُ كآفوريه
للرء فيها حمة مسكيه
تأورُ في مبيضة فضيه
مثل السوارِ في يدِ الرُّوميه

ومن عجيب ما قيل في قلة الطعام على المائدة ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدني

أنصر بن أحمد لنفسه :

من حديثي أنَّ ابنَ بكرٍ دعاني
غرغري منه منظرٌ ولباسٌ
مجلسٌ كالجنان حسناً ولكن
فلعمرى كان الخوانُ ولكن
وجفانٍ مثل الجواني ولكن
وغضار الأنوان جاءت ولكن
فاذا ما أدرتُ فيها بناني
لم أجد ما أمسه بيناني

(١) في ديوان ابن الرومي المخطوط « فنبرك فوق صحفتها بروكا » .

إنني ماضعٌ على غيرِ شيءٍ غيرِ صكِّ الأسنانِ بالأسنانِ
 ترجعُ الكفُّ وهي أفرغُ منها عندَ مدِّي لها فدأى وشانى
 لو ترائى والجوعُ يضحكُ مني عندَ غسلِ يديَّ بالاشنانِ
 زادَ في السفرِ مسرفاً مثلها أسرفَ عندَ الطعامِ بالنقصانِ
 والغضاراتُ فارغاتٌ أتتنا وسقانا بالمترعِ المِلانِ
 سكرةٌ فوقَ جوعَةٍ تركتني راحماً كلَّ جائعٍ سكرانِ
 وقلت في قريبٍ منه :

أتدعوني وتطعمني يسيراً وتسقيني الكثيرَ على اليسيرِ
 فأصبحَ منك في يومٍ عسيرِ فلا ينفكُ في يومٍ عسيرِ
 ها حَرَآنٍ من جوعٍ وسكرِ فيالك من سَعيرِ في سَعيرِ
 أقولُ وفي غضارِهِ عظامٌ أعرق من قدورِ أم قبورِ

ومن جيد ما قيل أيضاً في ذم الدعوة قول أبي الحسن بن طباطبا^(١) وقد
 داه الكراريسى فقرب إليه مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليها قطر ولم
 يصحبها بوارد فسامها مسيحية لأنها أشبهت موائد النصارى ، وقدم سكباجة بعظام
 عارية فسامها شطرنجية ، ثم قدم مضيرة في غضارة بيضاء فسامها معقدة^(٢) لأن البياض
 لبس المعقد وهي لأمس الدهن والطيب ، ثم قدم زير باجة بأطراف جدى صفراء
 لقللة زعفرانها فسامها عابدة لأن ألوان العباد صفر ثم قدم لوناً بقضبان محولة فسامها
 قنبية ثم قدم لوناً بزبيب أسود فسامها موكبية ثم قلية بعظام الأضلاع فسامها
 حسكية لمتشجج لحمها ثم قرب زعفرانية فسامها سلحية صفراء ثم قرب فالودجة قليلة
 الزعفران والحلاوة فسامها صابونية ثم اعتل على الجماعة بأن ابنه عليل فحولهم من
 منزله إلى بستان قد طبق بالكراث وأحضرهم جرة منثملة يمزجون منها شرابهم

(١) هو محمد بن إسماعيل العلوى الشاعر الملقب العالم المحقق ، من أهل خراسان .

(٢) في معجم الأدياء لياقوت (معتدة) .

وإذا ضرب أحدهم الغائط نقلها معه وربط الاكار^(١) بحذائهم عجلة تخور عليهم
خواراً شبيهاً بغناء فاطمة وكان اسمها فاطمة فقال:

يادعوة مغبرة قائمة	كانها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحية	أضحت على أسلافها ^(٢) نادمه
ثم بشرنجية لم تزل	أيدٍ وأيدٍ حولها حائمه
فلم نزل في لعبها ساعة	ثم نفضناها ^(٣) على قائمه
وبمدها معتدة ^(٤) أختها	عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف موودة	قد قتلتها أمها ظالمه
والقنبيات فلا تنسها	فحيرتى في وصفها دائمه
أقنبت ما مندد في أصبعي	أم حية في وسطها نائمه
والحسكيات فلا تنس في	خندقها أوتادها قائمه
والموكيات بسطانها	قد تركت آنا فنا راغمه
والسلحة الصفراء فاعجب بها	إذ سلحتها أنفس هائمه
وجام صابونية بمدها	فانخر بها إذ كانت الخائمه
ظل الكرازيسى مستعبراً	من عصبه في داره طاعمه
وقال إن ابنى عليل ولى	قيامه من أجله قائمه
رولوت دايانه حوله	فليس إلا عبرة ساجمه
وليس هذا لسوى كسرة	تكسر ما زالت له سالمه
وقد أكلناها فكم هيجت	من لاطم خدأ ومن لاطمه
ثم هربنا نحو بستانه	خوفاً من المنية العازمه
ظللنا لدى الكراث نهبويه	فياله من زهرة قائمه

(١) أى الحراث. (٢) كذا فى الاصل ومعجم الأدباء لياقوت، وفى نسخة

(إسلامها). (٣) فى الاصل (ثم تقضينا). (٤) فى الاصل (مقيدة).

وغاية اللطفِ ففي جرّةٍ
 نبولُ فيها ثم نسقى بها
 وعجلة تشدو بأحانها
 فكانَ فيما أنشدتْ أذشدتْ
 من لى من بعدك يا فاطمه
 ونستم من أسمعتنا صوتها
 وهى لنا من بعده شامه
 ظلت تبكي شجوناً فما
 أبصرت من أربابه عالمه
 فلو ترانا وترى زادنا
 حياً وفوت منا نعماً ساممه؟

فلما سمعها الكراريسى حلف لا يدخل أبوالحسن ولا أحداً من أصحابه داره واتخذ
 دعوة ودعا قوماً من الشطرنجيين فقال أبو الحسن انما دعاهم لينظروا في الشطرنجية
 التى كنا نفضنها على قائمة هل يمكن فيها من حيلة ، وكتب إليه من وقته أياً تأمنها :
 طمعت يا أحسق فى قمرها لو أمكن القمر قمرناها
 فان أقاموها فما ذنبنا كنا على ذاك نفضناها

ثم كتب اليه أبو الحسن :

يامن دعانى أطال الله عمرك لى
 ما أنسَ لأنسَ حتى الحشر مائدةً
 اذ أقبل الجدى مكشوقاً ترائبه
 قد مددنا كلنا يديه لى فذكرنى
 كأنه عاشقٌ قد مدد بسطته
 وقد تمدى بأطوار الرِّفاق لنا
 فليت شعرى ماذا كان أنحله
 مددت كفى فلم ترجع بفائدة
 كأنما وقعت منه على طلل

وأخذ أبو الحسن قوله شطرنجية من قول جحظة أظنه :

قدم لى أعظم حولية
 قد طبخت بالماء فى برمته

فلم أزل زلت به نعلهُ العَبُّ بالشرنج في قصعته
ومن جيد الوصف قول أبي الفضل بن العميد في وسط: أنشدنا أبو أحمد أنشدنا
أبو الفضل بن العميد لنفسه :

ودونك وسطاً أجاد الصناعاتُ تلفيفَ شطريهٍ باهتدمة
فمن صدر فائقةٍ قد نوت ومن عجز ناهضةٍ ملقمة
ودنر بالجوزِ أجوازه ودَرهمَ بالوز ما دَرهه
وقابل زيتونها والجبن صفائح من بيضةٍ مدغمة
فمن أسطيرٍ فيه مشكولة بملح ومن أسطيرٍ معجمه
وطرز بالبقل أعطافهُ فوافي كحاشيةٍ معلمه
مرشا نخال به مطرفا بديع التغايف والنمنمه
وأنشد في الشواير (١) :

مامتعة العين من خدِّ تورثه
مستغرق الحسن في توسيع وجنته
يوفي على القمر الموفى إذا اتصلت
انهى اليك من الشيراز إن وضحت
وقد جرى الزيتُ في مثنى أمرته
وقال ابن خلاد :

وسوف يزورك شيرازها فتقسم بالله ان تكومه
يميسُ بشونيزة كالعروسِ تخطرُ في الحلة المسهمة
وتغشى موائد قد عوليتُ أطايبَ كالبردة المعلمة
تباهى بجاماتها والغضار كواكب في الليلة المظلمه

وأول من ذكر الغالوذ أبو الصلت جاهلي يذكر عبد الله بن جدعان :

(١) جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه . (٢) أي الحبة السوداء .

لهُ دَاعٌ بِمِكَّةَ مَشْمَلٌ^(١) وَآخِرُ فَوْقِ دَارَتِهِ^(٢) يَنَادِي
 إِلَى رُدْحٍ^(٣) مِنَ الشَّيْزِيِّ عَلَيْهَا لِبَابُ الْبَرِّ يَلْبِكُ بِالشَّهَادِ
 لِبَابِ الْبَرِّ بِعَنِ النَّشَا^(٤) . وَكَانَ لِعَبْدِ اللَّهِ جَفْنَةٌ بِأَكْلِ مِنْهَا الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالرَّاكِبُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُنْتُ أُسْتِظَلُّ بِجَفْنَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَدْعَانَ فِي الْهَوَاجِرِ .
 وَمِنَ النَّوَادِرِ فِي هَذَا مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو أَحْمَدَ عَنْ رِحَالِهِ قَالَ سَأَلَ اِعْرَابِيٌّ عَنْ رَأْيِهِ فِي
 الْفَالُودِ فَقَالَ وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى آتَى فِرْعَوْنَ بِفَالُودٍ لَأَمَّنَ بِهِ وَلَكِنَّهُ أَنَاهُ بِمَعْصَاهُ .
 وَمِنْ مَصِيبِ التَّشْبِيهِ فِيهِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

وَلَا طَفَهُ بِالشَّهْدِ الْخَلْقِ وَجْهَهُ وَإِنْ كَانَ بِاللَّطَافِ غَيْرَ خَلْقٍ
 كَانَ أَصْفَرَارَ اللَّوْزِ فِي جَنْبَاتِهِ كَوَاكِبُ تَبْرِ فِي سَمَاءِ عَقِيقٍ
 وَقَلْتُ : حِمْرَاءُ فِي بَيْضَاءَ فَضِيَّةٍ وَظَرْفُ كَافُورٍ وَحَشْوُ الْخَلْقِ
 يَطُوفُ الدَّهْنَ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةَ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشُوقِ
 كَأَنَّمَا اللَّوْزُ بِحَافَاتِهِ أَنْصَافُ دُرٍّ رَكِبَتْ فِي عَقِيقٍ
 وَمِنَ الْمَشْهُورِ قَوْلُ ابْنِ الرَّومِيِّ فِي اللَّوْزِ بِنَج :

كَأَنَّمَا قَرَّتْ جَلَابِيئُهُ مِنْ أَعْيُنِ الْقَطْرِ إِذَا قَبِيَا
 مَسْتَكْنَفَ الْحَشْوِ عَلَى أَنَّهُ أَرْقُ جَسْمًا مِنْ نَسِيمِ الصَّبَا
 يَدُورُ بِالنَّفْحَةِ فِي جَامِهِ دُورًا تَرَى الدَّهْنَ لَهُ لَوْلَبَا
 لَوْ أَنَّهُ قَعْرٌ لِرُومِيَّةٍ لَكَانَ مِنْهُ الْوَاضِعُ الْإِشْبَابَا
 وَقَلْتُ فِي قَطَائِفِ :

كَثِيفَةُ الْحَشْوِ وَلَكِنَّهَا رَقِيقَةُ الْجِلْدِ هَوَانِيهِ
 رَشَتْ بِمَاءِ الْوَرْدِ أَعْطَافَهَا مَنْشُورَةَ الطِّيِّ وَمَطْوِيهِ

(١) فِي الْأَصْلِ «وَارْتَهُ» . (٢) فِي الْأَصْلِ (لِدَى رُوحِ) (٣) اِشْمَعْلُ : أَشْرَفُ وَالْقَوْمُ فِي
 الطَّلَبِ بَادِرُوا فِيهِ ، وَالرَّدْحَةُ سِتْرَةٌ تَكُونُ فِي مَوْخِرِ الْبَيْتِ أَوْ قِطْعَةٌ تَزَادُ فِيهِ ، وَالشَّيْزِيُّ
 خَشَبٌ أَسْوَدٌ يَتَّخِذُ مِنْهُ الْقَصَاعُ ، وَالْبَيْتُ الثَّانِي نَسَبٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لِابْنِ الزُّبَيْرِ .

كأنها من طيب أنفاسها قد سرقت من نشر ماريه
جاءت من السكر فضية وهى من الأدهان تبريه
قد وهب الليل لها برده ووهب الخصب لها زيه

وقلت في ذم الباذنجان :

قرانا بقولاً إذ أنخنا بيباه فأصبح فينا ظالماً للبهائم
وقضنا عليه الركب نسأله القرى ونحن على أعناق أغبر قاتم
فصام وصوم الليل ليس بجائز وإن جاز في فقه اللثام الأشائم
أجاز صيام الليل حين استغزاه تعاورُ ضيف في دجى الليل طائم
فبتنا أديم الليل نطوى على الطوى كأننا على غرباء من ظهر واشم
وأطمعنا لما مرقنا من الدجى دحاريج لاتساق في حلق طاعم
مدورة سود المتون كأنها خصي الزنج لاحت تحت فيش قوائم
فأبشارها تحكى بطون عقارب وأرؤسها تحكى أنوف محاجم^(١)

وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن اسحق القاضي حدثنا نصر قال قال الأصمعي قيل للغاخرى أى التمر أجود؟ قال الجرد الفطس الذى كأن نواه السن الطير نضع الواحدة في فيك فتجد حلاوتها في كعبك يعنى الصيحاني تمر العلية .
وأخبرنا أبو أحمد حدثنا اسماعيل بن أبى أويس حدثنى أبى حدثنى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر قال اجتمع أربعة رهط سرورى ونجدى وحجازى وشامى فقالوا تعالوا نتناعت الطعام أيه أطيب : قال الشامى إن أطيب الطعام ثريدة موسعة زيتاً تأخذ أذناها فيضطر عليك أقصاها تسمع لها وقياً فى الخنجرة كنتحجم نبات الخاض فى الخرف ، قال السروى ان أطيب الطعام خبز ير فى يوم قر على حمر عشر موسع سمناً وعسلاً . فقال الحجازى أطيب الطعام خنس فطس باهالة خمس يغيب فيها الضرس . فقال النجدى أطيب الطعام بكر سنمة مقتبطة نفسها

غير ضمنه في غداة شيمة بشفار خدمه في قدور جذمه . ثم قال الشامي دعوني أنعت
لكم الطعام إذا أكلت فابرك على ركبتيك وافتح فك وأجحظ عينيك وامرح أصابك
وعظم نعمتك واحتسب نفسك . قال عبد الله بن دينار ما سمعت ابن عمر حدث هذا
الحديث قط فبلغ قول الشامي « واحتسب نفسك » إلا ضحك . وقلت في عصيدة :

وعدتُ عصيدةً شقراءَ تحكي	طرارَ الصبحِ في ثوبِ الظلامِ
تراها حينَ تبرُّزُ في ظلامِ	كهرِ الطرفِ في زمنِ قتامِ
كذى دَلَّ عليهِ معصفراتُ	يدلُّ على المشوقِ المستهامِ
فلما ان صبا قلبي إليها	ومدَّت نحوها عينِ اهتمامِ
تقاصرَ دونها كفايَ حتى	كأنَّ الدبسَ علقَ بالغمامِ
فدونَ السجنِ أطرافُ العوالى	ودونَ النارِ بادرةُ الحسامِ
أتلكَ عصيدةً أم طرفُ سلمى	فليسَ يزورُ إلا في المنامِ

وقلت في سمكة طرية :

يقبضُ للمكتوبِ ماجراً حتفه	فجوازَ بنا في الغيظِ شرَّ مجازِ
بمئنا اليه ينسر الباز فائثي	إلينا بظهيرٍ مثل جوجؤ بازِ
فأطفأ نيرانَ الطهارةِ كأنها	سحابٌ يسبح الودق فوق عزازِ

العزاز: الأرض الصلبة . وقال كشاجم في السمك :

ومحجوبة في البحرِ عن كلِّ ناظٍ	ولكنها في حجبها تتخطفُ
أخذنا عليهمَّ السبيلَ بأعينِ	رواصدٍ إلا أنها ليسَ تطرفُ
فجاءَ بها بيض التونِ كأنها	خناجرُ في أيامنا تتعطفُ

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن القاسم عن الأصمعي قال دخلت على الرشيد
وهو يأكل الفالوذ فقال يا أصمعي هل قالت العرب في هذا شيئاً ؟ فقال يا أمير
المؤمنين وأنى لها هذا ولكن قالت فيما دونه ، قال وما قالت ؟ قال قال مُرزَّد^(١)

(١) في الأصل « مرز » وفي العقد الفريد طبعة بولاق « مزود أخي سماح »

ابن ضرار أخو الشماخ :

ولما غدت أُمى تزورُ بناتها أغرتُ على العِكم الذى كان يمنع
خلطتُ بصاعى حنطة صاعَ عَجوة إلى صاعِ سمنِ فوقها يتزيع
ودبلتُ^(١) أمثالَ الأثافي كأنها رؤوسُ نقادٍ قُطعت يومَ تجمَع^(٢)
وقلتُ لبطنى أبشرى اليومَ انه حى آمناً مما تفيدُ وتجمَع
فان تكُ مصفورا فهذا دواؤه وان تكُ جوطانا فذا يومَ تشع
فضحك الرشيد وقال يا أصمى ما الدنيا ليس فيها مثلك حسن ، فدعوت له وفضلته
على الملوك بالعلم ، فقال يا أصمى نحن كل يوم نشبع .

ومما يجرى مع هذا القول فى الرجا : فن أجود ما قيل فيها ما أنشدناه أبو أحمد :
عجبتُ من سائرةٍ لا تَبْرَحُ ينهاك عن ركوبها من ينصحُ
دائبة تسمى بحيثُ تصبحُ

والحمد لله وحده .

(الفصل الثالث)

(فى ذكر الشراب وما يجرى معه من رقيق المعانى)

للقدماء فى صفة الخمر قول الأعشى * تريك القذى من دونها وهى دونه *
يريد أنها من صفاتها تريك القذى عالية عليها وهى فى أسفلها .
ومن أطرف ما قيل فى صفاء الخمر قول أبى نواس :
ترى حيثما كانت من البيت مشرقا ومالم تسكن فيه من البيت مغربا

وهو تصحيف على ما فى مقدمة « القصد والامم فى التعريف بأنساب العرب
والعجم لابن عبد البر » . (١) دبل اللقمة : جمعها بأصابعه وكبرها ، وفى العقد الفريد
طبع بولاق « وذيلت » وهو تصحيف ، وفى العقد اختلاف فى بعض الألفاظ ،
(٢) كذا فى اسان العرب ، وفى الأصل « ما تجمَع » .

إذا عبَّ فيها شاربُ القومِ خلتهُ
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :
ومهفف تمت محاسنه
وكأنه والكأسُ في فيه
فجعل الشارب قمرًا وليس هذا في بيت أبي نواس . وقال أبو نواس يد كرصفاء
الخمر ورقتها وحبابها :

فإذا ما اجتليتها فهباءُ
ثم شجبت فاستضحكت عن جان (١)
في كؤوس كأنهنَّ نجومُ
طالعاتُ مع السقاةِ علينا
لوترى الشرب حولها من بعيدٍ
وقلت في لطافة الخمر والزجاجة :

قلتُ والرَّاحُ في أ كفِّ الندامى
أمدامًا فرطمُ لمدام
وكانَّ النجومَ والليلُ داج
ومن أعجب ما قيل في صفائها قول الناشيء * فليس شيء عندها إلا القذى *
وقلت : ومشمولة دارت على كؤوسها
أنازعها بدرًا مع الليلِ طالعًا
وقد شابَ لينا بالشماس وإيما
وأشدني أبو أحمد :

فنبهتني وساقى القوم يمزجها . فصارَ في البيتِ للمصباحِ مصباحُ

(١) في ديوان أبي نواس (عن لآل) . (٢) في الأصل (لضنيننا) .

(٣) في الأصل « طالعات » .

قلنا على علمنا والشك يقلبنا
وأراحنا دارنا أم دارنا الراح
ومثله قول البحرى :

فأضأت تحت الدجنة للشر ب وكادت نضى للمصباح
وأحسن ما وصفت به كأس على فم قول ابن المعتز :

ظبي خلى من الأحزان أو دعنى ما يعلم الله من حزن ومن قلق
كأنه وكان الكأس في فمه هلال أول شهر غاب في الشفق
وقول الآخر :

كأنما الكأس على ثغرها موصولة بالأتمل الخمس
ياقوتة صفراء قد صيرت واسطة للبدر والشمس
قد ذهبت نفسى على نفسها وآفة النفس من النفس
وقلت : فيسقىني ويشرب من عقيق خليق أن يشبهه بالخلوق
كأن الكأس من يده وفيه عقيق في عقيق في عقيق

الكأس الحمراء مثل العقيق واليد المحضوبة كالعقيق والشفة مثل العقيق في لونها. وقلت:
ودار الكأس في يد ذى دلالة رشيق القد يعرف بالرشيق
يجلى بالتبسم در ثغره تخلله شواير العقيق
رأيت الكأس في يده وفيه وجنح الليل منصرف الفريق
ففي فمه هلال في غروب وفي يده الثريا في شروق
وأحسن ما قيل في الشروق وأتمه قول ابن الرومي وأتى بشيء لم يسبق إليه
وهو تشبيه الحجاب بفلق اللؤلؤ وهو على الحقيقة تشبيهه والناس قبله إنما شبهوه
بالؤلؤ الصحيح ، وهو قوله :

لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللاليء العاق

فشرحت ذلك وقلت :

وكأس تمتطي أطراف كفف كأن بنانها من أرجوان

أنازعها على العلاتِ شرباً لهنّ مضاحكٌ من أفحوانِ
يلوحُ على مفارقتها حبابٌ كأنصافِ الفرائدِ والجانِ
وفي هذا زيادة لأن في الحباب ما هو كبير يشبه بأنصافِ الفرائدِ وهي كبار
اللزؤ ، ومنه ما هو صغير يشبه بأنصافِ الجمان وهي صفار اللؤلؤ :

وطالعنى الغلامُ بها سحيراً فزاد على الكواكبِ كوكبانِ
وواقفهما بنجدٍ أرجوانِ وخالفها بفرعِ أرجوانى
وأغرب ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

فاذا علاها الماءُ ألبسها حبياً كمثل^(١) جلاجلِ الجبلِ
حتى إذا سكنت جوامحها كتبت بمثلِ اكراعِ النملِ
ومن غريب ذلك وبديعه قول الأول ويقال انه ليزيد بن معاوية :

وكأس سبأها البحرُ من أرضِ بابلِ كرقّةِ ماءِ المزنِ في الأعينِ النجلِ
إذا شجها الساقى حسبت حبابها عيونَ الدبا من تحت أجنحةِ النملِ
وأبدع ما قيل في الحباب قول أبي نواس :

قامت ترينى وأمرُ الليلِ مجتمعٌ صباحاً تولدَ بينَ الماءِ والذهبِ^(٢)
كانَّ صفريّ وكبرى من فواقها حصباءُ دُرٍّ على أرضٍ من الذهبِ
وخطأه النحويون في قوله « كبرى و صفري من فواقها » ، أخذه ابن المعتز فقال :

يا خابلي^(٣) سقياني فقد لا حَ صباحٌ وأذنَ الناقوسُ
من كيت كأنها أرضُ تبرِ في نواحيه لؤلؤٌ مغروسُ
وقلت : راحٌ إذا ما الليلُ مدَّ رواقهُ لاحتَ تطرُّزُ حلةِ الظلماءِ
حتى إذا مُزجت أراك حبابها زهراتِ أرضٍ أو نجومِ سماءِ
وقلت في المعنى الأول :

(١) في الأصل « نمشاً كذا » وفي ديوان أبي نواس « حبياً شبيهه » .

(٢) في الأصل « والعنب » . (٣) في ديوان ابن المعتز « يا نديمي »

إذا ما أدار الكأسَ أحورُ عاقدُ
كؤوس لأعناق الليالي قلائد

ساق علامةً دينه في خصره
وكان طيب نسيهها من نشره
عن نغرها فحسبته من نغره
كمثل نقش في فص يا قوت
واطف الدر عليه فطفح
شبك الفضة تصطاد الفرح

تبيت لي اللذات معقودة العرى
يدب الدجى عن وجه نار تحله
وقال ابن المعتز :

قد حثني بالكأس أول فخره
فكان حمة لونها من خده
حتى إذا صب المزاج تبسمت
وقال : لاء فيها كتابة عجب
وقلت : دار في الكأس عقيق فخرى
نصب الساق على أقداحها

وقال ابن الرومي في لطافتها :

لطفت فقد كادت تكون مشاعة
ومن الاستعارة البديعة قول ابن المعتز * فأضحك عن نغز الحباب فم الكأس *
وقلت : وشراب طوى الزمان فحاكى
إن يكن بالعقول غير رحيم
ومن أحسن ما قيل في خيال الكأس على اليد قول بعض المحدثين :
كان المدير لها باليمين
تدرع ثوباً من الياصمين
إذا قام للسقى أو باليسار
له فرد كم من الجناسار

وقال السرى في معناه :

وبكر شربناها على الورد بكرة
إذا قام مبيض الجبين يديرها
وقال البحترى : ألابما كأس سقاني سلافها
إذا أخذت أطرافه من قنوها^(١)
فكانت لناورداً على خير مورد
توهته يسعى بكم مورد
رهيف الثنى واضح الثغر أشنب
رأيت اللجين بالدامة يذهب

(١) في ديوان البحترى (إذا ذكرت أطرافه من قنورها) .

وقلت: وقد شغلت كلنا يديه بقهوة
 كأن خيال الكأس فوق ذراعها
 فقلت أرى قدمين أم قدحين
 غشاء من العقيان فوق لجين
 وقلت أيضاً:

يسعى إلى مُقرطق في كفه كأسٌ وبينَ مُجفونه كأسان
 وتناست فيها بغير قرابة كفٌ المديرِ وجنةُ الندمان
 ومن أحسن ما قيل في الزجاجه ورقها وصفاتها قول بعضهم:

رَقُّ الزُّجاجِ وراقتِ الخمرُ ونشأها فتقاربَ الأمرُ
 فكأنها خمرٌ ولا قدحٌ وكأنه قدحٌ ولا خمرٌ
 وقال ابن المعتز في رقة الخمر وصفاتها وذكر الكأس ولطائفها:

وكأسٌ تحجبُ الأبصارُ عنها فليسَ لناظرٍ فيها طريقُ
 كأنَّ غمامةً بيضاءَ بيني وبينَ الرَّاحِ تحرقها البروقُ
 وقلت: وندمان سقيت الرَّاحَ صرفاً وجنحُ الليلِ مرتفعُ السجوفِ
 صفتٌ وصفتُ زجاجتها عليها لمعى دقٌّ في ذهنٍ نصيفِ
 وليس هذا التشبيه بالمتحار ولو أن بعض الناس يستملحه لأنه أخرج ما يرى
 بالعيان إلى ما يعرف بالفكر^(١). وقال بعضهم:

خفيت على شرايها فكأنهم يجدون ربا من إناء فارغ
 وقال غيره: وزنا الكأس فارغة وملاى فكان الوزنُ بينهما سواء
 وقال ابن الرومي:

لطفت فقد كادت تكون مشاعةً في الجوِّ مثل شعاعها ونسيها^(٢)
 وقلت: حملت بخصرها إناء مدامة صفراء تلمع في زجاجِ أقرع
 فكأنها واللحظ ليس يحورها شمسُ النهارِ تحتمت بالمشترى
 ومن أجود ما قيل في الأباريق وفضول الكأس وأنشده إسحق:

(١) لعل في الأصل نقصاً لأن الشعر المتقد ليس من قول المصنف. (٢) تقدم قريباً.

كأنَّ أباريقَ المدام لديهم ظباءٌ بأعلى الرِّقمتينِ قيامُ
وقد شربوا حتى كأنَّ رقابهم من اللينِ لم يخلقْ لهنَّ عظامُ
وقد أحسن مسلم في قوله :

إبريقنا سلبَ الغزالةَ جيدها وحكى المديرُ بمقلتيه غزالا
وأحسن الآخر وينسب الى بشار :

كأنَّ إبريقنا والقطرُ في فمه طيرٌ تناول يا قوتاً بمنقار
إلا أن قوله « طير » ردىء والجيد طائر ، وأجازه أبو عبيدة ولم يجزه غيره .
وقلت : تضحك في الكأس أبريقنا وحسب ما يضحكن بيكينا
كأنَّ أعلاها إذا أسفرتْ تعقد في الكأس تلاتينا
وأول من شبه الأبريق بالأوز لبيد ^(١) في قوله ولم يذ كر الخمر :
مُضَمَّنٌ يَبْضاً كالأوزِ ظروفُها إذا نأقوا أعناقها والحواسلا
فأخذه بعضهم فقال :

ويوم كظلل الرَّمح قصرَ طولهُ دمُ الرِّقِّ عنا واصطكاكُ المِزاهر
كأنَّ أباريقَ المِدامِ عشيةً . إوزٌ بأعلى الطفِّ عوجُ الحناجر
وقال أبو الهندي ^(٢) :

سيفنى أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضرُّ الزبد
مقدمة قرأ كأنَّ رقابها رقبُ بناتِ الماءِ تفزع للرعْد
وقوله (تفزع للرعْد) زيادة على ما تقدم .

وأما فضول السكّوس فأحسن ما قيل فيها قول أبي نواس :

قرارتها كسرى وفي جنباتها مهاً تدرىها بالقسى الفوارسُ

(١) هو صاحب المعلقة المشهورة لبيد بن ربيعة العامري ، الشاعر الحكيم

الجواد الفارس الفتاك المعمر .

(٢) هو غالب بن عبد القدوس الشاعر المطبوع المسرف في وصف الخمر .

فللخمر مازرت عليه جيوبهم
وقال السري الموصلی :

كان الكؤوس وقد كالت
جيوب من الوشي مزرورة

فجئت به في بيت وقلت :

وبيض تهاوى في مزعفة صفر
فدارت بأقداح كأن فضولها
وقال السري أيضاً :

وصفراء من ماء الكروم شربتها
تبدت وفضل الكأس يلمع ساطعا
وقال الناشء : ملوك ساسان على كأسها
فيخمرها من فوق أذقانها
يصف كأساً نقش فيه صور ملوك ساسان .

ومن أجود ما قيل في صفة صفاء الاناء وحسنه مع صفاء الخمر قول ابن الممتز :

غدا بها صفراء كرخية
فنجسب الماء زجاجاً جرى

ومن أجود ما قيل في صوت الأباريق ما أنشدناه أبو أحمد :

وقد فجت الغيم السماء كأنها
ومجلسنا في الجو يهوى ويرتقى
ومن أحسن ما قيل في ابتداء السكر قول بعضهم :

ولها ديب بالعظام كأنه
عبت أكهفهم بها فكأتما

وقول أبي نواس :

وللاء مادارت عليه القلائس

بفضلاتهن أكاليل نور
يلوح عليها بياض النحور

وهبت لها قلبي وأخدمتها فكري
سوائف تبدو من معصرة حمر

على وجه صفراء الغلائل غضة
كأثرجة زينت باكاليل فضة
كأنها في عز سلطانها
وماؤها من فوق تيجانها

●

فيض النعاس وأخذ بالفضل
يتنازعون بها سخاب قرفل

فأرسلت من فم الأبريق صافيةً كأنما أخذها بالعين إخفاء
 وقوله: ثم لما مزجوها وثبتت وثب الجراد
 ثم لما شربوها أخذت أخذ الرقاد
 ومن شعر المتقدمين قول الأخطل^(١):

أناخوا فجرُّوا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودانِ لم يتسر بلوا
 « لم يتسر بلوا » تتميم حسن ، والبيت من أحسن ما قيل في الزقاق :

فقلت اصبحوني لا أبا لأبيكم وما وضعوا الاثقال إلا ليفعلوا
 تدبُّ ديباً في العظام كأنه ديبٌ نمل في نقاً يتهيل

أحسن ما قيل في خروج الحمر من الميزال قول أبي نواس :

وخندريسٌ باكرت حانتها فودجوا خصرها بميزال
 فسال عرقٌ على ترائبها كأنَّ مجراهُ قتلٌ خلخال

وقال ابن المعتز : تخرج من دهنها وقد حدثت مثل هلالٍ بدا بتقويس

قوله « بدا بتقويس » فضل لا يحتاج إليه لأن الهلال لا يبدو إلا بتقويس . وقال :

جاءت من بيتِ خمارٍ بطينتها صفراء مثل شعاع الشمس تتقد
 فأرسلت من فم الأبريق فانبعثت مثل اللسانِ بدا واستمسك الجسد

إلا أن هذا في وصفها جارية من فم الأبريق ، وقال في المعنى الأول :

سعى إلى الدنِّ بالميزال يبقره ساق توشح بالمنديل حين وثب
 لما وجاها بدت صفراء صافية كأنه قد سيرا من أديم ذهب
 وقلت : قد بزل الدنُّ فقومي انظري زنجيةً تقتلُ خلخالاً

واسقنيها واشربي واطربي وجرري في الهواء أذبالا
 تمنعني ما استطعت واستمتعي إن وراء المرء أهوالا

(١) هو غياث بن غوث التغلبي ، يشبه من شعراء الجاهلية بالناطقة الذبياني

كان يمدح الأمويين .

أبلغ ما قيل في الكبر الذي يعتري المنتشى قول الأخطل يخاطب عبد الملك :
 إذا مانديمي على ثم على ثلاث زجاجاتٍ لهن هدير
 خرّجتُ أجرُ الذيلِ حتى كأنني (١) عليك أميرَ المؤمنين أميرُ
 وإنما صار ذلك أحسن من غيره لأنه خاطب به ملك الدنيا وقال أنا أمير
 عليك في ملك الحال . والأصل فيه قول حسان :

ونشربها فتركنا ملوكاً وأسداً ما ينههنا اللقاءُ
 ومنه قول الأخطل :

وإذا سكرتُ فاني ربُّ الخورنقِ والسرير
 وإذا صحوتُ فاني ربُّ الشوبيةِ والبعير

وأجاد ابن الرومي القول في تفسيح أمل السكران حتى يأمل ما لا يجوز وجوده وهو قوله :
 ومدامة كحشاشةِ النفسِ لطفتْ عن الإدراكِ والحسِّ
 لنسيمها في قلبِ شاربها روحُ الرجاءِ وراحةُ النفسِ
 وتمدُّ في أمل ابن نشوتها حتى يؤمل مرجع الأمس
 وأجود ما قيل في صفة السكران قول عبد الله بن عبد الله بن عتبة :

وشربك من ماء الكروم كأنه إذا مجَّ صرفاً في الاناء خضابُ
 صريع مدام والندامي يلونه وفي الشدقِ قى سائل ولعاب
 وقريب منه قول الآخر في حماد الراوية :

نعم الفتى لو كان يعرفُ ربَّه ويقيمُ وقتَ صلاته حمادُ
 هدلت مشافره المدام وأنفه مثل القدوم يسنها الحدادُ
 وأبيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد

وأبداع ما قيل في صفة أنف السكران إذا تورم من السكر قول الآخر :
 وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل

(١) في ديوان الاخطل « جعلت أجر الذيل مني كأنني » .

ومن جيد ما قيل في مبادرة الذات قول أحمد بن أبي قنن: ^(١)

جَدِّدِ اللِّذَاتِ فاليوم جديد
 أمض فيما تشتهي كيف تريد
 أني أن أمكن يوم صالح
 أن يوم الشرب لا كان عتيد
 وقال ديك الجن ^(٢) :

تمتع من الدنيا فانك فاني
 ولا تنظرن اليوم في لهو غد
 فاني رأيت الدهر يسرعُ بالفتي
 وينقله حالينِ يختلفان
 فأما الذي يمضي فأحلامٌ نائم
 وأما الذي يبقي له فأمانى
 ونحوه قول عمران بن حطان ^(٣)

يأسفُ المرءُ على ما فاتهُ
 وتراهُ فرحاً مستبشراً
 من لباتاتٍ إذا لم يقضها
 باتي أمضى كأن لم يمضها
 عجباً من فرح النفس بها
 بعد ما قد خرجت من قبضها
 أنا عندى ذاق أحلام الكرى
 اقرب بعضها من بعضها
 وقال ابن المعتز :

وبادر بأيام السرور فانها
 سراعٌ وأيامُ الهموم بطاءُ
 وحلَّ عتاب الحادثات لوجهها
 فان عتاب الحادثات عناءُ
 تعالوا فسقوا أنفساً قبل موتها
 ليالى ما يأتي وهن وراءُ
 ونهر عجير السلولى ^(٤) جملة لأصحابه وجعل يشرب معهم ويقول :

علاني إنما الدنيا عللٌ
 وانشلما غبر من قدريكما
 واركاني من عتاب وعذل
 واسقياني أبعده الله الجلل

(١) في الاصل (فقس) وهو تصحيف . (٢) نسبتها في الأما إلى لسعيد بن حميد باختلاف
 في البيت الثاني . (٣) شاعر فصيح ، طال عمره فضعف عن الحرب وحضورها فاقصر
 على الدعوة والتحريض بلسانه . (٤) شاعر إسلامي مقل من شعراء الدولة الإسلامية

وقال أحمد المادرائي :

قاقر الرَّاحَ ودع نعتَ الظِّلِّ وَاعصِ من لأمك فيها وعذْلُ
غادها واسعَ لها واغربها وإذا قيلَ نصاباً قل أجلُ
إنما دنيالك فاعلم ساعةً أنتَ فيها وسوى ذلك أمل
ولا بن بسام^(١) :

واصلُ خليلك إنما السدُّ نيا مواصلةُ الخليل
وانعم ولا تتعجل السـمـكـرة من قبل النزول
بادر بما تهوى فما تدرى متى وقتُ الرَّحيل
وارفض مقالةً لا ثم إنَّ الملامَ من الفضول

وقد أجاد ديك الجن في قوله يصف السكر ، واسمه عبد السلام بن رغبان الحمصي :

استغفرُ اللهَ لذنبي كله قاتُ إنساناً بغـيرِ حله
وانصرمَ الليلُ ولم أصله والسكرُ مفتاحُ لهذا كله
قد أوطأ إلا أنه أصاب المعنى . وقال أيضاً :

مشعشة^(٢) من كفِّ ظبيِّ كأنما تناولها من خدِّه فأدارها
فظلتُ بأيدينا تتعمعُ روحها وتأخذُ من أقدامنا الرَّاحُ نارها
وهذا معنى بديع حسن أخذه أبو تمام منه وكان كثير الأخذ منه فقال :

إذا اليدُ نالتها بوترٍ توقَّدتْ على ضغفها^(٣) ثم استقادتْ من الرجل
وبيت عبد السلام أجود منه .

أحسن ما قيل في وصف الساقى إذا أخذ الكأس قول الآخر :

يمدُّ في الطبقة الخامسة من شعراء الاسلام . (١) هو أبو الحسن علي بن محمد ،

كان من أعيان الشعراء ومحاسن الظرفاء لسنأ مطبوعاً في الهجاء ، يشبه بالخطيئة في الهجاء .

(٢) في وفيات الأعيان (موردة من كف) .

(٣) في ديوان أبي تمام (توقرت على ضغفها) .

كَأَنَّهُ وَالكَأْسُ فِي كَفِّهِ بَدْرٌ إِلَى جَانِبِهِ كَوَكْبٌ
 وقلت: وطاعنى الفلامُ بها سحيراً فزادَ على الكواكبِ كوكبان

ومما يدخل في مختار هذا المعنى قول ابن الرومي * ومهفهف تمت محاسنه *
 وقدمر . ولم أسمع في هذا المعنى أجود من قول الآخر :

فكَأَنَّهُ وَكَأَنهَا وَكَأَنَّهُمْ قَرْنٌ يَدُورُ عَلَى النُّجُومِ بِأَشْمَسِ
 ومثله في الجمع قول الآخر :

فَالْكَفُّ عَاجٌ وَالْجَبَابُ لَأَلَى وَالرَّاحُ نَبْرٌ وَالرُّجُجُ جُرُجِدُ
 وأجود ما قيل في قيام السقاة بين الندامي قول ابن المعتز :

بَيْنَ أَفْدَاحِهِمْ حَدِيثٌ قَصِيرٌ هُوَ سِحْرٌ وَمَسَاوَاهُ الْكَلَامِ
 وَكَأَنَّ السَّقَاةَ بَيْنَ النَّدَامَى أَلْفَاتٌ بَيْنَ السُّطُورِ قِيَامِ
 فشبهه اصطفاً الشرب جلوساً بالسطر والسقاة بينهم بالألفات فأحسن .
 ومن البارع الداخل في هذا الباب قول عنتره :

وَإِذَا سَكِرْتُ فَأَنَى مَسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرْضِي وَأَفْرٌ لَمْ يَسْكَمِ
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَأَقْصِرُ عَنْ نَدَى وَكَأَعْلَتِ شِمَائِلِي وَتَكَرَّمَى
 أخذه البحترى فزاد عليه في قوله :

وَمَا زِلْتُ خَلًّا لِلنَّدَامَى إِذَا انْتَشَوَا وَرَاحُوا بَدُورًا يَسْتَحْثُونَ أَنْجِمَا
 تَكَرَّمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكَؤُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَعْنَ أَنْ يَحْدِثْنَ فِيكَ تَكَرُّمًا
 والزيادة أن عنتره ذكر أنه يستهلك ماله إذا سكر، والبحترى ذكر أنه تكرم
 قبل الكؤوس فيبالغ حتى لا تستطيع الكؤوس أن تزيدته تكراً .

ومن أطرف ما قيل في حسن الندامى قول بعضهم :

لَقَدْ عَلَّمَ الرِّيحَانَ وَالرَّاحُ أَنْتَى عَلَى الْكَأْسِ وَالنَّدَامَانَ غَيْرَ جَهُولِ
 فَإِنْ سَاءَ لِي مِنْهُمْ مَقَامٌ غَفَرْتَهُ وَلَسْتُ إِلَى مَسَاءِهِمْ بِمَجُولِ
 قوله * لقد علم الريحان والراح انى * في غاية الظرف . وشبهه البيت

الثاني قول الآخر :

ليس من شأنه إذا دارت الكأسُ سُ فأدرى ادمانهُ بالحلوم
قولُ ما أسخط النديمَ وإن أسخطه عند ذلك قولُ النديم
إلا أن في هذين البيتين عيبن أحدهما التضمين والآخر قوله (عند ذلك)
وهي زيادة لا يحتاج إليها . وقال يحيى بن زياد^(١) :

ولست له في فضلة الكأسِ قائلاً لأصرفه عنها تحس وقد أبت
ولكن أحييه وأكرم وجهه وأشرب ما أبقى وأسقيه ما اشتهى
وليس إذا مانام عندي بموقظ ولا سامع يقظان شيئاً من الأذى
وهذا جامع جداً . ومن جيد ما قيل في مدح النديم قول اعرابي وقد قيل له :
كم تشرب من النبيذ ؟ قال على قدر النديم . ومن المنظوم قول بعضهم :

ورضيع أَرْضعت في كبر السن فأضحى أخاً لدى مطام
لم يكن بيننا رضاعٌ ولكن صيرت بيننا المدامُ رضاعاً
وهو من قول الناشئ : المدام الرضاع الثاني . ويقولون ذكراً الرجل عمره الثاني .
وروى ابن عون عن ابن سيرين أنه قال : لا تكرم أخاك بما يشق عليه ، قالوا مغناه
لا تسقيه من النبيذ ما لا يقوم به . وجعل آخر النديم قطب السرور في قوله :

أرى للراح حقماً لا أراهُ لغير الراحِ إلا للنديم
هو القطب الذي دارت عليه راح اللذات في الزمن القديم
وقلت : لما تبدى وجهه كالبدر من خلل الغمام
وكأنه ضوء الصبا ح يمس في خلع الظلام
آثرت طاعة حبه واخترت معصية المدام
لا أستفيد من المدام سوى منادمة الكرام
فاذا حننت إلى النداء م فقد حننت إلى المدام

(١) هو أبو الفضل الحارثي شاعر مقل .

خلق النديم اذا صفا أغناك عن صفو المدام
 وفاخر كاتب نديماً فقال : أنا معونة وأنت مؤونة وأنا للجد وأنت للهزل وأنا
 للشدة وأنت للرخاء وأنا للحرب وأنت للسلم . فقال النديم : أنا للنعمة وأنت للخدمة
 وأنا للحظوة وأنت للمهنة تقوم وأنا جالس وتحشم وأنا مؤانس تدأب لرضاتي ^(١)
 وتسمى لما فيه سعادتي فأنا شريك وأنت معين كأنك تابع وأنا قرين فمثلته وقلت :

ما أصفُ النبيذَ خيفةً إثمٍ إنما عفتهُ لفقدِ النديم
 ليس في اللهو والمدامِ حظٌ الكريم دونَ النديمِ الكريم
 فخير قبلَ النبيذِ نديماً ذا خلالٍ معطراتِ النسيم
 وجمالٍ إذا نظرتَ بديعٍ وضميرٍ إذا اختبرتَ سليم
 وأحسن ما قيل في احمرار لون الشارب من الشعر القديم قول الاعشى :
 وسيئة مما تعتقُ بابل كدم الذَّبَّيحِ سلبتها جريالها
 الجريال : اللون . وقال بعض المحدثين :

نفضت على الأيامُ حمرةَ لونها وسرتْ بلذَّتها الى الأرواح
 وأخذ الناجم قول الاعشى (سلبتها جريالها) فقال :
 نغذها مشعشة قهوة تصبُّ على الليل ثوبَ النهار
 ويسلبها الخدُّ جريالها فتهديه للعين يومَ الخمار
 إلا أن هذا فيه زيادة وهو قوله * فتهديه للعين يوم الخمار * وهو في صفة حمرة
 العين من الخمار جيد إلا أن قوله (مشعشة قهوة) ردىء ووجه نظم اللفظ أن يقال
 قهوة مشعشة ، ألا ترى أنك تقول خمر ممزوجة ولا تقول ممزوجة خمر ، وان كان
 جائزاً فليس كل جائز حسن فاعلم ذلك . وقلت :

شقائق كناظرِ الخمور وأقحوان كشمور الحور
 ونرجس كأنجم الدَّبَّيجور

فشبّهت ما يعترى بياض العين والجماليق من الحجرة عند الخمار مع سواد الخدقة
بجمرة الشقائق حول سوادها. وقد أحسن أبو نواس في ذكر مراح الكأس حيث يقول:

ألا دارها بلماءٍ حتى تلبينها فلن تكرم الصهباء حتى تهبينها
أغالى بها حتى إذا ما ملكتها أدلت لا كرام الصديق مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بملده كأن شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستغفك من لعانها وتحسر حتى ماتقل جفونها
أخذه ابن دريد فقال:

وحمرء قبل المزج صفراء بملده بدت بين ثوبى نرجس وشقائق
حكّت وجنة العشوق صرفاً فأسلطوا عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق
ومن أجود ما قيل في صفة القيان:

بدت في نشوةٍ مثل اللمها أدجن إدماجا
يجاذبن من الأردا ف كشياناً وأمواجا
وقضباناً من الفضلة قد أنمرت العاجا
ويسترن من الأبخار في الديباج ديباجا
وقد لانت من الكور على مفرقها تاجا
فلما طفن بالمجلس أفراداً وأزواجاً
تجاذبن فغننينك أرمالاً واهزجا
وحركن من الأوتار امسداً وادراجا
فلا لوم على قلبك إن هيج فاهتاجا

ومن جيد ما قيل في بجة حلق المغنى قوله أيضاً:

أشتهى في الغناء بجة حلق ناعم الصوت متعب مكدود
كأنين الحب أضعفه الشوق فضاءه به أنين العود
لأحب الأوتار تملو كما لا أشتهى الضرب لازماً للعود

وأحبُّ المجنبات كحبي للمبادئ موصولة بالمشيد
كهبوب الصبا توسط حالاً بينَ حالينِ شدةً وركود
وقد أحسنَ ابن المعتز في صفة أنامل القينة :

وتلفظُ يمناسها إذا ضربتُ بها وتثرُ يسراها على العودِ عنابا
وقلت: وهيجتُ لى من شوقٍ ومن فرح أيدٍ نثرنَ على الأوتارِ عنابا
لا عيبَ في العيشِ إلا خوف غيتكم إنَّ السرور إذ ماغبتمُ غابا
ومن أحسن ما قيل في وصف المغنى قول ابن المعتز :

ومغن ملحقٌ كلَّ نفسٍ بهواها وهو للسكرِ عذر
لا يمدُّ الصوت فيه نفور لا ولا يقطعنه منه بهر

وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :

تنغى كأنها لانغى من سكون الأوصالِ وهي تجيد
مدٌّ في شأوِ صوتها نفسٌ كما فِ كأفاسِ عاشقها مديد
ولها الدهر لائمٌ مستزيد ولها الدهر سامعٌ مستعيد
وللناجم من أبيات :

مندرة في كلِّ أصواتها لا كالتى تفدرُ في الندره

وقول الآخر :

إذا وقَّع بالعودِ زمرنا بالكؤس (له)

فأما أعجب ما قيل في ذم المغنى والتنائى من سماعه فقول ابن الرومي :
فظلتُ أشربُ بالارطال لا طربا عليه بل طلباً للسكر والنوم
ومن أحسن ما قيل في مجالس الشرب قول أبي نواس :

في مجلسٍ ضحك المروءُ به عن ناجذيه وحلت الخمر
وقد أحسن ذلك الجن في قوله :

كأنما البيتُ بريحانه ثوبٌ من السندسِ مشقوق

ومثله قول الصنوبري :

وقد نظم الروض ممطيه من سنان نؤيق إلى زجه
 كهرجك خفتان وشى بد يياض الغلالة من فرجه
 ورأيت قوماً يستحسنون هذين البيتين وهما بالاستهجان أولى لا لرداءة
 معناهما ولكن لتكلف ألفاظهما ، وليس التكلف أن تكون الألفاظ غريبة
 وحشية، بل وقد يكون الكلام متكلفاً وان كان ظاهر اللفظ إذا لم يوضع في موضعه
 وخولف به وجه الاستعمال . وقال السري ولا أعرف في معناه أحسن منه يدعو صديقاً له :
 ألت ترى ركب الغمام يساقُ وأدمعه بين الرياضِ مُراقُ
 وقدرق جلاباب النسيم على الثرى ^(١) ولكن جلايبُ الغيوم صفاق
 وعندى من الريحانِ نوع تحية وكأسٌ كقراق الخلوقِ دهاق
 وذو أدب جلت صنائع كفه ولكن معاني الشعر فيه دفاق
 لنا أبدأً من ثره ونظامه بدائعٌ حلّى مالهن حقاق
 وأغيدمتهز على صحن خده غلائلٌ من صبغ الحياء رقاق
 أحاطت عيونُ العاشقين بخصره فهنَّ له دونَ النطاقِ نطاق

هذا البيت من قول المتنبي :

وخصر تثبتُ الأبصار فيه كأنَّ عليه من حدقِ نطاقا
 وقد مر ، ويدت السرى أجود منه سبكاً ونظماً ووصفاً :
 وقد نظم المشور فهو قلادة علينا وعقدٌ مذهبٌ وحناق
 وغرفتنا بين السحائب تلتقى لهن علينا كلة ورواق
 تقسم زوارٌ من الهند سقفاً خفاف على قلب النديم رشاق ^(٢)
 وليس في هذه الأبيات عيب إلا هذا الإبطاء ، وهو من أسهل العيوب التي تعترض القوافي .

أطاحم تلتذُّ الخصام كأنها كواعبُ زنجِ راعهنَّ طلاق

(١) في ديوان السري «على الندى» . (٢) في الأصل (قلب الكرم رقاق).

أنسن بنا أنس الأمان تهببت
 مواصلة والورد في شجراته
 فزرفنية برد الشراب لديهم
 وقلت : وليل ابتعت به لذة
 أصاب فيه الوصل قلب الجوى
 وقد خلطنا بنسيم الصبا
 واكؤس الرّاح نجوم إذا
 تضحك في الكأس أباريقنا
 كأن أعلاها إذا كفرت
 وقلت : هذا حبيب وصول
 وذاك شرخ شباب
 وقهوة وغناء
 فخذ نصيبك منه

وهذا من أجمع ما قيل في هذا الباب . وقال الصنوبري :

يوم ذبول مزنه على الثرى منسجبه
 بروقه سافرة وشمسه منتقبه
 فما سي ؟ سماءه ضاحكة منتحبه
 طلبت أقصى أملى منه فنلت الطالبه
 بسيدين ارتقيا منقبة فمنتقبه
 واتفقا في كنية والتقيا في مرتبه
 نشرها عذراء قد قامت بحق الشره
 أكرم ذخر ذخر من كرمه في عنيه

في مجلس أطنابه على الملا مطنبه
 أكرم به يوماً مضت ساعاته المستعذبه
 كحظة مخلوسه وقبلة مستلبه
 وعندنا طيب وريحنا : وقت :
 ومن المشروب لونا ن شمول وطلاء
 ومن اللحم خليطا ن طبيخ وشواء
 ومن الحلواء ألوا ن أحاد وثناء
 ولنا غلمان صدق أدباء أرباء
 أرسلوا في الصحن ماء فكان الصحن ماء
 وانثنوا للحسن عدوا فواشيه رداء
 فارشف الهم عناء أما الهم بلاء
 واغتم لذة يوم قد تخطاه العناء
 فهو بطويك ويمضى ليس للدنيا بقاء

و من المشهور في صفة السكرى قول بعضهم :

مشوا إلى الرّاح مشى الرّخ وانصرفوا والرّاحُ تمشى بهم مشى الفرازين
 غدوا إليها كأمثال السهام مضت عن القسي وراحوا كالعراجين
 وكان شربهم في صدر مجلسهم شرب الملوک وناموا كالساكين
 ومثل البيت الأول :

راحوا عن الرّاح وقد بدّوا مشى الفرازين بمشى الرّخاخ

ومما يجرى مع هذا قول الآخر :

تريد حسا الكأس السفیه سفاهة وتترك أخلاق الكريم كاهيا

وإن أقلّ الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صاحيا

ومن أحسن ما أنشد في الخيش ما أنشدناه أبو أحمد ولم يسم قائله ورأيت

بعد في ديوان السرى :

وقد نشأت بين الكؤوس غمامة
وعلى بماء الورد خيش كأنه
وقلت : ظي يروق الناظرين بأبيض
ومقوم مثل القضيبي مهفف
ومفرج من خده ومكفر
وبياض وجه بالصباح مقنع
علقت أباريق المدام بكفه
وعلا دخان الندى أبيض ساطعاً
فكأنما الكاسات في حافته

من الندى إلا أنها ليس تهطل
على جلده ثوب العروس المصنل
وبأسود وبأخضر وبأشكال
ومعوج كالصولجان محبل
ومخلق من شعره ومسلسل
وسواد فرع بالظلام مكمل
كالبدري يعلق بالسماك الاعزل
مثل الغمامة غير أن لم يهمل
شقر الخيول تجول تحت القسطل

ومن أبدع ما قيل في لذة الغناء قول الناجم :

شدو الله من ابتدا . العين في اغنائها

أحلى وأشهي من منى . نفس وصدق رجائها

وأجود ما قيل في الاصغاء إلى الغناء والسكوت له قول الآخر :

وأصغوا نحوها الآذان حتى كأنهم وماناموا نيام

ومن عجيب المعاني في الغناء قول أبي تمام :

حدت لك ليلة شرفت وطابت أقام سهادها (١) ومضى كراها

سمعت بها غناءً كان أولى بأن يفتاد نفسى من عنائها

ومسمعة تفوت السمع حسناً (٢) ولم تصممه لا يصمم صداها

مرت أوتارها فشفقت وشاقت ولو يستطيع حاسداها فداها (٣)

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجعل شجائها

(١) في ديوان أبي تمام (شكرتك ليلة حسنت وطابت أقام سرورها).

(٢) في الديوان (بحار السمع فيها). (٣) هذا البيت سقط من النسخ

فكنتُ كأنني أعمى معنى بحبِّ الغانياتِ ولا يراها
 وكان ينبغي أن يقول (فداها حاسدا) وليس لقوله (فلا يستطيع حاسدا)
 معنى مختار . وأول من أتى بهذا المعنى حميد بن ثور ^(١) في قوله :

عجبت لها أنى يكون غناؤها فصيحاً ولم تففر ^(٢) بمنطقها فما
 ولم أرَ محقوراً لها مثل صوتها أحس وأشجى للحزين وأكلاما
 ولم أرَ مثلي شاقه صوتٌ مثلها ولا عريباً شاقه صوتٌ أعجبا
 ومن أحسن أوصاف العود إذا احتضن تشبيهم إياه بالولد في حجر أمه
 وتشبيه إصلاحه بعرك أذنه فمن أحسن ما قيل في ذلك وأجمعه قول بعضهم :
 فكأنه في حجرها ولدٌ لها ضمتهُ بينَ ترائبٍ ولبان
 طوراً تدغدغ بطنه فاذا هفا عركت له أذنأ من الآذان
 ومثله قول الناجم :

إذا احتضنتُ عابثٌ عودها وناغتهُ أحسن - أن يربا
 تدغدغُ في مهلِ بطنهُ فنسمعنا مضحكاً معجبيا
 وذكر الضحك مع الدغدغة جيد .

ونظم كشاجم قول الحكماء إن العود مركب على الطبائع الأربع فقال :
 شدت فجلت أسماءنا بمخفف يحدتها عن سرها وتحديثه
 مشاكلة أوتاره في طباعها عناصر منها أحدث الخلق حديثه
 فللنار منه الزير والارض وللريح متناه وللماء مثله
 وكل امرئ يرتاح منه لنفمة على حسب الطبع الذي منه يبعثه
 شكاضرب يمناها فظلت يسارها تطوقه طوراً وطوراً ترعته
 فما برحت حتى أرتنا مخارقا يجاذبه في أحسن النقر عثته

فاستدر كناه من ديوان أبي تمام . (١) الهلالي من فحول المخضرمين والمعبرين .

(٢) أى لم تففر .

وحتى حسبت البابلين القنا ؟ على لفظها السحر الذى فيه تنفته
 وأجود ما قيل فى اتفاق الضرب والزمير قول هرون بن على المنجم :
 غصن على دعص نقا منهاى سعى بكأسٍ مثل لمع الآل
 وفاتنات الطرفِ والدِّلالِ هيف الخصورِ رجح الا كفال
 بأخذنَ من طرانف الأرمال ومحكم الخفاف والنعال
 يجرى مع الناسِ بلا انفصال مثل اختلاط الخمر بالزلال
 يدعو إلى الصبورة كلَّ سال بصرع كلِّ فانك بطل
 ومن حرام اللهو والحلال أكرم من مصارع الأبطال
 وقال كشاجم فى وصف العود والقينة وأحسن :

تميسُ من الوشى فى حلةٍ تجرُّ من فضل أذيالها
 وتمحلُّ عوداً فصيحَ الجواب يضاهى اللحون بأشكالها
 لهُ عنقٌ مثل ساقِ الفتاة ودستانهٌ مثل خلخالها
 فظلت تطارحُ أوتارَه باهزاجها وبأرمالها
 وتعملُ جساً كجسِّ العروق وتلوى الملاوى بأمثالها

وقيل لرجل أى المغنين أحذق ؟ قال ابن شريح كأنه خلق من كل قلب فهو
 يفتى لكل إنسان بما يشتهيهِ . وأخبرنا أبو القاسم عن العقدي عن أبى جعفر
 عن المدائنى قال قال المغيرة للوليد بن يزيد بن عبد الملك أفى خارج إلى
 العراق فاستهد ما أحببت فقال إهدلى بربطاً من عمل زلى فأهدى اليه عوداً وكتب
 اليه : قد بعثت به أرسح البطن أحذب الظهر صافى الوتر رقيق الجلد وثيق الملاوى
 كهيئة طاليه وملاحه محتضنه وحسن الضارب به وطرب المستمع له .

ومن أحسن ما قيل فى حسن الضارب ما تقدم ذكره وهو قول الناشئ *
 * وكان يمتاها إذا ضربت بها * وقال ابن الحاجب :

إذا هي جستهُ حكت متطبياً يجيلُ يديه فى مجسِّ عروق

وقد استحسنَ الناسَ هذا البيتَ وأجازوه وليس هو في طريقة الاختيار
 لأنَّ الطيبَ يحسُّ بيدٍ واحدةٍ وكذلك الضاربُ فليسَ لذكر اليدين وجهٌ .
 ومن جيد ما قيل في صحة عبارة العود عن الغناء قول ابن أبي عون :
 تناجيك بالصوت أوتارهُ فتوفيك ألسنه أحرف
 وأبين منه قول الناجم :

إذا نوتَ الضربَ قبلَ الغناء أنشدنا شعرها عودها
 وقلت: رُبَّ ليلٍ كسالكِ ثوبَ نعيم بين ساقٍ وسامرٍ ونديم
 وكووس جرت وراءَ كووس وأعانتُ على طريق الهوم
 ولنا مزهرٌ كمثل فطيم في يدي مطرب كأُمِّ الفطيم
 وسموا صدرهُ بعاج وذبل فزهتُ محاسنُ التوسيم
 مثل أرضٍ تحببتُ بأقاح أو سماءٍ تسكلتُ بنجوم
 ذو ملاوٍ سودِ الفروعِ ومُحمر مثل أطرافِ فرحةٍ ونعيم
 ووسابنٍ لانبجولُ عليه كخلاخيلٍ ماردٍ وظلوم
 أحمر الزير أسود المِ أحوى هل رأيتم جداولَ التقويم
 ومن جيد ما قيل في سرعة الضرب والحس قول كشاجم :

وترى لها عوداً تحركهُ وكلامه وكلامها وفقاً
 لو لم تحركهُ أناملها كأنَّ الهواءُ يفيدُهُ نطقاً
 جستهُ طامةٌ بحالتهُ جسَّ الطيبِ لمدنفٍ عرقاً
 فحسبتُ يمينها تحركهُ رعداً وختل يمينها برقاً
 وقال بعضهم في رقاص :

عجبتُ من رجليه تبعانه يعاوها طوراً ويعاوانه
 كأنَّ أغميين تلسعانه

ومما لم يقل مثله في إزالة الحار بمعاودة الشرب قول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
كل من أخذ هذا المعنى منه قصر في العبارة عنه ولا يجوز أن يؤتى بمثله ، قال
أبو بواس * وداوئي بالتي كانت هي الداء * فحشا الكلام بمالا وجه له وهو قوله
كانت هي الداء ، وقال المجنون * ولا يتداوى شارب الخمر بالخمر * ولا يقع هذا مع
قول الأعشى موقعاً ، ومثله قول البحترى :

تداويت من ليلى بليلى فما اشتقى من الداء من قد بات بالداء يشتقى
ومن جيد ما قيل في الدنان والزقاق قول الأخطل * أناخوا فجروا شاصيات *
وقد مر . وقد أحسن ابن المعتز في صفة الدنان :

ودنان كمثل صف رجال قد أقيمواليرقصوا دستبندا
وقال العلوي الأصفهاني في الزق :
عجبت من حبشي لا حراك به لا يدرك الثأر إلا وهو مذبح
طور آبري وهو بين الشرب مضطجع رغو الزقاق وطوراً وهو مشبوح
وفي ألفاظ العلوي زيادة على معناه في أكثر شعره ، وأخذ البيت الأول من
قول بشار يصف ركب المرأة :

وصاحب مطرق في طول صحبته لا ينفع الدهر إلا وهو محوم
وإن كان المعنيان مختلفين إلا أن حذو الكلامين حذو واحد . وقال ابن المعتز :
إن غدا ملآن أمسى فارغاً كأسير الرق أدى فعتق
وقال القطامي :

استودعتها رواقيداً مقيرة قد برنسن بالطين
مكالحات لحر الشمس قائمة كأنهن نبيط في بساتين
وقال آخر : تحسب الزق إذا أسندته حبشياً قطعت منه الشوى
وقال العلوي الأصفهاني يصف شراباً في ظرف خرف :

مخدرة مكنونة قد تكشفت كراهية بين الحسان الأوانس

وأترابها يلبسنَ بيضَ غلائلِ هي العرىُ مقروورٌ بها كلُّ لابسٍ
 مشعشة مرهء ماختُ أنى أرى مثلها عذراءَ في زى طانسٍ
 المعنى جيد وفي الألفاظ زيادة وليس لها حلاوة . وقال آخر في الراووق :
 كأنما للراووق^(١) وانتصابه خرطومٌ فيل سقطتُ أنيابه
 وفيه : سماءٌ لاذ قطرها رحيقٌ رَحِبَ الذرى ينحط فيه الضيق
 ماء حقيقٌ لو جرى العقيقُ حتى إذا ألهبها التصفيقُ
 صحنا إلى جيراننا الحريق

وأنشد أبو عثمان :

فبتُ أرى الكواكبَ دانياتٍ ينلنَ أناملَ الرَّجْلِ القصيرِ
 بالكفينِ عنى وأمسحُ عارضَ القمرِ المنيرِ
 أبو حكيمٍ فن حكت كاسك فيه فاحكم له بأقالة عند العثار . ؟ في ضعف السكر :
 فديتك لو علمت بضعفِ سكرى لما سقيتنى إلا بمسعط
 بحسبك أن خماراً يجنبى أمرُهُ يبابه فأكادُ أسقط^(٢)
 ولا بن الرومى في نبيذ حامض :
 قد لعمرى اقتصصت من كل ضررٍ كان يجنبى عليك في رغفانك
 قد ردَدناهُ فاتخذهُ لسكبا جك والنائبات من أدقانك
 واتخذهُ على خوانك خلا^(٣) فهو أولى بالخل من إخوانك
 أضرستنا حوضةً فيه تحكى رعدة^(٤) تغتربك من ضيفانك
 معنى آخر : إسقنى بالكبير إلى كبير إنما يشربُ الصغير الصغير
 لا يفرنك يا عبيد خشوعى تحت هذا الخشوع فسق كثير

(١) الراووق : ناجود الشراب الذى يروِّق به ، والكأس بعينها .

(٢) نسبها الثعالبي في النهاية لابن لئلك باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) في ديوان ابن الرومى (أدماً) . (٤) في ديوانه (ضجرة)

وكان ابن عائشة ينشد :

لما رأيتُ الحظَّ حظَّ الجاهلِ ولم أرَ المغبونَ غيرَ العاقلِ
رحلتُ عننا من كرومِ بابلِ فبتُّ من عقلي على مراجلِ

وقال غيره في نبيذ الدبس :

على أحمد من الدوشاب شربة نفضت سوادَ الشباب
لو ترائي وفي يدي قدحُ الدو شاب أبصرتَ بازياً في غراب

وقال بعضهم في كيزان الفقاع :

لستُ بناف خمارٍ مخمور إلا بصافي الشرابِ مقرر
يطيرُ عن رأسه القناع إذا نفست عنه خناق مزور

يميلُ أعلاه وهو منتصبٌ كأنه صولجانٌ بللور

وقلت : وأبيض في أحشاء خضر كأنها

وقال بعضهم في الطنبور :

مخطف الخصر أجوف جيده نصف سائر

أنطقته يدا فتى فأن اللحظ ساهر

فحكي عن ضميره ماجرى في خواطره

وقال آخر في المعرفة :

معلقة الأوتارِ صخابةٌ لها حنينٌ كحنينِ الغريب

مكسوةٌ أحشاؤها حلةٌ بيضاء من جلدِ غزالِ ريب

كأنما نسمةٌ أوتاره نصبتُ أشراكاً لصيدِ القلوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل السماء سقفاً محفوظاً شيد بنيانها ووثق أركانها فأمنها من
 التهافت وبراها من التفاوت فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر
 كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير وصير لونها أوفق الألوان لا يبصار
 الناظرين وأحلاها فى أنفس المتوسمين وحبها بالنجوم وطرزها بالرجوم وبيض
 أعلام صباحها وسود ذوائب ليلها وجلا غرة شمسها ومسح صفحة قمرها وقدره فى
 منازلها وخالف بين مناظره لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق .
 وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأنبياء وأكرم الأصفياء وعلى عترته وأصحابه المختارين
 وسلم تسليماً كثيراً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(فى وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر)

وما يجرى مع ذلك : وهو

الباب السادس من كتاب ديوان المعاني - ثلاثة فصول ﴿

﴿ الفصل الأول ﴾

فى ذكر النجوم

أحسن ما قيل فى النجوم من الشعر القديم قول امرئ القيس :

نظرتُ إليها والنجومُ كأنها مصابيحُ رهبانٍ تشبُّ القفال (١)

(١) تشب : أى توقد ، والقفال : الراجعون من السفر .

وقول الآخر :

سرينا بلبيل والنجوم كأنها قلادة درّ سلّ عنها نظامها
وقد أصاب القائل التشبيه في قوله :

ورأيت السماء كالبحر إلا أن مرسوبه من الدرّ طافي
فيه ما يملأ العيون كبير وصغير ما بين ذلك خافي

المعنى جيد وليس للألفاظ رونق . وقال ابن طباطبا في معناه :

أحسن بها لججاً إذا التبس الدجى كانت نجوم الليل حصباءها
وأحسن من هذا كله لفظاً وسبكاً مع إصابة المعنى قول ابن المعتز :

كأن سماءها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياضُ بنفسج خضل نداء تفتح بينها نورُ الأفاخي

إلا أنه مضمن . وقلت :

لبسنا إلى الحمار والنجم غائر غلالة ليلٍ بالصباح مطرر
كأن بياض النجم في خضرة الدجى تفتح وردٍ بين رندٍ^(١) وعبقر
وقلت : كم سرور زرعتُ بين الندامى وهموم طردتُ بين الكؤوس

وتلوح^(٢) النجوم في ظلمة الليل كعاج يلوح في ابنوس

وقلت : بلبيل كما ترفو الغزاة أسود على أنه من نور وجهك أبيض

كواكب زهرٌ وصفرٌ كأنها قبائع منها مذهبٌ ومفضض

وفي النجوم ما هو أبيض ومنها ما هو أصفر وأحمر فشبه الأبيض بقبعة

مفضضة والأصفر والأحمر بالذهبية والذهب يوصف بالحبرة والصفرة ، ومثل هذا

التمييز قليل في الشعر . وقال ابن المعتز :

(١) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٢) في هامش الأصل : ما عليه لو قال « وياض النجوم » لتم المقابلة ويخلص

من تكلف « تلوح » .

وخلت نجوم الليل في ظلم الدجى خصاصاً أرى منه النهار نقابا
 وقد أحسن الناشيء القول في اشتباك النجوم والتفافها حيث يقول :
 وردت عايبها والنجوم كأنها كتائب جيش سوّمت لكتائب
 وقلت : وأنجم كزرب في شهب كالشهب تجرى في خلال خطب
 والخور ترنو من خلال الحجب

ومن أحسن ما قيل في الثريا قول امرئ القيس :
 إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرضاً أثناء الوشاح المفصل
 وقد استحسّن الناس هذا البيت في صفة الثريا على قديم الدهر وقدموه ، ثم
 قال بعضهم وهو معيب لأنّ التعرض إنما هو أن يبدي لك عرضه أي جانبه قال
 والثريا تشق وسط السماء شقاً . وقالوا أحسنه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافاً والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلّق
 وقالوا أحسنه قول ابن الطرية :

إذا ما الثريا في السماء كأنها جمانٌ وهي من سلكه فتبدداً
 أنشد عبد الملك بن مروان هذا البيت فقال ماهي بمتبددة واسكنها مرصوفة .
 قال أبو هلال : وإنما أرادها عند غروبها وهي متبددة عند الغروب ، وامرؤ القيس
 أيضاً أرادها حين تغيب لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء إلى جانب ، وأحسن
 الوصف ما يتضمن أكثر صفات الموصوف ، والوشاح وابن الماء إنما شبها بها من جهة
 البياض فقط . وأخذ معنى ابن الاسلت بعض المحدثين فقال :

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
 تبدو الثريا كما غر شره يفتح فاه لأكل عنقود
 والأول أجود لذك وهذا كالعنقود ولم يصفه وقد يكون العنقود أسود
 أو أحر . وكان أبو عمرو بن العلاء : يقول أجود ما قيل فيها قول الآخر :

ولاحت لسايرها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرطٌ مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه^(١) اذا ذقتَ فاهُ والثريا في جانبِ الغربِ قرط
وقد قصر عن الأول أيضاً ، ومثله قول أبي فضلة :

وتأملتُ الثريا في طلوع ومغيب

فخبرتُ لها التشبيهَ بالمعنى المصيب

فهي كأسٌ في شروقٍ وهي قرطٌ في غروب^(٢)

وقلت : شربنا والنجومُ مغفرات تمرُّ كما تصدعت الزخوف

وقد أصفت الى الغرب الثريا بوالد لو سلمها الضعيف

وأجود ما قال فيها محدث عندي قول بعضهم :

كأنَّ الثريا هودجٌ فوقَ ناقةٍ يسيرُ بها حادٍ من الليل مزعج

وقد لمت بين النجوم كأنها قواريرُ فيها زئبقٌ يترجرج

وتروى لابن المعتز ، وفي ألفاظ البيتين زيادة على معناهما ، وقال مخلد الموصلي :

وترى النجوم المشرقات كأنها دررُ العصابة

وترى الثريا وسطها وكأنها زردُ الذؤابة

وزرد الذؤابة يشبه نجومها وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب . وقال ابن المعتز :

فناولنيها والثريا كأنها جنى نرجس حيا الندامى به الساقى

قالوا لو قال باقة نرجس كان أتم ، فقلت :

أراعي نجومَ الليل وهي كأنها نواظرُ ترنو (نحو) رافع سندس

كأنَّ الثريا فيه باقة نرجس وما حولها منهنَّ طاقات نرجس

(١) في ديوان ابن الرومي (طيب ريقه). (٢) في هامش الاصل : وقد وصفها

الضموبري على كل حال انها فقال :

في الشرق كأسٌ وفي مغاربها قرطٌ وفي أوسطِ السماء قدم

وأنشدني بعض العمال :

رُبَّ لَيْلٍ قَطَعَتْهُ بَفَنُونَ مِنْ غِنَاءٍ وَقَهْوَةٍ وَمُجُونَ
وَالثَّرِيَا كَنَسْوَةَ خَفَرَاتٍ قَدْ تَجَمَّعْنَ لِلْحَدِيثِ الْمَصُونِ
وقد أحسن وأطرف . وقد أصابَ القائلُ بعضَ وصفها في قوله
* كأن الثريا حلة النور منخل * وقال ابن المعتز :

ألا فاسقنيها والظلامُ مقوِّضٌ وخيلُ الدُّجَى نَحْرَ الْمَغَارِبِ تَرْكُضُ
كأنَّ الثَّرِيَا فِي أَوَاخِرِ لَيْلِهَا تَفْتَحُ نُورَ أَوْ لَجَامٍ مَفْضُضٍ
وشبهت بالقدم ، قال ابن المعتز :
قَمِّ يَا نَدِيمِي نَصْطَبِحُ بِسَوَادِ قَد كَادَ بَبْدُو الصَّبْحِ أَوْ هُوَ بَادِ
وَأَرَى الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهَا قَدَمٌ تَبَدَّتْ فِي ثِيَابِ حَدَادِ
وَقَلْتُ : كَأَنَّ مَهْوُضَ النُّجُومِ وَالْأَفَاقِ أَخْضَرُ تَبْلُجُ تُغْرِغُ تَحْتَ خَضْرَاءِ شَارِبِ
وَقَلْتُ : تَلُوحُ الثَّرِيَا وَالظَّلَامُ مَقْطَبُ فَيَضْحَكُ مِنْهَا عَنِ أَعْرَافِ مَفْلَجِ
تَسِيرُ وَرَاءَهُ وَالْمَلَالُ أَمَامَهَا كَمَا أَمَاتُ كَفَّ إِلَى نِصْفِ دَمَلِجِ
وَقَلْتُ : شَمْسٌ هَوَتْ وَهَلَالٌ أَلْفَقُ يَتَّبِعُهَا كَأَنَّهَا سَافِرٌ قَدَامَ مَنْتَقَبِ
تَبْدُو الثَّرِيَا وَأَمْرُ اللَّيْلِ مَجْتَمِعِ كَأَنَّهَا عَقْرَبٌ مَقْطُوعَةُ الذَّنْبِ
وأحسن ما قيل فيها عند طلوع الفجر قول الآخر :

وَأَنَّ الصَّبْحَ لَمَّا لَاحَ مِنْ تَحْتِ الثَّرِيَا
مَلِكٌ أَقْبَلَ فِي التَّانِجِ يُفَدِّي وَيُحْيَا
وَقَلْتُ : وَبِالثَّرِيَا أَثْرُ الْحَمُودِ كَالنَّارِ لَا تَسْمَعُ بِالْوَقُودِ
فِي أَنْجَمِ كَرَّ بَرْبٍ فِي يَدِ يَلُوحُ فِي التَّصْوِيبِ وَالتَّصْعِيدِ
كشرفات فدن مشيد

وَقَلْتُ : قَمِّ بِنَظَرٍ دُ الْهَمُومِ بِكَأْسِ وَالثَّرِيَا لِمَفْرَقِ اللَّيْلِ تَاجُ
وَقَدْ انْجَرَّتِ الْمَجْرَةُ فِيهِ كَسَيْبِ يَمْدُهُ نَسَاجُ

وقال العلوي الأصفهاني في حسن الاستمارة :

رُبَّ لَيْلٍ وَهتَ لآلِي دُمُوعِي فِيهِ حَتَّى وَهتَ لآلِي الثَّرِيَا
 وَردَاءُ الدُّجَى لَيْسَ دَرِيْسٌ بِيَدِ الصَّبْحِ وَهُوَ يَطْوِيهِ طِيَا
 وشبه أبو فراس الثريا بالفخذ من النمر وهو من المقلوب لأن أنجم الثريا بيض
 والنقط على فخذ النمر سود . وقال السري :

تَرَى الثَّرِيَا وَالبَدْرَ فِي قَرْنٍ كَمَا يَجِيَا بِنَجَسٍ مَلِكِ
 أَجُودٍ مَا قِيلَ فِي الجُوزَاءِ مِنَ الشَّعْرِ القَدِيمِ قَوْلِ كَبِّ الغَنَوِيِّ (١) :
 وَقَد مَاتَ الجُوزَاءُ حَتَّى كَانَهَا فَسَاطِيطُ رَكَبٍ بِالمَقْلَاةِ نَزُولِ
 وَلَوْ شَبَّهَا بِفَسْطَاطٍ وَاحِدٍ كَانَتْ شَبَّهُ . وَمِنْ شَعْرِ المَحْدَثِينَ قَوْلُ ابْنِ المَعْتَزِ فِيهَا وَفِي الثَّرِيَا :
 وَقَد هَوَى النَجْمُ وَالجُوزَاءُ تَتَبَعُهُ كَذَاتِ قِرْطٍ أَرَادَتْهُ وَقَد سَقَطَا
 مَعَ أَنَّ المَصْرَاعَ الأَخِيرَ غَيْرَ مَخْتَارِ الرِّصْفِ ، وَالنَّجْمَ اسْمًا مَخْصُوصَةً بِهِ الثَّرِيَا .
 وَقَالَ فِيهَا وَفِي الشَّعْرَى العَبُورِ :

وَلَا حَتَّ الشَّعْرَى وَجُوزَاؤُهَا كَمَثَلِ رُمَحٍ جَرَّهُ رَامِحٌ
 وَقَلتَ : سَقَانِي وَالجُوزَاءُ يَحْكِي شَرُوقَهَا طِفْوَ غَرِيْقٍ فَوْقَ مَاءٍ مَطْحَلِبِ
 وَهَذَا وَصَفَهَا عِنْدَ طُلُوعِهَا . وَقَلتَ فِيهَا حِينَ تَوْسُطِ السَّمَاءِ :

شَرِبَتْهَا وَالبَيْلُ مُسْتَوْفِرٌ يَجْرُ فِي جَلْبَابِهِ كَوَكْبِهِ
 كَأَنَّهَا الجُوزَاءُ رَقَاصَةٌ تَرْقُصُ فِي مَنْطِقَةِ مَذْهَبِهِ
 كَأَنَّهَا الجُوزَاءُ طَبَالَةٌ تَحْتَضِنُ الطَّبْلَ عَلَى مَرْقَبِهِ

وقلت فيها عند غروبها :

إِسْقِنِيهَا وَالبَيْلُ فَرَعُ عَرُوسٍ زَيْنُوهُ بَدْرَةٌ وَجَانَهُ
 وَكَأَنَّ الجُوزَاءَ حِينَ تَهَاوَتْ فَارِسٌ مَالٌ عَنِ سِرَاةِ (٢) حِصَانِهِ
 وَقَالَ آخِرُ : وَكَأَنَّ الجُوزَاءَ وَاتْرُقُومُ أَخَذُوا وَتَرَمَّ بِقَطْعِ بَيْدِيهِ

(١) . . . غنى ، وهو في الطبقة الثانية من شعراء الجاهلية . (٢) سرادة كل شيء : أعلاه .

وقد استحسن قول العلوى الاصفهاني فيها :

وتلوحُ لي الجوزاءُ سكرى كما ناءتُ بها الجرباءُ كادتُ تنثنى
ونطاقها متراصفٌ في نظمه فكأنما انتطقتُ بقطعةِ جوشن
الجرباءِ اسم للسماء ، وفي الفاظها تكلف كما ترى والمعنى جيد .

وقلت : وليل أسود الجلبابِ داج كفرع الخودِ أوعينِ الغزالِ
كانَّ كواكبَ الجوزاءِ فيه زميلةٌ ^(١) مفعجةُ السبزالِ
تميس بالخلي قرط الثريا إذا انخفضتُ وتوجَّ بالهلل
ركبتُ صدورهُ وتركتُ خيلي توالى تحتَ أنجمه التوالى
ويخبطنَ الصباحَ إذا تبدى كما يكرعنَ في الماءِ الزلالِ
ومن ظريف ما قيل في الشعرى قول عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر :

أقولُ لما هاجَ شوقُ الدُّكرى واعترضتُ وسطَ السماءِ الشعرى
كانها ياقوتهُ في مدري ما أطولَ الليلَ بسرِّ مرِّى
وقد أكثروا من وصفها بالعبير وأخذوا ذلك من اسمها وهو العبور .

أحسن ما قيل في سهيل وبعده من الكواكب قول بعضهم :
ولاحَ سهيلٌ من بعيدٍ كأنه شهابٌ ينحيه عن الرُّمحِ قابسُ
وقال ابن المعتز :

وقد لاحَ للسايرى سهيلٌ كأنه على كلِّ نجمٍ في السماءِ رقيبُ

وأجود ما قيل في خفقانه واضطرابه قول جرير العود :

أراقبُ لمحا ^(٢) من سهيلٍ كأنه إذا ما بدا من آخر الليلِ مطرف ^(٣)
وقلت : وبسهيل رعدةُ المزوود ^(٤) وهو من الأُنجمِ في محيدِ
حلَّ محلَّ الرَّجَلِ الطريدِ

(١) في نسخة « زميرة ». (٢) في ديوان جرير العود « أراقب لوحا »

(٣) في ديوانه « بطرف ». (٤) أى المزور .

وقال ابن طباطبا في المعنى الأول :

كأن سهيلاً والنجوم أمامه^١ يعارضها راع أمام قطيع

أجود ما قيل في النسب الواقع قول الحماني :

وركب ثلاث كالأثافي تماوروا^٢ دُجى الليل حتى أو مضت سنة البدر

إذا اجتمعوا سميتهم^٣ باسم واحد وإن فرقوا لم يعرفوا آخر الدهر

وهو من الغز الملبح . ومن جيد ما قيل في الفرقدين قول ابن المعتز :

ورنا إلى الفرقدان كآرنت^٤ زرقاء تنظر من نقاب أسود

وفي الهجرة قول بعضهم :

كأن الهجرة جدول ماء نور الاقح في جانبيه

وقال ابن طباطبا :

مجرة كالماء إذ ترقوا^٥ شقت بها الظلاء برداً أزرقا

لباس تكلى وشيها المشقفا

ونقله إلى موضع آخر فقال :

كأن التي حول المجرة أوردت^٦ لتكرع في ماء هناك صيب

فوجدته متكلفاً جداً فقلت في معناه :

ليل كما نفص الغراب جناحه متبعم الأعلى بهيم الأسفل

تبدو الكواكب من فنون ظلامه لمع الأسننة من فتون القسطل

وترى الكواكب في المجرة شرعاً^٧ مثل الظباء كوارعاً في جدول

وقلت: تبدو الهجرة منجر ذوائبها كالماء ينساح أو كالإيم ينساب

وزهرة بازاء البدر واقفة كأنه غرضه ينحوه نشاب

أغرب ما قيل في صفة الهلال من الشعر القديم قول الأعرابي :

كأن ابن مزنته^٨ جانحاً قسيط لدى الأفق من خنصر

أي كأن ابن مزنته وهو الهلال لدى الأفق قسيط من خنصر والقسيط القلامة

وهذا البيت على غاية سوء الرصف . وقد أخذهُ ابن المعتز فحسّنه في قوله :
 ولاح ضوء هلال كادَ يفضحه مثل القلامة قد قدّت من الظفر
 وقال ابن طباطبا :

وقد غمض الغرب الهلال كأنما يلاحظُ منه ناظر ذات أشفار
 كأنّ الذي أبقي لنا منه أفقه قصيصُ سوارٍ أو قرأضةُ دينار
 ولا خير في رصف قوله * كأن الذي أبقي لنا منه أفقه *

ومن غريب ما قيل فيه وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلالُ فارقه ليلته بدا لمن يبصره وينعته

كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر فقال :

وقد بدا فوق الهلال كرته كهامة الاسود شابت لحيته

ومن أطرف ما قيل فيه قوله أيضاً :

أهلاً بفطرٍ قد أنارَ هلاله فالآن فاغدُ إلى المدام وبكر

وانظر اليه كزورقٍ من فضة قد أنقلته حمولةً من عنبر

وقال : في ليلة أكل الحماق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج

وقلت : لست من عاشق أضلّ السبيلا فسقى دمه الهطول طولاً

برد الليل حين هبت شمالاً فجمعت الصلاة فيها الشمولا

في هلال كأنه حبة الرمل أصابت على البقاع مقيلا

بات في معصم الظلام سواراً وعلى مفرق الدجى إكليلا

وقلت : وكؤوس إذا دجى الليل أسرت تحت سقف مرصع بالاجين

وكانّ الهلال مرآة تبرّ تنجلي كل ليلة أصبمين

هذا البيت يتضمن صفة من لدن هو هلال إلى أن يتم . وقلت في هلال شهر رمضان :

جلب المجاعة ضامرٌ بخل قد خلت فيه لضمفه سلا

طفلٌ ولكنَّ امرؤه عجبٌ
قد عاد بعد كهولةِ طفلها
قد كانَ حماً، ليلتين فلم
ترَ مثله طفلاً ولا حملاً
ومن العجائب أن يعودَ فتى
في سبع عشرة ليلة كهلاً
وقال السرى :

قم يا غلامُ فهاها في كأسها
كاللنارةِ في جنى نسرين
أومارأيت هلال شهرك قد بدا
في الأفق مثل شعيرة السكين
جعل الزجاج كأساً ولا يقال كأس إلا إذا كانت مملوءة ، ولا أعرفه سبق إلى هذا
التشبيه . وقال بعضهم :

والجوُّ صافٍ والهِلالُ مشنَّف
بالزُّهرة الزَّهراءِ نحو المغرب
كصحيفةٍ زرقاءَ فيها نقطةٌ
من فضةٍ من تحت نون مذهب
جعل النقطة تحت النون والعادة أن تكون فوقها .

وقلت : والبدر زينٌ للعيون هلاله
بيدو ويبدو النجمُ فوقَ جبينه
فرمقنَ منه حاجباً مقرونا
وكانَ جناحَ الليلِ ينقطُ نونا
وقد استحسنت للعلوى الأصفهاني قوله :

لاحَ الهلالُ فوَّيقَ مغربه
والزُّهرةُ الزَّهراءُ لم تغب
تهوى دوين مغيها فهوتُ
تبكى بدمع غيرِ منسكب
فكأنها أسماءٌ باكية
عند انفصام سوارها الذهب

ومن البديع قول الآخر :

لم أنس دجلةً والهوى مُتضرمٌ
فكأنها فيه رداءٌ أزرق
والبدرُ في أفق السماءِ مُغربٌ
وكانه فيها طرازٌ مُذهبٌ

حق الدجى ان تؤنث لانها جمع دجية . وقلت :

كانَ الهلالُ الشهرِ قطعة دملج
تلوحُ على أعضاء معتكر غاس
تري الزهرة الزهراء تهوى وراءه
كما مرَّ سهمٌ قاصدٌ نحو قرطاس

ومن أجود ما سمعته في الليلة المقمرة ما أنشدنيه أبو أحمد :

هل لك في ليلة بيضاء مقمرة كأنها فضةٌ ذابت على البلد
وقلت: كم قد تناولتُ اللذاز من كذب والدَّهر مسكونُ الحوادث والنوب
في ليلةٍ قراء تحسب أنها تلتقى على الآفاق أردية قصب
ومن البديع قول ابن المعتز :

ماذاقت طعم النوى لوتلدى كأنما جنبي على جمر
في قمر مشرق نصفه كئانه مجرفةُ العطر
فريسة للبق منوشة قد ضعفت كفي عن النصر
وقال في ذم القمر :

وبات كما سرَّ أعداؤه إذا رام قوتا من النوم شذ
تعززه شرراتُ البعوض في قمرٍ مثل ظهر الجرذ

﴿ الفصل الثاني من الباب السادس ﴾

(في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه)

فن أحسن ذلك قول ذى الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعته^(١) بأربعة والشخصُ في العين واحدُ
أحمُّ علافيُّ وأبيض صارمٌ وأعيسُ مهريُّ وأروع ماجد^(٢)
فأخذه ابن المعتز ونقله إلى ماهو أظرف لفظاً منه وهو قوله :

وليل كجلباب الشباب قطعتهُ بفتيان صدقٍ يملكون الأمانيا

جلباب الشباب أظرف من جلباب العروس .

(١) في الأصل (ودعته) والتصحيح من ديوان ذى الرمة :

(٢) أحم : أسود يعني الرجل ، علافي : منسوب إلى علاف حي من العرب يعملون
الرحال ، والأعيس : الأبيض يعني بعيره ، والمهري منسوب إلى المهرة حي من اليمن .

قالوا من أبلغ ما قيل في ظلمة الليل قول مضر بن ربيعي (١) .
 وليل يقولُ الناسُ من ظلماته سواء صحيجاتُ العيونِ وعورها
 كأنَّ لنا منه بيوتًا حصينةً مسوحاً أعاليها وساجِ كسورها (٢)
 وقريب من هذا قول الأعرابي : خرجنا في ليلة حندس قد ألفت على الأرض
 أكرعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نعرف إلا بالأذان . وقلت في هذا المعنى :

وليلة كرجائي في بني زمني مسودةً الوجه منسوباً إلى الفحم
 سددت على نظر الرائي منبهجه حتى تعارفَت الاشخاصُ بالكلم
 لا أسأمُ الجهدَ فيها أن أكابدهُ ولا ترى صاحبَ الحاجاتِ ذا سأم
 أحاولُ النجحَ في أمر أزاولهُ والنجح في دلجات الأينقي الرسم
 ومن جيد التشبيه قول أبي تمام :

إليك هتكنا جنحَ ليل كأنه (٣) قد اكتحلَّت منه البلادُ بأحمد
 أخذه من قول أبي نواس :

أبن لي كيف صرت إلى حريمي وحنح الليل مكتحلُّ بقار
 وقول أبي تمام أجود لأن الاكتحال بالأحمد لا بالقار، وأظرف ما قيل في ذلك
 قول مسلم بن الوليد :

أجدك ما تدرين أن رب ليلة كأنَّ دجاها من قرونك تنشر
 صبرت لها حتى تجلت بفررة كغفرةٍ يحبي يوم يذكر جعفر
 وقد طرف القائل في قوله :

لا تدغني لصبوح إنَّ الغبوقَ حبيبي
 فالليلُ لونُ شبابي والصبحُ لونُ مشيبي

ومن الاستعارة قول ذي الرمة :

(١) نسب البيتان في زهر الآداب إلى ابن محكان السعدي . (٢) في زهر الآداب .
 (مسوحاً أعاليها وساجاً) . (٣) كذا في ديوان أبي تمام ، والذي في الأصل (كأنما) .

وَدَوِيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ عَسَمْتَهَا وقد صبغ الليل الحصى بسوادٍ (١)
أخذه البحترى فقال وقصر :

على باب قنسرين والليلُ لاطخٌ جوانبهُ من ظلمةٍ بمداد
ليس البيت على السكة المختارة وقوله (لاطخ جوانبه من ظلمة بمداد) من بعيد
الاستعارة . وأخذ ابن أبي طاهر قول مسلم * كأن دجها من قرونك تنشر * فقال :

سقتني في ليلٍ شبيهٍ بشعرها شبيهةٌ خدَّيها بغيرِ رقيب
فوقع بعيداً عنه واختل في النظم وأقلق القافية . وقلت في معناه :

تسقيك في ليلٍ شبيهٍ بفرعها شبيهاً بعينها وشكلاً بخدَّها
فتسكر من عينٍ وكأسٍ ووجنةٍ تحييكَ أعقاب الكؤوس بوردها

ومن البديع في هذا المعنى قول ابن المعتز :

أرقت له والرَّكبُ ميل رؤوسهم يخوضون ضحضاح الكرى وبهم قره
علامٌ جليدُ الليل حتى كأنهم بزاةٌ تجلى في مراقبها قمرُ
إلى أن تعرَّى النجم من حلة الدُّجى وقال دليلُ القوم قد نعب الفجرُ
وقدوا أديمَ الفجر حتى ترفعت لهم ليلةٌ أخرى كما حوم (٢) النسرُ
وقال ديك الجن :

سيرضيك أنى مسخط فيك كاشحاً ومرتقبٌ هولان موت مرقبُ
وجانب ليل لو تعلق قطعة بقطعة صبح لانشت وهي غيبُ
وقلت : ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقا وأشعل فيه الفجر فهو محرق
وصبحنا صبحاً كأن ضياءه تعلم منا كيف يبهي ويشرق
وقال ابن المعتز :

نخلت الدُّجى والليلُ قد مدَّ خيطه رداءً موشى بالكواكب معلما
وهو من قول الله تعالى (الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الفَجْرِ)

(١) في الأصل تصحيف صححناه من ديوانه . (٢) في ديوان ابن المعتز (حلق) .

ومن أتم أوصاف الظلمة الذي ليس في كلام البشر مثله قول الله عز وجل
 (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ مِّمَّ ظُلُمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) وقال الأصفهاني العلوي:
 وَرَبِّ لَيْلٍ بَاتَتْ عَسَاكِرُهُ تَحْمَلُ فِي الْجَوِّ سَوْدَ رَايَاتٍ
 لَامِعَةٍ فَوْقَهَا أَسْنَتُهَا مِثْلَ الْأَزْهَابِ وَسَطْرَ رَوَضَاتٍ
 ولست أورد أكثر شعره إلا لاصابة معناه دون لفظه لأن أكثر لفظه متكاف
 وجل صنعته فاسد وهذا من العجب لأنه من أكثر الناس نقداً لشعر غيره وقد
 صنف كتاب عيار الشعر فأجاده وهو إذا أراد استعمال ما ذكرناه لم يكمل له
 فهو كالمن يشخذ ولا يقطع .

ومن أحسن الأارة في ذكر الليل قول ابن أبي فتن:

أقولُ وجنحُ الدُّجى ملبدٌ ولليل في كلِّ فوجٍ يدُ
 ونحنُ ضجيجان في مسجدٍ فله ماضن المسجد
 أبايلة الوصل لا تنفدى كما ليلة الهجر لا تنفد
 وياغدُ إن كنت لي راحماً فلا تدنُ من ليلى ياغد

وقال السري:

وشرُّ الصبحِ عنا الليلُ فانضحت سطورهُ البيضُ في راياته السود
 وقلت: ليل كفرع الخود تخلفه ضحى زهراً مثل عوارض الزهراء
 عبت بأنفاس الرِّياض كأنما نفص الرقيب غلالة الدلتاء
 وقلت: والليلُ يمشي مشيةً الوئيد في الخضر من لباسه والسود
 والصبحُ في أخراه ثاى الجيد

فأما أجود ما قيل في طول الليل من الشعر القديم فقول امرئ القيس:

وليل كوج البحر^(١) أرخى سدوله على أنواع الهوم ليتلى

(١) أى كوج البحر في شدة ظلمته .

قلتُ له لما تمطى بصلبه ^(١) وأردف أعجازاً وناء بكل كل
 ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ بصبح وما الاصبحُ منك بأمثل
 وهذا من أفصح الكلام وأبرعه إلا أن فيه تضييماً يلحق به بعض العيب
 وهو من أدل شيء على شدة الحب والهم لانه جعل الليل والنهار سواء عليه فيما
 يكابده من الوجد والحزن وجعل النهار لا ينقصه شيء من ذلك وهذا خلاف العادة
 إلا أنه دخل في باب القلوب . والذي أخبرنا بما في العادة الطرماح في قوله :

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا اصبح بصبح وما الاصبحُ منك بأروح
 فهذا معنى قول امرىء القيس ، ثم استدرك فقال :

على أنَّ للعنينِ في الصبحِ راحةً بطرحيهما طرفيهما كلَّ مطرح
 فجاء بما لا يشك أحد في صحته إلا أن لفظه لا يقع مع لفظ امرىء القيس
 موقعاً والتكلف في قوله * بطرحيهما طرفيهما كل مطرح * بين والسر اهة فيه ظاهرة .
 وقال ابن الدمينة في معنى قول الطرماح :

أظللُّ نهارى فيكم متعللاً ويجمعنى والهمُّ بالليلِ جامع

وقال المجنون :

يضمُّ إلىَّ الليلُ أطفالَ حبها ^(٢) كما ضمَّ أزرارَ القميصِ البنائِقُ

جعل ما ينشأ من الهم بالليل أطفالاً ، وفي هذا المعنى يقول النابغة :

كلينى لهمَّ يا أميمةُ ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

تطاول حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليل الذي يرعى النجوم ^(٣) يا آيب

وصدير أراح الليل عازب همهم تضاعف فيه الحزن من كل جانب

(١) وفي رواية « بجوزه » وهو ضعيف المعنى . (٢) في الاصل

« جبكم » وفي اللسان « حبها » وقال فيه : يروى « أثناء حبها » ويروى « أبناء

حبها » وأراد بالاطفال الاحزان المتولدة عن الحب . (٣) في ديوان النابغة

« يهدى النجوم » وهو الذى يتقدمها .

فجعل الهمَّ يأوى إلى قلبه بالليل كأنعم العازبة تريحها الرعاة مع الليل إلى
أما كتبها ، وهو أول من ذكر أن الهموم تتزايد بالليل . وقلت :

وذكرنيهِ البدرُ والليلُ دونهُ فبات بحدِّ الشوقِ والصبرِ يلعب
كذكرى الحى والحى فى منعج اللوى وذكر الصبا والرأس أخلص أشيب
فأزادُ فى جنح الظلامِ صبايةً فلا صعبَ إلا وهو بالليلِ أصعبُ
وقلت : ورأيتُ الهمومَ بالليلِ أدهي وكذاك السرورُ بالليلِ أعذب
وما استجدت من شعر أبى بكر الصولى فى معنى امرىء القيس قوله :

أسرَّ القلب فى هواه وسارا وتجنى على ظلماً وجارا
قهارى أراه للبعدِ ليلاً وأرى للسهادِ ليلى نهارا
أنتَ فرقتَ بالتفرُّقِ صبرى فأعرنى لمسا عراني اصطبارا
ويستجاد هذا بالاضافة إلى جملة شعره فأما لنفاسته لنفسه فلا .

وقال إسحق الموصلى فى معنى النابغة :

إنَّ فى الصبحِ راحةً لمحَبِّ ومع الليلِ ناشتاتُ الهمومِ
وهذه اللفظة مأخوذة من قول الله تعالى (إنَّ ناشئةَ الليلِ هى أشدُّ
وَظنًّا وأقومُ قبلاً) وقال طاهر بن على بن سليمان :

إذا لاحَ لى صبحٌ فهمى مقسمٌ وفي الليلِ هى بالتفرُّدِ أطول
وتعنى بعض المثقلين بالدين المبتلين بالفقر دوام الليل لما يلقى النهار من الغرماء
ولما يحتاج اليه من النفقة فى كل يوم فقال :

ألا ليتَ النهارَ يعودُ ليلاً فإنَّ الصبحَ يأتى بالهمومِ
حوائج لا تطيقُ لها قضاءً ولا رداً وروحات الغريمِ
قوله « ولارداً » من التتميم الحسن . وقال التنوخى فى طول الليل :
وليلة كأنها طولُ الأملِ ظلامها كالدهر ما فيه خللُ
كأنما الاصبحُ فيها باطلُ أزهقه اللهُ لحقِّ فبطلُ

ساعاتها أطولُ من يوم النوى وليلةِ الهجرِ وساعاتِ العذل
 موصدة على الورى أبوابها كالنار لا يخرجُ منها من دخل
 وهذا يستملح وان لم يكن مختاراً من التشبيه لأن إخراج المحسوس إلى
 ما ليس بمحسوس في التشبيه ردىء . ومن التشبيه الغريب في ذلك قول بعض العرب :
 ويوم كظلِّ الرشح قصرَ طولهُ دم الزقِّ عنا واصطكك المزاهر
 وقال البحترى :

وقاسين ليلاً دون قاسان لم تكد وأواخرهُ من بعد قطريه تلحق
 وقال ابن المعتز في نحوه :

وحت عليه ليلته أرحبيةً إذا ما صفا فيها الغديرُ تكدرًا
 بعيدة^(١) ما بين البياضين لم يكد يصدق فيها صباحها^(٢) حينَ بشرا
 وقال : بمخشية الاقطار حيلة الصدى معطلة الآيات محذورة القصد
 كأنَّ نجومَ الليلِ في حجراته دراهمُ زيف لم يجزن على النقد

يريد أن نجومه واقفة ليست تسير فكأنها دراهم زيفت ليست تنقد . وقد
 أبر بعض المحدثين على من تقدم حيث يقول في طول الليل على دناءة لفظه :

عهدي بنا ورداء الليل مُنسدل والليلُ أطولهُ كاللمح بالبصر
 والآن ليلي من باتوا فديتهم ليلُ الضريرِ فصبحي غير منتظر

وهذا أبلغ معنى من قول امرئ القيس الذي تقدم إلا أنه لا يدخل في مختار
 الكلام لا بتبدال لفظه وزيادته على معناه وسوء صنعتته ، والمعنى أن ليله ممدود

بلا انقضاء كالليل للضرير كله عند الضرير ليل . وقال على بن الخليل :

لا أظلم الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تعول
 ليلي كما شاءت قصيرٌ إذا جادت وإن ضنت فليلي طويلٌ

فأغار عليه ابن بسام فقال :

(١) في ديوان ابن المعتز المطبوع « طويلة » . (٢) في ديوانه (فجرها) .

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعى أن نجومَ الليلِ ليست تفرور
 ليلى كما شاءت فإن لم تزر طال وإن زارت فليلى قصير
 إلا أن بيته الثاني أحسن تقسيماً من بيت الخليل . وسمعت كافي الكفاة يقول
 لأبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد وقد أنشده * جُلُّهُمى وهمتي جُرجانُ *
 فقال هذا المصراع خطبه ، قال أبو هلال العسكري وأنا أقول إن قوله :
 ليلى كما شاءت خطبه . وقال سعيد بن حميد :

يا ليلى بل يا أبدُ أنائمُ عنك عَدُ
 وقال ابن الرومي وأحسن التشبيه * ليست تزول ولكن تزيد * وقلت :
 غابوا فلم أدر ما ألقى مس من الوجدِ أوجنون
 ليلى لا يبنتني براحاً كأنه أدم حَرُونُ
 أجيلُ في صفحته عيناً ما تتلقى لها جُفونُ
 وملح ابن الأحنف في قوله :

حدَّثوني عن النهار حديثاً وِصفوه فقد نسيتُ النهارا
 وقد أنبا بشار عن العلة التي يستطال لها الليل وهو السهر فقال :
 لم يطل ليلى ولكن لم أتم ونفى عنى الكرى طيفُ ألم
 ولا أرى في قلة النوم أجود من قول المجنون :

ونوم كحشر الطير بتنا ننوشه على شمع الاكوار والليل غاسق
 على أن زهيراً قد قال * وكصفقة بالكف كان رقادي * والاول أفصح .
 وأنبا المعجاج أيضاً عن العلة التي لها يطول الليل * تطاول الليل على من لم يرم *
 وقال بشار :

لخدك من كفيك في كل ليلة إلى أن ترى ضوء الصباح وساد
 وهذا مأخوذ من قول أبي ذؤيب * نام الخلى وبت الليل مشتجرا * والاشتجار
 وضع اليد على الخلد والاعتماد عليها وهو جلسة المتفكر :

نبيت نراعى الليل نرجو نفادهُ
 وقال : خليلي ما بال الدجى لا تزحزحُ
 وليس لليل العاشقين نفاذ
 ولكن أطال الليل هم مبرحُ
 وقال دبك الجن :

من نام لم يدري طال الليل أم قصرا
 وقد أجاد ابن طباطبا العلوى القول فى طول الليل وهو :
 كأن نجوم الليل سارت نهارها
 فخيمن حتى تستريح ركابها
 ما يعرف الليل إلا عاشق سهرها
 فلا فلك جار ولا فلك سارى
 وذكر خالد الكاتب^(١) أنه ليس يدري أطال ليله أم قصر لتخيره وتبلده فقال :
 لست أدري أطال ليلى أم لا
 لو تفرغت لاستطالة ليلى
 كيف يدري بذاك من يتقلى
 ولرعى النجوم كنت مخلى
 وتبعه أبو بكر الصولى فقال :
 وطولت ليلى لو دريت بطوله
 وقال بشار :

طال هذا الليل بل طال السهر
 لم يطل حتى دهانى بالهوى
 ولقد أعرف ليلى باقصر
 ناعم الأطراف فإن النظر
 فكان المهجر شخص مائل
 كلما أبصره النوم نفر
 وقت : صيرنى البين عرضة الحين
 لا أربح الله صفقة البين
 قد طال يومي ولبتى بهم
 لما يزالا بهم قصيرين
 كان قليلاً لدى مكثهما
 فكنت أدعوها الجديدين
 فطال بعد الحبيب لبثهما
 فصرت أدعوها عتيقين

(١) هو خالد بن يزيد ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد

كتاب الجيش فى أيام المعتصم العباسى . أكثر شعره فى الغزل .

وقال آخر :

بالييلة طالت على عاشقي منتظرٍ في الصبح ميعادا
كادت تكون الحول في طولها إذا مضى أولها عادا
أجود ما قيل في قصر الليل وأشدّه اختصاراً قول ابراهيم بن العباس :
وليلة من الليالي الزهر قابلتُ فيها بدرها يبدرى
لم تك غيرَ شفيقٍ وفجر حتى تولّت وهي بكرُ الدهرِ
وقال غيره : وليلة فيها قصر عشاؤها مثل السحر

وهذا على غاية الاختصار . وقال العلوّى الاصفهاني في قصر الليل واليوم :
ويوم دجنٍ ذو ضمير متهم مثل سرور شابه عارض غم
صحوه وغيمه وضياءه وظلمه كأنه مستعر قد ابتم
مازالت فيه عاكفاً على صنم مهيف الكشح لذيد الملتزم
تفاحه وقف على اثم وشم وبانه وقف على هصرٍ وضم
ياطيه يوم تولى وانصرم وجوده من قصر مثل العدم
وقلت : قصر العيش بأكناف الغضا وكذا العيش إذا طاب قصر
في ليل كآباهيم القطا لست تدري كيف تأتي وتمرّ
وقلت : إذا البرق من شرقي دجلة ينبري على صفحات البارق المتألق
أشبهه دهرأً أغرّ محجلاً فقمنا به في ظلّ فينان مورك
فرّ كرجع الطرف ليس يمسه حنينٌ إلى مخبورة المتعشق
وقد يعرض الحذور من حيث يرتجى ويمكنك المرجو من حيث تتقى

أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن سعيد عن أبي عكرمة قال أنشدت

اعرابياً قول جرير :

أبدّل الليل لانسرى كواكبهُ أم طال حتى حسبت النجم حيرانا
فقال هذا حسن وأعوذ بالله منه ولكن أنشدك في ضده من قولي وأنشدني :

وليـل لم يقصره رقاد وقصره لنا وصل الحبيب (١)
 نعيم الحب أوردق فيه حتى تناولنا جناه من قريب
 بمجلس لذة لم نقو فيه على الشكوى ولاعد الذنوب
 بخلنا أن نقطعه بلفظ فترجت العيون عن القلوب
 فقلت له زدني فما رأيت أظرف منك شعراً ، فقال أمانن هذا فحسبك
 ولكن غيره وأنشدني :

وكنت إذا عقلتُ جبال قوم صحبتهم وشيمتي الوفاء
 فأحسن حين يحسن محسنوهم وأجتنب الاساءة إن أساؤا
 أشاء سوى مشيئتهم فآتى مشيئتهم وأترك ماأشاء
 وأنشدنا عن محمد بن يزيد :

لله ليلتنا بجور سوية والعيش غض والزمان غرير
 طابت فقصر طيبها أيامها فكأنما فيها السنون شهرور

وأنشدنا عن عون بن محمد بن إسحق الموصلي :

ظلنا في جوار أبي الجناب بيوم مثل سالفه الذباب
 يقصره لنا شغف التلاقي ويوم فراقنا يوم الحساب

وأخبرنا عنه عن محمد بن الحسن أبي الحسن العتابي عن عيسى بن اسماعيل
 قال سمعت الأصمعي يقول قرأت على خلف شعر جرير فلما بلغت إلى قوله :
 ويوم كابها المقطاة محجب إلى هواه (٢) غالب لي باطله
 رزقنا به الصيد العزيز ولم نكن (٣) كمن نبه محرومة وجبائله
 فيالك يوم خيره قبل شره تغيب واشبه وأقصر عاذله

(١) في زهر الآداب « وقصر طوله وصل الحبيب » . (٢) في زهر الآداب

« إلى صباه » . (٣) في الأصل (الصعد الغزير ولم يكن) .

فقال وبيله وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ فقلت كذا قرأته على أبي عمرو ، قال صدقت وقال كذا قال جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع ، قلت كيف كان يجب أن يقول؟ قال الأجود له لو قال * فيالك يوماً خيره دون شره * فاروه هكذا ، وكانت الرواة قديماً تصلح من شعر القدماء ، فقلت والله لا أرويه بمدها إلا هكذا .

ومثل ذلك أن أبا الفضل بن العميد أنشد قول أبي تمام :

وكشفت لي عن صفحة الماء الذي قد كنت أعهدُه كثير الطحلب

فقال إنما قال (عن جلد الماء) فقال إذا أمكن أن يصلح قصيدته بتغيير لفظة فمن حقها وحق قائلها أن تغير . قال أبو هلال وبين الصفحة والجلدة بون بعيد . وقال ابن طباطبا :

بأبي من نعمت فيه يوم لم يزل للسرور فيه نمو
يوم لهو قد التقي طرفاه فكان العشي فيه غدو

ومن قول إبراهيم بن العباس والناس يروونه لغيره :

ليلة كاد يلتقي طرفاها قصرأ وهي ليلة الميلاد
وقلت : وطال عمرك في دهر به قصر تمدد فيه شهور العيش أياما

وقال القصاني :

ذكرتكم ليلاً فنور ذكركم دجى الليل حتى انجاب عنا دياجره
فوالله ما أدرى أضوء مسجر لذكركم أم يسجر الليل ساجره
وبت أسقى الشوق حتى كأننى صريع مدام لم ينهنه دائره
وظلت أكف الشوق لما ذكرتكم تمثل لي منكم خيالاً أسايره
فلو كنتم أقصى البلاد لزرتكم إلى حيث يعي ورده ومصادره
أرى قصرأ بالليل حتى كأنما أوائله مما تدانى أواخره

وقد أحسن ابن المعتز في صفة ليلة طيبة فقال :

يا ليلة نسي الزمانُ بها احداًهُ كوني بلا فجر
 راح الصباحُ يبيدها ووشت فيها الصبا بمواقع القطر
 ثم انقضت والقلبُ يتبعها في حيث ماسقت من الدهر
 وقلت : وصلت نعم ولكن صلةً تشبه اللحظة في اتقاها
 لستُ أدري أتممتُ بها أم بزور الزور من خيالها
 ومضى الليلُ سريعاً مثلها أنشطت دهاء من عقلمها

﴿ الفصل الثالث من الباب السادس ﴾

في ذكر الصباح والشمس والنهار ومايجرى مع ذلك

أجود ما قيل في الصباح من شعر الاعراب : أخبرنا أبو أحمد أخبرنا أبو بكر
 ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال نزلت بقوم من عُغَي وقد جاوروا
 قبائل من بني عامر بن صعصعة^(١) فحضرت ناديمهم وهناك شيخ طويل الصمت
 عالم بالشعر^(٢) قد جعل الناس يأتونه من كل ناحية فيجلسون اليه وينشدون
 أشعارهم فإذا سمع الشعر الجيد قرع الارض بمحجنه فينفذ حكمه على من حضر منهم
 بشاة^(٣) إذا كان ذا غنم وابن مخاض ان كان ذا إبل فذبح أو نحر لأهل الوادي
 فقال حضرتهم يوماً والشيخ جالس فأنشده بعضهم يصف القطا :

غَدَت في رعيلى ذى أداوى منوطة بلباتها مربوعة^(٤) لم تمـرـخ^(٥)

إذا مسـرـبـخ عطت^(٦) مجالسـرائه تمطت فخطت بين أرجاء سربخ

فقرع الشيخ الأرض بمحجنه وهو صامت ، ثم أنشده آخر يصف ليلة^(٧) :

(١) في الأصل (من بني صعصعة) . (٢) في أمالى القالى زيادة (وأيام الناس)

(٣) في الأمالى (فينفذ حكمه على من حضر بيكر للنشد ، وإذا سمع مالا يعجبه

قرع رأسه بمحجنه فينفذ حكمه عليه بشاة) . (٤) في الاصل (مدبوغة)

(٥) تمرخ أى تسلين . (٦) السربخ : الأرض الواسعة ، وعطت : شقت .

(٧) في الأصل (يصف إبلا) والاستدراك من الأمالى .

كأنَّ شَمِيطَ الصَّبْحِ فِي أُخْرِيَاتِهَا مُسَاءً يُنْقِي مِنَ طَيِّالِ السَّيِّئِ خُضْرًا
تُحَالِ بَقَايَاهَا الَّتِي أُسَارَ (١) الدُّجَى تَمُدُّ وَشِيمًا (٢) فَوْقَ أَرْدَبَةِ الْفَجْرِ
فَقَامَ الشَّيْخُ كَالْمَجْنُونِ مُصَلِّئًا سَيْفَهُ حَتَّى خَالَطَ الْبَرْكَ (٣) فَجَعَلَ يَضْرِبُ بِيَمِينًا
وَشِمَالًا وَهُوَ يَقُولُ :

لَا تُفْرَغَنَّ فِي أُذُنِي بَعْدَهَا مَا يَسْتَفْزُهُ فَارِيكَ فَقَدَهَا
إِنِّي إِذَا السَّيْفُ تَوَلَّى نَدَّهَا لِأَسْتَطِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ رَدَّهَا

قال أبو هلال رحمه الله تعالى وهذا دليل على أن علم الشعر والتمييز بين جيده
ورديته كان غريزاً عند أهل البوادي وهم أصوله ومنبعه ومعدنه ، وكان فعل هذا
الشيخ واستفزاز جيد الشعر له قريباً مما روى عن محمد الأمين أنه قال إني لأطرب
على حسن الشعر كما أطرب على حسن الغناء .

ومن غريب ما قيل في الصبح من الشعر القديم قول ذى الرمة ، وقد أجمع الناس
على أنه أحسن العرب تشبيهاً :

وَقَدْ لَاحَ لِلسَّارِي الَّذِي كَمَلَ الشَّرَى عَلَى أُخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَى مُشَهَّرًا
كَلَوْنَ الْحِصَانِ الْأَنْبِطِ الْبَطْنِ قَائِمًا تَمَائِلَ عَنْهُ الْجِلُّ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ
وهذا أحسن تشبيهه وأكمله ، الأنبط : الأبيض البطن ، شبه بياض الصبح تحت

حمرته بياض بطن فرس أشقر . أخذه ابن المعتز فقال :

وَمَارَاعَنَا إِلَّا الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ جَلالُ قِبَاطِيٍّ عَلَى فَرَسٍ وَرَدٍ

وقال أو قال غيره :

بَدَا وَالصَّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بِادٍ كَمَهْرٍ أَشْقَرٍ مَرخِي الْجَلالِ

ومن أغرب ما قاله محدث فيه قول ابن المعتز :

(١) السُّورُ: البقية والفضلة، يقال إذا شربت فأسئر . (٢) الوشيمة : لفيفة من
غزل، وتسمى القصبة التي يجعل النساج فيها لحمه الثوب للنسج وشيمة . (٣) البرك
إبل أهل الحواء بالغة ما بلغت، وقيل البرك الإبل البروك، وقيل البرك: ألف بعير .

وقد رفع الفجرُ الظلامَ كأنهُ
ظليمٌ على بيضٍ تكشفَ جانبه
وقد أبدعَ أيضاً في قوله :

قد اغتدى والليلُ في جلبابه
كالهشبي قَرٌّ من أصحابه
والصبحُ قد كشفَ عن أنيابه
كأنما بضحكُ من ذهابه
وقال أبو نواس :

فممتُ والليلُ يجلوهُ الصباحُ كما
جلا التيسمُ عن عُزِّ الثنيات
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه .

وقال : لما تبدى الصبحُ من حجابهِ
كطلعةِ الأشمطِ من جلبابه
وهذا من قول الآخر : كطلعةِ الأشمطِ من بردِ شملٍ * وقال ابن المعتز :
ولقد قفوتُ الغيثَ ينطفُ دجنه
والصبحُ ملتبسٌ كهينِ الأشهلِ
وقلت : باكرتها والخيلُ في البكورِ
والصبحُ بالليلِ مكوثِ النورِ
كما خلطت المسكُ بالكافورِ

وقال ابن المعتز :

أما ترى الصبحَ تحتَ ليلته
كموقدِ باتٍ ينفخُ الفحما
وقال : والليلُ قد رَقَّ وأصفى نجمهُ
واستوفز الصبحُ ولما ينتقب
معتزاً بفجره في ليلة
كفريسٍ بيضاء دهاء اللب
وقال العلوي وأجاد المعنى :

والصبحُ في صفحِ الهواءِ مورِّدٌ
مثل المدامةِ في الزُّجاجِ تشعشع
وقلت : إلى أن طوي بنا اليومَ إلا بقيةً
يضلُّ ضياءُ الشمسِ عنها فيزلق
وجلل وجه الشمسِ بردٌ ممسكٌ
وقابلهُ للغربِ بردٌ ممسكٌ
فلاح لنا من مشرقِ الشمسِ مغربٌ
وبان لنا من مغربِ الشمسِ مشرقٌ
ومدَّ علينا الليلُ ثوباً منمقاً
وأشعل فيه الفجرُ فهو يحرق
وصبحنا صبحٌ كأنَّ ضياءهُ
تعلم منا كيف يهوى ويشرق

وقلت : ركبت أعجاز ليالٍ مظلمة مطرقاتٍ بالصباح معلمه
 أخطرُ في بردتها المسهمه والرَّوضُ في حلتِه المنمنمه
 قد نثر الليلُ عليه أنجمه والنبتُ قد دَنَرَهُ ودرهمه
 وقدوشى رداءهُ ورقمه

وقال بعض الاعراب :

والليلُ يطردُهُ النهارُ ولا أرى كالايلِ يطردُهُ النهارُ طريدا
 وتراهُ مثل البيتِ مالَ رواقهُ هتكِ المقوصِ شره الممدودا
 وهذا شعر مطبوع . وقال أبو نواس :

قد اغتدى والليلُ في حريمه معسكر في العزِّ من نجومه
 والصبحُ قد نسَم في أديمه يدعهُ يطرُّ في حيزومه
 دعى الوصى في قفا يتيمه

ومن الاستعارة المصيبة في صفة الصبح قول سالم بن وابصة :

على حين أثنى القومُ خيراً على السرى وطارَ بأخرى الليلِ أجنحة الفجر
 والنصف الأول من قول الآخر * عند الصباح يحمد القوم السرى *
 وقال العلوي الاصفهاني :

وليل نصرمت النى فيه على الرشد وأعديت فيه الهزل منى على الجد
 وضيعت فيه من عناقِ معانقي فظنَّ وشاقى أنى نائمٌ وحدى
 الى أن تجلى الصبحُ من خلل الدُّجى كما انخرط السيفُ اليمني من النعد
 وقلت : حتى أزال الصبحُ فاضلَ ذيله كالنيلِ يخطرُ في نوادى يعرب

وقد أحسن ابن المعتز في صفة النجم يبدو في حمرة الفجر حيث يقول :

قد اغتدى على الجياد الضمر والصبحُ قد أسفرَ أولم يسفر
 كأنه غرَّةُ مهرٍ أشقر حتى بدا في ثوبه المصفر
 ونجمه مثل السراج الأزهر

وقال الشمردل بن شريك^(١) :

ولاح ضوء الصبح فاستبيننا
وقال التنوخي: والثرثيا كدواء
وبدا الفجرُ كسيفٍ
وقلت: أديرأعلى الكأس والليل راحل
ترفع عنه منكب الليل فانجلى
وقال التنوخي :

وبدا الصبح كالحسام علاه
وقال: أسامره والليل أسود أورق
تبسم محمراً خلال سواده
ومن حسن الاستعارة في الشفق قول ابن المعتز :

ساروا وقد خضعت شمس الأصيل لهم حتى توقد في جنح الدجى الشفق
لحاجة لم أضاجع دونها وسنا وربما جر أسباب الكرى الأرق
وأبرع بيت قيل في الصبح من شعر المحدثين قول ابن المعتز :
والصبح يتلو المشتري فكأنه عُريان يمشى في الدجى بسراج
والناس يظنون أنه ابتداءه وابتكره وإنما أخذه من قول ابن هرمة في
وصف السحاب والبرق :

تؤام الودق كالزأحـف يزجي خلف اطلاق
صدوق البرق كالسكران يمشى خلفه الصاحي
كأن العازف الخنى أو أصوات نواح
على أرجائه والبرق يهديه بمصباح
وهذا البيت مضطرب الرصف مضمن لاخير فيه والمعنى بارد .

(١) شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية كان في أيام جرير والفرزدق .

ومن أطرف ما قيل في الليالي الطيبة قول ابن المعتز :

تلتقطُ الأَنفاسُ بردَ الندى فيه فتهديهِ حرُّ الهومِ
وقلت: وقد غدوتُ وصبغَ الليلَ منتقص وغرَّةَ الصبحِ مصقولٌ حواشيها
وغربت أنجمُ الظلماءِ وانحدرتُ فسالَ أرجلها وأنحطَّ أيديها

فأما أجود ما قيل مما أنشدناه أبو القاسم عن عبد الوهاب عن المقدي عن أبي جعفر عن ابن الاعرابي قديماً في صفة الشمس فقال وهو أحسن وأتم ما قالته العرب فيها :

مخبأةٌ أما إذا الليلُ جنها فتخفي وأما بالنهارِ فتظهرُ
إذا انشقَّ عنها ساطعُ الفجرِ فانبجلى دُجى الليلِ وأنجابَ الحجابُ المسترِ
وألبسَ عرضَ الأرضِ لوناً كأنه على الأفقِ الشرقيُّ ثوبٌ معصفرُ
ولون كدرع الزعفرانِ مشبه شعاعِ يلوح فهو أزهرُ أصفرِ
إلى أن علتُ وأبيضَّ عنها اصفرارها وجالتُ كما جالَ المليحُ المشهرِ
تري الظلَّ يطوى حينَ تَعْلُو وتارةً تراهُ إذ امالتُ إلى الأرضِ ينشرِ
وتدنف حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا واتُ لمن يتبصرِ
وأفنت قروناً وهي في ذلك لم تزل تموتُ وتحيَا كلَّ يومٍ وتنشرِ

وأنشدناه أيضاً أبو أحمد عن الصولي عن علي بن الصباح عن ابن أبي محلم علي

غير ما تقدم هنا أخذ ابن الرومي قوله * وقد جعلت في مجنح الليل تمرض *

ومن بديع ما قيل في انقلابها عند الغروب قول الراجز :

صبَّ عليه قانصٌ لما غفلُ والشمسُ كالمرآة في كف الأشلِ
ونحوه قول أبي النجم * وصارت الشمس كمين الأحولِ *
ولأعرابية تذكر السحاب :

تطالعي الشمسُ من دونها طلاع فتاة تخافُ اشتهارا
تخافُ الرقيبَ على سرِّها وتحذرُ من زوجها أن يفارا

فستَرُ غُرَّتْهَا بِالْحَمَارِ
وقال ابن المعتز وأغرب :

تظلُّ الشمسُ ترمقنا بلحظ
تحاولُ فتقَ غيمٍ وهو يأبى

وقال ابن طباطبا :

وأقديت عين شمس فحكت
وقلت: فيا بهجة الدنيا إذا الشمس أشرقت
يفضضُ منها الجوُّ عندَ طلوعها
وتحسبُ عين الشمسِ اذهى رفعتُ
وقلت في يوم صحو :

ملا العميونَ غضارةً ونضارةً
والشمسُ واضحةً الجبين كأنها
وكأنها عندَ انبساط شعاعها
جرتُ إذا بكرت ذبولَ مزعفرٍ
فشربتها عذراءَ من يدِ مثاها
وقال ابن طباطبا :

وشمس تجلت في رداءٍ معصفر
وقال ابن المعتز فيها عند غروبها :
حتى علا الطود ذبل من أصائله
وقال أبو نواس :

قد اغتدى والشمسُ في حجابها
وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

طوراَ وطوراَ تزيل الحمارا^(١)
خفى مدنف من خلفِ سترِ
كمنين يريدُ نسكاحَ بكر

من خللِ الغيمِ طرفَ عشاء
كما أشرقت فوق البرية زيب
ولكنَّ وجهَ الارض فيها مذهبُ
على الافقِ الغربيُّ شبراً يذرب

صحوً يطالعنا بوجهٍ مونقِ
وجهُ المليحة في الحمار الأزرق
تبرُّ يذوبُ على فروع المشرق
وتجرُّ إن راخت ذبولَ ممشق
تحكى الصباح مع الصباح المشرق

كأسماء إذ مدت عليها إزارها
كما يصفر فودى رأسه الحرف

مثل الكعابِ الخودِ في نقابها

(١) ستأتى هذه الأبيات قريباً في أوائل الجزء الثاني .

كَانَ خَبْوَةً^(١) الشَّمْسِ ثُمَّ غَرَوِ بِهَا وَقَدْ جَمَلَتْ فِي مَجْنَحِ اللَّيْلِ تَمْرَضُ
تَخَاوَسَ عَيْنَ بَيْنِ أَجْفَانِهَا الْكُرَى يَرْتَقُ^(٢) فِيهَا النَّوْمُ ثُمَّ تَعْمَضُ
وَمِنْ جِيدِ مَا قِيلَ فِي أَحْرَارِهَا عِنْدَ الْمَغِيبِ قَوْلُ ابْنِ الْحَاجِبِ :
وَكَانَهَا عِنْدَ الْغُرَى بِ جُنُونِ عَيْنِ الْارْمَدِ

وقال ابن الرومي وهو من المشهور :

إِذَا رَنَقَتْ^(٣) شَمْسُ الْأَصِيلِ وَنَفَضَتْ عَلَى الْأَفْقِ الْغَرْبِيَّ وَرَسًّا مَذْعَدًا^(٤)
وَوَدَّعَتْ الدُّنْيَا لِتَقْضَى نَجْبَهَا وَشَوَّلَ بَاقِي عَمْرَهَا وَتَشَعُّشَعَا
وَلَا حِظَّ النَّوَارِ وَهِيَ مَرِيضَةٌ وَقَدْ وَضَعَتْ خَدًّا عَلَى الْأَرْضِ أَضْرَعَا
كَالْمُحَظَّتِ عَوَادَةَ^(٥) عَيْنِ مُدْنَفٍ تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَا
وَزَلَّتْ عَيُونَ الرَّوْضِ^(٦) تَخْضَلُ بِالْمَنْدَى كَمَا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لِتَدْمَعَا
وَبَيْنَ إِغْضَاءِ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا كَأَنَّهُمَا خِلَا صَفَاءٍ تَوَدَّعَا
وقال الآخر :

وَالشَّمْسُ تُؤْذَنُ بِالشَّرُوقِ كَأَنَّهُا خَوْدٌ تَلَا حِظُّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
وقال السري :

وَمِنْ قِصُورِ عَلَيْهِ مُشْرِفَةٌ^(٧) تَضِيءُ وَاللَّيْلُ أَسْوَدُ الْحِجَابِ
يَبِضُّ إِذَا الشَّمْسُ حَانَ مَغْرِبُهَا حَسِبْتَ أَطْرَافِنَّ مِنْ ذَهَبِ

-
- (١) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « جثو » .
(٢) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل (يرفق) .
(٣) كذا في ديوان ابن الرومي المخطوط ، وفي الأصل « إذا أرفقت » .
(٤) الورس : نبات كالسهم ، ومذعدعا : متفرقا .
(٥) في الأصل « عوادها » .
(٦) في ديوان ابن الرومي « عيون النور » .
(٧) كذا في ديوان السري ، وفي الأصل « على مشرفة » .

ومن بديع ما قيل فيها من شعر المتقدمين قول أبي ذؤيب :
سبقت إذا ما الشمسُ عادت^(١) كأنها صلاة طيبٍ يطها واصفرارُها

ومن جيد ما قيل في النهار قول أعرابي :

فاذا أشرقَ النهارُ تراها راملات في مثل ماء زلال
وقلت : ويخبطنَ الصباح إذا تبدى كما يكرعنَ في الماء الزلال
وقلت : وعلى الصباح غلالةٌ فضيةٌ فيها طرازٌ من خيالك مُذهب

آخر الباب السادس والحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وعلى آله وصحبه أجمعين .

(انتهى الجزء الأول)

(إستدراكات وتصويبات)

الصفحة	السطر	
٥٨	١٦	هذا البيت يجب أن يكون قبل سابقه .
٦٠	١٩	يقول كان المأمون يتعصب للاوائل من الشعراء ويقول انقضى الشعر مع ملك بنى أمية ، وكان عمي الفضل بن سهل يقول الاوائل
٦٣	١٦	وقال غيره
١٥٩	١١	علمت بأن الناب ليست رزية
١٩٨	١٣	من صخر تدمر أو من وجه عثمان

(١) في ديوان أبي ذؤيب « أضت » .

﴿ فهرس الجزء الأول من ديوان المعاني ﴾

	الصفحة
ترجمة المؤلف .	٢
صورة آخر النسخة الشنقيطية .	٦
مقدمة الديوان .	٧
أحسن ما قيل في وصف شعر .	٨
النضر بن شميل والمأمون، والكلام على « سداد » .	١٠
أحلب بيت قالته العرب .	١٠
أنصف بيت قالته العرب ، أقنع بيت للعرب .	١١
أبواب ديوان المعاني .	١٤
الباب الأول : في المديح والتهاني والافتخار .	١٥
الفصل الأول : في المديح .	١٥
الفصل الثاني : في الافتخار .	٧٦
الفصل الثالث : في التهاني .	٩١
الباب الثاني : في أوصاف خصال الانسان المحموده من الجود والشجاعة والعلم والحلم والحزم والعقل ، وما يجري مع ذلك .	١٠٣
الباب الثالث : في المعاتبات والهزاء والاعتذار .	١٥٧
الفصل الأول : في المعاتبات .	١٥٧
الفصل الثاني : في الهزاء .	١٧٠
الفصل الثالث : في الاعتذار .	٢١٦
الباب الرابع : في التشبيب وأوصاف الحسان وما يجري مع ذلك .	٢٢٢
الباب الخامس : في صفات النار والطبخ وألوان الطعام ، وفي ذكر الشراب وما يجري مع ذلك .	٢٨٦
الفصل الأول : في ذكر النار .	٢٨٦
الفصل الثاني : في ذكر ألوان الطعام .	٢٩١
الفصل الثالث : في وصف الشراب .	٣٠٥

- ٣٣٢ الباب السادس : في وصف السماء والنجوم والليل والصبح والشمس والقمر ومايجرى مع ذلك .
- ٣٣٣ الفصل الاول : في ذكر النجوم .
- ٣٤٢ الفصل الثاني : في ذكر ظلمة الليل وطوله وقصره ، وما يجرى مع ذلك من سائر أوصافه .
- ٣٥٤ الفصل الثالث : في ذكر الصباح والشمس والنهار ، ومايجرى مع ذلك .

﴿ استندراكات وتصويبات ﴾

الصفحة السطر

- ٢٠٣ ٢٠ نصب اسمعيل بن نوبخت طارمة في صحن
- ٢٠٤ ١٩ وما قيل في قبح الحلقة وغير ذلك
- ٢١٥ ٤ لا تحدعنه بأثواب مصبغة
- ٢٣٧ ١٠ وغدا فم عليه عند رقيه
- ٢٤١ ١١ كأن على أنيابها الخمر شجها
- ٢٤٩ ١ وعانقت حلق من صدغه حلقا
- ٢٦٥ ٩ لو كانت الأشياء تعرفه أجلته اجلال باريها
لو تستطيع الأرض لاجتمعت حتى يكون جميعه فيها
- ٢٧١ ٢٣ أسر اذا بليت وذاب جسمي
- ٢٧٦ ١٥ ان الذي يعشق من لا يرى كيت من شدة الغلبة
- ٢٩٣ ٧ يقشر جلدأ منه كالنضار
- ٣٠٠ ٦ ظلت تبكي شجو ما أبصرت من أمرنا وهي به عالمه
- ٣١٤ ٧ هذا الشعر للمخبل اليشكري لا للاختل
- ٣١٥ ١٣ انها عندي وأحلام الكرى
- ٣١٩ ٥ كما أنك تابع وأنا قرين فعلبه
- ٣٢٣ ٢٢ أكرم ذخر ذخرته كرمه في عنبه
- ٣٢٤ ١١ فأت ننف الهم عنا

(إختلافات نسخة المتحفة البريطانية وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الأول)
وأكثرها من استدراك المستشرق الأستاذ الدكتور كرتكو

الصفحة السطر					
١٢	٣٢	١٢	٣٢	١٢	٣٢
١٢	٣٣	٥	٣٣	١١	١١
٧	٣٣	٧	٣٣	٥	١١
١٣	٣٣	١٣	٣٣	٨	١١
١٤	٣٣	١٤	٣٣	١٥	١١
١٦	٣٤	١٦	٣٤	١٨	١١
٧	٣٥	٧	٣٥	١	١٢
١٦	٣٥	١٦	٣٥	٣	١٢
٥	٣٨	٥	٣٨	١٦	١٢
١٤	٤٠	١٤	٤٠	١٩	١٢
١٦	٤٠	١٦	٤٠	١٠	١٨
١٢	٤١	١٢	٤١	١٤	١٨
٩	٤٤	٩	٤٤	١٢	٢٠
١٩	٤٤	١٩	٤٤	١٧	٢٠
٥	٤٧	٥	٤٧	١٨	٢٠
٨	٤٧	٨	٤٧	٢	٢١
٣	٥٧	٣	٥٧	٥	٢١
١٣	٥٨	١٣	٥٨	٨	٢١
٢١	٦٠	٢١	٦٠	١٠	٢١
١٩	٦٠	١٩	٦٠	١١	٢١
١١	٦١	١١	٦١	١	٢٢
٢٠	٦٣	٢٠	٦٣	٢	٢٣
٣	٦٥	٣	٦٥	٧	٢٣
٢٢	٦٥	٢٢	٦٥	١٥	٢٥
٤	٦٦	٤	٦٦	٢	٢٦
٩	٦٦	٩	٦٦	٧	٢٧
١١	٦٦	١١	٦٦	١٧	٢٧
١١	٦٦	١١	٦٦	١٨	٢٧
٥	٦٨	٥	٦٨	٧٠: ٦٨٠	٢٨
١٩	٦٨	١٩	٦٨	٤	٣٠
١٥	٧١	١٥	٧١	١٠	٣١

شيمت	٩	٤٩	أن يحل به	٤	١٥٣	اقتفروا	١٥	٩٧
وما ظلم	٦	٥٠	وبادرت منه	٦	١٥٣	ولشأوه	١	١٠٠
ويمرع	٧	٥٣	زفر	١٦	١٥٥	تجلى لك	١٧	١٠٠
وتدولا. وعتودا	١٠	٥٤	راضى سنة	١٢	١٥٨	من مواليه	٦	١٠٢
مد العلاء	٧	٥٥	بجنب الستار	١٠	١٥٩	ويلقيك ثواب	٢٠	١٠٢
خدى	٢٠	٥٦	بطائشة الصدور	١٧	١٧٠	إنك	٥	١٠٦
مذهبه	٧	١٤٥	دوبل .. دوبل	١١	١٧٣	بلبال	٢٢	١٠٦
عليم بن جناب	١٨	١٤٩	يزقق	٢٢	١٧٥	آلف	١٠	١٠٩
سعيد بن مسلم	٢٠	١٥٠	جذمة	٢	١٧٦	يواكب	٣	١١٠
بذى شكر	٧	١٩٦	تغلب	٧	١٧٦	تقديتها	٩	١١٠
نحوى جمية	٨	١٩٦	به الدعى	١٦	١٨١	مجدلا	١	١١١
فى التطير	١٩	١٩٦	تكن لتكون	٣	١٩٨	بمالم	٢	١١١
وأدغمت أبا	١١	١٩٩	أمين	١٠	١٩٨	أغشى	٣	١١١
ثنتنى عنك	١٥	١٩٩	الدار يطوف	٢	٢٠٦	أخم	٧	١١١
فيه مذزمان	٦	٢٠١	غادر الرفض	١٥	٢١٣	مادلك	٢٠	١١١
ظهاره سوء	٧	٢٠١	وقعتما للحين	١٨	٢١٣	الصقعب النهدى	١٣	١١٢
كما تزيد	١٧	٢٠١	زوراذوى السنة	١٩	٢١٣	قدجبت جلبابه	٢١	١١٢
بسلب الصفات	١١	٢٠٢	فيزيد فيها	١١	٢٣٣	رفيقة	٦	١١٣
عن الأشنادانى	١٥	٢٠٢	أملود	١٦	٢٣٣	بلعاء	١٨	١١٤
كالذبيخ	١٨	٢٠٢	سب. وطاق	١٧	٢٣٣	يجر	١٠	١١٥
ابن مهرويه	١٩	٢٠٣	يا اسلى	١٩	٢٣٤	عبد بن الأبرص	٦	١١٨
وتنتقى حتى	٢٠	٢٠٦	فيها بدرها	٨	٢٣٧	وأبنى غير	٥	١٢٢
كسير الجناح	٢	٢٠٨	التمرى	١٤	٢٥٣	دجاجة	١٨	١٢٢
خامد المصباح	٣	٢٠٨	يزاب بعينى	١٣	٢٥٥	ابن ميادة	٨	١٢٣
وسماد الحية	٦	٢١٠	فأسبلت	٤	٢٥٦	عفى الحساب	٥	١٢٦
به من دمامته	٣	٢١٢	غضبة	٥	١٧	أعنة الله	٢٢	١٢٨
أظهر فيه	١	٢١٣	تكدر عيشة	١	٤٢	المشقر	٩	١٣١
غادية	٨	٢١٤	حَبْث	١٤	٧٦	راوية .. ابن	١٣	١٣١
ولا تأتبنى	١٧	٢١٥	قعبان	٥	٩٢	تتعب	٣	١٣٢
فى بيتى	٧	٢١٦	بخترى	١٥	١٢٥	تجنب	٤	١٣٢
وللقارف ذنباً	١٨	٢٢٠	شارب	٤	٢٤٩	حلحلة	٦	١٣٣
أرى الراغب إلى	٢	٢٢١	آراؤهم	٥	٤٩	بوانى	٧	١٣٣
الهيبة الحية	٤	٢٢١				قول عمارة	٧	١٣٦
						التضافر	١٥	١٥١
						ويهدم صالحى	٣	١٥٣

من المن	١٥	٢٩٦	الهوامى الهوامع	٨	٢٦٣	دمع احدره	١٥	٢٢٥
في السقي	٤	٢٩٦	قوم موسى	٢٠	٢٦٣	عند خود	١٣	٢٢٦
أتعرف من	١١	٢٩٨	كنت في	٨	٢٦٤	ونبتها قالت	٨	٢٢٨
المعتدة	١٦	٢٩٨	الحسن عليه	١٤	٢٦٤	الحسن بسطة	٢٢	٢٢٨
الكيسة الحازمة	٣	٣٠٠	معاً فلم	١٧	٢٦٤	بيضاء كالفضة	٤	٢٢٩
صادفت منا	٧	٣٠٠	أظرفه	٢	٢٦٥	قاسنى بالبدرد	٤	٢٣١
وقد تردى	١٩	٣٠٠	لشدها	٢٣	٢٦٥	حسنه .. حفلت	١٥	٢٣٢
موشى تخال	١٠	٣٠١	الوصل شافيا	٨	٢٦٦	عين تفل	٦	٢٣٧
ثغر .. الواضح	١٧	٣٠٢	وأرحم	١٠	٢٦٦	يحتشها أحور	١٣	٢٤٠
فدون السمن	١٠	٣٠٤	لم يك	١٤	٢٦٦	مشرب عذب	١	٢٤١
طيف سلمى	١١	٣٠٤	في الشمس	١٨	٢٦٩	بدها	١٤	٢٤٢
منسر الباز	١٤	٣٠٤	فغافصاه	٥	٢٧١	وأنتى	٤	٢٤٤
سباها التجر	١١	٣٠٨	ياجنان	١١	٢٧١	زق أمات	١٤	٢٤٤
أرى نجمين	١	٣١٠	يعش .. المنون	١٠	٢٧٢	فأفضيت	١٦	٢٤٤
ووجنة	٥	٣١٠	اقتياد .. صاحبه	٢٠	٢٧٢	قلقت وشحه	١٩	٢٤٥
ذهن لطيف	١٣	٣١٠	بي يستن	١	٢٧٣	تغضبن .. انتعلت	٨	٢٤٦
وقد حجب	١٨	٣١٢	سفعة	١٠	٢٧٦	طره .. طره	٧	٢٤٧
اله ان	٣	٣١٥	يشني الجوى	١٠	٢٧٧	أوبالمى	١٤	٢٤٧
لهو آلى	٦	٣١٥	زف .. خياني	١٣	٢٧٧	قرنوا	٢٢	٢٤٨
ليأتى ما	١٧	٣١٥	معان جياذ	١٨	٢٧٧	أو كالجم	١	٢٤٩
فأزرى	٢	٣١٨	ولا طارقاً	٢٠	٢٧٧	وما سلمى	١٦	٢٥٠
راضعت	١١	٣١٨	ونحن مفترقان	١٥	٢٧٨	وصف الساق	١٨	٢٥٠
على الأجسام	١٣	٣١٩	ليلة القرر	٥	٢٨١	نقطن أذقانا	٣	٢٥١
ذكر مزاج	٢	٣٢٠	حجماً	١١	٢٨١	القوام والترنج	١٣	٢٥١
بميل	٥	٣٢٥	من نزوح	١٢	٢٨٢	الإمشاشة	١٠	٢٥٢
والأرض به	١٨	٣٢٦	فنبهن	٢	٢٨٤	يخرق	٢١	٢٥٢
ابن سريج	١٥	٣٢٧	تنفض	٨	٢٨٥	خلس	٢١	٢٥٤
عمل زلزل	١٨	٣٢٧	وجوائم سفع	١٩	٢٨٩	أطراف خرمة	٤	٢٥٥
في جس	٢١	٣٢٧	موقوفه بين	٣	٢٩٠	كما سقى	٦	٢٥٦
أحرفه	٤	٣٢٨	تصنع بالدماء	٢١	٢٩٠	السيف الصقيل	٢١	٢٥٦
كأ يتداوى	٤	٣٢٩	في جوذابة	٥	٢٩٣	فاض من	١٢	٢٥٧
دكن الظواهر	١٩	٣٢٩	أرج العطر	١١	٢٩٦	كروم المطايا	١٥	٢٥٨
في تباين	٢٠	٣٢٩				من طيبها	٦	٢٥٩
						بغير كل	١	٣٥٩

٢٠ ٣٣٩	كأنه غرض	١٦ ٣٥٣	القصاص
١٢ ٣٤١	والعيد زين	٩ ٣٥٦	الأشمت .. سمل
٣ ٣٤٢	اللذاعة	٧ ٣٥٧	المقوض ستره
١ ٣٤٣	قول مضرس	١٠ ٣٥٧	يدعه بطرفي
١٦ ٣٤٨	مذبانوا	١١ ٣٥٧	دع الوصي
١٧ ٣٥١	نعننا به	٥ ٣٥٩	قيل في الشمس
١٨ ٣٥١	ليس يرده	٩ ٣٦٠	هي رقت
١١ ٣٥٢	بجو سويقة	٩ ٣٦٠	تبرأ يدوب
١٠ ٣٣٠	أدافعن بالكفين		
٩ ٣٣١	هزور		
١٤ ٣٣١	ساحرة		
١٦ ٣٣٣	كما ترنو		
١ ٣٣٤	وأثقابا		
٩ ٣٣٥	دنو الدلو		
١٩ ٣٣٥	ترنو من براقع		
١٧ ٣٣٩	من فوق		

رويح ما قبله من غير المتعمد قولك في بيتك سميت كذا الشمس ماقت كماها
 صلاة طبت لطيها وأصغر ما قصير ما أفانق الأمان للمزيد ماذا الشواها تراها
 راملات غشمتك الزمان والمشتطع الصياح الأمانق كما كثر في الماء الزمان
 ولست به في الصياح لعله نصبت فيها ما من عند الله
 أخبار البات السادس والمحدث وهو
 في شرحه الصالحين
 الحمد لله على نعمه التامة طاب للمناصب والعباد في أثناء السحاب الغمام وأجرا العود الحلال
 وبحر البارد السلسل لبقعة البحر والشمس والشمس من أجل الأمان ونظر الأمان
 على العود وأخر والصلوة على من الذي أرسله الحق شاهدا ومبشرا ونورا وأعمال الله
 بانه وبها جاعلها وعلى كل الخبير وعنه في المتخمين وقد رأينا العود كما يراى جهوريا
 في قلوبكم وتسهل سلسلها وزج منكم ما في الصياح الوياها وأدماها أسماها كيف تحملها وزج
 مشاؤها كيف فيها كل واحد واحد منها نصيب وقد عرف من غيرها ندين وكنت جعلت كتابي
 الموسوم بديوان المعاني مشتملا على أبي عشر من قصيدتها صرحت في ورقة فوات بعض الناس يتكلم
 بحمده ويستقل سجدته في كل باب منها كما كان يفعل نفسه ويدين من حيدر ليرى من ويسهل سجدته
 وشرح الهيئة البديرة والكرامات في ان شاء الله تعالى وفي التوفيق
 هذا كتاب المبالغه
 في صفة السحاب والمطر والبرق والظنود ذكر المياه والرياح والنات والاشجار والرياحين
 والثمار والنسم وما يجري مع ذلك وهو الباب السابع من كتاب
 ديوان المعاني وفيه ثلاث فصول الفصل الاول في صفة السحاب
 والمطر والبرق والرعد والثلج والفرج اخبرنا الواحد من ابي بكر بن دريد في حاشيته
 عن الاصمعي قال قال جرير في الرعد اي قول الشاعر في المطر اشعة قال قول امرئ القيس
 ديمة هطلت فيها وطف طوق الأرض بحرى وتدثر قوله طوق الأرض غائبة في وصف عموم
 السحاب اراد ان على الأرض بمنزلة الطبق على الأرض كما عرفوا احد اخذ فاجاده الملائكة الرومي
 حيث يقول سحاب قيست بالبلاد فالقبت غطا على غوارها ومجودها
 حدها النفاحي مشقات فاقبت تهادي في ويدا تديرها ككودها قوله سيدها ككودها

(وهذه صورة صفحة من نسخة المخطوطة البريطانية)

ديوان المعاني

للإمام اللغوي الأديب أبي هلال العسكري

عن نسخ الأمامين العظيمين: الشيخ محمد عبده والشيخ محمد محمود الشنقيطي
مع مقابلة الشكل بنسخة المتحف البريطاني

الجزء الثاني

عالم الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على نعمه التامة وأياديه الخاصة والعامة في إنشاء السحاب الثقال وإجراء العذب الزلال وتفجير البارد السلسال ليغدوه النجم والشجرو ويرب الحب والتمر رحمة للأنام ونظراً للأنعام فله الحمد أولاً وآخراً . والصلاة على نبيه محمد الذي أرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً وعلى آله المختارين وعترته المنتجبين .

وقد رأينا الحكماء في كل زمان يجتهدون في تقريب الحكمة وتسهيل سبلها وشرح مشكلها وإيضاح أبوابها وإدناء أسبابها ليخف محلها ويقرب منهاؤها ويرغب فيها كل أحد ويأخذ منها بنصيب ويفترف منها بذنوب .

وكنت جعلت كتابي الموسوم بديوان المعاني مشتملاً على اثني عشر باباً يتضمنها خمسمائة ورقة فرأيت بعض الناس يستكبر حجمه ويستقل نسخه فجعلت كل باب منها كتاباً ينفرد بنفسه ويتميز من جنسه ليقرب أمره ويسهل نسخه ولتسرع الرغبة إليه فيكثر الانتفاع به إن شاء الله تعالى وبه التوفيق .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض
والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم وما يجري مع ذلك وهو :
﴿ الباب السابع من كتاب ديوان المعاني وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والثلج والضرب
خبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال
أبو عمرو لذي الرمة أي قول الشعراء في المطر أشعر ؟ قال قول امرئ القيس :
دِيمَةٌ هَطْلَاءٌ فِيهَا وَطْفٌ طَبَقَ الْأَرْضَ تَحْرِيًّا وَتَدْرٌ
قوله طبق الأرض غاية في صفة عموم السحاب أراد أنها على الأرض بمنزلة
الطبق على الأبناء . ولا أعرف أحداً أخذه فأجاده كاجادة ابن الرومي حيث يقول :
سَحَابٌ قَيْسَتْ بِالْبِلَادِ فَأَلْقَيْتُ غِطَاءً عَلَى أَغْوَارِهَا وَنَجْوَدِهَا
هَدَيْتَهَا النَّعَامِي مُثْقَلَاتٍ فَأَقْبَلْتُ تَهَادِي رُؤَيْدًا سِيرُهَا كَرُودِهَا
قوله سيرها كركودها غاية في وصف ثقلها وثقلها من كثرة ماؤها .
والبيت البليغ المشار اليه من أبيات امرئ القيس قوله :
وَتَرَى الشَّجَرَ فِي رَيْبِهِ كَرُؤُوسٍ قُطِّعَتْ فِيهَا الْخُرُ
الشجرا الأرض ذات الشجر وإذا غرقت الشجر من ريبه حتى لا يبين منها
إلا فروعها فكيف يكون في شدته ، وريق المطر أوله وأخفه ، وشبه رؤوس الشجر
خارجة من الماء برؤوس قطعت عليها عمام ، والحار ههنا العمامة .
وقالوا أجود ما قيل في المطر قوله :

كَأَنَّ أَبَانَا فِي أَفَانِينَ وَبَلَهٍ كَبِيرٌ رَجَالٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(١)
 يقول كأن أبانا - وهو جبل - من التناف قطره وتكائفه في الهواء شيخ في كساء،
 وخفض مزمل على الجواب وهو نمت كبير كما تقول جحر ضب خرب .
 وقالوا أجود ما قيل فيه قول أبي ذؤيب :

لكل مسيل من تهامة بعد ما تقطع أقران السحاب عجيج
 وهذا مع جودة معناه فصيح جداً . أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن
 ذكوان قال قال الأصمى قلت لأبي عمرو ما أحسن ما قيل في المطر فقال قول القائل^(٢) :
 دَانَ مَسْفٌ فَوَبَقَ الْأَرْضَ هَيْدَبُهُ يَكَادُ يَدْفَعُهُ مِنْ قَامٍ بِالرَّاحِ
 فَمِنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بَعْفَوْتَهُ وَالْمَسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقَرَوَاحٍ^(٣)
 يقول قد عم هذا السحاب فاستوى في شيم برقه وأصاب مطره المنجد والغائر
 والمستكن والمصحر ، قرب من الأرض لثقله بالماء حتى يكاد يدفعه القائم براحته
 وهذا غاية الوصف .

ومن أبلغ ماجاء في ذلك من نثر الأعراب ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي
 بكر بن دريد عن أبي حاتم وعبد الرحمن عن الأصمى قال سألت أعرابياً
 من عامر بن صعصعة عن مطرٍ أصاب بلادهم فقال نشأ عارضاً فطلع ناهضاً ثم ابتسم
 وامضاً فاعترض الأمطار فأعشاها وامتد في الآفاق فغطاها ثم ارتجز فهمهم ثم
 دوى فأظلم فأرك^(٤) ودث وبغش ثم قطع فأنفرط ثم ديم فأغمط ثم ركذ فأجثم ثم

(١) في ديوان امرئ القيس « ودقه » مكان « وبله » و « أناس » مكان (رجال) .

(٢) قيل هو أوس بن حجر وقيل عبيد بن الأبرص ، وقبل البيت :

يَأْمَنُ لِبَرْقِ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقَبَهُ فِي عَارِضِ كَضِيءِ الصَّبْحِ لِمَاحِ

(٣) القرواح الأرض الواسعة التي لانبات فيها ، ومطلع القصيدة :

ودع ليمس وداع الصارم اللاحي إذ فنكت في فساد بعد اصلاح

(٤) أرك أتى بمظهر ريك أي قليل .

وبل فستح وجاد فأنعم فقمس الربى وأفرط الزبى سبعاً تباعاً لا يريد انقشاً حتى
ارتوت الحزون وتضحضحت المتون ساقه ربك الى حيث شاء كما جلبه من
حيث شاء . اللث والبغش المطر الخفيف، والقطقط المطر الصفار ، وقوله أنعم أى
بالغ من قولهم دقه دقاً ناعماً ، وقمس أى غوص ، وأفرط ملاً . والزبى جمع زبية وهى
حفرة تحفر للأسد ويجعل فيها طعم فيجىء حتى يقع فيها ولا تحفر إلا فى مكان
حال فاذا بلغها السيل فهو الغاية ، وفى المثل « بلغ السيل الزبى » والمتن صلابة من
الأرض فيها ارتفاع ، وتضحضح أى صار عليه ضحضاح وهو الماء يجرى على
وجه الأرض رقيقاً .

وأنشدنا أبو أحمد عن أبيه عن ابن أبي طاهر عن ابن الاعرابى لاغرابية :

فبيننا نرمتُ أحشاءنا	أضاء لنا طارضٌ فاستنارنا
فأقبل يزحف زحف الكسير	سياق الرطاء البطاء العشارا
تغنى وتضحك حافاته	امام الجنوب وتبكي مرارا
كأنا نضىء لنا حرة	تشدُّ إزاراً وتلقى إزارا
فلمنا حسبنا بأن لا نجاء	وأن لا يكون فرار فرارا
أشار له أمرٌ فوقه	هلم فأم إلى ما أشارا

وأنشدنا لغيرها :

تبسمت الريح ريح الجنوب	فهاجت هوى غالباً وادكرا
وساقت سحاباً كمثل الجبال	إذا البرق أومض فيه أنارا
إذا الرعد جلجل في جانبيه	فروى النبات وأروى الصحارى
تطالعنا الشمس من دونه	طلوع فتاة تخاف اشتهارا
تخاف الرقيب على سرها	وتحذر من زوجها أن يفارا
فتستر مغرتها بالبخار	طوراً وطوراً تزبل الخمارا

وقدمت هذه الايات الثلاثة قبل :

فلما مراها هبوبُ الجنوبِ وانهمرَ الماءُ منه انهارا
تبسمتِ الأرضُ لما بكت عليها السماءُ دُموعاً غزارا
فكان نواجذها الاقحوان وكان الضواحك منها البهارا

وقال ابن مطير وهو أجود ما قيل في سحب :

مستضحكٌ بلوامعٍ مستعبرٌ بدوامعٍ لم تمرها الاقضاء
فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ضحكٌ يؤلفُ بينهُ وبكاء
ثقلت كلاله وأنهرت^(١) أصلابه وتبعجت^(٢) من مائه الاحشاء
غَدَقَ يُنتجُ بالاباطح فرقا تلدُ السيولَ وما لها اسلاء^(٣)
وكانَ ريقهُ ولما يحتفل ودَقُ السحابِ عجاَجة كدراء
غرٌّ محجلةٌ روائحُ ضمنت حَفَلَ اللقاءِ وكلها عنراء
سحمٌ فهنَّ إذا كظمن فواحمٌ وإذا ضحكَنَ فانهنَّ وضاء^(٤)
لو كانَ من لججِ السواحلِ ماؤهُ لم يبقَ من لججِ السواحلِ ماء

ومن هذا البيت أخذ المتكلمون الحجة على الفلاسفة في قول الفلاسفة المطر انما هو البخارات ترتفع من البحر ، قالوا لهم لو كان الأمر كذلك لكان ماء البحر ينقص عند كثرة الأمطار فقالت لا يلزم ذلك لأن البحر مغيص لمياه الأرض فصير ما يتحلب من الثلوج اليه ومنه مواد هذه الأشياء فثله مثل المنجنون يعرف من بحر ثم يصب فيه فليس له نقصان والذي ينقص هذا ان ماء البحر يزيد عند كثرة الأمطار وينقص عند قلتها والعادة في ذلك معروفة ولو كان الأمر على ما يقولون لكان ماء البحر ينقص على مرور الأوقات لاحالة لأن الشمس

(١) من أنهر العرق لم يرقأدمه. (٢) تبعجت السحاب تبعجاً وهو إنفراجه

في الودق. (٣) ينتج أى يولد ، وفرقت الناقة أخذها الخاض فندت في الارض فهي فارق ج فوارق وتشبه بها السحابة المنفردة عن السحاب . والاسلاء جمع سلى وهي الجلدة فيها الولد من الناس والمواشي . (٤) وضاء جمع وضية .

والهواء لا شك تأخذ مما يتفرق عنه في الأرض بزعمهم ، والكلام فيه يتسع وإنما أشرت الى موضع الدلالة على فساد قولهم .

وقال النظار القمسي :

يا صاحبي أعيناني بطرفكما أنى تشيان^(١) برق العارض الساري
أبصرته حين غاب النجم وانسفت عنا غفائر^(٢) من دجن وأمطار
فبات ينهض بأوادي وجلهته^(٣) نهض الكسير بذي أو نين جرار^(٤)
حيران سكران يغشى كل رابية من الروابي بأرجاف وأضرار
مفرق لدمات الأرض منهمر رباب أفسدة شعال أبصار
كان بلقاً عرباً تحت ريقه عوداً تذب برمح عند امهار

وشبه البرق برمح الابلق ، وهو من قول أوس بن حجر :

كان ريقه لما علا شطبا^(٥) أقراب أبلق ينقى الخيل رماح

ومن أبلغ ما قيل في ذلك قول الاعرابية التي سألتها ذوارمة عن الغيث فقالت :
غثنا^(٦) ماشئنا . فكان ذوارمة يقول قائلها الله مأفصحها . وترك ذوارمة هذا
المذهب على إعجاب به واختياره له وقال :

ألا يا سلمى بادارمي على البلي ولازال منهالاً بجروائك القطر

فقيل له هذا بالداء عليها أشبه منه بالداء لها لأن القطر إذا دامت فيها

فسدت . والجيد قول طرفة :

فستى بلادك غير مُفسدِها صوب الربيع وديمة نهي

وقال اعرابي : أصابتنا سحابة وانا لبنوطة بعيدة الارجاء فاهرمع مطرها حتى

رأيتنا ومارأينا غير السماء والماء وصهوات الطلح فضرب السيل النجاف وملاً

(١) شام البرق : نظر اليه أين يقصد وأين يخطر .

(٢) الغفائر جمع غفارة ما يوضع على الرأس نحو العمامة . (٣) الجلمة : الجانب .

(٤) الاونان : جانبنا الخرج . (٥) اسم جبل . (٦) أي أصابتنا الغيث .

الأودية فرعها فما لبثنا إلا عشرًا حتى رأيتها روضة تندى . قوله مارأيت غير السماء والماء وصهوات الطلح غاية في صفة كثرة المطر . وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال خرج النعمان بن المنذر في بعض أيامه في عقب مطر فلقى أعرابياً فأمر باحضاره فأتى به فقال كيف تركت الأرض وراءك ؟ قال فيج رحاب منها السهولة ومنها الصعاب منوطة بجبالها حاملة ثقلها . قال انما عن السماء سألتك قال مطلة مستقلة على غير سحاب ^(١) ولا أطناب يختلف عصرها ويتعاقب سراجها ، قال ليس عن هذا أسألك قال فسل عما بدالك قال هل أصاب الأرض غيث يوصف قال نعم أغمطت ^(٢) السماء في أرضنا ثلاثاً هوأ فثرت وأرزغت ^(٣) ورسغت ثم خرجت من أرض قومي أقروها ^(٤) متواصية ^(٥) لاخطيطة ^(٦) منها حتى هبطت تعشار فتداعى السحاب من الأقطار فجاء السيل الجرار فغما الآثار وملأ الجفار وقوب الأشجار وأجحر الحُضار ومنع السفار ثم ألق عن نفع واضرار فلما اتلأبت في الغيطان ووضحت السبل في القيعان تطلعت رقاب العنان من أقطار الاعنان فلم أجد وزراً إلا الغيران فقات وجار الضب فعادت السهول كالبحار تتلاطم بالتيار والحزون متلغمة بالغناء والوحوش مقدوفة على الأرجاء فمازلت أطأ السماء وأخوض الماء حتى أطلعت أرضكم اه . أغمطت السماء دام مطرها ، رهوأسا كئناً ، ثرت تركته ثرية ^(٧) ، أرزغت تركت الأرض فيرزغة والرزغة والردغة الطين اذا أغطي القدم ، رسغت بلغت الرسغ ، متواصية متصلة ، الهطيطة والخطيطة أرض لم يصبها مطر بين أرضين ممطورتين ، وتشار موضع ، والعنان السحاب والاعنان نواحي الشخب فقات من القى وجار الضب وهو عندهم غاية

-
- (١) أى أعمدة . (٢) أى دامت . (٣) أرزغ المطر الأرض : يلها ولم تسبل . (٤) أى أتبعها قرية قرية . (٥) أى متصلة . (٦) الخطيطة الأرض غير المطورة بين أرضين ممطورتين ، أو التي مطر بعضها . (٧) أى تراباً مبلولاً .

ما يوصف به المطر وهو عندهم الذي يجر انصب من وجارها فيخرجها من كثرة سيله . وقوله والحزون متلفعة بالغشاء يقول بلغ الماء رؤوس الحزون ثم نصب عنها فبقي الغشاء في موضعه .

ومن الوصف الجيد التام في تكائف المطر قول بعضهم : وقع مطر صغار وقطر كibar وكأن الصغار لحة للكبار ، جعل الهواء كالثوب المنسوج من كثرة المطر وتكائفه . ومن أجود ما قاله محدث في وصف السحاب والقطر

والرعد والبرق ما أنشدناه أبو أحمد عن نبطويه للعتابي :

أرقت للبرق يخفو ثم يأتلق^١ يخفيه طوراً ويديه لنا الأثق^٢
 كأنه غرة شهباء لائحة في وجه دهاء ماني جلدها بلق^٣
 أو نغز زنجية نغز ضاحكة تبدو مشافرها طوراً وتنطبق^٤
 أو سلة البيض^(١) في جأواء مظلمة وقد تلقت ظباها البيض والدرق
 والغيم كالثوب في الآفاق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق
 تظنه مصمتاً لا فتق فيه فان سالت عواليه قلت الثوب منفتح
 ان ممعع الرعد فيه قلت ينخرق أولاً لا البرق فيه قلت يحترق
 تستك من رعدة أذن السميع كما تعشق إذا نظرت من برقه الحدق
 فالرعد صليق^(٢) والريح منخرق والبرق مؤتلق^٣ والماء منبعق^٤
 قد حال فوق الرشي نور له أرج منه الوشي والديباج والسرق
 من صفرة بينها حمراء قانية وأصفر فاقع^٥ أو أبيض يسبق
 فاستحسننت هذه الطريقة فقلت :

برق يطرز ثوب الليل مؤتلق والماء من نار يهيم فينبق
 توقدت في أديم الأرض حرته كأنها غرة في الطرف أو بلق
 ما امتد منها على أرجائه ذهب إلا تحدر من حافاته ورق

(١) السيوف . (٢) الصهـصليق من الأصوات : الشديد .

كأنها في جبين المزن إذ لمت
 فالرعد مرتجس^{هـ} والبرق مختلس^{هـ}
 والضال فيما طما من مائه غرق
 والغيم خز^{هـ} وأنهاء^(١) اللوى زرد
 والروض يزهوة^{هـ} عشب^{هـ} أخضر^{هـ} نضر^{هـ}
 ومما ورد في المياه^(٢) :

من سيول يمجها الواديان
 ذو استواء إذا جرى والتواء
 فهو حيث استدار وقف^{هـ} لجين
 وقال ابن المعتز :

لا مثل منزلة الدويرة منزل^{هـ}
 بؤساً لدهر غيرتك^{هـ} صروفه
 لم يحل^{هـ} بالعينين بعدك منظر^{هـ}
 أي^{هـ} المعاهد منك أندب^{هـ} طيبة
 أم برد ظلك ذى الفصون وذى الحيا
 وكأنما سطعت مجامر^{هـ} عنبر
 وكأنما حصباء^{هـ} أرضك^{هـ} جوهر^{هـ}
 وكان^{هـ} درهماً مفرغاً من فضة

وهذه الأبيات أحسن أبيات قيلت في صفة دار . وقلت :

شققن بنا تيسار^{هـ} بحر كأنه^{هـ}
 ترى مستقر^{هـ} الماء منه كأنه^{هـ}
 إذا ماجرت فيه السفين^{هـ} يعربد^{هـ}
 سيب^{هـ} على الأرض الفضاء^{هـ} ممدد^{هـ}

(١) جمع نهى وهو منتهى الرمل الذى يسكن إليه الماء .

(٢) هنا بياض في النسخ . (٣) الأرض الميثاء : السهلة .

ويجري إذا الأرواح فيه تقابلت
فان تسكن الأرواح خلت متونه
فطوراً تراه وهو سيف مهند
نصعد فيه وهو زرق حمامه
كامل من كف النهامي^(١) مبرد
متون الصفايح البيض حين تجرد
وطوراً تراه وهو درع مسرد
فنجسب أنا في السماء نصعد
وقال ابن طباطبا العلوي في مد الوادي :

ياحسن وادينا ومد الماء
يختال في حلتته الكدراء
في صخب عال وفي ضوضاء
تري به تناطح الظباء
قد جاء بين الصيف والشتاء
أكدر يمتد على غبراء
يصافح الرياح في الهواء
جاء قد شدت إلى جاء
من كدر ينجاب عن صفاء
فانظر الى أعجب مرأى الراي
تقشع النيم عن السماء

وقال السري في المد وانقطاع الجسر ببغداد :

أحذرك أمواج دجلة إذ غدت
فطلت صفار السفن يرقصن وسطها
تفرقها هوج الرياح وتعتلى
فهن كدم الخليل جالت صفوفها
مصنلة بالمد أمواج مائها
كرقص بنات الزنج عند انتشائها
ربي الموج من قدامها وورائها
وقد بدرتها روعة من ورائها
وقد سامها ضياً أسود سماها
على تربة محمرة من فضائها
فأبصرت أقماراً تروح وتغرب
وغودر فوق الماء بطفو ويرسب
فكم ثم من خشف^(٢) على الماء لاعب
كأن السميريات فيه عقارب

(١) النهامي بالنون : الحداد . (٢) الخشف مثلثة الخاء : ولد الظبي .

وقال أبو بكر الصنوبري :

إذا السماء أعنقت منها إلى شطّ وشطّ
 حسبت أن بطها الأمواج والأمواج بطّ
 وقال : وروضة أريضة الأرجاء من ذهب الزهر لجين الماء
 يجري على زمرد الحصباء بين استواء منه والتواء
 كما نفضت جونة الحواء

وقال أبو فراس بن حمدان :

أنظر إلى الزهر البديع والماء في برك الربيع
 وإذا الرياح جرت عليه في الذهب وفي الرجوع
 نثرت على بيض الصفا نحيبها حائق الدروع
 ومن أوائل ما جاء في ذكر الماء المظلل بالأشجار قول لبيد :
 فتوسطا عرض السماء فصدا مسجورة متجاوز قلامها
 محفوفة وسط البراع يظلمها منه مصرع غابة وقيامها
 وقال بشر بن أبي خازم في البحر :
 ونحن على جوانبها قعود نفص الطرف كالابل القباح
 إذا قطعت براكبها خليجاً تذكر مالمديه من الجناح

﴿ الفصل الثاني من الباب السابع ﴾

في ذكر الرياض والآنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك
 أخبرنا أبو أحمد عن رجاله عن أبي عمرو وغيره قالوا أجود ما قيل في وصف
 روضة قول الأعمش :

ماروضة من رياض الحزن معشبة خضراء جاد عليها مسبل هطل
 بضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بقميم النبات مكتهل

يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأصلُ
قال المصنف خص العشي لأن كونه الإنسان بالعشي أحسن منه بالغداة لرقه
تعلوه بالعشي وتهيج^(١) يناده بالغداة وتعترى الألوان بالعشيات صفرة قليلة
تستحسن ولذلك شبهها باروض لما في الروض من الزهر وهو أصفر ، ومن
هذا قوله أيضاً * وصفراء العشية كالعرارة * وقال بمضهم بل خص العشي
لنقصان الحسن فيه قال فشبها في نقصان الحسن باروضة في حال تمام حسنها ،
وليس كذلك لأن الروض بالغداة أحسن منه بالعشي .

والتشبيه المصيب من الشعر القديم قول بشر بن أبي خازم :
وروض أحجم الروادُ عنه له نفلٌ وحوزان^(٢) تؤام
تعالى نبتُه واعتمٌ حتى كأنَّ منابتَ العلجان^(٣) شام
الشام جمع شامة أى ظاهر كظهور الشامة في الوجه ويقال ما أنت إلا شامة
أى أمرك ظاهر . وأنشد الجاحظ قول النمر بن تولب المكلى :

ميشاءُ جادَ عليها مسبلٌ هطلٌ فأمرعت لاحتيال فرطاً أعوام
إذا يجفُّ تراها بلها ديمٌ من كوكبٍ نازلٍ بالماء سجام
لم يرعها أحدٌ وارتبها زمنا فأوئمن الأرض محفوفٌ بأعلام
تسمعُ للطير في حافاتِها زَجَلًا كأنَّ أصواتها أصواتُ مُخْدَم
كأنَّ ربيعَ حزامها وحنوتها^(٤) بالليل ربيعٌ يلنجوجٍ وأهضام
ولم يدع شيئاً يكون في الخصب إلا ذكره . ومن أبلغ ما وصف به كثرة الكلام ما أخبرنا
به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه عن ابن الكلبي عن أبيه قال خطب
ابنة الحسن ثلاثة نفر من قومها فارتضت أنسابهم وجاهلهم وأرادت أن تسير

(١) التهيج بالباء قبل الجيم : شئ من التورم في الوجه يظهر عند القيام من النوم .

(٢) النفل والحوزان نبتان ، وتؤام أى توأمان (٣) العلجان : نبت .

(٤) الخزامي والحنوة : نبتان طيبا الرائحة .

عقولهم فقالت لهم انى أريد أن ترنادوا إلى مرعى فلما أتوها قالت لأحدهم ما رأيت
قال رأيت بقلًا وبقيلًا وماءً غدقًا سيلاً يحسبه الجاهل ليلاً قالت أمرت .
وقال الآخر رأيت ديمة فوق ديمة على عهد غير قديمة فالناب تشبع قبل الفطيمة .
وقال الثالث : رأيت نبتاً نعداً معداً متراكباً جمداً كأنخاد نساء بنى سعد
تشبع منه الناب وهي تعدوا هـ . بقلًا وبقيلًا : يقول بقل قد طال وتحتة عمير
قد نشأ ، والغدق: الكثير يحسبه الجاهل ليلاً من كثافته وشدة خضرته ، والديمة
المطر يدوم أياماً في سكون ولين ، والعهاد أول ما يصيب الأرض من المطر
الواحد عهد ، تشبع منه الناب قبل الفطيمة : يريد أن العشب قد اكهتل وتم
فالناب وهي المسنة من الابل تشبع قبل الصغيرة منها لأنها تنال الكلال وهي قائمة
لا تطلبه ولا تبرح موضعها والفطيمة تتبع ما صغر والصغير فيه قليل . وهذه صفة
بليغة . وأبلغ منها قول الآخر تشبع منه الناب وهي تعدو اى من طول النبات
وكثرته وعمومه تعدو وتأكل لا تحتاج إلى تتبعه وطأطأة رأسها له . ولا أعرف
في جميع ما وصف به كثرة الكلال أبلغ من هذا . والثعد : الرطب اللين والمعد
اتباع . والثرى الجعد الذى قد كثر نداءه فاذا ضمته بيده اجتمع ودخل بعضه
في بعض كالشعر الجعد ، وخص نساء بنى سعد لأن الأدمة فيهم فاشية .

ومن أبلغ ما قيل في طول الكلال قول الآخر أنشده ابن السكيت وتُلب :

أرعيثُها أطيّبَ أرضَ عودا الصلِّ والصّفْصَلِّ واليعْضيدِ
واخلازباز السّمِّ الجُودَا بحيثُ يدعو طامرٌ مسعودا

يقول قد سد النبات من طوله وسبوغه مسعوداً فليس يراه طامر فهو يصيح
به ، الصل والصفصل واخلازباز ضرب من النبات . وليس ألفاظ الأبيات بالختارة
أما اخترتها لجودة معناها .

ونظر أعرابي الى يوم دجن والى نبات غض فاستحسن فقال ارتجالاً :

أنتَ والله من الأيام لدن الطّرفين

كلما قلبت عيني في قرّة عين
 وقلت: أتاه يُريدُ المزنَ ينشدهُ الصبا
 فصبحَ منها بالزواهرِ معلما
 ومن بديع مقاله محدث في صفة الرياض والبساتين قول عبدالصمد بن المعدل
 أنشدناه أبو أحمد وغيره :

معان من العيش الغرير ومَعْمَر
 نما الروضُ منه في غداة مريمَة
 ترى لامعَ الانوارِ فيها كأنه
 تسابقَ فيه الاتحوانُ وحنوةٌ
 يمجُّ ثراها فيه عفراء جمدة
 أعاد نسيمَ الريح أنفاس نشره
 بدا الشيخُ والقيصومُ عند فروعه
 وناصرُ رمان يرفُّ شكيره
 ويانعُ تفاحٍ كأنَّ جنبه
 إذا زرتَه يوماً تفرد طائرُه
 فاذهاج نوح الأيكِ في رونق الضحى
 تجاوبنَ بالترجيع حتى كأننا
 مراناة موموقٍ وترجيع شائق
 واني إلى صحن العذيب لثائق
 مرعت ولازالت تصوبك ديمة
 أحم الكلى واهى العرمى مسبل الجدى
 كأنَّ ابتسامَ البرقِ في حجراته

وقول ابن المعتز يتضمن صفة الأنوار على التمام ولا يكاد يشذمنه شيء البتة وهو :

والروض مغسولٌ بلبيلٍ ممطر
كالعضبِ أو كالوشى أو كالجوهر
وطارقٍ أجفانه لم تنظر
وتخاله العين فمالم يُغفر
وفاتق كاد ولم ينسور
كأنه مبتسمٌ لم يكشر
وأدمع الغدران لم تكدر
كأنه دراهمٌ في منثر
أو كمشور المصحف المنشر
كدمعة حائرة في محجر
مدامةً تعقر إن لم تعقر
يديها كفُّ غزالٍ أحور
ذى طرة قاطرة بالعنبر
وملم يكشفه عن جوهر
وكفيل يشغل فضل المئزر
تخبر عيناهُ بفسقٍ مضمر

يعلم الفجور إن لم يفجر

وقلت : جواهر عشبٍ ونورٍ نظم
وأفرادٍ ظلٍ وقطرٍ نثير
فمن بين صفرٍ وحمٍ وخضر
على القضب غيدٍ وزورٍ وصور
ولمسٍ تناسبُ لمسٍ الشفاء
ويبيضُ تعارضُ بيض الثغور
نواظرٍ من بين يقظى ووسنى
ونجلٍ ومخزرٍ وحولٍ وحور
وقد استوفى في هذه الأبيات جميع أوصاف الأنوار على اختلاف حالاتها .

وأشيدنا أبو أحمد قال أشيدنا التنوخي لنفسه :

أما ترى الروض قد وافتك مبتسماً
ومدَّ نحو الندامى للسلام يدا
فأخضرٌ ناضرٌ في أبيض يقق
وأصفر فاقع في أحمر نضدا
مثل الرقيب بدا للماشقين ضحى
فأحمرٌ ذا خجلا وأصفرٌ ذا كدا

ومن المشهور قول الجاني :

ديمٌ كأنَّ رياضها
يكسين أعلامَ المطارف

وكأما عُدرانها فيها عُشورٌ في مضاحف
 وكأما أنوارها تهترُّ^(١) بالريح القواصف
 طرر الوصائف يلتفت -ن بها إلى طرر الوصايف
 وروضة حالية الصدور كاسية البطون والظهور
 محمودة المحجور والمنظور موقفة المطوى والمنشور
 معجبة الظاهر والمستور ضاحكة كالوافد المحجور
 باكية كالعاشق المهجور شذرها الغيث بلا شذور
 شقائق كناظر المحمور واقحوان كنعور الحور
 ونرجس كأنجم الديجور والطل منثور على منثور
 يرصع الياقوت بالبلور

وقال السرى وأحسن ، وليس فيمن تأخر من الشاميين أصفى ألفاظاً مع الجزالة
 والسهولة وأزعم لعمود الشعر منه :

وجنات ييجي الشرب وهنا جنى وهداتها حتى رباها
 إذا ركذ الهواء جرت نسجاً وان طاح الغمام طفت مياها
 يفرج وشيها عن ماء ورد يفيض على اللاكى من حصاها^(٢)
 تعانق ريجها لم الخزامى وأعناق القرنفل في سراها
 ويأبى زهرها إلا هجوعاً ويأبى عرفها إلا انتباها
 وقال البحترى :

قطرات من السحاب وروض ثرت وردها عليه الخلود
 فالرياح التي تهب نسيم والنجوم التي تطل سعود
 وقال ابن الرومي :

أصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء لبصر

(١) في نسخة « تفتت » . (٢) في نسخة « صفاها » .

وأها لها مصطنعاً لقد شكر أننت على الله بالآء المطر
والارض في روض كأفواه الحبر تبرجت بعد حياء وخفر
تبرج الانثى تصدى للذكر

وقال وأحسن :

وحلس من السكتان أخضر ناضر يُيا كره دان الرباب مطير
إذا درجت فيه الرياح تتابعت ذوائبه حتى يقال غدير
وقلت: أنظر إلى الصحراء كيف تزخرت وإلى دموع المزن كيف تُذرف
وعلى الربي حُلل وشأهن الحيا قسمهم ومقصب ومفوف
وملابس الأنواء فيها سُندس ومضاجع الانداء فيها زخرف
نم الرياح على الرياض نماماً ذكر نك الكافور حين يدوف^(١)
وعلى التلاع من الاقاحي حلة وعلى اليفاع من الشقائق مطرف
والغيم تنفشه الرياح عشيّة كالقطن في زرق الثياب يندف
والقطر يهيم وهو أبيض ناصع ويصير سيلاً وهو أغبر أكلف
والبرق يلعب مثل سيف ينتضي والسيل يجري مثل أفعى ترجف

وقال أعرابي : يا كرواسمي^(٢) ثم خلفه ولي فالأرض كأنها وشمى منشور عليه لؤلؤ
منشور ثم أتتنا غيوم جرار بناجل حصاد فاختربت البلاد وأهلكت العباد فسبحان
من يهلك القوى الأكل بالضعيف الماء كول، وقال أبو تمام :

الروض ما بين مغبوق ومصطبح من ريق محتفلات بالحاء دُح
جون إذا هطلت في روضة طففت عيون نوارها تبكي من الفرح
وقال أبو الغضبان اليمامي :

غدونا على الروض الذي طله الندى سحيراً وأوداج الاباريق تسفك
فلم أر شيئاً كان أحسن منظرًا من الروض يجري دمه وهو يضحك

(١) أي يذاب . (٢) الوسمى : أول المطر ، والولي الذي يليه .

ومن اللجين لسمجد ورق
وجديده بجديداً خَلَقَ

يُنقلنَ في صفراءَ من حمراءَ

وغدا الندى في حليه يتكسر
صحو يكاد من النضارة يطر
خلت السحاب أناه وهو معذر
لو أن حُسن الروض كان يُعمر
تمجّت وحسن الروض حين يغير
تريا وجوه الأرض كيف تصور
زهر الربيع فكأنما هو مقعر
جلّي الربيع فأنما هي منظر
نوراً تكاد له القلوب تنور
فكأنما عين عليه تحدر
عذراء تبدو تارة وتخفر

الجميم متكاتف النبات، يقول يظهر بتحريك الرياح إياه ويستتر عند سكونها

فيغطيه الجميم :

ماعاد أصفرَ بعد إذ هو أخضر

طلقاً ذرّيتَ به على الأطلاق
يُروى الوجوه ومبسم براق
مثل الضعيف ينوء بالأوساق

وقال غيره : وإذا الزمردُ مشر ذهباً
لازال يُمتِعنا بِجِدتهِ
وقال غيره في تلون الأرض :

فترى الرياضَ كأنهنَّ عرائسُ

وقال أبو تمام :

رقت حواشي الدهر وهي تمر مر
مطر يروق الصحو منه وبعده
وندى إذا أدّنت به لم الثرى
ما كانت الأيام تسلبُ بهجةً
أولا ترى الأشياء إذ هي غيرت
باصاجي تقصيا نظريكا
تريا نهاراً مشمساً قد شابه
دنيا معاش للسورى حتى إذا
أضحت تصوغُ ظهورها لبطونها
من كل زاهرة ترقرق بالندى
تبدو ويحجبها الجميم كأنها

الجميم متكاتف النبات، يقول يظهر

صنع الذي لولا بدائع لطفه

وقلت في مديح :

إني أرى لك في الساحة والندى
طلّق الغمام سرى بوجهه بأسر
ثقلت على عنق الصبا أعباؤه

فترى النبات يروق وسط رياضه
وقال البحترى :

إذا أردت ملأت العين من بلد
يسمى السحاب على أجيالها فرقا
فلست تبصر إلا وا كفاً خضلا
وقال أيضاً: ولا زال مخضراً من الأرض يانع
بذكرنا ريباً الأجابة كلباً
شقائق يمان الندى فكأنه
ومن لؤلؤ في الأرجوان منضد
كان جنى الحوذان في رونق الضحى
رباع تروت بالرياض مجودة
إذا راوحها مزنة بكرت لها
كان يد الفتاح بن خاقان أقامت
وقلت: أمانى عود الزمان نضرا
أنته أطف السحاب تترى
تبسط في الصحراء بسطاً خضرا
ونرجساً مثل العيون زهرا
كأننا بصوغ فيها تبرا
كأننا ينثر فيها دراً
كالماء لوناً والعبير نشرنا
والعيش أن تسر أو تسراً
مثل الحلى تروق وسط حقائق

مستحسن وزمان يشبه البلدا
ويصبح الروض في صحرائها بددا
أو يانماً خضراً أو طائراً غردا
عليه بمحمر من النور حاسد
تنفس في جنح من الليل بارد
دموع التصابي في خدود الخرائد
على نكت مصفرة كالفرائد
دنانير تبر من توام وفارد
بكل جديد الماء عذب الموارد
شائب محتاز عليها وقاصد
تليها بتلك البارقات الرواعد
تري له طلاقة وبشرا
وساقت الجنوب غيماً بكرا
وتمنح الروضة زهراً صفرا
وأقحوان كالثغور غراً
كأننا يدوف^(١) فيها عطرا
فأعمل الكاسات شمساً شقرا
ثم مر الزير يناغى الزمرا
لا تفسدن بالغمام العمرا

أحسن ما قيل في النرجس قول أبي نواس :

لدى نرجسٍ غضِّ القَطَافِ كأنه إذا مامنحناه العيونَ عيونُ
مخالفة في شكلهنَّ فصفرة مكان سوادِ والبياضُ جفون
والناس يشبهونه بالعيون ولا يفضلون هذا التفضيل . ومالم يقل مثله قول ابن الرومي:

خبجتُ حُدودُ الوردِ من تفضيله خجلاً تورَّدُها عليه شاهدُ
لم يحجل الورد المورود لونه إلا وناهله الفضيلة طائد
للنرجس الفضل المبينُ وان أبي آبٍ وحاد عن للطريقة حائد
فصل القضية أن هذا قائدُ شتانَ بين اثنين هذا مُوعِدُ
وإذا احتفظت به فأمتع صاحب يحكي مصابيح السماء وتارة
ينهى النديم عن التبيح بلحظه ان كنتَ تطلبُ في الملاح سمية
هذي النجوم هي التي ربهما فانظر الى الأخوين من أدناهما
أين العيون من الخدود نفاسةً وقلت : ونرجس مثل أ كفٍ حُرِّدِ
ناولنيه مثله في حسنه مبتسمٌ عنه وناظرٌ به
وقلت في معناه :

ألم ترنا نعطي الغوايةَ حقها ونجري مع اللذات جري السوابق
بمحمرة الاجساد مبيضة الذرى كمثل سقيطِ الطلِّ فوق الشقائق
لدى الصفر في أوساطِ بيضِ كأنها كؤوسٌ عُقار في أ كفٍ عواتق
وقا ابن الرومي :

للرجسِ الفضلُ برغم من رغم
العينُ قبل السنِّ وهى المتسم
على مُصنوفِ الوردِ والفضلُ قسم
فألها والخذُّ وهو المتلذم
ماطيبَ الريحِ وما أزركى الذسم
ومن التشبيهِ المصيبِ قول الآخر:

ونرجسٌ لاحتظى طرفها
بشبهُ ديناراً على درهم

وقال ابن الرومي في الخمر والنرجس:

ريحانهم ذهبٌ على دررٍ
وقلت: يركبُ الاقحوانُ فيها نهاراً
وشراهم دررٌ على ذهبٍ
فرشت فوقها فرائدُ طلِّ
فترى درهماً على دينار
وتدلت على الفصونِ فجاءت
كشئوف الكواعبِ الابكار
وقال الآخر:

ونرجس قامَ فوقَ منبره
نامَ الندى في عيونه سحراً
مثلَ عروسٍ تجلى وتشتهرُ
لم يفتعض والظلامُ حلَّ به
فاعتاده من منامه سهر
تحريرَ الطلِّ في مدامه
كأتمسا في جفونه قصر
فليس يرقا وليس ينحدر
كدمعة الصبِّ كادَ بسكبها
فردّها في جفونه الحذر
فانثبهَ النرجسُ من رقدته
وغنت الطيرُ بالحنانها

وأحسن ما قيل في الورد قبل أن يتفتح قول بعض المحدثين:

قد ضمه في الفصنِ قرصُ بردٍ
وقلت فيه إذا تفتح:

مرَّ بنا يهترُّ في خطره
يديرُ في أمّله وردةً
ما بينَ أغصانِ وأقمار
يلوحُ في حمرتها صفرةً
جاءت من المسكِ باخبار
كالخذِّ منقوطةً بدينار

وقال ابن المعدل :

عشية حياي بورد كأنه خدود أضيفت بعضهن إلى بعض
 وقلت: قومي انظري ورداً كخذك أحمرأ ترك الربيع وراءه وتقدما
 قد ضمه برد ففتقه ندى كالصب قبل فاك ثم تبسما
 ولم أجد في تشبيه الورد أبدع مما ذكرته ، وتشبيهه بالخد تشبيه مصيب
 ولكني تركت الاكثار منه لشهرته وكثرته ويقال للوردة الحمراء الحوجة والبيضاء
 الوتيرة وبشبهها قرحة الفرس^(١) قال عمرو بن معدى كرب :
 يبارى قرحة مثل الوتيرة لم تكن معدى

وقد أحسن على بن الجهم في قوله يصف الورد :
 كأنهن يواقيت يطيف بها زمرد وسطها شذر من الذهب
 وهو من قول أزدشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كرامى زبرجد
 يتوسطه شذور ذهب . وقال البحترى :

وقد نبه البيروزي في غلس الدحي أوائل ورد كمن بالأمس نووما
 يفتحه برد الندى فكأنه بيت حديثاً كان قبل مكمما
 وقلت في تفضيل الورد على النرجس :

أفضل الورد على النرجس لأجل الأنجم كالشمس
 نيس الذي يقعد في مجلس مثل الذي يمثل في المجلس

وقال ابن بسام :

مداهن من يواقيت منضدة على الزمرد في أوساطها الذهب
 كأنه حين يبدو من مطالعه صب يقبل صبا وهو مرتقب
 ومن الياقوت الأزرق والأصفر والأحمر وليس في البيت دليل على أنه أراد
 الأحمر دون الأزرق فهو معيب من هذه الجهة . وقلت في الورد على الشجر :

(١) القرحة في وجه الفرس دون الفرة .

أصبح الورد في الفصون يحاكي
مثل فرسان غارة يستلبهم
ويلوح النهار أسفل منه
بين نبذ من الشقائق يحكي
وقال ابن المعتز:

ولا زورديّة أوفت بزرقها
كأنها فوق طاقات ضعفن بها
والصحيح أنه في الخرم والشاهد قوله:

بنفسج جمعت أطرافه فحكمت
قوله كأنها فوق طاقات ضعفن بها * يدل على أنه أراد الخرم لأن ساق البنفسجة
لا يضعف عن حمل وردتها وهذا الوصف بالخرم أشبه منه لكبر تورده ودقة ساقه
فاعرف ذلك . وقلت في البنفسج :

وروضة كأنها من حسنها
قد نثر الليل على أنوارها
بكت عليها مزنة فابتسمت
وحولها بنفسج كأنه
وقال آخر :

وكان البنفسج الغض فيه
أثر اللطم في حدود الغيد
وقلت : وبخافات البنفسج يحكي
أثر القرص في حدود العناري
وقلت في الهنة النادرة تحت ورقة البنفسج ولم أسمع فيها من الشعر العربي شيئاً :
ومغنج قال الكمال خلقة
كن مجمةً لأطيبات فكانه
زعم البنفسج أنه كعادره
حسناً فسألوا من قفاه لسانه

وقال ابن الرومي :

أشرب على وردِ البنفــــــــــــسج قبل تأنيبِ الحسود
فكأعما أوراقها آثارُ قرص في الخلود

أغرب معنى جاء في الشقائق قول الأخيطل :

هدى الشقائقُ قد أبصرت حمرتها مستشرفات على قضبانها الذلل
كأنها دمةٌ قد مسّحت كُحلاً جالت به وقفة في وجمتي خجيل
وأظن الاخيطل ابتكره إلا أنه أورده في أهجن معرض وفي أشد ما يكون من

التكلف وأتى بالمحال لان الوقفة لا تجول فمظته وقلت :

وشقائقٌ نقشَ الربيعُ ثيابها فبرزنَ بين مكحل ومجسد
كالخلد يصبغه الحياءُ بحمرة وجرى عليه الدمعُ خلط الأمد

ومن غريب ما قيل فيها قول بعض المتأخرين :

طربَ الشقائقُ للحمام وقد شجا شجورَ القيان فشقَّ فضلَ رداءه
وتحيرت ما بين إمد ماقه في الخلد دمعته وبين حياته
فكانه الحبشيُّ بضع جسمه فثيابه مخصلةً بدمائه
وجمل الشقائق واحداً وهي جماعة مؤنثة والواحد شقيقة فاذا ذكر فعلى

معنى النور وتسميه العرب الشقر . وقلت :

والشقائق خالٌ فوقَ وجنتها ووجنة الوردِ بالدینارِ منقوطة

وقال التنوخي :

شقائقٌ مثلُ خدودِ نقشت شواربٌ بالمسك فيها ولحي
وهو بعيد لأن السواد الذي فيها لا يشبه الشوارب .

ومن أحسن ما قيل في الآذريون قول ابن المعتز :

يا ربما نازعني روح دنانٍ صافيه

في روضةٍ كأنها جلد سماء طاربه

كأنما أنهارها بماءٍ وردٍ جاريه
 كأن آذريونها غبَّ سماءٍ هامية
 مداهنٌ من ذهبٍ فيها بقايا غالية

وقال أيضاً :

وصير آذريونه فوقَ أذنه
 وقلت : ولاح آذريونها
 وقال الشمشاطي (١) :

تراهُ مُعيوناً بالنهارِ نواظراً
 وبعدهُ غروبِ الشمسِ أزرارَ ديباج
 وقال ابن المعتز :

كأنها مداهنٌ من ذهبٍ
 مشرفاتٌ وسطهنَّ غالية
 أتم التشبيه ههنا بقوله « مشرفات » . ومن جيد ما قيل في البهار قول ابن الرومي :
 وروضة عذراءٍ غيرُ عانسه
 فيها شمسٌ للبهارِ دارسه
 كأنها جاجمُ الشامسه
 ترؤفك النورُ منها الماكسه
 بعينٍ يقظى وبجيد ناعسه
 وخرمٌ في صبغه الطياسه
 مثل الطواويسِ غدت مطاوسه
 وقال ابن المعتز :

في روضة كحلل العروسِ
 وخرمٌ كهامةِ الطاوسِ
 وقلت في المذهب الذى سلكه ابن الرومي :

خرمةٌ كهامةِ الطاوسه
 دارى من بهجتها مانوسه
 والعين في فنائها محبوسه
 محفوظةٌ تحسبها محروسه
 نمجبنى منظورة ملوسه
 مرفوعة الهامة أومنكوسه

(١) هو علي بن محمد الشمشاطي اتصل بأل حمدان ، له تصانيف في الأدب .

باقوتة لکنها مغروسه فی زهر^(١) کالشعل المقبوسه
کحلل ألوانها ملبوسه

وقال التنوخی :

ومن حُرْمٍ غُضِّ خِلَالَ شِقَائِقِ بِلُوحٍ كَخِيلَانَ عَلَى وَرْدَتِي خَدِّ
وَإِذَا كَانَ فِي الْخَلْدِ خِيلَانَ لَمْ يَسْتَحْسِنِ الْخَلَالَ الْوَاحِدَ . وَقَلْتُ :
عَلَى رِيَاضِ حُرْمٍ كَأَنَّهَا رُؤُوسُ هُدَابٍ حَرِيرِ الْخَلِّ
وَقَالَ ابْنُ طَبَّاطَبَا :

وَطَوَّسَ فِيهَا حُرْمٌ فَكَأَنَّهَا صَامَاتٌ وَشَى هَيْئَتِ الْخَازِنِ
وَقَلْتُ فِي الْبَهَارِ وَالْوَرْدِ :

وَرَدُّهُ إِلَى جَنْبِهِ بِهَارٍ كَالْخَلْدِ أَصْفَى إِلَيْهِ قِرْطِ
وَقَدْ جَمَعْتُ أَصْنَافَ الْمَشْهُورِ فِي آيَاتٍ وَمَا جَمَعَهَا أَحَدٌ إِلَّا بَعْضَ الْكِتَابِ
فِي آيَاتٍ غَيْرِ مَخْتَارَةِ الرِّصْفِ قَلْتُ :

ألوانٌ مشهورٌ يريك حسنها
ياحسنها في كَفٍّ من يشبهها
من أشهل كمينه وأبيض
وأصفرٍ مثلٍ صريعٍ حبه
وقال السري في الورد :

من بعد مامرٍّ حولٍ وهو اضمار
إلأعري أغفلت منها وأزرار
تتكافأ وأنعم تتجدد
وسنى برقه يطرز مطرد
يملك الطرف إذ يقوم ويأود
أما ترى الورد قد باح الربيع به
وكان في حلالٍ خضرٍ وقد خلعت
وقلت : ليس ينفك للغمام أباد
فترى رعدهُ يشق حريراً
وترى للزمان غصناً وريقاً

أنبت الأرضَ عسجداً ولجيناً فالروابي مكللٌ ومقلدٌ
 وجرى الريحُ سَجسجاً^(١) ورخاءً فالمناهي^(٢) مسلسلٌ ومسرّدٌ
 وسبى العينَ لؤلؤً وعقيقاً نظماً في زمردٍ وزبرجدٍ
 فترى ثمَّ مضحكاً يتجلى وترى ثمَّ وجنةً تتورد
 قطراتِ الندى أحادٌ ومثنى مثل دُرٍ منظمٍ ومبددٍ
 وكأنَّ الشقيقَ كأسُ عقيقٍ طرحَ المسكِ في قرارتها ند
 فترى النجدَ في رداءِ موسى وترى الوهدَ في قميصِ مُعمدٍ
 وعليه من البهارِ عطاف ومن الوردِ والشقائقِ مُجسدٍ
 وترى النورَ مثلَ مضحكِ خود وترى الغصنَ مثلَ شاربِ أمردٍ

ومن بديع ما قيل في كمن النيلوفر وظهوره قول ابن الرومي :
 فكأنه في الماءِ صاحبُ مذهبٍ أغراهُ وسواسٌ بأن لا يطهر
 وقال السري^(٣) :

ونيلوفرٍ أوراقهُ الخضرُ تحتهُ بساطهُ إليه الأعينُ النجلُ شُخصُ
 هذا البيت غير مختار الرصف ظاهر التكلف :

إذا غاصَ في الماءِ النميرُ حسبتهُ رؤوسَ إوزٍ في الحياضِ تغوصُ
 وقوله « النمير » لا يحتاج إليه . وقال آخر من أبيات :
 كأنما كلُّ قضيبٍ بها يحملُ في أعلاهُ ياقوته
 قلت : فشربتها عذراء من يدٍ مثلها تحكى الصباحَ مع الصباحِ المشرقِ
 في روضةٍ تلتفك حينَ لقيتها بمنمنمٍ من فبتها ومنقِ
 فانظر إلى عشبٍ هناكٍ مجمع وانظر إلى زهرٍ هناكٍ مفرقِ

(١) في نسخة « سجداً » . (٢) المنهي : المحل الذي ينتهي إليه الماء .

(٣) هو السري الرفاء الموصلبي ، مدح سيف الدولة والوزير المهلبى والكبار ،

وكان بينه وبين الخالدين معاداة .

تجبي بورِدِ كاللجينِ مكفرٍ منها ووردِ كالعقيقِ مخلق
وكذاك تتحف من منافع مائها بمخلقٍ يعلو ذؤابةً أخلق
يبدو ويكمن في الغديرِ كأنه جانٍ يحاول أن يمينَ ويتقى
فالى السرورِ لنا عنانٌ مطلقٌ إن الفوائدَ فى العنانِ المطلق

وقد أحسن القائل فى صفة الرياض :

بكينَ فأضحكنَ الرُّبى عن زخارف من الروضِ عنهنَّ الأثرى متهاملٌ
ترى قضبَ الياقوتِ تحتَ زبرجد ترى قضبَ الياقوتِ تحتَ زبرجد
تلقحها الانداءَ ليلاً بريقها فيصبحنَ أبقاراً وهنَّ حوامل

وقلت فى الآسِ ولا أعرف لأحد فيه شيئاً بديعاً :

ومهرجانٌ معجبٌ موقنٌ كالنَّورِ غبَّ السَّبلِ الساجم
طالمتُ فيه غرراً وضَّحاً كمثلِ أيامِ أبى القاسم
والآسِ فى كفى أحبيهم مثلَ شوابيرِ بنى هاشم

وقلت فى الريحان :

وخضرٌ يجمعُ الأعجازِ منها مناطق مثل أطواقِ الحمام
لها حسنُ العوارضِ حينَ تبدو وفيها لينُ أعطافِ الغلام

وقال كشاجم وأحسن :

أرتك يدُ الغيثِ آثارها وأعلنت الأرض أسرارها
وكانت أكننتُ لكانونها خبيثاً فأعطته آذارها

والنصف الأول من هذا البيت متكلف :

فما تقعُ العينُ إلا على رياضٍ تصنّف أنوارها
يفتح فيها نسيم الصبا جناها فبهتك أستارها
ويسفح فيها دماءَ الشقيقِ ندى ظلِّ بفتض أبقارها
وتدنى الى بعضها بعضها كضمِّ الإجابة زوارها

كَأَنَّ تَفْتَحَهَا بِالضَّحَى عَدَارَى تَحَلُّ أَزْرَارَهَا
تَفْضُ لِرَجْسِهَا أَعْيُنًا وَطُورًا تَحْدَقُ أَبْصَارَهَا
إِذَا مَزْنَةٌ سَكَبَتْ مَاءَهَا عَلَى بَقْعَةٍ أَشْعَلَتْ نَارَهَا
وَقَالَ فِيهَا: وَأَقْبَلَ يَنْظُمُ أَنْجَادَهَا
وَأَرْضَعَ جَنَاتَهَا دَرَّةً وَدَارًا بِأَكْنَفِهَا دَوْرَةَ
وَقَالَ أَيْضًا فِي الْبَاقِي:

جَنَى يَوْمٍ لَمْ يُوْخِرْ لَعْدٍ وَلَمْ يَنْقُلْ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدٍ
كَالْمَعْدِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُعْقِدِ أَوْ كَالْفُصُوصِ فِي أَكْفِ الْخُرْدِ
أَوْ كَكَبَارِ اللَّوْلُؤِ الْمُنْضِدِ فِي طَيِّ أَسْوَافٍ مِنَ الزَّبْرِجَدِ
مَفْرُوشَةٌ بِالْكَرْسَفِ الْمَلْبَدِ

وَقَلَّتْ فِيهِ أَيْضًا:

أَبْدَى الرَّيْبِ لَنَا مِنْ حَسَنِ صَنْعَتِهِ شِبَاهَهُ اتَّفَقَتْ فِي الشَّكْلِ وَالصُّورِ
خَضْرُ طَوَاهِرُهَا بَيضُ بَطَائِنِهَا تَحْكِي الْقَبَاطِي تَحْتَ السَّنْدَسِ النَّضْرِ
بَيضُ شِبَاهَتِهِ فِي خَضْرِ مَلْهَمَةٍ مِثْلَ الزَّبْرِجَدِ مِثْلِيًّا عَلَى دَرَرٍ
يَنْشَقُّ أَخْضَرُهَا عَنِ أَيْضِ يَقْقِ كَالثَّمْرِ يَشْرُقُ تَحْتَ الشَّارِبِ الْخَضْرِ

وَمِنَ الْمَشْهُورِ فِي وَرْدِ الْبَاقِي قَوْلُ الصَّنُوبَرِيِّ:

وَبَنَاتِ بَاقِي يُشْبِهُ نَوْرُهَا بَلَقَ الْحَمَامِ مُشْتَبِلَةً أَذْنَابَهَا
وَقَلَّتْ فِيهِ: وَيُزْهِى وَرْدُ بَاقِي كَأَطْوَاقِ الشَّعَانِينِ

وَقَالَ السَّرِيُّ فِي غَيْرِ ذَلِكَ:

فِي زَاهِرِ عِبْقِ تَضْوَعُهُ فِسْكَانٌ عَطَارًا يَعْطُرُهُ
ضَاهِي مَسْكُهُ مَعْنَبُهُ وَحِكِي مُدْرَهْمُهُ مَدْرُهُ

وَمِنَ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي الْبَسَاتِينِ وَمَوَاضِعِ الْأَشْجَارِ قَوْلُ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَخْبَرْنَا

أبو أحمد عن رجل عن الرياشي قال كان في يد الخليل بن أحمد أرض من
أراضي البصرة ليتيم فلما بلغ اليتيم مضي به الخليل إلى الأرض ومعه قارورة من
ماء زمزم فلما جاء المدث صب ما فيها في فوهة نهرها ليخلص إلى جميعها ثم قال يابني
هذه أرضك فقم فصل فيها ركعتين واشكر الله على ما أعطاك منها وادع بالبركة
لك ولمن بعدك ، ثم أنشأ يقول في وصفها :

ترفعت عن يدِ الاعماقِ وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقيهاها
فالتفَّ بالزهرِ والريحانِ أسفلها ومالَ بالنخلِ والمانِ أعلاها
وصارَ يحسده فيها أصادقه ولائمٌ لأمٍ فيها من تنائها
أبامعاوية اشكر فضلَ واهبها وكلما جثتها فاعمر مصلاها

وقال ابن المعتز في السرو والرجس :

لدى نرجسٍ غُضٍ وسروٍ كأنه قدودٌ جوارٍ رحنَ في أزرٍ خضر
وقلت : لبسَ الماءُ والهواءُ صفاءً واكتسى الروضُ بهجةً وبهاءً
فكانَ النهاءُ صرنَ رياضاً وكانَ الرياضُ عدنَ نهاءً
وكانَ الهواءُ صارَ رحيقاً وكانَ الرحيقُ صارَ هواءً
وتخالُ السماءُ بالليلِ أرضاً وترى الأرضُ بالنهارِ سماءً
جللتها الانواءُ زهراً وشفراً يومَ ظلت تنادمُ الانواءُ
قترها ما بينَ نَوِيٍّ ونَوِيٍّ تكفاً تبسماً وبكاءً
وتظلُّ الأشجارُ تتخذُ الحسنَ قميصاً أو الجمالَ رداءً
لبست حينَ أثمرت خلدات (١) واكتست حينَ أورقت سِراء (٢)
وترى السرو كالنابرِ تزهي وترى الطيرَ فوقها خطباء
وقال أبو عيينة :

تذكرني الفردوسُ طوراً فأرعوى وطوراً تواتبني على القصف والفتك

(١) أي أقراط. (٢) نوع من الثياب ..

بغرس كأبكار الجوارى وتربة كأن ثراها ماء ورد على مسك
وقال السرى في تفاح ودستنبورى ورمات :

إن شيطانك في الظر في شيطان مريد
فهذا أنت فيه مبدى ثم معيد
قد أتتنا طرف منك على الظرف تزيد
طبق فيه خدود وقدود ونهود
وقد أحسن التنوخى في وصف النارج حيث يقول :

لم لا تجن بها القلوب وقد غدت مثل القلوب
وقلت: تطالنا بين الفصون كأنها خدود عذارى في ملاحفها الخضر
أنت كل مشتاق يريا حبيبه فهاجت له الأحران من حيث لا يدري
وقال: إذا لاح في أغصانه فكأنه شمس عقيق في قباب زبرجد
وقلت في المركب :

مركب تعجب من حسنه قد كنز الفضة في تهره
يشاكل العاشق في لونه ويشبه المعشوق في نشره

وقال الصنوبرى في التفاح وقد ظرف :

أعطت يدها محبه تفاحة تعطى المحب أمانه من صدّه
وهذا البيت متكلف جداً :

فعلت حين لثمتها من كفه انى سألم أختها من خده
وقال أيضاً فى اترجة وأحسن :

جاء فحيانى بأترجة من ذهب قد حشيت فضه
أتى بها ناعمة غضة من كفه الناعمة الغضة
ببذل للقلبة حسناً ولا تصلح أن ببذل للعضه
أحبب بها من مسكة محضة ناولنيها مسكة محضة

وقلت في الأترج والنارنج :

تري النارنج في ورقٍ نضيرٍ فتحسبه عقيقاً في زبرجد
وأترجٌ على الأغصان يزهُي كما رفع الفتى قنديلَ عسجد
وقال بعضهم في دستنبوية :

يا حبذا تحيةً رحت بها مسرورا
مخزنة من ذهبٍ قد مُلئت كافورا

وقال غيره في الليمون :

وقهوة تزهرُ في السراج نشربها على كراةٍ عاج

ملبسات أصفر الديباج

وقلت فيه : أحرق ليونٌ بأترجة كأنجم تحرقُ بالبدر
مخروطة الأجساد من فضة ملبسات قمصَ التبر
قد شدت من هاماتها زرشها يا عجباً من ذلك الزر
اشرب عليها وتمتع بها فانها من تحفِ الدهر

وابعض الكتاب رسالة في التفاح ليس لها نظير في معناها وهي التي أخبرنا بها
أبو أحمد قال أخبرنا الجلودى قال حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال أهدى ظريف من الكتاب
تفاحة وكتب : لما رأيت تنافس أحبابك وثقات أصدقائك على الهدايا وتواتر أطرافهم
عليك تفكرت في هدية تخف مؤنتها ويعظم خطرها ويجل موقعها تجمع الخصال
المحمودة وتنظم الخلال الموموقة فلم أجد شيئاً يجتمع فيه ما أحببنا ويكمل له ما وصفنا
غير التفاح فأهديت إليك منه واحدة وأحببت أن أنبهك على فضلها وأقفك على
نبلها وأكشف لك عن سر أثرها وأعرفك لطائف معانيها وأنعت لك مقالة الأطباء
فيها وما نظمت الشعراء في مدحها حتى تراها بعين الجلالة وتنظر إليها نظر الصيانة
فانه يحكى عن أمير المؤمنين المأمون أنه قال : اجتمع في التفاح الصفرة الدرية والحمره
الخرية الذهبية وبياض الفضة ونور القمر يلتذ بها من الحواس ثلاث العين لحسن لونها

والأنف لطيب عرفها والضم للذة طعمها ، وقال حكيم من الحكماء : الخمر صديقة
الجسم والتفاح صديق الروح ، وقال آخر منهم وقد حضرت وفاته واجتمع إليه
تلاميذته وأراد مناظرتهم فضعف عنها فقال : إئتوني بتفاحة أعصم برأيتها ريثما
أقضى وطرى من المناظرة . فلم يستخفها إلا لفضلها على غيرها ، وقال آخر : جسم التفاح
صديق الجسم وريحه صديق الروح ، وقال حكيم من الأطباء : إن أجود الأشياء
لعلاج المزاج الحاد الكائن في المعدة مع المزاج البارد الكائن في الرأس وغثيان
النفس وقلة الاستمرار للطعام التفاح ، وقال إبراهيم بن هانيء : ماعلل المريض المبلى
وسكنت حرارة الشكلى وردعت شهوة الحبل ولا كسرت فورة السكران ولا أرضى
الغضبان ولا ردت عرامة الصبيان بشيء مثل التفاح . والتفاحة إن حملتها لم تثقلك
وإن رميت بهالم تؤلمك وقد اجتمع فيها لون قوس قزح من الحمرة والخضرة ولو حل
التفاح لكان قوساً ولو عقدت القوس لكانت تفاحاً ، وقال بعض الشعراء :

مُحْمَرَةٌ التَّفَاحِ فِي مُخْضَرَّتِهِ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ مِنْ قَوْسِ قَزَحٍ

والخمرة تفاحة ذائبة والتفاحة خمرة جامدة . وقال الشاعر * الخمر والتفاح شكلان *
وقال آخر : تفاحةٌ حمراءٌ منقوشةٌ ركبتهافي غصنِ الآس
ألبستها ورداءً وكللتها إكليلَ نسرين على الراس

وقال آخر في التفاحة :

كأنما حمرةها حمرةُ خدِّ خجل

وقال ابن أبي أمية :

مازلت أرجوك وأخشي الردى معتصماً بالله والصبر
حتى أتني منك تفاحةٌ زحزحت الأحران عن صدرى
حشوتها مسكاً ونقشتها ونقشُ كفيك من السحر
واهاً لها تفاحة أهديت لو لم تكن من خدع الدهر

فاذا وصلت اليك - أوصلك الله إلى رحمته وعطفه - فتأمل وصفها بعينك وتناولها

بيمينك وأحضرها ذهنك وفرغ لها شغلك واجمع لها عقلك وغازلها ساعة وهازلها
أخرى ولا تكن متهاوناً بقدرها غير عالم بفضلها فتتناولها بمحركة باردة وطبيعة
جامدة وقلب ساهٍ وعقل لاهٍ وذهن غبي وشراهية نهم عساه أن يكلمها بأسنانه
ولا يدري ما قدرها عند إخوانه ويقصر بمن حياه وينتقص من أهدها ولا يتحدثها
بيدك ولا تثلمها بظفرك ولا تبتذلها للغبار ولا تعرضها للدخان فاذا طال لبثها لديك
وخفت أن يرميها الزمان بسهمه ويقصدها بربيه ويذهب بهجتها ويحول نصرتها
فهيناً لك أكلها والسلام .

وشبه بعضهم ورق الريحان بقافات وفاآت في شعر غير جيد فتركته ولم أذكره .

وقلت في الريحان :

ثم انثنيها الى خضيرٍ مُنعمَةٍ كأنَّ أوراقها آذانُ جُرذانِ
وقهوةٌ كجنيِّ الوردِ وشَّحهُ من لؤلؤِ القطرِ والأنداءِ سمطانِ
وقال السري في دستنبوية :

وأغنِّ كالرُشأِ الغريبِ—ر نشأ خلالَ الربربِ
في آخدهِ وردٍ حمأ هُ من القطفِ بعقربِ
حيأ بدستنبوية مثل السنانِ المذهبِ

وقال أيضاً فيها :

صفراء ما عنَّت لعيني ناظرٍ إلا توهمها سناناً مُذهبا
وقلت : وأترج يحفُّ بها أقاحِ كبدري الليلِ تكنفه النجومِ

وقال السري في نارنجية :

أهدت على نأى المحلِّ وقد أنأى التصبرِ طُولُ هجرتها
نارنجيةٌ منها استعيرَ لها ما ألبستُ من حُسنِ بهجتها
وشعاعها من نورِ وجنتها ونسيمها من عطرِ نكحتها
وكانَ ما يخفيه باطنها ما أضرتُ من سوءِ غدرتها

وحكى اخضراراً شاباً وجنتها
فأتتك مُكملةً محاسنها
فشعارها صفوُ اللجين ومن
تهدى إلى الأزواح من بُعد
ويصونها مسرّى روائحها
فأشرب عليها من شقيقتها
واعطف عنان النفس عن فكر
وقال ابن طباطبا العلوى في الأترج :

ريحانةٌ في اصفرارٍ مهديها
شبهتها بعدَ فكرةٍ فيها
أحبةٌ لم تُصيخْ لهاذها
تسدُّ آذانها بأيديها

فأورد المعنى في بيتين فقصر من غرابة معناه . وجملت دستنبوية مقفعة في غصن آس
فسقطت فناولنيها بعض الأحبة فقلت :

وأصفرُ يهوى من ذؤابةٍ أخضر
كما انقضَّ نجمٌ في الدجنةِ ناقب
له شعبٌ تهوى ^(٢) على سرّواته
كمثل بنان الكفّ يلويه حاسب
فناولنيهِ ذو دلالٍ كأنما
له الشمسُ أمٌّ والبدورُ أقارب
فأصبح مشهورَ الجمالِ مشهوراً
له الحسنُ خدنٌ والملاحةُ صاحب
وقال بعضهم في الأترج :

لها ورقٌ ريجها ريجهُ
كأن تعطف أوراقها

وقال ابن خلاد في شجر الزيتون :

إذا ذلت الأشجارُ يوماً لُفوةً
فان لها عزَّ القناعة والصبر
تصرف في اللذات من كلِّ طعام
تصرف زيد أخذاً بقفا عمرو

(١) في نسخة (بصحبتها) . (٢) في نسخة (تلوى) .

وقلت في التفاح :

ليس ریحُ التفاحِ عندی بريحٍ
لاولكنه صدیقٌ لروحي
مُحرمةُ الخدِّ واخضرارُ عذارٍ
فلیحٌ بطوفٍ حوْلٍ ملبحٍ
وقال نصر بن أحمد :

أكلتُ تفاحةً فعاتبني
فقی رأها كخددٍ معشوقه
فقال خدُّ الحبيبِ تأكلهُ

وقال السري :

لو جئدتُ راحنا اغتدت ذهباً
أوذابَ تفاحنا غدا راحا
وقلت في الرمان ولا أعرف فيه شيئاً مرضياً :

حكي الرمانُ أوَّلَ ما تبدى
حقاقَ زبرجدٍ يُحشِينَ دُرّاً
فجاءَ الصيفُ يحشوهُ عقيقاً
ويكسوهُ مرورُ القیظِ تبراً
ويحكي في الفصونِ ندىً حور
شققنَ غلائلاً عنهن خضرا

وقلت في خوخة :

وخوخة ملء يدِ الجانية
تملكُ لحظَ الأعينِ الرانية
مصفرة الوجنةِ محمرة
كأنها شاشقةٌ سالية

وأجود ما قيل في العنب قول ابن الرومي :

ورازقيّ مخطف الخصورِ
كانه مخازنُ البلورِ
قد ملئت مسكاً إلى الشطورِ
وفي الاعالی ماءً وردٍ جورِ
لم يُبقَ منها وهجُ الحرورِ
إلا ضياءً في ظروفِ نورِ
له مذاقُ العسلِ المشورِ
ويردُ مسَّ الخصرِ المقرورِ
ونفحةُ المسكِ مع الكافورِ
لو أنه يبقى مع الدهورِ

قرَّظَ آذانِ الحسانِ الحورِ

وقال في معناه :

ورازقٍ مَخْطَفٍ خِصْرُهُ قَدْ أَيْبَعَتْ أَنْصَافَهُ الْأَسَافِلُ
 كَأَنَّهَا مَخَازِنٌ مَمْلُوءَةٌ مِنْ مَاءٍ وَرَدٍ فِيهِ مَسْكٌ ثَافِلٌ
 لا يزيد على هذا الوصف أحد . . . ودخل اعرابي على هشام بن عبد الملك فقال
 له هشام ما أطيب العنب عندكم ؟ قال ما خضر عوده وغلظ عموده وسبط عنقوده
 ورق لحاؤه وكثر ماؤه . فقال له كم عطاءك ؟ فقال ألفين فسكت ساعة ثم قال له
 كم عطاؤك ؟ قال ألفان . قال فلم لخت أولاً ؟ قال لم أشته أن أكون فارساً وأمير
 المؤمنين راجلاً لخت فلخت ونحوت فنحوت . فاستحسن أدبه وأجازه . وقلت :

بَاكَرْنَا الدَّهْرُ بِسِرِّائِهِ وَكَفَّ عَنَا بِأَسِّائِهِ
 وَجَاءَنَا أَيْلُولٌ مُسْتَبْشِرًا يَثْنِي عَلَي الدَّهْرِ بِآلَائِهِ
 أَمَا تَرَى الرِّقَّةَ فِي جَوِّهِ تَنَاسَبُ الرِّقَّةَ فِي مَائِهِ
 أَنْظِرْ إِلَى أَنْوَاعِ أَعْمَارِهِ قَدْ ضَمَّهَا فِي بُرْدِ أَحْسَائِهِ
 رَاحَتْ عَلَيْهَا نَسِيْمَاتُ الصَّبَا تَقْرِصُهَا فِي بَرْدِ أَفْيَائِهِ
 أَمَا تَرَى حَسْنَ مَلَاحِيهِ يُهْدِي إِلَى بَهْجَةِ شِعْرَائِهِ
 أَنْظِرْ إِلَى رُؤْيَانِهِ ضَاحِكًا حَمْرَاؤُهُ فِي وَجْهِ بِيضَائِهِ

وقال ابن المعتز في العنب :

ظَلَّتْ عَنَاقِيدُهَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَرْقٍ كَمَا خَبِي الزَّنْجُ فِي خَضْرِ مِنَ الْأُزْرِ
 وَيُرْوَى لِابْنِ الْمُعْتَزِ فِي التَّفَاحِ :
 وَتَفَاحَةٌ صَفْرَاءٌ حَمْرَاءُ غَضَّةٌ كَخَدِّ مَحْبٍ فَوْقَ خَدِّ حَبِيبٍ
 أَحْبَابُهَا طَوْرًا وَأَشْرَبُ مِثْلَهَا مِنْ الرَّاحِ فِي كَفِي أَعْنِ رَيْبٍ
 وَقَلَّتْ فِي النَّارِنِجِ :

رَوْضٌ زَهَاهُ الْمَزْنُ فِي كَرَّاتِهِ بِمَكْفَرٍ (١) وَمُزْعَفِرٍ وَمُضْرَجٍ
 فَتَبَسُّمُ النَّارِنِجِ فِي شَجْرَاتِهِ مِثْلَ الْعَقِيقِ يَلُوحُ فِي الْفَيْرُوزِ

(١) أي ممزوج بالكافور .

والسكّاس يحملها أغنُّ يزينهُ وجناتُ وردٍ في عذارٍ بنفسج
ومن أجود ما قيل في النخل من قديم الشعر ما أنشدناه أبو أحمد عن الجلودى
عن محمد بن العباس عن أبيه عن الأصمعي للنمر بن توبل :

ضربن العرقَ في يَبوعِ عينِ طلبنَ معينه حتى ارتوينا (١)
بنات الدهرِ لا يخشينَ محلاً إذا لم تَبَقَ سائمةٌ بقينا
كأنَّ فروعهنَّ بكلِّ ربحِ عذارى بالذوائبِ ينتصينا (٢)
وقد ملح النابغة في قوله :

صغارُ النوى مكنوزةٌ ليس قشرها إذا طارَ قشرُ التمرِ عنها بطائر
من الوارداتِ الماءَ بالقاع تستقى بأعجازها قبلَ استقاءِ الحناجر
وهذا أجود من الأول لأنه ذكر أنهم وردن الماءَ يعنى الماء الذى فى
بطن الأرض معينا . وقال النمرُ « طلبن معينه » فجعل الماء الذى فى بطن الأرض
معيناً ، والمين إمّا هو الماء الجارى على وجه الارض ظاهراً .

ومن أجود ما قيل فى الطلع من الشعر القديم قول كعب بن الأشرف (٣) :

ونخيل فى تلاعِ جمّةٍ تخرجُ الطلعَ كأمثالِ الكف
وقال الربيع بن أبى الحقيق :

أذلك أم غرسٌ من النخلِ مترعٍ بوادى القرى فيه العيونُ الرواجعُ
لها سمفٌ جعدٌ وليفٌ كأنه حواشى بُرودٍ حاكهن الصوانع
وهذا فى وصف الليف حسن . وأخبرنا أبو أحمد عن الجلودى عن الحرث بن
اسماعيل عن سهل بن محمد عن علي بن محمد عن أسلم الأزدي عن يونس عن الشعبي
قال كتب قيصر إلى عمر : إن رسلى أخبروني أن بأرضك شجرة كالرجل القائم تفلق

(١) فى نسخة « حتى رويننا » . (٢) أى يأخذ بعضها بنواصى بعض .

(٣) هو كعب الطائى الشاعر الشجاع الجاهلى كان ينال من المسلمين

عن مثل آذان الحمر ثم يصير مثل اللؤلؤ ثم يعود كالزمرد الاخضر ثم يصير كالياقوت
 الاحمر والاصفر ثم يربط فيكون كأطيب فالوذ اتخذ ثم يجف فيكون
 عصمة للمقيم وزاداً للمسافر فان كان رسلى صدقوني فهي الشجرة التي نبتت على مريم
 بنت عمران . فكتب عمر اليه : إن رسلك صدقوك وهي شجرة مريم فاتق الله
 ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله .

وهذه تشبيهات مصيبة أخذها عبد الصمد بن المعتدل فقال يصف النخل :

حدائقٌ ملتفةُ الجنانِ	رست بشاطى ترع ريان
تتأثرُ بالاعجازِ للاذقانِ	لا ترهبُ المحلَّ من الازمان
ولا توفى ختلَ الذؤبانِ	ولا ترى ناشدة الرعيان
ولا تخافُ عرَّةَ الاوطانِ	سحج الرؤوسِ كمتُ الابدان
لها بيوم البارح الجنانِ	مثلُ تناصى الخرد الحسان
إذ هي أبدت زينة الرهبانِ	لاحت بكافورٍ على إهان
يطلعُ منها كيد الانسانِ	إذا بدت مملومة البنان
ُعلت بورسٍ أو بزعفرانِ	حتى إذا شبه بالآذان
من حمر الوخش لذي عيانِ	وهذا لفظ زائد على معناه :
شققه علجانِ ماهرانِ	من لؤلؤ صيغ على قضبان
مصوغة من ذهب خلصانِ	ثم ترى لل سبع والثمان
قد حال مثل الشدر في الجانِ	يضحك عن مشبه الاقران
كأنه في باطن الأفنانِ	زمرد لاح على التيجان
حتى إذا تم له شهرانِ	وانسدلت عثا كل القنوان
كأنها قضب من العقيانِ	فصلن بالياقوت والمرجان
من قاني أحمر أرجوانِ	وفاقع أصفر كالنيران

مثل الأكاليل على النوانى

ولا أعرف في النخل من شعر المحدثين أجود من هذه الارجوزة . وقلت :
ونخيل وقفن في معطف الرمس وقوف الحبشان في التيجان
شربت بالأمجاز حتى تروّت وترأت بزينة الرحان
طلع الطلع في الجماجم منها كأ كفّ خرجن من أردان
فترها كأنها كمت الخيل توافت مُصرة الآذان
أهو الطلع أم سلاسلُ عاج مُحلت في سفائن العقيان
ثم عادت شبائهاً تنباهي بأعلى شبائه أقران
خرزات من الزبرجد خضر وهبتها السلوك للقضبان
ثم حال النجار واختاف الشكل فلاحت بجوهر ألوان
بين صفر فواقع تنباهي في شماريخها وحر قواني
وقال بعض العرب * طلماً كآذان الكلاب البيض *
وقال ابن المعتز في الرطب :

كقطع العقيق يانعات بخالص التبر منوعات
وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا السكن بن السعيد
قال أخبرنا محمد بن عباد قال تكلم صعصعة عند معاوية بكلام أحسن فيه فحسده
عمرو بن العاص فقال : هذا بالتمر أبصر منه بالكلام ، قال صعصعة : أجل أجوده
مادق نواه ورق سحاؤه وعظم لحوؤه والريح تنفجه والشمس تنضجه والبرد
يدججه ولكنك يا ابن العاص لا تمرأ تصف ولا الخير تعرف بل تحسد فتعرف^(١)
فقال معاوية رغباً فقال عمرو أضعاف الرغم لك وما بي إلا بعض ما بك .

ومن الغلو في صفة التمر ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأباري عن اسماعيل
ابن أسحق القاضي عن أبي نصر قال قال الأصمعي قيل للغاضري أي التمر أجود ؟
قال : الجرد الفطس الذي كأن نواه ألسن الطير تضع الواحدة في فلك فتجد

(١) أي تقذف .

حلاوتها في كعبك يعني الصيحاني . وقال الخباز البلدي :

ذرى شجر للطير فيه تشاجر^ه كأن بنات الورد فيه جواهر
 كأن القمارى والبلابل بينها قيان^ه وأوراق الغصون ستائر
 شربنا على ذاك الترمم قهوة كأن على أحداقها الدرُّ دائر

وقال غيره :

أى يوم لنا على التلِّ بالما^ه (١) وعيش تضيق^ه عنه النعوت^ه
 ورد الدر فيه في شجر اللو ز وفي الخوخ ورد الياقوت
 وقلت : ظل بسقى حدائقاً وجناناً يلهما من حدائق وجنان
 خطرت بينها الرياح^ه سحيراً فتناصت (٢) تناصى الأقران
 وتناجى الغصون فيها سراراً وتنادى الطيور بالاعلان
 فتناجى الغصون شبه عتاب وتنادى الطيور مثل أغاني
 من كروم تمايلت بمناقيد كجعد الزوج والخبشان كوجوه الخرائد الفران
 كلالى تشبث بلال وهى كالنجم في فروع كروم
 وقلت في البطيخ :

وجامعة لأصناف المعاني صلحن لوقت إكثار وقله
 وإحداهن تبرز في عباء وأخراهن في حبر وحله
 ومنها ما تشبهه بدوراً فان قطعها رجعت أهله

وقات : ولون واحد يلقى فيأتينا بألوان
 بسمران وسودان ومهران وصفران
 كوشى في يدى واش وشهدى في يدى جاني

(١) الماء : اسم لناحية . (٢) أى أخذت كل واحدة بناصية الأخرى .

فمن آدم ومن ثقلٍ وربحانٍ وأشنان
وأشدنا أبو أحمد في الكرم :

لهنّ ظلٌّ باردُ الودائق يحملنَ لذّاً طعمه للذائق
كأنها غدائرُ العوائق تُناطُ في حُجرٍ من المعالق
كأنها أناملُ الفرائق

وهو من قول الآخر : * يحملنها بأنامل النقران * وقلت في اللقاح :
انظر الى اللقاح تنظرُ معجباً يجلو عليك مفضضاً في مذهب
يعلو مفارقة قلانس أخفيت من تحتنّ دراهم لم تضرب
وقلت في قصب السكر ولا أعرف فيه شيئاً لأحد :

ومشوقة القامات بيض نحورها وخضر نواصيها وضفر جسمها
لها حقب لا تستطيع اطراحها وليس يطيق سلبها من يرومها
وهن رماح لا تريق دم العدى ولكن يراق في القدود صميمها
يميل على أعرافها عذباتها كحور تناصي هندها ورميمها^(١)
تناهى بها الأدراك حتى كأنها يُعلُّ بماء الزعفران أدِيمها
ترى الريح يُغريها بنجوى خفية إذا ماجرى قصر العشى نسيها
ومن جيد ما قيل في السدر والطلح قول بعضهم :

لم ترَ عينا ناظرَ منظرًا أحسن من أفنانِ طلح مروح^(٢)
كأنها والريحُ تسمو بها ألويةٌ منشورةٌ للفتوح
وسدرة مدت بأفنانها على سواقٍ كتون الصفيح

إلا أن قوله « للفتوح » فضلٌ لا يحتاج إليه لأن الألوية إذا نشرت للفتوح
مثلها إذا نشرت لغير الفتوح فذكر الفتوح لغو .

وإنما أورد في هذا الكتاب مثل هذا الشعر لأن غيري اختارها فأريد أن

(١) رميم : اسم امرأة كهند . (٢) مروح : أى أصابته الريح .

أدُلُّ على موضع العيب فيه ليوقف عليه . ومن جيد ما قيل في النبق قول بعضهم :
 أَنَانِي فُخْيَانِي بِنَبِقِ كَأَنَّهُ حُلِيٌّ عَرُوسِ زَانٍ لَيْتًا وَأَخْدَعَا
 بِأَحْمَرَ كَالْيَاقُوتِ يَقْطُرُ مَائُهُ وَأَصْفَرَ كَالْعَقِيَانِ ضَمَّهُمَا مَعَا
 وقال آخر :

أَقْبَلَ تَحْتَ اللَّيْلِ كَالظَّيْرِ الْفَرْقِ بِالرَّاحِ وَالرَّيْحَانِ وَالْمَسْكِ عَمِيقِ
 فَجَادَ بِالْوَصْلِ وَحَيَاً بِالنَّبِقِ وَقَلْتُ نَبِقٌ هَكَذَا وَتَتَّفِقُ
 مَا أَخْضَرَ عَوْدُهُ أَبَدًا لَانْفَرَقَ

وقلت في النبق :

جَلِي الرَّبِيعُ عَلَيْنَا كَوَاعِبًا أَبْكَارَا
 مُتَوَجَّاتٌ عَقِيقًا مَسُورَاتٌ نَهَارَا
 تَرَى لَهْنَ مِنَ الْوَرْدِ دُ شَوْذِرًا وَخَمَارَا
 أَهْدَى لَنَا جَوْهَرَاتٍ تَحِيرُ الْإِبْصَارَا
 بِأَحْسَنِ حَمْرِ وَمُصْفَرِّ تَرِيكِ جَمْرًا وَنَارَا
 قَدْ رَاقَ ذَلِكَ أَحْمَرًا وَرَاعَ ذَلِكَ أَصْفَرَا
 وَخَلْتُ هَذَا عَقِيقًا وَخَلْتُ ذَلِكَ نُضَارَا
 وَذَلِكَ شَهْدًا مَشَارًا وَذَلِكَ رَاحًا عُقَارَا
 لَوْ كَانَ يَبْقَى سَلِيمًا نَظَمْتُهُ تَقْصَارَا (١)

وقلت في المشمش ولا أعرف فيه لأحد شيئاً مرضياً :

جَنَيْتَهَا وَالصَّبْحُ وَرَدَى الْمَذَبُ بِنَادِقًا مَخْرُوطَةً مِنَ الذَّهَبِ
 قَدْ ضَمَّنْتَ أَمْثَالَهَا مِنَ الْخَشْبِ وَالتَّفُّ مِنْهَا خَشْبٌ عَلَى غَرْبِ
 وَصَارَ مِنْهُ السَّمُّ حَشْوًا لِلضَّرْبِ فَهِيَ لِعَمْرِي عَجَبٌ مِنَ الْعَجَبِ
 الْغَرْبِ الْفِضَّةُ ، وَالضَّرْبُ الْعَسَلُ . وَلَا أَعْرِفُ فِي التِّينِ أَجُودَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

(١) التقصار : القلادة تحيط بالمنق .

أهلاً بتين جاءنا مُبَسِّمًا على طبق
يحكى الصباحُ بعضُه وبعضُه يحكى النسق
كسُفْرٍ مضمومةٍ قد مُجِعت بلا حلق

وقال الحلبي في الفستق :

من الفُستقِ الشامى كلُّ مصونةٍ
زبرجدة ملفوفة في حريرةٍ
تصانُ من الاحداثِ في بطنِ تابوت
مضمونةٌ دُرّاً مُغشى بياقوت
وقلت في خيارة :

زبرجدةٌ فيها قراضةٌ فضةٌ
تلم بناطورين في كلِّ حجةٍ
فان رجمت تبرا فقد خَسَّ امرُها
فيكثر فينا خَيْرُها ثم شرُّها
وعند المصيفِ ليسَ يفقدُ نفعها
عند الخريفِ ليسَ يؤمنُ ضرُّها

وأما ذمُّ الدساتين فمن أجود ما قيل فيه قول ابن الرومي :

لله ما ضيعته من الشجر
ومعجبات من بقول وزهر
أطفال غرسٍ تُرتجى وتنتظر
مصفرة قد هرمت لامن كبر
حالقة لنبتها حلق الشمر
كلُّ امرئٍ غيرى من هذا البشر
ضميرها النارُ وان لم تستمر
بستانه أنثى وبستاني ذكر

ومما يجرى مع هذا قول الاعرابي :

مُطَرْنَا فلما أن روينا نهادرت
ورامت رجالٌ من رجال ظلامه
شقاقت فيها رائبٌ وحليب
وعدت ذُحُولٌ بيننا وذُؤُوبُ
الأربما حاج الحبيب حبيب
قليلاً ويشقى المترفين طبيب
وحنثت ركابُ الحى حين تُووب
ولو قد تولى الضبُّ وامرت القرى

وصارَ فَبُوقِ الْخَوْدِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ
 على أهلها ذو جِدَتَيْنِ مَشُوبِ
 وصارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خُنْزُوانَةٌ
 يَسَادِي إِلَى هَادِي الرِّحَا فَيَجِيبُ
 أولئك أَيامُ تَبَسِّينِ لِلْفَسْتِي
 أَكَابِ سَلِيبِ أَوَاشِمِ نَجِيبِ

﴿ الفصل الثالث من الباب السابع ﴾

في ذكر النسيم

من غريب ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ونسيمٌ يُبَشِّرُ الأَرْضَ بِالْقَطْرِ كذليلِ الغلالةِ المَبْلُولِ
 وَوُجُوهُ البِلَادِ تَنْتَظِرُ الغَيْثَ اتِّظَارَ المَحَبِّ رَدَّ الرِّسُولِ

وقال ابن الرومي :

حَبَّتْ عِنَّا شَمَالٌ طَافَ طَائِفُهَا
 بِجَنَّةِ فَجرت رَوْحاً وَرِيحَانَا
 هَبَّتْ سُحَيْرَ أَفْجَاجِي الغُصْنِ صَاحِبَهُ
 سِرّاً بِهَا وَتَنَادَى الطَّيْرُ إِعْلَانَا
 وَرُقٌّ نَغْنَى عَلَى خُضْرٍ مُهْدَلَّةٍ
 تَسْمُو بِهَا وَتَسْمُ الأَرْضُ أَحْيَانَا
 تَحَالُ طَائِرُهَا نَشْوَانَ مِنْ طَرَبٍ
 وَالغُصْنُ مِنْ هَزِهِ عَطْفِيهِ نَشْوَانَا

وقال ابن المعتز :

يَشُقُّ رِياضاً قَدْ تَبَقَّظَ نَوْرُهَا
 وَبَلَّاهَا دَمْعٌ مِنَ المُزْنِ ذَارِفٌ
 كَأَنَّ عِبَابَ المَسْكِ بَيْنَ بَقَاعِهَا
 يَفْتَحُهَا أَيْدِي الرِّيحِ الضَّمَائِفِ
 وَقَلْتُ: وَالصَّبَا يُجَلِبُ الغَمَّ اليْنَا
 فَتَرَى القَطَرَ لِلرِّيَاضِ نَدِيمَا
 وَتَرَى لِلغُصُونِ فِيهَا نَجِيماً
 وَعَلَى زَهْرَةِ الرِّيَاضِ نَمِيمَا

وقال ابن الرومي :

كَأَنَّ نَسِيمَهَا أَرَجُ الخُرْزَامِي
 وَلاهَا بَمَدٍ وَسَمِيٌّ وَلِيٌّ (١)

(١) الولي المطر يأتي بعد الأول وهو الوسمي .

لا تُفنانُ الغُصونَ بِهاجِجِي
تنفَسَ كَالشَّجِي لَهَا الخَلِي

هُدِيَّةٌ شَمَالٌ هَبَّتْ بِلَيْلٍ
إِذَا أَنْفَاسُهَا نَسَمَتْ سُحَيْرًا

وقال ابن المعتز:

وروضٌ من الرِيحانِ دَرَّتْ سَحَابُهُ
كَمَا جَرَّ فِي ذَيْلِ الغَالِلَةِ سَاحِبُهُ

وماريجٌ قَاعٌ عَازِبٌ طَلَهُ النَّدَى
فَجَاءَتْ سُحَيْرًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ
وقد أحسن التشبيه أيضاً في قوله:

نَفَذُوهُ والدجى والصبح خيطان
أَفْضَى الشَّفِيقِ إِلَى تَنْبِيهِ وَسِنَانِ

ومهمه كَرْدَاءِ الوشَى مُشْتَبِهٍ
والرِيحُ تُجَذِبُ أَطْرَافَ الرَدَاءِ كَمَا
وقلت:

فَبَاتَ بِهِ ثُوبُ الهَوَاءِ مُكْفَرًا (١)

وَأَقْبَلَ نَشْرَ الرَوْضِ فِي نَفْسِ الصَّبَا

ومما لم يجيء في معناه مثله قول بشار: أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا المكتفي بالله يوماً أنه كان نائماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ثم عاد فنظر فإذا الريح تُحركُ الباب حركةً كأنها دق بيد، قال فقلت له قد ذكر الشاعر ذلك وما هو فأنشدته لبشار:

بَهِدُوهُ وَأَفَارَعْتُ مِنْهُ ارْتِيَابَا

طَرَقْتَنِي صَبَاً فَحَرَكْتَ البَا

نَقَرَ البَابَ نَقْرَةً ثُمَّ هَابَا

فَكَأَنِّي سَمِعْتُ حَسَّ حَبِيبِ

قال ما كنت أظن أنه قيل في هذا شيء، وما أقل ما يجري مما لم يذكره الناس.

وقال ابن الرومي وأحسن:

مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَرَقَ الجَوْثِ والمَاءُ

لَوْلَا فَوَاكِهِ أَيْلُولٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ

عَلَيْهِ هَائِلَةُ الخَالِينِ غِبْرَاءُ

إِذَا لَمَسَا حَمَلَتْ نَفْسِي مَتَى اشْتَمَلَتْ

فِيهِ مَضَاجِعُنَا وَالرِيحُ سَجْوَاءُ

يَاجِزْدًا لَيْلٌ أَيْلُولٌ إِذَا بَرَدَتْ

مِنْ الضَّجِيعِينَ أَحْشَاءُ وَأَحْشَاءُ

وَجَمَشَ القَرُّ فِيهِ الجِلْدَ وَأَتَلَفَتْ

(١) أي فيه كافور.

وأسفر القمر السارى فصَفَحتهُ
 رِيَالها من صفاء الجو لآلاء
 يا حبذا نفحةٌ من ريحه سحرًا
 يأتيك فيهما من الريحان أنباءُ
 قل فيه ماشئت من شهرٍ تهدهُ
 في كلِّ يوم يدُّ اللهُ بيضاءُ
 وقلت : ولهٌ مَجْنَحُ الأصيلِ نسيمٌ
 لينُ العطفِ هين الخطران
 أرحٌ يقتدى به نفسُ المسكِ وتحكيه نكهةُ الزعفران
 كم غدا مُدْنفًا وراحَ حسيراً
 يتهدى في دجلة المسرفان
 فرأينا له لبوسَ شجاعٍ
 ووجدنا بها ارتعاشَ جبان

وإلى هذا انتهى بنا القول في هذا الباب ولو أردنا استقصاءه أضجرنا وأملنا ولم
 نأت على ما في نفوسنا منه ، والاقتصار على المشاهير^(١) والأعيان منه أولى وباللّه التوفيق .
 انقضى الباب السابع من كتاب ديوان المعاني والحمد لله وحده وصلواته على
 سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون
 ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قمع الضلالة ودمغ الجهالة وقذف بالحق على الباطل فأزহقه
 وأزاله منه حتى أوقفه بما أقام من الدلائل الواضحة وبين من الشواهد اللائحة
 وجعل خلقه حدوداً حذرهم تعديها وخوفهم تخطيها بالقول الصادق والبيان الصادق
 إعداراً وتحذيراً وحجةً وتنبيةً فمن لم يُقنعهُ ما سبق من صدق قوله وحتم أمره ونهيه
 حُكِمَ فيه السيفُ وسلط عليه السوطُ ليردَّاه إلى سبيل الحق بعد أن يجعله نكالاً
 للخلق والله عليهم حكيم . وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين . وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) يرى بعضهم عدم جواز جمع (مشهور) على (مشاهير) بل مشهورين .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الحرب والسلاح والظعن والضرب وما يجري مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب الثامن من كتاب ديوان المعاني ﴾

قالوا أبلغ ما قيل في صفة الحرب قول الأوَّل :

كَأَنَّ الْأَفْقَ مَحْفُوفٌ بِنَارٍ وَتَحْتَ النَّارِ آسَادٌ تَزِيرُ
وقريب منه قولٌ مُحدثٌ (١) :

ويوم كأن المصطلين بجره وان لم يكن جمره وقوف على جمر
صبرنا له حتى تجلى وإنما مُفَرَّجٌ أَيامُ الكريهة بالصبر
ومن يبلغ ما قيل في شدة الروع قول زيد الخليل :

والخيلُ تعلمُ أني كنتُ فارسها يوم الأَكسِ به من نَجْدَةِ رُوقِ
وقول المفضل الكندي :

فداءُ خالتي ابني حبيِّ خصوصاً يومَ كَسِّ القومِ رُوقِ

معناه ان الأَكس وهو القصيرُ الأَسنان قد كلح من كراهة الحال وشدة
الروع حتى تراه كأنه أروق وهو الطويل الأَسنان ، أَخَذَهُ أَبُو تَمَامٍ فَأَجَادَهُ
في قوله * فخيّل من شدة التعيس مبتسماً * على أنه ليس فيه مدح لأن
الكلوح في الحرب لا يدل على الشجاعة . ومما يدخل في هذا الباب وليس منه
قول أبي فراس بن حمدان في خيل طاردت يوم تلج :

ويوم كأن الأرضَ شابَت لهوله قطعتُ بخيلِ حشو فرسانها الصبرُ

(١) هذا البيت لنهشل بن حري التيمي فهو ليس لمحدث وقد حضر حرب

صفين ، ولعله أراد بمحدث أنه ليس بجاهلي - كما في هامش الأصل .

تسيرُ على مثلِ الملاءِ منشراً وَاثارها طُرزٌ وأطرافها حُرٌّ
أجود ما قيل في اصطفاف الخليل قول الأُسعر :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى تقول نساؤهم هذا الفنى
يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأناملِ المرقور افعى فاصطلى
يتخالسون نفوسهم برماحهم فبمثلهم باهى المباهى وانتى
ومن أجود ما قيل في انصباب الخليل في الفارة قول ضمرة بن ضمرة :

والخيل من خلل الغبارِ خوارجٌ كالتمر ينثر من جراب الجرم^(١)
وقال آخر :

وربت غارة أوضعتُ فيها كسح الخرجى جريم تمر
وقد أحسن الاعرابى في قوله :

نقاذفُ بالغاراتِ عبساً وطيثاً وقد هربت منا تميمٌ ومذحجٌ
بغزو كولغ الذئبِ غادٍ ورائح وكسرٍ كصدع السيفِ لا يتعرج
وقال أبو فراس :

وسمرٍ أعادٍ يلمعُ البيضُ بينهم وبيضُ أعادٍ فى أكَفهم السمرُ
وخيلٌ يلوحُ الخيرُ بينَ عُيونها ونصلٌ إذا ما شمتته نزلَ النصرُ
وقومٌ متى ما ألقهم روى القنا وأرضٌ متى ما أغزها سُبَعِ النسرُ
ومن أبلغ ما قيل في اعمال السيف قول عمرو بن كلثوم :

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق^(٢) بأيدى لاعبيننا
وقول قيس بن الخطيم * كأن يدي بالسيف مخراق لآعب *
ومن أحسن ما قيل في الضرب قول الحماني :

وإنا لتصبحُ أسيافنا إذا ما انتضين ليوم سُفوك
منابرهنَّ بَطونُ الاكفِّ وأغادهنَّ رؤوسُ الملوك

(١) جمع جارم الذى يجنى التمر. (٢) المخراق خرقة يلويها الصبيان ويديرونها بسرعة.

أخذه من قول سعيد بن ناشب :

فانَّ أسيافنا بيضٌ مُهندَةٌ عتقٌ وآثارها في هاممك جُدُّ
وإن هويتم سللناها فما غمدت إلوهاُمُ بنى بكر لها غمدُ
وقال مسلم * ونعمد السيف بين النحر والجيد * وقال أيضاً :

لو انَّ قوماً يخلقونَ منيةً من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قومٌ إذا حمرَّ الهجيرُ من الوغى جعلوا الجاجمَ للسيوفِ مقبلا
وقال حسان : ويثربُ تعلمُ أنا بها أسود تنفضُ ألبادها
إذا ما غضبنا بأسيافنا جعلنا الجاجمَ أغهادها

وأحسن ما قيل في الضربة الدامية قول ابن المعتز :

شقَّ الصفوفَ بسيفه وشق حزازاتِ الأحنِ
داعي الجراح كأنه وردُّ تفتح في فننِ

ومن عجيب ما قيل في كثرة الطعن يقع في الجسد قول بعضهم :

فلولا اللهُ والمهرُ الممدى لرحت وأنتِ غربالُ الأهاب

وقال قيس بن الخطيم في سعة الطعنة :

طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةً نائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشَّعاعُ أضواءها
ملكْتُ بها كفى فأنهتُ فتقها يري قائمٌ من دونها ماوراءها

ومن أبلغ ما قيل في مضاء السيف قول النمر بن تولب :

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبَادَ سيفٍ قديمٍ اثره بادى
تظلُّ تحفِرُ عنه أن ضربت به بُعد الذراعينِ والساقينِ والهادى

وهذا من الإفراط والغلو وهو عند بعضهم مذمومٌ إذا كان في هذا الحد وعند آخرين ممدوحٌ ، يقول إذا ضربت به قطع المضروبَ وتجاوزته حتى غاص في الأرض فاحتجت أن تحفرَ عنه فتستخرجه . ودون ذلك في الغلو قول النابغة :

يطيرُ فُضاضاً بينهم كلُّ قَوْنَسٍ ^(١) ويتبعها منهم فراشُ الحواجب
تَقْدُّ السَّلَوقِ المِضَاعَفَ نَسِجُهُ وتوقد بالِصَّفَّاحِ نارَ الجِباحِ ^(٢)
يقول انها تقدّ الدرع التي مُضوعف نسجها والفراس حتى تبلغ الأرض فتقدح
النار بالِصَّفَّاحِ ، وهي حجارة . ومن بليغ ما قيل في صفة السيف قول ابن
يامين قال محمد بن داود بن الجراح عن أبي هفان عن الاياسي القاضي عن الهيثم بن
عدي قال لما صار سيف عمرو بن معدى كرب الذي يُسمى الصمصامة إلى الهادي
وكان عمرو وهبه لسعيد بن العاص فتوارثه ولده الى أن مات المهدي فاشتراه موسى
الهادي منهم بمال جليل وكان موسى من أوسع نبي العباس مُخْلِفاً وأكثرم عطاءً
للمال قال فجرّده ووضع بين يديه وأذن للشعراء فدخلوا ودعا بمكتل فيه دنانير
فقال قولوا في هذا السيف فبدرهم ابن يامين فقال :

حازَ صمصامةَ الزُّبَيْدِيَّ من يمينِ جميعِ الأنامِ موسى الأُمِينُ
سيفُ عمرو وكانَ فيما سمعنا خيراً ما أعمدت عليه الجفون
أوقدت فوقه الصواعقُ ناراً ثم شابت به الرُّطافُ القُيون
فاذا ماهزته ^(٣) بهرَ الشمسَ ضياءً فلم تكن تستبين
يستطيرُ الأبصارُ كالقُبسِ المشعلِ ما تستقرُّ فيه العيون
وكانَ الفرندَ والجوهرَ الجا رى في صفحته ماءً معينُ
نعمَ مخراقُ ذي الحفيظة في الهيجا بمضاتها ونعمَ القرينُ
مايالى إذا انتضاهُ لضربِ أشمالٍ سطت به أم يمين
وكانَ المنونَ نيطت اليه فهو من كلِّ جانبِهِ مَنون
أخذَ عليه من هذه الأبيات تشبيهه السيف بالشمس ثم بالقبس لأنه قدحطه
درجات ، فقال موسى أصبت ما في نفسي واستخفه الفرح فأمر له بالمكتل والسيف

(١) فُضاضاً متفرقا : والقونس أعلى الرأس . (٢) السالوق : درع منسوب

لبلدة سالوق ، والجباح ما اقتدح من شرر النار . (٣) في نسخة « سلته » .

فلما خرج قال للشعراء: إنما حرمتم لأجلى فدونكم المكتل ولي في هذا
السيف غنى، قال فقام موسى فاشترى السيف منه بمال جزيل هـ .
وذكر الهيثم بن عدى هبة عمر بن معدى كرب^(١) الصمصامة لسعيد بن العاص
فقال قال سعيد بن العاص وهو بالكوفة لعمر بن معدى كرب هبلى الصمصامة
فانك قد ضعفت عن حمله وكان وزنه ستة أرطال فقال عمرو ما ضعفت فتأني
ولا جناني ولا لساني وان اختل جثماني وهو لك على انه او حش من لا يؤنسه
وأظلم من لا يقبسه^(٢) ثم قال:

خليل لم أهبه من قلاه ولكن المواهب في الكرام
خليل لم أخنه ولم يخني على الصمصام أضعاف السلام
قوله « أو حش من لا يؤنسه وأظلم من لا يقبسه » يقول اذا كنت أستوحش
من جانب العدو آنتى واذا أظلم لي الليل اضاء لي . وقال البحرى :

مصنغ الى حكم الردى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقد يهزى بأول ضربة ما أدركت ولو أنها في يذبل
فاذا أصاب فكل شىء مقتل واذا أصيب فإله من مقتل
يعشى الوغى فالترس ليس بجنة من حده والدرع ليس بمعقل
وذكر عمرو بن معدى كرب أنواع السلاح فأجاد: أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو عبد الله بن عرفة قال أخبرنا أحمد بن يحيى عن ابن الاعرابى قال حدثنى رجل
من ولد أبى سرحة الغفارى قال قدم عمرو بن معدى كرب على عمر بن الخطاب
رضى الله عنه فسأله عن سعد بن أبى وقاص فقال عمرو اعرابى فى نمرته عاتق فى
حجلته أسد فى تامورته نبطى فى جبايته . فقال كيف علمك بالسلاح ؟ فقال
بصير قال فأخبرنى عن النبل قال منايا تخطىء وتصيب قال فأخبرنى عن الرمح

(١) كذا، ولعل صواب رسمها « معدى كرب » . (٢) لعل المعنى أن من لم يؤنسه
هذا السيف أصابته الوحشة ومن لم يقبسه عمته الظلمة . كما فى هامش الأصل .

قال أخوك وربما خانك قال فأخبرني عن الترس قال هو المجنُّ وعليه تدور الدوائر
قال فأخبرني عن السيف قال عنده قارعت أمك الثكلي قال بل أمك والحمى أضرعتني
لك . المرة كساء أسود تلبسه الاعراب ، والعاتق الجارية الكمام وصفه بالحياء
والتامورة ههنا الاجمة ، فقال نبطي في جبايته وصفه بالاستقصاء في جباية الخراج ،
وقوله الحمى أضرعتني لك أي الاسلام قيدي لك وأذنتي ولو كنت في الجاهلية
ما كتبتني بهذا الكلام ، وهو مثل العرب نضربه عند الشيء يضطرها الى الخضوع .
ومثل ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن دُرَيْد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة
قال قال الاغرُّ النهشلي ووقع بينه وبين قومه شرٌّ فأرسل ابنه وقال يا بَنِيَّ كُنْ
يداً لأصحابك على قتالهم وإياك والسيف فانه ظلُّ الموت واتق الرمح فانه رشاً
النية ولا تقرب السهام فانها رُسُلٌ تعصي وتطيع قال فبم أفاضل؟ قال بما قال الشاعر:
جلاميدُ املاء الاكف كأنها رؤوسُ رجالٍ حلقت في المواسم
فعليك بها فالصقها بالاعقاب والسوق .

وقد أحسن التنوخي في صفة الحرب حيث يقول :

في موقف وقف الحامُ ولم يزع عن ساحته وزاغت الابصارُ
فَقَنَّا يسيلُ من الدماء على قنا بطوالهنَّ تُقَصِّرُ الاعمارُ
ورؤوسُ أبطالٍ تطايرُ بالظبي فكانها تحت الغبار غبارُ

وقد أجاد ابن المعتز في هذا المعنى حيث يقول :

قومٌ إذا غضبوا على أعدائهم جَرُّوا الحديدَ أزَجَّةً ودُروعا
وكانَ أيديهم تُنْفَرُ عنهم طيراً على الأبدانِ كُنَّ وقوعاً
وقال أيضاً :

بطعنٍ تضيعُ الكفُّ في لهواته وضربٍ كاشقُ الرداءِ المرعبَلِ
وقال أيضاً :

قَرَبنا بعضهم طعنًا وحيعًا وضربًا مثلَ أفواهِ اللقاحِ

وقال البحترى وأحسن في ذلك :

أوى إذا طعن المدجج صكهُ
فأنا النذيرُ لمن تغطسَ أوطنى
ليديه أونسثَرَ القناة كُعباً
من مارنِ يدعُ النُحورَ جُوباً
وقد ظرّف في قوله أيضاً :

ولولم يحاجز لؤلؤهُ بفراره
ومن المختار قول مالك بن نويرة :

بِسْمِ كَأَشْطَانِ^(١) الْجَزُورِ نَوَاهِلِ
يقعنَ معاً فيهم بأيدى كاتنا
يجور بها ذو المنايا ويهتدى
كأنَّ المنايا للرمح بموعده

ومن أبلغ ما قيل في صفة الضرب والطنن من قديم الشعر قول عبدمناف بن ربيعي :
فالطننُ شمشعةٌ والضربُ هيعةٌ ضرب المَعْوَلِ تحتَ الديمة العضدا
وللقسى أزاميلٌ وغمغمةٌ حسّ الجنوب تسوى الماء والبردا
الهيعة : وقع الشيء الصلب على مثله سمعت هيعة الحجر والحديد ، وشبهه
أصوات القسي بصوت السحاب الذي فيه برد ، والمعول الذي يتخذ العالة وهو
أن يعمد الراعي إذا خاف المطر إلى الشجر يتعضده ويجعل عضده على شجرتين
متقاربتين ويستكن تحته ، والعضد ما يعضد من الشجر أى يُقَطَّعُ والعضد المصدر .

ومن أجود ما قيل في نفوذ التدبير في الحرب مع الغيبة عنها قول ابن الرومي في صاعد :
يَظَلُّ من الحرب العوان بمزل
وآثاره فيها وان غابَ شهيدُ
كما احتجب المقدارُ والحكمُ حكمه
على الناسِ طراً ليس عنه معرَدُ^(٢)
أخذه من قول بشار بن برد :

الدهرُ طلاعٌ بأحدائه
محبوبة تُنفذ أحكامها
ورُسلهُ فيها المقادير
ليسَ لنا عن ذلك تأخيرُ
وقال: حصرت عميد الزنج حتى تخاذلت
قواه وأودى زاده المتزودُ

(١) جمع شطن وهو الجبل . (٢) أى مهرب .

وكانت نواحيه كثافاً فلم تزل
تُفرقُ عنه بالماكيد جُنْدَهُ
تجيفها حتى كأنك مبرد
وترذارهم جنداً وجيشك محصد^(١)
سكنت سكوناً كان رهناً بوئبة
عماس كذاك الليث للوثب يلبد
فما رمته حتى استقل برأسه
مكان قناة الظهر أسمر أجرد
مناك له مقداره فكأنما
تقوض شعلان عليه وصندد

فقال صندد بفتح حرف الردف وهو خطأ وليس في العربية فعل إلا درهم
وهجرع وهو الطويل الأحمق، وهبلع وهو الكثير البلع، وقلمع وهو الكثير
القلع للأشياء، وكان بنى قصيدته على فتح الردف ولم يلزمه ذلك وكابر على
فتح صندد ورمدد وهمامكسوران فزعم محمد بن حبيب أنه رواها بالفتح، وكابر
أيضاً على فتح الراء من «درم» في قصيدته التي أولها:

* أفيضاً دماً أن الرزايا لها قيم * وإنما هو «درم» .

وأحسن ما قيل في الكيد والحرب قول أبي تمام:

هرزت له سيفاً من الكيد انما تجذب به الاعتناق مالم يجرد
يسرُّ الذي يسطو به وهو مغمدٌ ويفضح من يسطو به غير مغمد

يقول ان أخفيت الكيد ظفرت وسررت وان أظهرته اقتضحت وخبت .

وقد أحسن في وصف الرماح حيث يقول:

أنهبت أرواحه الأرماع إذ شرعت فما مُردُّ لريب الموت عنه يد
كأنها وهي في الأرواح والغنة وفي الكلى تجد الغيظ الذي يجد
من كل أزرق نظار بلا نظير الى المقاتل مافي متنه أود
كأنه كان خدن الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كبد

ويشبهه بياض السيف بالملح فن أجود ما قيل فيه قول النمرى:

ذكره يروقه الدماء كأنها يعلو الرجال بأرجوان فاقع

(١) أى قوى مجتمع متضافر .

وثرى مضارب شفرتيه كأنها ملح تنائر من وراء الدارع
وَيْشَبَّه الفرند بمدب الدر فن قديم ما قيل فيه قول امرىء القيس :

مُتَوَسِّدًا عَضْبًا مَضَارِبُهُ فِي مَتْنِهِ كَدْبَةِ التَّمَلِ

وقول أوس بن حجر :

وذو شطبات قدّه ابن مجدّع له رونق ذريه يتأكل
وأشبرنيه الهالكى كأنه غدِيرُ جَرِي فِي مَتْنِهِ الرِّيحُ سُلسَلِ
وأخرج منه القين أثرًا كأنه مدب دبا سود سرى وهو مسهل

وقال ابن المعتز وأبدع :

وجرد من اغماده كل مرهف ترى فوق متنيه الفرند كأنما

وقال اسحق بن خلف :

ألقى بجانب خصره وأما ذرّ الهيا

أمضى من الأجل المتاح
ع عليه أنفاس الرياح

وقال قيس بن الخطيم :

أجادهم يوم الحديقة حاسراً بسيف كأن الماء في صفحاته
طحارير غيم أوقرون جناب

أخذه ابن المعتز فقال :

ولى صارم فيه المنايا كوامن ترى فوق متنيه الفرند كأنه

فما ينتضى إلا أسفك دماء
بقية غيم رق دون سماء

وقد أجاد ابن الرومي في قوله :

خير ما استعصمت به الكف غضب مانا ملته بعينك إلا
ذكره متنه أنث المهر
أبرقت صفحاته من غير هر
ع ففالي به على كل بر

(٨ - ثانيا المعاني)

ما أبلى أصممتُ شفرتاهُ في محزٍ أو جازنا عن محزٍ
 وقال آخر: جرّدوها فألبسوها المنايا عوضاً عوضت من الاغماذ
 وكان الآجال ممن أرادوا ومظباها كانت على ميعاد
 وقلت: تميلُ كفى من سيفٍ الى قلمٍ والعزُّ نصفان بين السيفِ والقلمِ
 وقال ابن المعتز:

وسيوفٍ كأنها حين سُلتِ ورق هزّه سُقوط قطار
 ودروعٍ كأنها شمسٌ جمدٌ دهنٌ يضلُّ فيه المدارى
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في صفة الرماح:
 وبكلِّ عرّاصٍ المهزّة مارين فيه سنانٌ مثلُ ضوءِ الفرقد
 أحسن ما قيل في صفة الرماح قول المزد:

أصم إذا ما هزّت مالت سراته كما مال ثعبانُ الرمالِ الموائل
 له رائدٌ ماضى الفرار كأنه هلالٌ بدا في ظلمة الليلِ ناحل
 وقال الأصمعي أحسن ما قيل في صفة الرمح قول أبي زيد:
 وأسمرُ مربوعٌ يرى ما أريته بصيرٌ إذا صوبته للمقاتل
 وقال ابن الأعرابي أحسن ما قيل في ذلك قول مسكين:

بكلِّ رُدْبِنِيٍّ كأنَّ كمو به قطانسق يستورد الماء صائف
 كأن هلالاً لأح فوق سراته جلال الغيم عنه والقنّام الحراجف^(١)
 وأحسن ما قيل في سرعة وقع الرماح وتداركه قول دريد بن الصصة:
 نظرتُ إليه والرماحُ تنوشهُ كوقع الصياصى في النسيج المددِ
 الصيصية الشوك الذى يسوى به الحائك الثوب ، والصيصية أيضاً الحصن
 ويقال للناشز من ساق الديك الصيصية أيضاً . وقد أحسن البحرى في قوله:
 في معركٍ ضنكٍ تخالُّ به القنا بين الضلوع إذا نحنين ضلوعها

(١) الحراجف: فاعل جلا وهي الرياح الشديدة:

وأجود ما قيل في إيمان حمل الرمح قول الآخر :
 وقد طال حمل الرمح حتى كأنه على فرسى عُصْنٌ من البان نابتُ
 يطولُ لساني في العشيرة مُصَلِحاً على أنه يومَ الكريهة ساكتُ
 والسكوت في الحرب دليل على سكوت الجأش ، وكثرة الصوت فيها أمانة
 الفزع ، وقد قيل * وكثرة الصوت والايعاد من فشل * وقلتُ في الرمح :
 يفتدو بصدق الكعوب لَدُن يهتزُّ ما بين كوكبين
 أعنى الزج والسنان . وقال البحتري :

كأنما الحربة في كفه نجمٌ دُحى شيعهُ البدرُ
 وقد شبهت العرب الرماح بالأشطان والاسنة بالشهبان فتركنا ذكر ذلك
 لشهرته واستفاضته . أجود ما قيل في القوس من قديم الشعر قول أوس بن

حجر^(١) وهو أوصف العرب للسلح :

فجرُّها صفراء لا الطولُ طابها ولا قصرٌ أزرى بها فتعطلا
 كتوم طلاع الكفِّ لا دون ملثها ولا عجمها عن موضع الكف أفضلا
 وحشو جفير^(٢) من فروع غرائب تنطع فيها صانعٌ وتأملا
 تخيرن أنصاءً وركبن أنصلاً كجمر الغضا في يوم ريح تزيلا
 وقال الشماخ في صوت القوس :

إذا أنبضَ الرامونَ عنها ترنمت ترنمٌ ثكلى أوجعتها الجنائز
 وقال آخر: وهي إذا أنبضت عنها تسجعُ ترنم الثكلى أبت لا تهجمُ
 وقال آخر: تسجعُ عند النزع والتوتير في سيتها رنة الطنبور
 وقال الاصمعي : أحسن كلام في الايجاز قول عكلى في صفة قوس :

* في كفه معطيةٌ ممنوع * ومن أحسن مقاله محدث في القوس قول ابن المعتز بالله :

(١) هو الشاعر التميمي المشهور ، عمر طويلًا ولم يدرك الاسلام .

(٢) أى ورب حشو الخ ، وحشوا الجفير هو السهام ، والجفير الكفانة .

أُتِيحَ لَهَا هَفَانٌ يُخْطَمُ قَوْسَهُ (١) بِأَصْفَرِ حَنَانِ الْقَرَى (٢) غَيْرَ أَعْزَلَا
فَأَوْدَعَهُ سَهْمًا كِيدَرِي مَوَاشِطَ بَعْنًا بِهِ فِي مَفْرَقٍ فَتَغْلَغَلَا
بَطِينًا إِذَا أَسْرَعْتَ إِطْلَاقَ فَوْقَهُ وَلَكِنْ إِذَا أَبْطَأْتَ فِي النَّزْعِ عَجَلَا

وَأَجُودَ مَاشِئِهِ بِهِ أَفْوَاقُ السَّهَامِ قَوْلَ الْآخَرِ :

أَفْوَاقِهَا حَشْوُ الْجَفِيرِ كَأَنَّهَا أَفْوَاهُ أَفْرِخَةٍ مِنَ النَّغْرَانِ

وَالنَّغْرَانُ جَمْعُ نَغْرَةٍ وَهِيَ عَصْفُورَةٌ . وَقَالَ الْفَنْدُ الزَّمَانِي (٣) :

* وَنَبِيٌّ وَقَفَاهَا كَعْرَاقِبٍ قَطًّا طَحَلَّ * أَخَذَهُ عَتَّابُ بْنُ وَرْقَاءٍ فَقَالَ (٤) :

وَحَطَّ عَنْ مَنْكِبِهِ شَرِيَانَةً مِمَّا اصْطَفَى بَارِي الْقَسَى وَاتَّقَى
أُمَّ بَنَاتٍ عَدَّهَا صَانِعُهَا سَتِّينَ فِي كِنَانَةٍ مِمَّا بَرَى
ذَاتِ رَوْسٍ كَالْمَصَابِيحِ لَهَا أَسَافِلُهُ مِثْلَ عَرَاقِبِ الْقَطَا
أَنْ حُرَّتْ كَتَّ حَنْتَ إِلَى أَوْلَادِهَا كَحَنَةِ الْوَالِدِ مَنْ فَقَدَ الْبَطْلَانَ (٥)
حَتَّى إِذَا مَا قُرْنَتْ يَبْعُضُهَا لِأَنْتِ وَمَالِ طَرْفَاها وَأَنْثَى

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ فِي قَوْسِ بَنْدُقٍ (٦) :

كَأَنَّ قَرَاها وَالغُرُورَ (٧) الَّتِي بِهَا وَأَنْ لَمْ تَجِدْهَا الْعَيْنُ إِلَّا تَتَّبَعُهَا
مَذْرُوعِ سَحِيقِ الْمَسْكَ فَوْقَ صَلَابِيَةٍ أَدَبٌ عَلَيْهَا دَارِجُ الذَّرِّ أَوْ كَرُطَا
لَهَا أَوْلُ طَوْعِ الْيَدَيْنِ وَآخِرُهُ إِذَا أُسْمِتَهُ الْإِعْرَاقُ فِيهِ تَمْنَعَا
تَطْوَعُ لِرَامِيهَا الرَّمَايَا كَأَنَّما دَطَاها لَهُ دَاعِي الْمَنَايَا فَاسْمَعَا
يُقَلِّبُ نَحْوَ الْجَوْعِ عَيْنًا بِصِيرَةٍ كَمَيْنِكَ بَلْ أَذْكَاءَ وَأَسْرَعَا

(١) جَمَلُ الْإِثْرِ بِمَنْزِلَةِ الْخَطَامِ . (٢) الْقَرَى: الظَّهْرُ . (٣) الْفَنْدُ الزَّمَانِي :

اسْمُهُ شَهْلُ بْنُ شَيْبَانَ ، وَهُوَ الشَّاعِرُ الْجَاهِلِيُّ ، كَانَ سَيِّدَ بَكْرِ وَقَائِدَهَا فِي زَمَانِهِ .

(٤) مِنْ أَمْرَاءِ الْعَرَبِ الْأَبْطَالِ . (٥) هُوَ الصَّغِيرُ مِنْ أَوْلَادِ الْحَيَوَانَ .

(٦) كُرَّةٌ صَغِيرَةٌ بِقَذْفُونِ بِهَا . (٧) الْغُرُورُ : الْفَضُونُ

لها عولةٌ أولى بها من تصيبهُ
وأجدرُ بالأُعوالِ من كان موجعاُ

وهذا مثل قوله في امرأةٍ :

تشكى المحبَّ وتلفى الدهرَ شاكيةً
كالقوسِ تصبى الرمايا وهي مرنان

وقال المتنبي في سداد الرمي :

يُصيبُ ببعضها أفواقَ بعض
فولاً الكسرُ لا تصلت قضيها

وقال الراجز في ضد ذلك :

مستهترٌّ بالرمي واهٍ عَضده
أحصن شيء يومَ يرمي طَرده

وقال ابن الرومي في سهام :

مرووقٌ ومنزوعٌ لدى حومةِ الجذب
نخاعٌ كما سَلَّ النخاعُ من الصلب

وكل ابن ريح يسبقُ الطرفَ معجه

صنيعٌ مريشٌ قومَ القينِ منتهُ

ينغلهُ في الدرعِ نصلٌ كأنهُ

وقال ابن المعتز في قوس البندق :

وماء به الطيرُ مربوطةُ

تحاكي الخليَّ بأطواقها

غدوناً عليه وشمسُ النهارِ

لم تكسهُ ثوبَ إشراقها

فظلنا وظلت عُيونُ القسيِّ

ترمي الطيورَ بأحداقها

وقد أحسن القائل في صفة الرماح على العواتق :

ترى غابةَ الخطيِّ فوقَ رؤوسهم
كما أشرفت فوقَ الصوارِ (١) قرونها

وما يجري مع ذلك قول أبي فراس بن حمدان :

وما الذنبُ إلا العرير كبهُ الفتى
وما ذنبهُ أن جاوزتهُ المطالبُ

ومن كان غير السيفِ كافل رزقهِ
فلذلَّ منه لا محالةً جانب

وما جاء عن أهل الجاهلية في النشاب شيءٌ إلا قول سيف بن

ذى يزن يذ كر القوس :

هَزَّوْا بِنَاتِ الرِّيحِ نَحْوَهُمْ أَعْوَجُّهَا طَامِحٌ وَزَمَزَمَهَا
كَأَنَّهَا بِالْفَضَاءِ أَرَشِيَّةٌ يَخْفُ مِنْقَوْضَاهَا وَمُبْرَمَهَا
فَأَمَّا النَّبَلُ فَقَدْ جَاءَ فِيهَا عَنْهُمْ شَيْءٌ كَثِيرٌ.

أجود ما قيل في الدروع : قال أبو عبيدة أحسن ما قيل فيها قول كعب بن زهير :
وبيض من النسج القديم كأنها نهاء^(١) بقاع ماؤها مترابع^(٢)
تصفقها هوج الرياح إذا صفت وتعقبها الأمطار فالماء راجع
وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

تَفَيْضُ عَلَى الْمَرِّ أُرْدَانَهَا كَفَيْضِ الْآتِي^(٣) عَلَى الْجَدِّدِ
وقال البحترى :

يَمْشُونَ فِي زَرْدٍ كَأَنَّ مُتُونَهَا فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ مُتُونَ نَهَاءِ
بِيضٌ تُسِيلُ عَلَى السَّكَاةِ فَضُولَهَا سَيْلَ السَّرَابِ بِقَفْرَةٍ بِيْدَاءِ
وَإِذَا الْأَسْنَةُ خَالَطَهَا خَلَّتْهَا فِيهَا إِخْيَالٌ كَوَاكِبٍ فِي مَاءِ
ومعنى البيت الأخير دقيق غريب حسن مصيب ما أظنه سبق إليه .

ومن مליح ما جاء في صفة الدرع قول بعض بني هاشم :

وَعَلَى سَابِقَةِ الذُّبُولِ كَأَنَّهَا سَلَخٌ كَسَانِيهِ الشَّجَاعُ الْأَرْقَمُ

ومن مليح ما جاء في صفة الحرب ما أخبرنا به أبو القاسم عن العقدي عن
أبي جعفر عن المدائني قال قال رجل من بني تميم لعبادي : لم يكن لآل نصر بن
ربيعة صولة في الحرب قال لقد قلت بطلاً ونطقت خطلاً كانوا والله إذا أطلقوا
مُعْتَلِ الحرب رأيت فرساناً تمور كرجل الجراد وتدافع كتدافع الامداد في فلق
حافاته الاسل يضطرب عليها الاجل إذاهاجت لم تنناه دون بلوغ ارادتها ومنتهى غايات
طلباتها لا يدفمها دافع ولا يقوم لها جمع جامع وقد وثقت بالظفر لعز أنفسها

(١) جمع نهى وهو الغدير (٢) أى متردد . (٣) أى الجدول .

وأيقنت بالعلبة لضراوة عاداتها فالها العلو^١ والتمكين^٢ ولن ناوأها الذل^٣ والتوهين^٤
خصت بذاك على العرب أجمعين . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرنا به أبو القاسم
عن العقدي عن أبي جعفر قال أنشد جرير^٥ هشام بن عبد الملك :

لقومى أحمى للحقيقة منكم^٦ وأضرب للجبار والنقع ساطع^٧
وأوثق عند المرذفات عشية^٨ لحاقاً إذا ماجرد السيف لامع^٩
فقال هشام لم تركت نساءك حتى أردفن ألا جعلتهن كنسوة الخبيل فما
سمعنا بعمريات قط أمنع منهن حيث يقول :

وساقطة كور الحمار حية^{١٠} على ظهر عرعى زال عنها جلالها^{١١}
تشد^{١٢} يديها بالسنام وقد رأت^{١٣} مسومة^{١٤} بأوى إليها رعالها^{١٥}
نزلنا فساقينا الكبة^{١٦} دماءها^{١٧} سجال المنايا حيث تسقى سجالها^{١٨}
وأجود ما قيل في ثبات الرجال في الحرب قول الحرث بن عباد :

قرباً مربوط النعام^{١٩} منى^{٢٠} لقحت حرب^{٢١} وائل عن حيل^{٢٢}
قرباً فان^{٢٣} كفى^{٢٤} رهن^{٢٥} ان تزول الجبال قبل الرجال^{٢٦}

وقد وصف الله ذلك في كتابه فقال (ان الله يحب الذين يتقاتلون في
سبيله صفاً كما أنهم بنيان^{٢٧} مرصوص^{٢٨}) ولم يصف أحد^{٢٩} من المتقدمين والمتأخرين
القتال في المراكب إلا البحترى: أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سمعت^{٣٠}
عبد الله بن المعتز يقول لولم يكن للبحترى إلا قصيدته السينية في وصف ايوان
كسرى فليس للعرب سينية مثلها ، وقصيدته في البركة * ميلوا الى الدار من ليل نحيها^{٣١}
واعذاراته في قصائده الى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة الى النعمان
مثلها ، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها مالم يصفه أحد^{٣٢} قبله أولها
* ألم تر تغاييس الزبيج المبكر * ووصف حرب المراكب في البحر لكان أشعر
الناس في زمانه فكيف إذا أضيف الى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه . وكان كثيراً
ما ينشد له ويمجّب من جودته :

غدوتُ على المأمونِ مُصبحاً وإنما
 إذا زجَرَ النوقى فوقَ علاتهِ
 يَغضُون دُونَ الاستنَامِ عيونهم
 إذا ما علت فيه الجنوبُ اعتلى له
 إذا ما انكفا في هبوةِ الماءِ خلتُهُ
 وحولك رَكَبونَ للهولِ عاقروا
 تميلُ المنايا حيثُ مالت أكَفهم
 إذا رشقوا بالنارِ لم يكُ رشقهم
 صدمت بهم مُصهبُ العثانينِ دونهم
 كأن ضجيجَ البحرِ بينَ رماحهم
 تقارب من زحفهم فكأنما
 فمارحت حتى أجلت الحرب عن طلى
 على حين لا نغمٌ يطوحه الصبا
 وكنت ابن كبرى قبل ذلك وبعدهُ
 جدحت له الموتَ الزعافَ فغافهُ
 مضى وهو مولى الريحِ يشكرُ فضلها

ومن أجود ما قيل في السهم من قديم الشعر قول عنترة :

أينما فما نُعطي السَّوامنِ عدونا
 قياماً بأعضاء السراء (١) المعطَّف
 بكلِّ هتوفٍ عجبها رَضوية (٢)
 وسهم كسيرِ الحيرى الموقفِ
 وقال راشد بن سهاب (٣) اليشكرى :

ونبلِ قرانِ كالتسورِ سلاجيمِ
 وفلتي هتوفٍ لاسقى ولا نشمِ

(١) السراء : شجر تصنع منه السهام . (٢) نسبة إلى رضوى .

(٣) سهاب ككتاب بالسين المهملة - على ماقى القاموس .

وَمُطَرِدِ الكَعْبِينِ أَحْمَرِ عَاقِدِ وَذَاتِ قَتِيرٍ فِي مَوَاصِلِهَا دَرَمٌ
وصف النبل والتوس والرمح والدرع في بيتين فأحسن ، والادرم الأملس الذي
لا حجم له ، والسلاجم الطوال ، والسقى الذي يشرب الماء ، والنشم شجرٌ .
ومن أجود ما قيل في البيض من قديم الشعر قول سلامة بن جندل (١) :
إِذَا مَاعِلُونَا ظَهَرَ نَشَرَ كَأَنَّمَا عَلَى الْهَامِ مَنَاقِيضُ بَيْضٍ مَفَلَّقِ
وقول الآخر * كَأَنَّ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ * ورواه بعضهم :
كَأَنَّ نَعَاجَ الْجَوِّ بَاضَ عَلَيْهِمْ * فقليل له أخطأت من وجهين أحدهما أن النعاج
لا تكون في الجو والآخر أنها لا تبيض . ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن المعتز :
وَبَيْضٌ كَأَنصَافِ الْبَدُورِ أَيْبَةٌ إِذَا امْتَحَنَتْهُنَّ السِّيُوفُ خِيَارُ
فتشبيها بأنصاف البدور تشبيه غريب مصيب .

أجود ما قيل في اتباع الرجال الرئيس في الحرب قول البحترى :
حَمْرُ السِّيُوفِ كَأَنَّمَا ضَرَبَتْ لَهُمْ أَيْدِي الْقِيُونَ صَفَائِحًا مِنْ عَسْجَدِ
فِي فِتْيَةٍ طَلَبُوا غُبَارَكَ أَنَّهُ رَهَجٌ تَرَفَّعَ عَنْ طَرِيقِ السَّوْدَدِ
كَالرَّمْحِ فِيهِ بَضْعٌ عَشْرَةَ فُقْرَةً مُنْقَادَةٌ خَلْفَ السَّنَانِ الْأَصِيدِ
وقد أحسن ابن هرمة في قوله وهو في غير هذا المعنى :

إِذَا شَدُّوا عَمَائِمَهُمْ ثَنَوْهَا عَلَى كَرِيمٍ وَإِنْ سَفَرُوا أَنْارُوا
بِيبَعٍ وَيَشْتَرِي لَهُمْ سُوَاهِمَ وَلَكِنْ فِي الطَّعَانِ مُهْمُ التَّجَارِ
ومن أجود ما قيل في صفة الشجاع الجواد قول الآخر :

مُخَلِّقَتِ أَنْامِلِهِ لِقَائِمِ مُرْهَفٍ وَلَبِثُ عَارِفَةٍ وَذِرْوَةِ مَنَسْبَرِ
يَلْقَى الرِّمَاحَ بِوَجْهِهِ وَبِصَدْرِهِ وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَفْصَرِ
وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ اصْطَبِرْ لَشِبَا الْقَنَا فَهَدَمْتُ رُكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تَعْقِرِ
وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مَقْبَلِ مُتَسَرِّبِ سُرْبَالِ لَيْلٍ أُغْبِرِ

(١) هو الشاعر الجاهلي التيمي الحجازي، يُعَدُّ في طبقة المتلمس.

أوما الى الكوماء هذا طارق^١ نحمرننى الاعداء إن لم تنحمر^(١)
 ومن أبلغ ما حذر به الحرب قول بعض المعجم: دافع بالحرب ما أمكن فان
 النفقة فى كل شىء من الأموال إلا الحرب فان النفقة فيها من الأرواح.
 وقال النابغة الجعدى :

وتستلبُ المالَ الذى كانَ رَبُّها ضنيناً به^(٢) والحربُ فيها الحرائبُ
 فنبهه أبو تمام فقال * والحربُ مشتقة من الحرب * وقول جدل الطعان :
 دعانى أشبُّ الحربِ بينى وبينه فقلتُ له لا بل هلمَّ الى السلمِ
 وإياك والحربِ التى لأديهما صحيحٌ وما تنفكُ تأتى على الرغمِ
 فان يظفر الحزبُ الذى أنتَ منهم وينقلبوا ملاء الأُكف من الغمِ
 فلا بُدَّ من قتلى لملك فيهم وإلا فجرحٌ لا يكون على العظمِ
 فلما أبى خلّيتُ فضلَ ردائه عليه فلم يرجع بحزمٍ ولا عزمِ
 وكان صريع الخيلِ أوّلَ وهلةٍ فبعداً له مختار جهلٍ على علمِ
 ومن أجود ما قيل فى تهوين الحرب والقتل ما أنشدناه أبو أحمد فى خبر أخبرناه
 عن الصولى عن عبيد الله السكونى قال دخل أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن
 علىّ على بعض أمراء الكوفة وقد جرى عليه ظلمٌ فلم ينصفه فخرج من عنده وقال :
 يا أيها الرجلُ الذى يمينه غيثُ الزمانِ وصولُهُ الحدّانِ
 أنعم صباحاً بالسيوفِ وبالقنا أن السيوفَ تحيةُ الفتيانِ
 قد أبطرتك سلامةٌ فنسيتَ ما أسلفتَ من برٍ ومن إحسانِ
 والدهرُ خدنٌ مَسرّةٌ ومضرّةٌ مُتقلّبٌ بالناسِ ذو ألوانِ
 يخاطب نفسه ويأمرها بمجاهرة السلطان بالمصيان إذ ليس عنده للظلم نكير فيكون
 ذلك سبباً للحرب فيحى بالسيوفِ فلا يفزع فانها تحيةُ الفتيانِ .
 وقال على بن جبلة :

(١) تقدم بعض هذه الآيات فى الجزء الاول . (٢) فى الاصل « بها » .

كَأَنَّ أَرْمَاحَهُ تُعْطَى إِذَا عَمِلَتْ تَحْتَ الْعِجَاجِ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا
 وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي تَقْسِيمِ الْخَلِيلِ فِي الْحَرْبِ قَوْلُ النَّابِغَةِ : أَخْبَرْنَا أَبُو أَحْمَدَ
 قَالَ أَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ أَنْشَدَنَا الْمُبَرِّدُ قَوْلَ النَّابِغَةِ وَذَكَرَ أَنَّهُ أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي
 تَقْسِيمِ الْخَلِيلِ فِي الْحَرْبِ :

خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ تَحْتَ الْعِجَاجِ وَخَيْلٌ تَمَلَّكَ الْجُمَا
 قَالَ ثَعْلَبٌ قُلْتُ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ الصَّائِمَةَ الَّتِي لَا تَصْهَلُ وَغَيْرَ الصَّائِمَةِ الَّتِي
 تَصْهَلُ فَمَا هَذِهِ الْأُخْرَى ؟ قَالَ الَّتِي تَمَلَّكَ الْجَمَّ فِي السَّكْمِينَ .
 أَخَذَهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْبَشْرِيُّ يَصِفُ تَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ :

عَوَّدَتْهُ فِيمَا يَزُورُ حَبَائِئِي إِمِهَالَهُ وَكَذَلِكَ كُلُّ مُخَاطِرِ
 فَإِذَا احْتَبَى قَرْبُوسَهُ بَعْنَانَهُ عَلَّكَ الشُّكِيمَ إِلَى انْصِرَافِ الزَّائِرِ
 وَمِنْ أَجْوَدِ مَا قِيلَ فِي ارْتِفَاعِ الْغُبَارِ وَلِمَعَانِ الْأَسْنَةِ فِيهِ مِنْ قَدِيمِ الشُّعْرِ قَوْلُ النَّابِغَةِ :
 تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ نُورًا بَنُورٍ وَإِظْلَامًا بِأِظْلَامِ
 قَالُوا أَرَادَ قَوْلُ النَّاسِ : لِأُرَيْنَكَ السُّكَاكِبَ نَهَارًا ، وَقَالُوا أَرَادَ تَوْضِيحَ الْأَسْنَةِ
 فِي سَوَادِ الْعِجَاجِ . وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ بَشَارِ :

كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ
 وَقَالَ النَّمْرِيُّ : لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لِأَشْمَسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشُّرْعُ
 وَقَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

وَعَمَّ السَّمَاءَ النَّقْعُ حَتَّى كَانَهُ دَخَانٌ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ شُرَارٌ
 وَأَبْلَغُ مَا قِيلَ فِي الْأَقْدَامِ وَالْإِقْتِدَارِ عَلَى الْعَدُوِّ قَوْلُ بَعْضِهِمْ :

عَشِيَّةً كُنَّا بِالْخِيَارِ عَلَيْهِمْ أَنْتَقَصُ مِنْ أَعْمَارِهِمْ أَمْ نَزِيدُهَا

وَمِنْ بَدِيعِ الْمَعَانِي فِي صِفَةِ اللَّقَاءِ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ :

عَلَى كُلِّ جَرْدَاءٍ الْقَسْرَى ^(١) أَعُوجِيَّةٌ إِذَا طَرَدَتْ لَمْ يَنْجُ مِنْهَا طَرِيدُهَا

وما قادَ من قوم الينا جيادهم فنلقاهمُ إلا رجعنا نقودها
وقلت في معناه :

الى ابن الأولى شادوا المعالي بالظبي وعشوا البرايا باللهي والراغب
إذا طلبوا رَوحَ الحياةِ وطيبها فبين سواقٍ للردى وحواصب
إذ البيضُ في سُودِ القساطلِ أنجمُ غواربُ تهوى في الطلي والغوارب
وتحملهم يومَ الكربةِ مُضمرُ تشولُ إلى الهيجاءِ شولَ العقارب
فكم وقفة في الروع منهم وحمة أمارت بناتِ الحتفِ من كلِّ جانب
تردُّ الجياد تحت قسطلة الوغى جنائب أو تقتادها في الجنائب
بأبيض مصقولٍ كأنَّ بحده ضرائب من تصيمه في الضرائب
ومن أجود ما قيل في كثرة الجيش قول الأحنس بن شريق^(١) :

بجأواءَ ينفي وردُّها سرعانها كأن وميض البرق فيها كواكبُ
الجأواء : الكتيبة يضربُ لونها إلى الكلفة وذلك من صدأ الحديد ، والسرعان :
الأوائل ، يقول ان المياه لاتسهمهم والأمكنة تضيقُ بهم فكما نزل فرقة منهم رحل
من تقدمهم . وقال أوس بن حجر :

ترى الأرضَ منا بالفضاء مريضةً مُعضلةً منا بجمع عرمرم
التعضيل ان ينشب الولدُ في بطن أمه . ومثله قول النابغة :
جمعٌ يظلُّ به الفضاء مُعضلاً^(٢) يدعُ الاكامَ كأنهنَّ صحارى
وأعجب من هذا قول زيد الخليل^(٣) :

(١) لعله الأحنس بن شهاب التغلبي الشجاع الجاهلي الذي حضر حرب البسوس
وقال فيها شعراً . (٢) عضل المكان تعضيلاً ضاق ، والأرض بأهلها غصت .
(٣) لقب يزيد الخليل لكثرة خيله ، وهو زيد بن مهلب أحد أبطال الجاهلية
كان إذا ركب الفرس خطت رجلاه في الأرض ، كان خطيباً شاعراً كريماً ،
وقد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد قومه طيء وأسلم وسُرَّ به الرسول ﷺ

بجيش تفضلُ البلقُ في حجراته . ترى الأكم فيه سُجداً للحوافرِ
 وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثيرٌ تواليه سريعُ البوادرِ
 أخبرنا أبو أحمد عن العبشمي عن المبرد قال يروى عن حماد الراوية قال
 قالت ليلي بنت عروة بن زيد الخليل لأبيها كم كانت خيل أبيك حيث يقول
 * بجيش تفضل البلق في حجراته * قال ثلاثة أفراس أحدها فرسه .

قالوا وقتلت خنعم رجلاً من بني سليم بن منصور فقالت أخته ترضيه :

لعمري وما عمري على بهين لنعم الفتى غادرتُم آل خنمنا
 وكان إذا ما أورد الخليل ييشة^(١) إلى جنبِ اشراج أناخ فألجا
 فأرساها رهواً كأن رعالها جرادٌ زهته ريحٌ نجد فاتهما

ف قيل لها كم كانت خيل أخيك قالت اللهم لا أعرف إلا فرسه . قوله « تفضل
 البلق في حجراته » غاية في صفة الكثرة لأن البلق مشاهير فاذا خفي مكانها
 في جمع فليس وراءه في الكثرة شيء ، والعرب تقول أشهر من فارس الأبلق ،
 ورؤساء العرب لا يركبون البلق في الحرب لئلا ينم عليهم فيقصدوا بشر .

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة أن
 النبي ﷺ لما انصرف من بدر الموعد لم يلق كيداً وأصحابه سبعون راكباً
 وفيهم فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد^(٢) قال حسان بن ثابت :

أقمنا على الرسّ التزوع^(٣) لياليا بأد عن جرارٍ عريض المبارك
 ترى العرفج الحولي^(٤) تدرى أصوله مناسم أخفاف المطى الرواتك
 إذا ارتحلوا عن منزل خلت أنه قريب المدى بالموسم المتعارك
 نسيرٌ فلا تنجو اليعافيرُ وسطنا وان داءت منا بشد مواشك

(١) ييشة : بلد . (٢) كان هذا في بدر الأولى لا بدر الثانية .

(٣) في ديوان حسان « التزيع » وكلاهما جائز .

(٤) في الديوان « العامي » وكذلك في بعض الالفاظ اختلاف .

دعوا فلبجات الشام قد حال دونها ضراب^{هـ} كأفواه المطى الأوارك
 بأيدى رجال هاجروا نحو ربهم وأنصاره حقاً وأيدى الملائك
 إذا قبل الغضروط من أرض طالج فقولا له ليس الطريق هناك
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ويضحك . ومثل هذا في ترهيب
 العدو حسن . وقال أبو دغفل بن شداد الكلابي في المعنى الذى تقدم :

وأقبل عامر^{هـ} من لبن سيراً إلينا ثم أقسم لا يديم
 بجمع تهلك البلقاء فيه فنشد^{هـ} والمفضضة اللطيم
 ومن بليغ مقاله محدث في كثرة الجيش وتكافئه واجتماعه قول أبي نواس :
 امام خميس أذجوان كأنه قميص^{هـ} محوك من قنا وجياد
 الأذجوان : الأسود واشتقاقه من الدجي ، وروى الارجوان وهو الأحمر
 وقال البحتري :

لما أناك يقود جيشاً أرعناً يمشى عليه كثافة وجوعا
 وقال ابن الرومي :
 فلو حصبتهم بالفضاء سحابة^{هـ} لظل عليهم حصبها يتدحرج^{هـ}
 وهو من قول قيس بن الخطيم :
 لو أنك تُلقي حظلاً فوق بيضنا تدحرج عن ذى سامة المتقارب
 السام^{هـ} : عرق الذهب والفضة وهو ههنا الطرائق المذهبة في البيض . وقلت :
 ولقد نقود^{هـ} الخيل تحطرب^{هـ} بالقنا فتصبهن^{هـ} على العدى آجالا
 ما إن يلين لها مدى فتخالها تجرى بطاء^{هـ} إذ جر^{هـ} بن عجالا
 وقال أبو عمرو بن العلاء أحسن ما قيل في صفة جيش قول النابغة :

أوزيرجروا مكفهرأ لا كفاء له كالليل يخلط^{هـ} أصراماً بأصرام
 تبدو كواكب^{هـ} والشمس طالعة^{هـ} نوراً بنور^{هـ} وإظلاماً باظلام^(١)

(١) في ديوان النابغة الطبع اختلاف عما ورد هنا .

فذكر ذلك ليونس فقال أحسن منه قول العجاج :
 كأنها زهاؤه لمن جهر ليل ورز وغره إذا وغر
 سار سري من قبل العين فجر

والأول أحسن عندي . ومن أجود ما قيل في صفة السوط قول الشعبي :
 أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل قال كان الشعبي إذا تحدث كأنه لم يسمع
 من غيره لحلاوة منطقه وعضوبة لفظه فتحدث يوماً فقال له رجل كأنه كان يجالسه
 يقال له حنيس : اتق الله ولا تكذب فقال له الشعبي ما أحوجك الى محدرج
 عظيم الثمرة لين المهزة أحد من مغرز عنق الى عجب ذنب فيوضع على مثل ذلك
 منك فيكثر لك رقصاتك من غير جدل . قال وما هو بأبي أنت وأمي ؟ قال أمر
 لك فيه أدب ولنا فيه أرب . يعنى السوط .

ومن أحسن ما وُصف به الرأس إذا حُمِل على القنائة قول مسلم :
 ويجمل الهام تيجان القنائة بل . مأخوذ من قول جرير * تيجان كسرى وقيصرا

ومن أجود ما قيل في المصلوب ما أنشدني بعض البصريين :
 أنظر اليه ^(١) كأنه في جذعه لما توشح بالجبالي ودرعا
 رام رمى عن قوسه بمذلق وأراد صحة رمية فتسمما
 وهذا من أتم ما قيل فيه . ومن المستحسن فيه قول البحترى :

قترآه مطرداً ^(٢) على أعواده مثل أطراد كواكب الجوزاء
 وقول ابن الرومي :

يلعبُ الدستبند ^(٣) فرداً وان كان له شاغل عن الدستبند
 وقال مسلم بن الوليد :

(١) في الأصل «الى» . (٢) أى مستقيماً . (٣) أهل الدستبند لعبة يأخذ فيها الرجال أو النساء بعضهم بأيدي بعضهم ويرقصون ، وهذا يمد يده ليرقص وحده .

كَأَنَّهُ شِلُو^(١) كَبَشٍ وَالْهَوَاءُ لَهُ تَنْوَرٌ شَاوِيَةٌ وَالْجَنْدَعُ سُفُودٌ^(٢)
 وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو الْقَاسِمِ عَنِ الْعُقَيْدِيِّ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ
 الْمَدَائِنِيِّ قَالَ قَالَ بَعْضُ أَهْلِ خِرَاسَانَ لَوْ كَيْعَ كَيْفَ قَتَلْتَ ابْنَ خَازِمٍ؟ قَالَ لَمَّا صَرَخَ
 قَمَدْتُ عَلَى صَدْرِهِ فَحَاوَلَ الْقِيَامَ فَلَمْ يَقْدِرْ فَغَلَبْتُهُ بِفَضْلِ الْقَنَا وَقَلْتُ يَا ثَارَاتِ دُوبَلَةَ
 فَقَالَ لَعْنَكَ اللَّهُ أَتَقْتُلُ كَبَشَ مَضْرٍ بِأَخِيكَ عُلْجٍ لَا يَسَاوِي كَفَّ نَوَى وَتَنْخَمُ فِي
 وَجْهِهِ فَمَا رَأَيْتَ أَحَدًا أَكْثَرَ رَيْقًا مِنْهُ . فَذَكَرَ ابْنُ هُبَيْرَةَ يَوْمًا هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ
 هَلْ الْبَسَالَةُ إِلَّا أَنْ يَكْثَرَ الرَّيْقُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ .

وَمَنْ جَيِّدٌ مَا قِيلَ فِي طَرَائِقِ الدَّمِّ عَلَى الْمُطْعُونِ قَوْلُ أَبِي خِرَاشٍ الْهَنْدِيِّ :
 وَنَهْنَهَتْ أَوْلَى الْقَوْمِ عَنِي بَطْمَنَةٌ كَأَوْشَحَةَ الْعِذْرَاءِ ذَاتِ الْقَلَائِدِ
 أَوْشَحَةَ جَمْعٌ وَشَاحٌ وَهُوَ سَيْرٌ كَأَنَّهُ شَرَاكَ عَلَيْهِ وَدَعَا فِشْبَهُ لَوْنُ الدَّمِّ
 بِالسَّيْرِ وَالزَّبْدُ بِالْوَدْعِ . وَمَا يَجْرِي مَعَ ذَلِكَ ذِكْرُ الْخَنْزِرِ مِنَ الْمَوْتُورِ مَا قَلَّتْ فِيهِ :
 لَا تَأْمَنَنَّ أَخَا الْعَدَاوَةِ إِنَّهُ إِنْ أَمَكَّتَهُ فِرْصَةٌ لَمْ يُجْهَلِ
 اللَّهُ دَرْتِكَ كَيْفَ تَأْمَنُ مُحْنَقًا تَغْلِي عِدَاوَةَ صَدْرِهِ فِي مِرْجَلِ
 مَا الْحَزْمُ إِلَّا فِي اجْتِنَاثِ أُصُولِهِ وَالْإِيْمُ^(٣) لَمْ يُؤْمَنْ إِذَا لَمْ يَقْتُلِ
 وَمَنْ الْجَيِّدُ مَا قِيلَ فِي سَعَةِ الطَّعْنَةِ قَوْلُ بَشَرٍ :

إِذَا نَفَذْتَهُمْ كَرْتٍ عَلَيْهِمْ بَطْعِنٍ مِثْلَ أَفْوَاهِ الْخَبِيرِ^(٤)
 الْخَبِيرُ الْمُرَادَةُ وَالْجَمْعُ خَبِيرٌ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ شَاسٍ^(٥) :
 بَطْعِنٍ كَالِيزَاغِ^(٦) الْحَاضِ إِذَا تَقَّتْ وَضُرِبَ كَأَفْوَاهِ الْمَفْرَجَةِ الْهَدَلِ
 شَبِهَ اللَّحْمَ الَّذِي يَتَدَلَّى مِنْ فَمِ الْجُرْحِ بِمَشْفَرِ الْبَعِيرِ الَّذِي بِهِ قُرُوحٌ فِي فَمِهِ

(١) الشلو: المسلوخ . (٢) السفود كمنور : الحديدية التي يشوي بها .

(٣) الإيْم: الثعبان . (٤) الخبيور: القرب .

(٥) هو الشاعر الجاهلي الاسدي ، شهد القادسية في الاسلام ، وله أشعار فيها .

(٦) إيزاغها أن ترفع ذيابها وتقذف بشيء من حياها على سائقها .

فيهدل لها مشفره . وقال عمرو بن شاس أيضاً :
 وأسيفنا آمارهن كأنها مشافر قرحى فى مباركها هدى
 وقال غيره :

بضرب كاذان الفراء فضوله وطمن كإزاع المحاض تبورها
 الفراء جمع الفراء وهو حمار الوحش . وقال خلف الأحمر :
 وأطمن الشجساجة المشلشله على غشاش دَهَش وعجله
 يردُّ فى نحر الطيب فتله

أى يسح الدم، ويشلشله : يفرقه . وقال خدّاش بن زهير (١) :
 وطعنة خلس كفرع الأزاء (٢) أفرغ فى مشعب الخائر
 تهلّ العوائد من فرغها (٣) تردُّ السبار على السابر
 السبار الشئ الذى تسبر به الطعنة أى تقدر والسابر الذى يسبرها ، والخاير
 المطمئن من الأرض المرتفع الحروف والجمع حوران ، والمشعب مسيل الماء .

هذا آخر صفة الحرب والسلاح وما يجرى معها ، والحمد لله حق حمده
 وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطاهرين وعلى الخلفاء الراشدين .

(١) شاعر جاهلى من أشرف بنى عامر وشجعا نهم ، أكثر شعره فى الحماسة والفخر .
 (٢) هو منفذ الماء إلى الحوض . (٣) أى أن من بعدنه فى مرضه يهولن فرغ الضربة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قسم البيان بين القلم واللسان لتكون النعمة فيه مشتركة بين الغائب والحاضر والمقيم والمسافر تماماً للنعمة على عباده وإكلاً للعارفة في عمارة بلاده ودل على موضع الصنعة في البيان ونبه على موضع العارفة في اللسان حيث يقول تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) وأخبر عن عظيم قدر القلم وما تضمن من سوابغ النعم حيث يقول تعالى (إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) وأعلى قدره وفخم أمره حين أقسم به على أجل أمرٍ وأنبله وأشرفه وأفضله فقال (ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ) فسبحان من جعل جلائل النعم وسوابغ الآلاء والتسم في شخصٍ ضئيل وقد قصير تقل قيمته وتصغر قيمته مع جلالة شأنه وعلو مكانه .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وذكر البلاغة

وما يجرى مع ذلك ، وهو :

﴿ الباب التاسع من كتاب ديوان المعاني وهو ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس وما يسلك مع ذلك من أحسن الاستعارة في ذكر الخط قول عبيد الله بن العباس بن الحسن

العلوى الخط لسان اليد . وقال جعفر بن يحيى : الخط سمط الحكمة به يفصل
شذورها وينظم منشورها . وقلت في معناه :

الكتبُ عُقلُ شواردِ الكلمِ ، والخطُ خيطُ فرائدِ الحكمِ
بالخطِّ نُظْمَ كُلُّ مُنتَثِرٍ منها وفُصِّلَ كُلُّ مُنْتَظَمٍ
والسيفُ وهو بحيثُ تُعرفُهُ فرضٌ عليه عبادةُ القلمِ
واختلف الناسُ في الخط واللفظ فقال بعضهم الخط أفضل من اللفظ لأن
اللفظ يُفهم الحاضر والخط يُفهم الحاضر والغائب . وقال بعضهم الخط كلامٌ
ميت والمخاطب به حي يُمكن صاحبه أن يُبصره حتى يبلغ منه غرضه .
ومن أعاجيب الخط كثرة اختلافه والأصل واحدٌ كاختلاف صور الناس مع
اجتماعهم في الصفة وخط الانسان كحليته وبعته في اللزوم له والدلالة عليه والاضافة اليه
كاضافة الثقافة الآثار الى أصحابها .

ومن أحسن ما قيل في حُسن الخط والشكل قول أحمد بن اسمعيل :
مستودِعٌ قِرطاسُهُ حِكْمًا كلروضٍ مَيِّزٍ بينهُ زَهْرَةٌ
وكانَ أَحْرَفَ خَطُهُ شَجْرًا والشكلُ في أضعافِهِ ثَمْرَةٌ
ووصف أحمد بن صالح جاريةً كاتبةً فقال كأن خطها أشكال صورتها وكان
مدادها سواد شعرها وكان قرطاسها أديمٌ وجهها وكان قلمها بعض أناملها وكان
بيانها سحرٌ مُقلتها وكان سكينها سيفٌ لحظها وكان مقطعها قلب عاشقها .
وقلت : وخط من التصحيح فيه معالمٌ من الحسن إذ يبدو عليه سيبٌ
يَسْبِرُ عنه الروضُ وهو مُنَمَّمٌ ويُخبِرُ عنه الوشَى وهو قشيبٌ
سوادٌ مدادٌ في بياض صحيفَةٍ يقول شبابٌ بالمشيبِ مَشوبٌ
كانَ ظلامَ الليلِ أذرى دموعه فظَلَّتْ على خدِّ الصباحِ تصوب
ومن غريب ما قيل في الشكل ما أنشدناه أبو أحمد قال أنشدنا الصولى قال
أنشدني عبد الله بن المعتز لنفسه :

فدونكهُ مُوشى نمنتهُ
 بشكل يؤمن الأشكالُ فيه
 وقلت : بياضُ صحيفةٍ تلتاحُ حسناً
 كغيمِ رِقٍّ في أطرافِ جوِّ
 ويحكى أرضَ كافورٍ صريحٍ
 كمثلِ الليلِ في مُصبحِ صديعٍ
 وبين سُطورهِ عَجْمٌ^(١) مصيبٌ
 وحاكتهُ الأناملُ أي حوكِ
 كأنَّ سُطورهُ أغصانُ شوكِ
 كمتنِ السيفِ في كفِّ المليحِ
 وماءِ ساحٍ في قاعِ فسيحِ
 بها نَبْذٌ من المسكِ الذريحِ
 ومثلِ الصُدغِ في وجهِ صبيحِ
 كمثلِ الخلالِ في الخدِّ المليحِ

وأحسن ما قيل في صفة الخط الجيد ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال سُئل بعضُ الكتاب عن الخط متى يستحق أن يوصفَ بالجودة فقال : إذا اعتدلت أقسامه وطالت ألفه ولامه واستقامت سُطوره وضاهى صعوده حُدوره وتفتحت عيونه ولم تشبه راؤه ونونه وأشرق قرطاسه وأظلمت أنقاسه^(٢) ولم تختلف أجناسه وأسرع في العيون تصوُّره والى العقول تشمره وقدرت فصوله واندججت وصوله وتناسب دقيقه وجليله وخرج عن نمط الوراقين وبعُد عن نصنُّع المحررين وقام لكتابته مقام النسبة والحلية كان حينئذ كما قيل في صفة الخط :

إذا ما تجال قرطاسه وساوره القلم الأرقش
 تضمن من خطه حِلَّةً كمثل الدنانير أو أنقش
 حروفاً تعيد لعين الكليل نشاطاً ويقروها الاخفش

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

أنا الذي نظرت الأعمى إلى أدبي وأسعت كلأني من به صممُ
 إلا أنه أحسن الأخذ وأجاد اللفظ . ومن مליح التشبيه قول الاعرابي وقد قال له هشام بن عبد الملك أنظر كم على هذا الميل من عدد الأميال ، ولم يكن الأعرابي

(١) المعجم : النقط . (٢) النفس بالكسر : المداج أنقاس .

يحسن القراءة فمضى فنظر ثم عاد فقال رأيت شيئاً كراس المحجن مُتصلاً بمحاقة صغيرة
تبعها ثلاث كاظباء الكلبة يفضى الى هنة كأنها قطة بلا منقار . ففهم هشام
بالصفة أنها «خسة» (١) .

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن أبي العباس الربعي عن الطلحي عن أحمد
ابن ابراهيم قال دخل اعرابي الى الرشيد فأنشده أرجوزة واصمعيل يكتب
بين يديه كتاباً وكان أحسن الناس خطأً وأسرعهم يداً وخاطراً فقال الرشيد
للاعرابي صف هذا الكاتب فقال ما رأيت أطيش من قلمه ولا أثبت من كلمه ثم
قال ارتجالاً :

رقيق حواشي الحليم حين تبوره يريك الهوينا والأمر تطير
له قلمها بؤسى ونعمى كلاهما صحابته في الحالتين درور
يناجيك عما في ضميرك لحظة ويفتح باب الأمر وهو عسير

فقال الرشيد قد وجب لك يا اعرابي حق عليه هو يقضيك إياه وحق علينا
فيه نحن نقوم به ، ادفموا اليه دية الحر ، فقال اسماعيل وله على عبدك دية العبد .
قوله « رقيق حواشي الحليم » ردىء لان الحليم يو صف بالرزانة لالبارقة ،
واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فعيب به . وقوله « يريك الهوينا والأمر تطير »
رويناه لمنصور النمرى .

وفاخر صاحب قلم صاحب سيف فقال صاحب القلم أنا أقتل بلاغرر وأنت
تقتل على غرر . قال صاحب السيف القلم خادم السيف ان بلغ مراده وإلا قالى
السيف معاده أما سمعت قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حدّه الحدّ بين الجدد واللعب
وأبى ذلك ابن الرومي فقال :

كذا قضى الله للأقلام مبد بريت ان السيوف لها مبد أرهفت خدم

(١) كانت مكتوبة بالحروف فرأس المحجن الحاء والحلقة الصغيرة الميم .

وقال أيضاً :

لعمرك ما للسيفُ سيفُ الكميِّ
له شاهدٌ إنْ تأمَّلتَهُ
أداةُ النيةِ في جانبيه
سِنانُ النيةِ في جانبِ
ألم ترَّ في صدره كالسنانِ
وقد أحسن الخالدي في قوله :

ففي كفِّ لثِ الورى للندى
وقلت : أبيت بالليلِ غريبِ الكرى
وقيمُ الحكمةِ في أملي
أنفُ ضميري حينَ أرفعتهُ
لسانُ كفي حينَ أنطقتهُ
مُنحَفٌ في خَلقه ذابلٌ
ان لم يكن كالعضبِ في حدِّه
ينكسهُ المرءُ فيعلو به
ومُدَّ عرفنا لذَّةَ العليمِ لا

وقال البحرى في تفضيل السيف على القلم :

ولما التقت أقلامكم وسيوفهم
أبدت بُغاثَ الطير زرقُ الجوارح
فلا غرَّنى من بعدكم عزُّ كاتبِ
إذا هو لم يأخذُ بمحجزةِ راحِ
ومن أحسن ما وصِّف به القلم قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك الزيات :
لك القلمُ الأعلى الذى بشباته
لعابُ الأفاعى القاتلاتِ لعابه
له ريقهٌ طلٌّ ولكن وقمها
تُنالُ من الأمر الكلى والمفاصلِ
وأرى جنى شارته أيد عواسلِ
بأثاره في الشرق والغربِ وأبلِ

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ . وأعجمٌ إن خاطبته وهو راجلٌ
 إذا ما امتطى الخس اللطاف وأفرغت عليه شعابُ الفكرِ وهي حوافلُ
 أطاعته أطراف الرماح وقوّضت لنجواه تقويض الخيام الجحافلُ
 إذا استفزّر الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاسِ وهي أسافلُ
 وقد رفته الخنصرانِ وسدّدت ثلاث نواحيه الثلاثُ الأناملُ
 رأيت جليلاً شأنه وهو مرهفٌ ضني وسميناً خطبه وهو ناحلُ
 وقد أحسن القائل في تشبيه أنامل الكاتب على القلم بأشده أنشدناه أبو أحمد
 عن الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحق :

ماضر من أضنى بهجرانه قلب كئيب القلب حرّانه
 لو فرج الكربة عن مدنف تشفُّه لوعة أحرانه
 يرقمة ينظّمها كفه نظم لآليه ومرجانه
 برهف الأحشاء ذي حلة موشية ترفع من شأنه
 لعابه يسرّ وعسر إذا جاد به تليج أسنانه
 إذا امتطاه بشبيهاته كشف أسراراً باعلانه
 يركض في ميدان قرطاسه ركض جوادٍ وسط ميدانه
 وأحسن القصار في هذا المعنى يصف جاريةً كاتبةً اسمها علم :

أفدى البنان وحسن الخط من علم إذا تقمعن بالحناء والكتم^(٢)
 حتى إذا قابلت قرطاسها يدها ترى ثلاثة أقلام على قلم

ومن أحسن ما قيل في الدواة والأقلام قول أحمد بن إسماعيل :

في كفه مثل سنان الصعده أرقش بزّ الأفوان جلدّه
 يلتمهم الجيش الأسهم وحده لو صادم الطود المنيف هدّه
 لو صافح السيف الحسام قدّه يأوى الى ظنّره له محتدّه

(١) في الأصل « امتطاه شبيهاً به » . (٢) نبت يخلط بالحناء، وإذا طبخ صار مداداً .

يُمزَجُ فِيهَا صَبْرٌ بِشَهْدِهِ يُرَضَعُهَا مِنْ مَقْلَةٍ مُسْوَدَةٍ
يَمُدُّهَا جَارٍ كَثِيفِ الْعُدَّةِ كَأَنَّهُ اللَّيْلُ إِذَا اسْتَمَدَّهُ
مُقْلَتُهَا مَكْحُولَةٌ بِنَدْوَةٍ

وقلت في القلم :

أَنْظُرْ إِلَى قَلَمٍ تَنْكَسُ رَأْسُهُ
تَنْظُرُ إِلَى مَخْلَابِ لَيْثٍ ضَيْفِيمٍ
يَبْدُو لِنَظَرِهِ بِلَوْنٍ أَصْفَرٍ
فَالدَّرَجُ أَيْضٌ مِثْلُ نَحْدٍ وَاضِحٍ
قَسَمِ الْعَطَايَا وَالْمَنَايَا فِي الْوَرَى
طَعْمَانِ شَوْبُ حَلَاوَةٍ بِمِرَارَةٍ
فَإِذَا تَصَرَّفَ فِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ
وَمُدَّلًا بِمُعْرَزٍ وَلرَبَّمَا
وَقَلْتُ : لَكَ الْقَلَمُ الْجَارِي بِيؤْسٍ وَأَنْعَمُ
إِذَا مَلَأَ الْقِرطَاسَ سُودَ سَطُورِهِ
فَنَلَّكَ جَنَانٌ تَجْتَنِي ثَمَرَاتُهَا
وَهَنَّ بَرُودٌ مَالِهِنَّ مَنَاسِجُهُ
وَهَنَّ حَيَاةٌ لِلْوَلِيِّ رَضِيَةٌ

وَأَنْشَدْنَا أَبُو أَحَدٍ قَالَ أَنْشَدْنَا أَبُو بَكْرٍ أَحَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ الْعَطَايُ قَالَ

أَنْشَدَنِي أَبُو الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْبَغْلِ :

لَهُمْ هَمَمٌ تُتَاطَأُ إِلَى الثَّرِيَا
وَتَحْكَمُ فِي الطَّرِيفِ فِي الثَّلَادِ
وَأَقْلَامٌ تُشَبَّهَا سُيُوفًا
مَهْنَدَةٌ هَوَادِي فِي الْهَوَادِي

(١) فِي الْأَصْلِ « شَهْدُهُ » بضم الشين وهو سائق فقد جاء في القاموس

« الشهد بالفتح ويضم » .

يُخِطُّ بِهَا سَوَادٌ فِي بِيَاضٍ فَتَحْسَبُهُ بِيَاضاً فِي سَوَادٍ
 إِذَا فَرَعَ الصَّرِيخُ أَمْدَخِيلاً بِخَيْلٍ تَسْتَنَارُ مِنَ الْمَدَادِ
 وَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرَّومِيِّ فِي وَصْفِ الْكِتَابِ حَيْثُ يَقُولُ :

مَتَمَنَّقٌ مِنْ جِلْدِهِ مَتَحْتَمٌ مِنْ خَصْرِهِ
 أَوَّلًا تَرَاهُ وَصَدْرَهُ فِي بَطْنِهِ أَوْ ظَهْرَهُ

وَقَالَ ابْنُ الْمُتَزِيدِ ذَكَرَ أَرْضَةً أَكَلْتُ كِتَابًا :

شَغَلَنِي إِذَا مَا كَانَ لِلنَّاسِ شِغْلٌ دَفَعْتُ فِقَهُ أَوْ حَدِيثَ أَوْ غَزَلَ
 أَرْقَطُ ذُو لَوْنٍ كَشِيبِ الْمَكْتَهْلِ تَخَالُهُ مَكْتَحِلًا وَمَا كَتَمَلِ
 رَاكِبٌ كَفَّ أَيْنَ مَا شَاءَ رَحَلَ وَهُوَ دَلِيلٌ لِمَقَالٍ أَوْ عَمَلِ
 يَقِيمُ وَزْنَ الْعَقْلِ حَتَّى يَعْتَدِلَ وَيُذَكِّرُ النَّاسِيَّ مَا كَانَ أَضَلِ
 كَأَنَّهُ يَنْشُرُ عَنِ نَقْشِ حَلَلٍ يَخَاطَبُ اللَّحْظَ بِنَطْقٍ لَا يَكَلِ

وَلَا يَمِيلُ صَاحِبًا حَتَّى يَمَلِ

ثُمَّ قَالَ فِي وَصْفِ الْأَرْضَةِ * تَأْكُلُ أَتْمَارَ الْقُلُوبِ لِأَنَّ كُلَّ * وَكَتَبَ الصَّاحِبُ
 فِي وَصْفِ كِتَابٍ : وَصَلَ كِتَابَكَ فَجَعَلْتَهُ يَوْمَ وَصُولِهِ عِيدًا أَوْ رُخَّ بِهِ أَيَّامٌ بِهِجْتِي
 وَأَفْتَتِحُ بِهِ مَوَاقِيتَ غَبَطْتِي وَعَرَفْتِ مِنْ خَبَرِ سَلَامَتِكَ مَا سَأَلْتَ اللَّهُ الْكَرِيمَ أَنْ
 يَصِلَهُ بِالْذُّوَامِ وَيَرْفَعَهُ عَلَى أَيْدِي الْأَيَّامِ . وَكَتَبَ أَيْضًا : وَصَلَ كِتَابَهُ أَيَّدَهُ اللَّهُ بِضَحْكَ
 عَنْ أَخْلَاقِهِ الْإِرْجَةِ وَيَتَهَلَّلُ عَنْ عَشْرَتِهِ الْبَهْجَةِ وَيَخْبِرُ عَنْ طَارِيَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَمَّا رَأَيْتَ
 شَمَلَ الْحَرِيَّةِ بِهِ مَنَظْمًا وَشَعْبَ الْمَرْوَةِ لَهُ مَلْتَمًا وَيَتَحَمَّلُ مِنْ أَنْوَاعِ بَرِّهِ مَا أَقْصَرَ عَنْ
 ذِكْرِهِ وَلَا أَطْمَعُ فِي شُكْرِهِ وَيُؤَدِّي مِنْ لَطِيفِ اعْتِنَاؤِهِ فِي أَمْنَاءِ عَتَبِهِ مَا تَزْدَادُ بِهِ
 أَسْبَابَ السَّرُورِ تَهْدَاءً . وَقَلْتُ فِي كِتَابِ أَكَلْتَهُ الْأَرْضَةَ :

وَجَلِيسٌ حَسَنٌ الْمُحْضِرُ مَأْمُونٌ الْمَغِيبُ
 مَيْتٌ يُخْبِرُ حَيًّا بِخَفِيَّاتِ الْغُيُوبِ
 أَبْلَهُ غَيْرُ لَيْبٍ وَهُوَ فِي حَالِ اللَّيْبِ

جاهلٌ غيرٌ أديبٍ وهو عوفٌ للأديبِ
 أخرسٌ غيرٌ خطيبٍ وله لفظٌ الخطيبِ
 مفحمٌ ينظمٌ شعراً مثل إقبال الحبيبِ
 ساكتٌ يروى حديثاً مثل إعراض الرقيبِ
 نمقته الكفُّ حتى هو كالوشى التشيبِ
 من سوادٍ وبياضٍ كشبابٍ ومشيبِ
 فيه إمتاعٌ لأبصارٍ وأنسٌ للقلوبِ
 دبٌّ فيهنّ ديبٌ كان من شرِّ الأديبِ
 من صغيراتِ جسومٍ وكبيراتِ الذنوبِ
 أخذت منها نصيباً فالتوى منها نصيبى
 أفرحت قلباً جهولٍ وكوت قلباً لبيبِ
 ويل هاتيك الممانى من بديعٍ وغريبِ
 وأفانينٍ كلامٍ بين سهلٍ وصايبِ
 من بديعٍ وفصيحٍ وصحيحٍ ومُصيبِ
 بدّل الإصلاحِ منهم - ن - بافسادٍ عجيبِ
 فنجومٌ العلمِ والفهمِ - م - تهاوت للغروبِ
 كلُّ شيءٍ سوفَ يبقى عن بعيدٍ وقريبِ

ومن بديعٍ ما وُصف به الوراق ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولى
 عن أحمد بن يزيد المهلبى عن أبي هفان قال سألتُ ورأقا عن حاله فقال :
 عيشى أضيّق من محبرةٍ وجسى أدق من مسطرةٍ ، وجاهى أرق من الزجاجِ
 وحظى أخنى من شق القلمِ ويدي أضعف من قصبته وطعامى أمر من العفصِ وشرابى أسود من
 الحبرِ وسوء الحال أزم لى من الصمغ . فقلت عبرت عن بلاءِ بلاءِ فحسبك .
 وقلت في المحبرة والاقلام :

مَنْهَلَةٌ مِنْ أَشْرَفِ الْمَنْهَلِ تَضْمَنُ رِيَّ الصَّفْرِ الذَّوَابِلِ
مَرَكِبُهَا ذَوَائِبُ الْأَنْمَالِ إِذَا مَشَتْ عَالِيَةَ الْأَسَافِلِ
بَكَتْ عَلَى الطَّرْسِ بِدَمْعِ هَامِلِ فَارْتَبَطَتْ شَوَارِدُ الْمَسَائِلِ
وَكَشَفَتْ عَنْ غُرْرِ الدَّلَائِلِ بِيضَاءِ تَبْدُو فِي لِبَاسِ الثَّائِلِ
لَكِنِّي تَلْبِسُهُ مِنْ دَاخِلِ

وما لا أعرف في معناه خيراً منه قول كشاجم الكاتب (١) :

لَا أَحِبُّ الدَّوَاةَ تَحْشَى يِرَاعًا هِيَ عِنْدِي مِنَ الدَّوَى مَعِيهِ
قَلَمٌ وَاحِدٌ وَجُودَةٌ خَطٌ فَإِذَا زَدْتَ فَاسْتَزِدْ أَنْبُوهُ
هَذِهِ قَعْدَةٌ الشَّجَاعِ عَلَيْهَا أَبَدًا سِيرُهُ وَتِلْكَ جَنِيْبُهُ
وَمِنَ الْبَدِيعِ الظَّرِيفِ قَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ السَّمَاعِيلِ :

كَأَنَّمَا النَّقْسُ إِذَا اسْتَمَدَهُ غَالِيَةً مَذْذُوقَةٌ بِنَسَدِهِ
وَنَتِ السِّكْرَسُفُ (٢) مِمَّا يُعَابُ بِهِ . وَمِنَ الْبَدِيعِ الْمَشْهُورِ مَا أَنْشَدَنَاهُ أَبُو
أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ السَّمَاعِيلِ لِلْحَسَنِ بْنِ وَهَبٍ (٣) :

مِدَادٌ مِثْلُ خَافِيَةِ الْغَرَابِ وَأَقْلَامٌ كَرَهْفَةِ الْحَرَابِ
وَقَرطَاسٌ كَرَقْرَاقِ السَّرَابِ وَالْفَاقِظُ كَأَيَّامِ الشَّبَابِ
وَقَلْتُ : أَوْ كَثُرَ مَا نُثِبَتْهُ الْأَقْلَامُ لَمْ تَسْعَ فِي زَوَالِهِ الْأَيَّامُ
يَا لَكَ مِنْ حُرْسٍ لَهَا كَلَامٌ مَوْتِي إِلَيْهَا النَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ

(١) هو أحد فحول الشعراء ، قيل إن لقبه هذا منحوت من عدة علوم كان يتقنها : فالكاف من كاتب والشين من شاعر والألف من أديب والجيم من الجدل والميم من المنطق ؛ ثم طالب علم الطب فمهر فيه فزيد في اسمه طاء من طيب فقيل طككشاجم ولكنه لم يشتهر . كان من شعراء عبدالله به حمدان والد سيف الدولة .

(٢) السكرسف : القطن ومنه كرسف الدواة .

(٣) كان معاصراً للأبي تمام وهو من الشعراء الوجهاء ، للمات رثاه البحترى .

قِوَامٌ مَجْدٌ مَالُهُ قِوَامٌ نِظَامٌ مَلِكٌ خَانَهُ النِّظَامُ
أَصَاغَرُ شُؤْنَهَا الْعِظَامُ

ومن المختار في معناه قول الآخر :

إِذَا الزَّعْفَرَانُ عَطَّرَ الْعَذَارَى وَسَوَادُ الدَّوِيِّ عَطَّرَ الرِّجَالَ
وَقَلْتُ فِي سَكِينٍ :

أَنْبَازٌ وَعَدَكُ فِي السَّكِينِ مَكْرَمَةٌ غِرَاءُ فَضْلِكَ فِيهَا غَيْرٌ مَجْجُودٌ
أَحْسَنُ بِهِ أَرْزَقًا فِي أَيْضٍ يَبْقَى لِمَنْطَاقٍ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ
خَلْفُ الْوَعِيدِ حَمِيدٌ لَا يَدْمُ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ خَلْفَ مَوْعُودٍ بِمَحْمُودٍ

وكتب كافي الكفاة في ذم قلم فأبدع : وليس العجب إلا من قلم منيت به
لا يستقر إذا تأنيت ولا يستمر إذا جريت طوله عرض وإبرامه نقض تستغيث
الحروف من التوائه وتستأنس السطور من استوائه ان قلت سر وقف وان
حشته بالانامل كطف فالفاظي في سنيه مأسورة ومعاني في شقيه محصورة وقد
صبرت عليه ألبسه مع سوء عشرته وأستمنحه مع فضل عشرته وأقول لعله يصلح
بطول المداراة وعسائه ينجح بكثرة المناوأة وهو يزداد نفاراً ويتضاعف زللاً وعتاراً .
ومما يدخل في هذا الباب قول كشاجم في غلام رآه يكتب ويخطيء فيمحو
ما يخطه بريقه وهو :

وَرَأَيْتُهُ فِي الطَّرْسِ يَكْتُبُ مَرَّةً غَلَطًا بِوَأَصْلٍ مَحْوَةٍ بِرُضَائِهِ
فَوَدِدْتُ أَنِّي فِي يَدَيْهِ صُحُفَةٌ وَوَدِدْتُ لَأَيْهَتَيْهِ لَصَوَابِهِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا الغلابي قال حدثنا مهدي
ابن سابق قال رأى المأمون في يد جارية له قلماً وكان ذا شغف بها واسمها منصف فقال :

أَرَأَيْتَ مَنْحَتُ الْوَدِّ مِنْ لَيْسَ يَعْرِفُ فَمَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْحَبَةِ مُنْصَفُ
وَزَادَتْ لَدِيَّ حِظْوَةً يَوْمَ أَعْرَضَتْ وَفِي أَصْبَعِيهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ
أَصْمٌ سَمِيعٌ سَا كُنُّ مَتَحْرِكٌ يَنْالُ جَسِيَاتِ الْمَدَى وَهُوَ أَعْجَفُ

عجبت له انى ودهرك معجب^ه يقوم^ه تحريف^ه العباد^ه محرف^ه
وكتب الصاحب أبو القاسم في وصف كتاب : ومن هذا الذى لا يجب أن يواصل
علم الفضل وواسطة الدهر وقرارة الأدب والعلم ومجمع الدراية والفهم أم من لا يرغب
في مكاتبة من ينتسب الربيع إلى خلقه ويكتسب محاسنه من طبعه ويتوشح
بأنوار لفظه ويتوضح بأثار لسانه ويده ، ووصل كتابه^ه فارتحت لعنوانه قبل عيانه
حتى إذا فضضت ختامه أقبلت الفكرة^ه تتسكاث^ه والدرر^ه تتناثر^ه والغرر^ه تتراكم
والنكت^ه تتزاحم فإذا حكمت للفظة بالسبق أنت أختها تنافس وأقبلت لذتها
تفاخر حتى استعفيت من الحكومة ونفضت يدي من غبار الخصومة وأخذت^ه
أقول كلكن^ه صوادير^ه عن أصول بل أصل واحد فتسلمن ونواقده عن معدن^ه فارد
فتصالحن وقد وليت النظر بينها من كمل لنسج برودها ووفى بنظم عقودها .
ومثل ما تقدم من قوله في ذم القلم قوله أيضاً : على أنى يامولاي أنشأت هذه
الأحرف وحولى أعمال^ه وأشغال^ه لا يسلم معها فكر^ه ولا يسمح بينها طبع^ه وتناولت
قلماً كالابن العاقبل العدو المشاق فإذا أدرت استطال وإذا قومته مال وإذا حشنته^ه
وقف وإذا أوقفته انحدر أجبل الشق مضطرب الشق^ه متفاوت البري معدوم
الجرى محرف^ه القط مشيج الخط ثم رأيت العدو^ه عنه ضرباً من الانقياد لأمره
والانخراط فى سلكه فجهدته على رغبه وكدته على صغره لاجرم أن جنابة
اللجاج يادية على صفحات الحروف لا تخفى وعادية المحك لأمة^ه على وجوه تجلى .
وكتبت فى وصف كتاب : والله أعلم أنى أخبرت بورود كتابه فاستفرنى
الفرح قبل رؤيته وهز عطفى المرح^ه قبل مشاهدته فما أدري أسمعت بورود كتاب
أم ظفرت برجوع شباب ثم وصل بعد انتظار له شديد وتطلع إلى وروده طويل
عريض فتأملته فلم أدر ما تأمات خطأ مسطوراً أم روضاً مطوراً أم كلاماً منشوراً أم
وشياً منشوراً ولم أدر ما أبصرت فى أثناءه أبيات شعر أم عقود^ه دُر^ه ولم أدر
ما حملته أغيث^ه حل بواد ظمان أم غوث^ه سبق إلى لهفان .

وكتبه صاحب : ووصل كتاب القاضى فأعظمت قدر النعمة فى مطالعه وأجلت محل الموهبة بموقمه وفضضته عن السحر الحلال والماء الزلزال ومرحت الطرف منه فى رياض رقت حواشيها وحلل تائق واشيها فلم أتجاوز فصلا إلا الى أخضر منه فضلا ولم أتخط سطرأ الا إلى أحسن منه نظما ونثرا .

ورفع رجل^١ إلى محمد بن عبد الله بن طاهر قصة يعتدرفيها فرأى خطه رديئاً فوقع : قد أردنا قبُولَ عنرك فاقطمنا دونه ما قابلنا من قببح خطك ولو كنت صادقاً فى اعتذارك لساعدتك حركة يدك أو ما علمت أن حسن الخط يُناضل عن صاحبه بوضوح الحجّة ويمكن له درك البغية .

وقال على رضى الله عنه : الخطُّ الحسنُ يزيد الحقَّ وضوحاً .

وقيل : حسن الخط احدى البلاغتين .

ووصف الجاحظ الكتاب فقال : الكتاب وعاء ملىء علماً وظرف حشى ظرفاً^(١) وإناء شحن مزاحاً^(٢) جداً إن شئت كان أبين من سحجان وائل وإن شئت كان أعيان من باقل وإن شئت ضحكت من نواذره وإن شئت شجعتك مواعظه ومن لك بواعظ مله وبراجر مغرٍ ويناسك فاتك وبناطق أخرس وبيارد حار ومن لك بطبيب أعرابى وبرومى هندى وفارسى يونانى وبقديم مولد وبميت مُتمتع ومن لك بشيء يجمع الأول والآخِر والناقص والوافر والشاهد والغائب والرفيع والوضيع والفث والسمين والشكل والمثل وخلافه والجنس وضده .

ودخل المأمون على بعض بنيه فوجده ينظر فى كتاب فقال يا بنى ما فى كتابك ؟ قال بعض ما يشحد الذهن ويؤنس الوحدة . فقال الحمد لله الذى رزقنى ولداً يرى بعين عقله أكثر مما يرى بعين جسده وظل مفكراً فى قول ولده الطفل .

(١) الظرف بفتح الظاء بمعنى الظرافة ، ويضم بعضهم الظاء وهو غلط .

(٢) المزاح بضم الميم : الاسم من المزح .

﴿ الفصل الثاني من الباب التاسع ﴾

في ذكر البلاغة

قال بعض الحكماء : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه ، قال الشيخ أبو هلال
يعنى قولاً واضح المعنى غير مُشكل المغزى . وسأل معاوية عمرو بن العاص من
أبلغ الناس ؟ قال من اقتصر على الایجاز وترك الفضول . وليس يصلحُ الایجاز في
كل مكان كما لا تصلح الاطالة في كل أوان بل لكل واحد منهما حينٌ يحسن فيه
ومقام يليق به ان أزله عنه لم توفه حقه ولم تسلك به طريقه . وقال محمد الأمين
عليكم بالایجاز فان للایجاز افهاماً وللاطالة استنبهاً . أى عليكم بالایجاز فيما كان
الایجاز فيه أحسن وأنجح فأما اذا كانت الاطالة أرد وأنفع فليس للایجاز موقعٌ
يحمّد ولا حالٌ تعتمد . والایجاز بجميع الشعر أليق وبجميع الرسائل والخُطبِ
وقد يكون من الرسائل والخُطب ما يكون الایجاز فيه عيباً ولا يعرفه البلاغة
في جميع الشعر لان سبيل الشعر أن يكون كلامه كالوحى ومعانيه كالسحر مع قربها
من الفهم . والذى لا بدّ له منه حسنُ المعروض ووضوحُ الغرض كقول النابغة
الذياني * فانك كالليل الذى هو مدركي * وقال الفرزدق :

والشيبُ ينهض بالشبابِ كأنه ليلٌ يصيحُ بجانيه نهارُ
وقال أعرابيٌّ : أبلغُ الناس أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهةً . وهذا
حسنٌ جداً لأن سهولة اللفظ وحسن البديهة يدلان على جودة القريحة
والبلاغة الفرزية ، ووعورة اللفظ تدل على تكلف وتعمق ولا شيء أذهب بماء
الكلام وطلاوته ورونقه منهما ولا يحسن معهما الكلام أصلاً وان كان لطيف
المعنى نبيل الصنعة . وقد أجاد ابن الرومي في قوله : البلاغةُ حسنُ الاقتضاب
عند البديهة والغزارة يوم الاطالة . فجعل البلاغة في الغزارة كما جعلها غيره في الایجاز .

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فقال وضوح الدلالة واتهاز الفرصة وحسن الاشارة .
وقيل لاخر ما البلاغة ؟ فقال تصحيح الاقسام واختيار الكلام .
وقال الحسن بن سهل : البلاغة ما فهمته العامة ورضيته الخاصة . وقال عبيد الله بن
عتبة : البلاغة دنو المتأخر وقرع الحججة وقليل من كثير . وروى هذا عن أكرم بن صيفي
أيضاً . وقال ابن المقفع : البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه فيها ما يكون شعراً
ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامية ما يكون من
هذه الأحوال فالوحي فيها والاشارة إلى المعنى أبلغ والايجاز البلاغة . وتأويل
هذا ما قدمناه . وقال غيره : البلاغة قول يسير يشتمل على معنى خطير .
وقال الآخر : البلاغة علم كثير في قول يسير . وقال جعفر بن يحيى :
البلاغة أن يكون الاسم محيطاً بمعناك ويجلي على مغزاك ولا تستعين عليه بطول
الفكرة ويكون سليماً من التكلف بعيداً من سوء الصنعة بريئاً من التعقد
غنياً عن التأمل . وقال اعرابي : البلاغة التقرب من معنى البغية والتبعد من
حشو الكلام وقرب المأخذ وإيجاز في صواب وقصد إلى الحججة وحسن الاستعارة .
وقال محمد بن الحنفية : البلاغة قول مفقده في لطف . وقال علي رضي الله عنه : البلاغة
إيضاح المتبسات وكشف عوار الجبال بأحسن ما يمكن من العبارات .
ومثله قول الحسن بن علي رضي الله عنهما : البلاغة الأفصاح عن حكمة
مستغلة وإبانة علم مشكل . ومثله قول محمد بن علي رضي الله عنه : البلاغة تسير
عسير الحكمة بأقرب الالفاظ . وقال ابن المقفع : البلاغة كشف ما غمض من الحق
وتصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق . والذي قاله صحيح
لا يخفى موقع الصواب فيه على أحد من أهل التمييز وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح
الثابت المكشوف بنادى على نفسه بالصحة ولا يجوز الى التكلف لتصحيحه
حتى يوجد العيب فيه خطيباً وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ما ليس
بصحيح بضرب من الاحتيال والتخييل ونوع من العلل والمعارض ليخفى موضع

الاساءة ويغرض موضع التقصير فيه . وقد فسرت في كتاب صنعة الكلام مواضع الاشكال من هذه الفصول فتركتُ إعادتها ههنا فاذا أردتها فاطلبها في مظانها هناك تطفر ببينيتك منها إن شاء الله تعالى . وقد أحب قومُ الايجاز في بعض المواضع منهم جعفر بن يحيى قال - كتابه: إن استطعتم أن يكون كلامكم مثل التوقيع فافعلوا . وقال بعضهم في المذهب الأول إذا كان الايجاز كافياً كان التطويل عيًّا وإذا كان التطويل واجباً كان التقصير عجزاً . وقيل لاعرابي ما البلاغة ؟ فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل . فانظر إلى كلام هذا الاعرابي فهو بليغ .

﴿ جمل من بلاغات العجم ﴾

العجمُ والعربُ في البلاغة سواءٌ فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى ، وكان عبد الحميد الكاتب استخراج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي ، وبذلك على هذا أيضاً أن تراجمُ خطب الفرس ورسائلهم هي على نمط خطب العرب ورسائلها ، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنى وصنعةً وربما كان اللفظُ الفارسي في بعضها أفصح من اللفظ العربي ، من ذلك قول العرب « ولدك من دمي عقيبك »^(١) وقول الفرس « هرك نراد نرود » واللفظُ الفارسي في هذا أفصح من اللفظ العربي وأحسن ، وقولهم « كشنيد ميد » مثل قول العربي « من يسمع يخل » سواءً في المعنى ، والفارسي أقل حروفاً ، وقولهم « أصيد بركة خورده »^(٢) وليس للعرب في معنى هذا المثل شيء ومعناه « المأمول

(١) كانت امرأة الطفيل بن مالك ولدت له عقيل بن الطفيل فبينته كبشة فعر به عقيل على أمه فضرته فجاءتها كبشة وقالت ابني ابني فأجابها أمه بهذا المثل .
(٢) لعله « أصيد به أزخوردن » كما يقوله بعض العارفين باللغة الفارسية حيث سأله عن صحة ذلك .

خير من المأكول » ولا يعبر عنه بكلام عربي أقل حروفاً مما ذكرته ومع ذلك فان حروف تفسيره بالعربية ضعفاً حروفه بالفارسية ، وقد جاء عن بعضهم في معنى هذا المثل «انتظار الحاجة خير لك من قضائها» وقد خالفهم الفرس في مثل واحد وهو قولهم « به شاه آشناء نرود همدوره » والعرب تقول «جاور بجرأ أو ملكاً» .
وليس قصدنا لهذا المعنى فنطيل فيه ولكن لا يراد أمثلة في البلاغة تكون مادة لصانع الكلام : فمن ذلك قول ابرويز : إذا نزل الخمولُ استكشف
النقص ، يحثُّ على طلب النباهة والتماس جلائل الأمور . وقال بهرام جور :
الحاكم ميزان الله في الأرض فوافق الله تعالى في قوله (والسَّمَاءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ الْمِيزَانَ) يعنى العدل في الحكم . ونحوه قول علي رضي الله عنه :
السفرُ ميزان القوم . وقول الآخر : العروضُ ميزان الشعر وقال الآخر منهم :
أغلق أبواب الشهوات تفتح لك أبواب المحاسن . وقال آخر منهم : الصوابُ
قرين الثبوت والخطأ شريك العجلة . وقال بزرجهر : طاملوا أحرار الناس بمحض
المودة وطاملوا العامة بالرغبة والرهبه وسوسو السفلة بالخافة والهيبه . وقريب
من ذلك قول بعضهم : الكريم يلين إذا استعطف والثلثم يقسو إذا أظف .
وقال بعضهم : ينبغى للوالى أن يتقداً أمور رعيته فيسداً فاقة أحرارها ويقمع طغيان
سفلتها فانما يصول الكريم إذا جاع والثلثم إذا شبع . وقال بعضُ حكماء الفرس :
أحزم الموك من غاب جده هرله وقهر رأيه هواه وعبر عن ضميره فعله ولم يتخذعه
رضاه عن حظه ولا غضبه عن كيده . وقال أنوشروان : القصدُ غاية المنافع ،
وقال لابنه هرمز لا يكن عندك لعمل البرّ غاية في الكثرة ولا لعمل الاثم غاية
في القلة . ووافق هذا من العربي قول الافوه الأودى :

والخيرُ تردادُ منه ما لقيت بهِ والشرُّ يكفيك منه قلما زادُ

وقالوا أيضاً : يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الظلم على المظلوم .

وقال ابرويز : لا تنفُسْوا اقبلا فتنفصوا به كثيراً . وقال يوماً لجنبده لا يشحد امرؤ

منكم سيفه حتى يشد عقله . وأظن المتنبى ألم بهذا فقال :
 رأى قبل شجاعة الشَّجَمَانِ هو أولٌ وهى المحلُّ الثانى
 وقال لكاتبه : اذا فكرت فلا تعجل واذا كتبت فلا تستعن بالفصول
 فانها علاوة على الكفاية ولا تقصرن عن التحقيق فانها هُجَنَةٌ فى المقالة ولا تلبس
 كلاماً بكلام ولا تباعدن معنى من معنى واجمع الكثير مما تريد فى القليل مما تقول .
 ووافق هذا قول العربى : مارأيتُ بليغاً إلا رأيتُ له فى المعانى اطالةً وفى الالفاظ
 تقصيراً . بحث على الایجاز . وقال له إذا أمرت فأحكم وإذا كتبت فأوضح وإذا
 ملكت فأسجع وإذا سألت فأبلغ ، ووافق هذا النمط قول أبى تمام :

يقول فيسمع ويمشى ^(١) فيسرع ويضرب فى ذات الآله فيوجع
 وقال ازدشير بن بابك : من لم يرض بما قسم الله له طالت معتبه وفحش
 حرصه ومن فحش حرصه ذلت نفسه وغلب عليه الحسدُ ومن غلب عليه
 الحسدُ لم يزل مغموماً فيما لا ينفعه حزناً على ما لا يناله ، وهذا معنى قول الشاعر :
 * ليس للحاسد إلا ما حسد * وقال : من شغل نفسه بالئسنى لم يخل قلبه من الأسى .
 وقال بعضهم : الحقوق أربعة حق لله تعالى وقضاؤه الرضا بقضائه والعمل بطاعته
 واكرام أوليائه ، وحق نفسك وقضاؤه تعيها بما يصاحبها ويصحها ويحسم مواد
 الادواء عنها ، وحق الناس وقضاؤه منحومهم بالمودة ثم تخصيص كل واحد منهم
 بالتوقير والتفضيل والصلة ، وحق السلطان وقضاؤه تعريفه ماخفى عليه من منفعة
 رعية وجهاد عدو وعماراة بلد وسد نعر . وقال بزرجهر : لا ينبغي للماقل أن
 يجزع من حط السلطان إياه عن منزلة رفع اليها خاملاً فان الاقدار لم تجر على قدر
 الاخطار . وقال بزرجهر : الزام الجهول الحجّة يسير واقرارها بها عسير .
 وقال بزرجهر : ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة من قلوب الخلق .

(١) فى ديوان أبى تمام المطبوع « ويمضى فيسرع » .

(ومن كلام الفلاسفة)

قال ارسطاطاليس : ليس الحاجة الى العقل أقبح من الحاجة الى المال .
وقيل له ماأشدّ الأشياء على الأحمق ؟ قال الشكوت . وقيل له ماأحسن الأشياء ؟
قال الانسان المزين بالأدب . وقال : العقل سبب تنغيص العيش . والى هذا

المذهب ذهب ابن أبي البغل في قوله :

الصَّغْوُ يَصْفِرُ دَائِبًا وَلَا جِلَّةَ
لَوْ كُنْتُ أَجْهَلَ مَا عَلِمْتُ لَسَرَّنِي
حُبِّسَ الْهَيْزَارُ لِأَنَّهُ يَتَرَنَّمُ
جَهْلِي كَمَا قَدْ سَاءَ نِي مَا عَلِمُ

وقال المتنبي :

ذوالعقل يشقى في النعيم بمقله
وقلت : أو أصلُ الهم في ضيق وفي سعة
وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
كأن ييئسني وبين الهم أرحاما
رأى السرورَ جوى والوفورَ أعداما
إن إمرأاً عظمت في الناس همته

وقلت : وأكثرُ حالاتِ الزمانِ يعنى
ورؤى الحسنُ البصرى حزيناً فليل له في ذلك فقال : غمى مكتسبٌ من

عقلي ولو كنت جاهلاً لكنت في راحة من عيشي . وافتخر قومٌ بالمال عند
فيثاغورس فقال : وما حاجتي إلى المال الذي يعطيه الحظ ويحفظه اللؤم ويهلكه السخاء
وقيل له ما أصعب الأشياء على الانسان ؟ قال أن يعرف قدر نفسه ويكتف سره .

وقال بعضُ أهل الهند : ليس شيء أعرفُ بنفسه من الانسان ولا أجملُ بهامنه .
وقيل لسقراط أي السباع أجمل ؟ قال المرأة . ومن التشبيه المصيب قول سقراط لرجل

استشاره في التزويج : ان المتزوجين مثل السمك الذي يصاد بالثغاف فما حصل
فيها بروم الخروج منها وما كان خارجاً ينفى الدخول فيها . وقيل لرجل منهم ما سبب

موت أخيك ؟ قال كونه . ومثل ذلك ما أخبرني به عم أبي أبو سعيد الحسن بن سعيد
أظنه عن أبيه قال : ورد البريد الى المأمون من خراسان بموت ابن المؤيد فاستدعاه

وجعل يعظه ويعزيه من غير أن يذكر له المصيبة فقال المؤيد لا عهد لي من أمير المؤمنين بمثل هذا الكلام فما السبب فيه؟ قال مات ابنك قال قد عرفت ذلك قال ومتى عرفته وباسبق البريد خبره؟ قال عرفت ذلك يوم ولد. فمجب المأمون من فهمه وقال بمثل هذا قدمت هذه العصابة وجعلت لك قوام دينها ومفرغها فيما ينوبها. وقال بعضهم حب المال وتدالبلايا. وقال سقراط اللذة خناق من عسل.

وقيل لجاوس توفي مانيدس فقال الوبيح لي قد ضاع مسنٌ عقلي. وقيل له ما أحلى الأشياء قال الذي تشتهي. وقريب منه قول الاعرابي * وقلة ماقرت به العين صالح * وقال سقراط الحظ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي سواء. ومثل ذلك قول طاهر بن الحسين: التبذير للمال ذمة كحب التقدير فاجتنب التقدير وإياك والتبذير. وقريب منه قول العربي وقد قيل له إن فيك إمساكاً فقال لا أجد في حق ولا أزور في باطل. ورأى بعضهم شاباً جاهلاً جالساً على حجر فقال هذا حجر على حجر.

ونحو هذا قول بعض المحدثين:

ما ان يزالُ يبغداد يزاحنا على البراذين أمثال البراذين
وقلتُ وقد رأيتُ غلاماً مليحاً طريراً يُخدمُ اثماً دميًا:

ان كنتَ ترتادُ منظراً عجباً فانظر الى البدر في يدِ القردِ
وانظر الى الضبِّ كيف يفترسُ السُّطبيَّ على مرقدٍ من الوردِ
وذمُّ دهرًا يفيضُ أنعمه على اللثيم المذممِ الوغدِ
وانظر الى حمرةِ وأنته فوق مُتونِ السوايحِ الجردِ
فأسخنَ اللهُ عينهُ زمنًا ماذا رأى في تجنبِ القصدِ

وقال بعضُ اليونانيين للاسكندر أخلاقك تجعل العدو صديقاً وأحكامك تجعل الصديق عدواً ويشهد عدم مثلك فيما كان بعدم مثلك فيما يكون. وقال بعضُ حكمائهم لتكبر: وددت أني مثلك في نفسك وان أعدائي مثلك في الحقيقة. وقريب من هذا المعنى قول علي رضي الله عنه لبعض أعدائه وقد مدحه: أنا دون ما تظهر بلسانك وفوق

ما تضرر في جنانك . وقيل لبطليموس ما أحسن أن يصبر الانسان عما يشتهي
قال أحسن منه أن لا يشتهي إلا ما ينبغي .

وقال أرسطاطاليس : انك ان لم تصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل
ما بقيت - يخاطب جاهلا .

﴿ محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب ﴾

قال بعض حكمائهم : الصبرُ يناضل الحدثان . وقال آخر : الحلم فدام ^(١)
السفيه . وقال آخر : خاطر من استغنى برأيه . وقال غيره : الجزع من أعوان الزمان
والمودة قرابة مُستفادة . وفضل بعضهم المودة على القرابة فقال : القرابة
مُحتاجة إلى المودة والمودة مُستغنية عن القرابة . وقال غيره وسوى بين المودة
والقرابة : الصاحب مُناسب . وقالوا عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله . ومن
موجز الكلام قول بعضهم : من نال استطال والفاحشة كاسمها . وقولهم أصاب
مُتأملٌ أو كاد . وقولهم العفو زكاة الجاه . وقولهم راجى البخيل مُكد .
وقول بعضهم قلما تصدقك الامنية . وقيل الصيانة مآف المروءة . وقال بعض
الحكماء البلاء رديف الرخاء . وقيل خمول الذكر أسنى من الذكر الذميمة . وهذا
خلاف ما سمعنا سمعت رجلاً يقول لأن أكون رأساً في الضلالة أحب إلى من
أن أكون ذنباً في الهداية .

وكانت قريش تستحسن من الخاطب الاطالة ومن الخطوب الايجاز فخطب
محمد بن الوليد بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز ابنة أخيه فتكلم بكلام جاز الحفظ
فقال عمر الحمد لله الذي أنطق البلغاء ذى الكبرياء وصلى الله على محمد خير
الأنبياء أما بعد فان الرغبة منك دعتك اليها والرغبة فيك أجابتك منا وقد أحسن
بك ظناً من أودعك كريمته واختارك ولم يختار عليك وقد زوجناك على كتاب الله

(١) الفدام : شيء يشد على الفم .

وسنة نبويه صلى الله عليه وسلم فكان هذا من أوجز خطبة وأحسنها المراد .
ومن موجز كلامهم : ليس مع الخلفاء ائتلاف . وقولهم رضا الناس غاية
لا تبلى . وقولهم لا ينفك من جارسوء توق . وقولهم شرك من دمك . وقيل
من لم يمت لم يفت . وقولهم عقل الكاتب على قلبه . ومن الصدق الذي لا رتياب
فيه قولهم من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه . ومن الموجز المديح ماروى ان بنى أمية
وفدوا على عبد الملك بن مروان فقال أهل الشام ماعسى أن يقول خطيبهم فقام
رَجُلٌ منهم فقال يا أمير المؤمنين نحن من تعرفُ وحقنا ما لا تنكر وجئناك من
بعد ونمتُ من قرب فهما تفعل بنا من خير فنحنُ أهله ، فتناول عبد الملك وقال
يا أهل الشام هذا كلام قويم . ومن جيد الاستعارة قول بعضهم : كانوا في
ظل رقيق الحواشى فطواه الدهرُ عنهم . وقيل القلم أنف الضمير والخط
لسان اليد . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (جَدَعَ الحلالُ أنفَ
القَيرَةِ) وقالوا الفكرة مُنحُ العمل . وقيل الشيبُ خطامُ المنية . وقالوا
المذاكرةُ حياة العلم . وقيل الحُلولُ دفن الحى . وقلتُ السخاءُ سلمُ المجد .
وقلتُ المرءُ ينقضُ مرَّ المودَّةِ والتوانى يُشِيرُ الندامةُ والكسلُ يُنتِجُ الفقر .
وقيل البياضُ علمُ الجمال . وقاتُ الحياءُ عنوانُ الكرم . وقلتُ العتابُ مُقدِّمةُ
السخط . وقال ابن المعتز المعروفُ غلٌّ لا يُفكُه إلا شُكرٌ أو مُكافأةُ ، وقلتُ
العينُ رائدُ القلب . وقلتُ الدَّلُّ رَسيلُ الدِّينِ والشكرُ ضامنُ المزيدي والغنى
مظنةُ البطر . وقال آخرُ الحظ طرفُ الضمير . وقلتُ الشكرُ مر تبطلُ النعم . وقال
آخر من جرى في عنانِ أمه عَثُرُ بأجله . وقال الأعمالُ ثمارُ النيات . وقيل
التواضعُ سلمُ الشرف . وقلتُ المالُ عدوُّ الوفاء . وقيل التجنى رسولُ القطيعة .
وقال الاحنفُ الأدبُ عُزوةُ العزِّ . ومن أصدق كلمة أعرها قول ابن المعتز : من
قوى عقله كثر حلمه وقل غيظه . وقال الفرصةُ سريضةُ الفوتِ وبطيئةُ العود .
وقال نرَّعُ خرقُ الدنيا ويتسعُ ونشعبها وتنصدعُ وتجمعُ منها ما لا يجتمعُ .

ووقع جعفر بن يحيى الى بعض إخوانه : إذا وضع العذر لم يكن لسوء الظن مكان إلا لمن أراد التجنى . وقيل للأحنف إن حارثة بن بدر يقع فيك فقال : * عُشَيْثَةٌ تَقْرِمُ جِدًّا أَمْلَسًا * ^(١) وقال بعض الحكماء حصادُ المنى الأيسف وعاقبتها الندامة وليس لذي لب بها مستمتع . ومن فصيح أمثال العرب قولهم : الفرارُ بقرابٍ أكيس ^(٢) . وعزى اعرابيُّ رجلاً فقال لأراك الله بعد هذه المصيبة ما ينسيكها . وعزى شبيبُ بن شيبَةَ ذمياً فقال أعطاك الله عن مصيبتك أفضل ما أعطى أهل ملتك . وقال عبد العزيز بن زرارة أول المعرفة الاختبار . وقال رجلٌ للأحنف ممن أنت قال ممن ودني . وقال البلاغة البلوغُ عند الكفاية . وقيل للأحنف ما أحسن المجالس قال مسافر فيه البصرُ واتدع فيه البدن وأمن فيه الثقل وكرت فيه الفائدة .

وكتب المهلب ^(٣) إلى عبد الملك حين هزم الازارقة أما بعد فانا لقينا المارقة ببلاد الاهواز وكانت في الناس جولة ثم تاب أهلُ الدين والمروءة ونصرنا الله عليهم فتنزل القضاءُ بأمرٍ جاوزت النعمة فيه الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل رئيسهم في جماعة من حماهم وذوى الثبات منهم وأجلى الباقون ليلاً عن معسكرتهم وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها ان شاء الله تعالى .

وكتب الى الحجاج : الحمد لله الكافي بالاسلام ماوراء الذي لا تنقطع موادُّ نعمه حتى تنقطع من خلقه موادُّ الشكر عليها وإنا كنا وعدونا على حالتين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم فلم يزل الله تعالى يزيدنا وينقصهم ويمحضنا ويمحقهم حتى بلغ الكتابُ أجله ففُتق دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين .

(١) مثل يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في شيء فلا يقدر عليه . (٢) أى

الذى يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أكيس ممن يفيت القراب أيضاً . (٣) هو المهلب بن أبي صفرة . وفي الأصول « ابن عبد الملك »

وكتب ابن المعتز : قد علمتني نبوتك سلوتك وأسلى اليأس منك الى الصبر عنك . وقال أعرابي لمعاوية هزرتُ ذوائب الرحال اليك إذ لم أجدُ معولاً إلا عليك أمتطى الليل بعد النهار واسم المجاهل بالآثار يقودني نحوك الرجاء وتسوقني اليك البلوى والنفسُ مستبظئة والاجتهاد طاذر وإذ بلغتك فقط . فقال معاوية أحطط رحلك يا أعرابي . وقال سفيان الثوري رأيتُ أعرابياً مُتعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول يارب عندي لك حقوقٌ فهمها لي وللناس عندي حقوقٌ فتحملها عنى ولي عندهم حقوقٌ فقيضها لي وأناضيئك اليوم فاجعل قراى الجنة . وذكر بعضهم رجلاً فقال كان قريب مدى الوثبة لين العطفة يُرضيه القليلُ ولا يُسخطه الكثيرُ .

﴿ أمثلة في البلاغة الكتابية ﴾

أولها التعميدُ ومن عادة العارفين أن يبتدئوا في الأمور بالحمد لله رب العالمين يُقدمونه أمام طلابها كما بُدئ بالنعمة فيها قبل استيحابها . كتب حمدُ بن مهران : الحمد لله الذى كثرت أياديه عن الاحصاء وجلت نعمه عن الجزاء . وكتب أيضاً : الحمد لله ذى البلاء الجميل والعطاء الجزيل الذى جعل للأمر سنى الرتبة وعز الدعوة ووصل لهُ حُسن الولاية بشكر النعمة وقرن لأوليائه قوة الحججة بفضل الادالة حمداً يُؤدى الى الحق ويقتضيه ويستمد المزيد ويمتريه والى الله أرغبُ فى زيادة الأمر والزيادة به وعلى يديه والايدي الصائلة على عدوه بمنه ولطفه . فأخذ ابنُ ذريرد قوله (ويستمد المزيد ويمتريه) فقال : تحرس نعم الله عز وجل عندنا بالحمد عليها ويمتري المزيد منها بالشكر عليها وترغب الأيادي اليه فى التوفيق لما يُدنى من رضاه ويحجر من سخطه انه سميع الدعاء لطيف لما يشاء . وكتب الصابى : الحمد لله ذى المنن والطَّوَل والقوة والحول والغاية والوصول رافع الحق ومُعليه وقامع الباطل ومُرديه ومُعز الدين ومُديله ومُذل الكفر ومُذيله ^(١) المنزل رحمته على من جاهد

(١) أذاله : حقره وأهانته .

في طاعته والحل عُقوبته بمن جاهر بمعصيته المتكفل بتأييد حزبه حتى يظفر
 ويخذلان حربه حتى يدحر الذي لا يفوته الهارب ولا ينجو منه الموارب ولا يميميه
 المُعضل ولا يعجزه المشكل ولا تبهظه الأشغال ولا تؤوده الانتقال الغنى المُفتقر
 إليه القوي المعتمد عليه بالغ أمره بلا مؤازر وممضى حكمه بلا مظاهر ذلكم الله
 ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . وروى عن النبي ﷺ أنه قال لما هزم الأحزاب
 « الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .
 وكتبت : الحمد لله الذي وفر على الأنام المحاسن واكتنفها بالميامن وبسط بالخير
 أيديها وأفاض بالاحسان وادبها وعلّمها البر بالأبرار والعطف على الأحرار واختيار
 الخيرة للأخبار فمادت وقد زكت شجرتها وحلت ثمرتها وتنت أغصانها وتهدأت
 أفنانها ولانت أعطافها وتناهت أطافها فكانها في أيام أبي تمام التي وصفها فقال :
 أيامنا مصفولة أطرافها بك والليالي كلها أسحارُ
 بما منح من حُسن رأيك أطل الله في كنف السلامة بقاءك وحجب عن
 عيون الغير نعماءك وخوئك من العزّ أوفره ومن الظفر أخضره وأعطاك من النعم
 أصفاها من الشوائب وأبدها من ملاحظة النوائب ومنحك من الخير برُمته
 كما قاد إليك الفضل بأزمته ولازال بك الزمان جديد الحُلتين مُطرز الطرتين
 مُتوّج المفرق بما تمرك حالي الجيد بمفاخرك ولاسلبك نعمة ألبسك جمالها ولازوع
 عنك عارفةً وفر عليك كمالها :

رأيتُ جمالَ الدهرِ فيكَ مُجدِّداً ففكرتُ باقياً حتى ترى الدهرَ فانيا
 وكتب بعضهم : الحمد لله الذي استسلمت نهاية الشكر لدون ما ألزم بصنائه .
 وكتبت : الحمد لله على ما تطول به من البرِّ وما أوزع ^(١) على ذلك من
 الشكر حمداً يتخطى به إلى غاية رضوانه ويستدعى المزيد من جزيل إحسانه .
 وكتبت : الحمد لله الذي قويض لك السبق إلى البرِّ والفوز بالمكرمة البكر

والاستيلاء على قصبات الحمد والشكر .

وكتب آخر : الحمد لله الذي جعل من ألبابنا بصائر تقودنا إلى معرفته ومعارف

ترشدنا إلى الاقرار بربوبيته ليخرجنا من الظلمات إلى النور برحمته .

(ومن جيد الأدعية)

ما كتب الصحابي أبو القاسم بن عباد : أسعد الله سيدنا بالفضل الجديد والنيروز الحميد سعادة مُتصلة الماددة حافظةً لجليل العادة مُؤذنة بظاهر العز والبسطة وتزايد السرور والغبطة مؤمنة من عوادي الأيام وبوادر الزمان وأراه سنادتي الفتيان قد ائتمني كلُّ منهم مجده وحكي في طلب المعالي أباه وجدّه وجمل سيدنا أخذنا من كل مادي به ويُدعى به في الأعياد بأجزل الأقسام وأوفر الأعداد .

وكتب الصابي الى أبي القاسم عبدالعزيز بن يوسف : أطال الله بقاء مولاي الأستاذ وأسعده بنيروزه الوارد عليه وأعاده ألف عام اليه وجعله فيه وفي أيامه كماها معافي سالماً فازراً غانماً مسروراً محبوراً محروساً موفوراً محتوماً له يبلوغ الآمال مطروفاً عليه ^(١) عين الكمال محظور الافنية عن ^(٢) النوائب محمي الشرائع عن ^(٢) الشوائب مُبلاً غاية ماتسمو اليه همته العالية المشتطة وأمانيه المنفسحة المنبسطة بقدرته . والفصل الأخير من هذا يُشير الى قول ابن المعتز : أصحب الله بقاءك عزاً يبسط يدك لوليك وعلى عدوك وكلامه تذب عن ودائع مننه عندك وزاد في نعمك وان عظمت وبلغك آمالك وان بعدت .

وكتب بعضهم عش ماشئت كما شئت ، وهو من قول أبي نواس :

دارت على فنية ذل الزمان لهم فما يُصيدهم إلا بما شاؤا

وكتب بعضهم عش أطول الاعمار مُوقى من سوء الأقدار مرزوقاً نهاية

الآمال مغبوطاً على كل حال . وكتب آخر باعك الله نهاية من العمر لا نهاية

لمستزيد وراها . وقريب منه قول البختری :

(١) في الأصل (غنه) . (٢) في الأصل (على) .

عمرت أبا السحق ماصح العمر ولا زال معموراً بأيامك الدهر
وقول الآخر :

فلا زالت الأرض معمورة بمرك ياخير مَحَارها
ومما يجرى مع ذلك وليس منه قول أبي تمام :
من يسأل الله أن يُبقي سراتكم فإمّاراً أن يستبق الكرام
وقول المتنبي :

أعيدكم من صروف دهركم فإنه بالكرام منهم
تقلت : فلا زالت الأقدار دون محاكم سواقط والمكروه عنكم^(١) مقصراً

وقال بعضهم : جعلك الله من كل محبوب على شرف ومن كل مخدور في كنف .
وكتب آخر : لا زالت الأيام لك مساعدة واليالي على هواك مُساعفة تتلقاتك
بأوفر الجبور وتطلع عليك بعوائد السرور وتجري مقاديرها لك بالمحبوب وتتقاعس
عنك بالمخدور المرهوب ويحكم لك بالرشد والسعادة ويقضى على أعدائك بالذل
والقهاء^(٢) . وكتب ابن المعتز آخرتني العيلة عن الوزير أيده الله فحضرت
بالدعاء في كتابي لينوب عني ويعمر ماأخلته العوائق مني أسأل الله أن يجعل هذا
العيد أعظم الأعياد السالفة بركة عليه ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويجب له
ويتقبل ما تتوسل به الى مرضاته ويضاعف الاحسان اليه على الاحسان منه ويمتعه
بصحبة النعمة ولباس العافية ولا يريه في مسرة نقيصة ولا يقطع عنه فيها حادة
جميلة . وهذا مأخوذ من قول سعيد بن حميد : تابع الله لك صالح الأيام ومحمود
الأعوام حتى يكون كما يوم منها موفياً على ما قبله مقصراً عما^(٣) بعده .

وكتب ابن المعتز : حفظ الله النعمة عليك وفيك وولى اصلاحك والاصلاح
لك وأجزل من الخير حظك والحظ منك ومن عليك وعلينا بك .
وكتب الى عليل : مسحك الله بيد العافية ووجه اليك وافد السلامة وملاك

(١) في النسخ « منكم » . (٢) القهاء : الذل ، والعطف تفسيري .

(٣) في الأصل « على ما بعده » .

مأفادك وهنأك ما قسم لك وأمتع بك وليك وألآن لك طاعة عدوك وجمال
الدولة بيقائك وزينها بدوام نعمائك . وكتب الصاحب أبو القسم : والله يديم
لمولانا ولي النعم التمكن والبسطة والعلو والقدره والعز والنصرة ولا يسلب
القلوب ما أودعها من محبة دولته ولا يعدم الصدور ما ضمنها من خشية صولته ليزداد
أولياؤه بصيرة في مناصحته ويضطر أعداؤه الى استعطافه واستقالته انه قدير على
مإرشاء واليه أرغب في زيادة مولانا من فضله وصلة المناجح بسعيه وعزمه وتعريفه الميامن
في ارتحال وحله وتوفيقه لما يحفظ رأى ولي نعمته ويستديم المقسوم له من محمده .
وكتب أبو الحسن بن أبي البغل الى علي بن عيسى : وهنأ الله الوزير
مأتاه وجعله أيمن أمر من أمور الدين والدنيا بدءاً وفتحاً وأسلمه
مالاً وطاقةً وأطولها أمداً ومدةً وأدومه انتظاماً واستقامةً وأوفره كفايةً لله
وجميل ولايته وصادق معونته حظاً وسهمةً ^(١) ويسر لديه العسير وقرب على يده
البعيد والشطير ^(٢) إنه على كل شيء قدير . وقال اعرابي لرجل النعم ثلاث نعمته
في حال كونها ونعمته ترجى مستقبله ونعمته تأتي غير محتسبه فأدام الله لك
مأنت فيه وحقق ظنك فيما ترجيه وتفضل عليك بما لم تحتسبه .

(المديح)

قد صدرت الكتاب بذكر المديح على مذهب الشعراء وأنا أوردته هنا
صدراً على مذهب الكتاب ليشتمل الكتاب به على الكمال إن شاء الله تعالى :
ذكر رجل لبعض البلغاء فقال : هو أحلى من رخص السعر وأمن السبل
وإدراك الأمانى وبلوغ الآمال . وكتب بعض الكتاب : وجرى لك من ذكر
ما خصك الله به وأفردك بفضيلته من شرف النفس والقدر وعلو المنزلة والذكر
وبعد الهمة ومضاء العزيمة وكمال الاداة والآلة والتمهد في السياسة والايالة وحياطة

(١) السهمة بالضم : النصيب (٢) الشطير : البعيد والغريب

الدين والأدب وإيجاب عظيم الحق بضعيف السبب مالا يزال يجرى مثله عند كل ذكر يتجدد لك وحديث يؤثر عنك . وكتبت : من حل محل سيدنا في شرف المنصب وطهارة العنصر وزكاه الأصل ونماء الفرع وسقى الحسب وسرى النسب مع الشيم الطاهرة والمكارم المتظاهرة كثرت الرغبة اليه وخيمت الآمال بين يديه وهو حقيق بتصديقها فيه وتحقيقها^(١) عند مؤمليه لسكرمه في نفسه وتميزه من جنسه . وقال بعضهم لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقرى العين جمالاً^(٢) والأذن بياناً . ومما يجرى مع ذلك أن بعض الملوك رأى رجلاً قبيح المنظر عيب اللسان فأمر باسقاطه وقال ان روح الحياة وهى الانسانية إذا كان ظاهراً كان جمالاً وإذا كان باطناً كان بياناً فمن خلا من الجمال والبيان فليس بانسان . وكتب الصحاب : وائس بيدع أن يجود كلامه وتمتدل أقسامه ويتهدب بيانه ويتسم جنسانه وقد راض العلوم حتى أعطته زمامها ومارس الآداب حتى ملكته خطامها فان عهد الفقه كان البازل الذى ذلل الفحول مُصاولة وإن ذكر الكلام كان الجبل الذى فرع الأطواد مطاولة وإن تصرف فى أيام الناس وأخبارهم ونخص عن سيرهم وآثارهم حاضر مُحاضرة الافراد وكأثر مُكاثرة الآحاد وإن جورى فى سوائر الأمثال وفقر الأشعار ترك المجارى لا يدرى أى طريق يركب وأى مذهب يذهب وأما الخطابة فهو جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقد سُلمت اليه اختياراً من مواليه واضطراً من مُعاديه .

وقال رجل لخالد القسرى إنك لتبذل ماجلّ وتجبر مااعتل وتكثر ماقل . وكتب ابراهيم بن العباس : وإن أمير المؤمنين لو استغنى بنظر ناظرٍ من مُلآته واجتهاد مجتهد من كفاتة الذين لهم الأثرة عنده والموضع الأخص عن الاستظهار عليه بنظره وعنايته واهتمامه كنت أولى من خفف بمكانه عن نفسه واقصر على عنايته وتدييره دون إرشاده وتسديده فالله يُعزه ويُزيدُ فى تأييده .

(١) فى الاصل (تحقيقاً) . (٢) أى يكرمها بذلك كما يكرم الضيف .

﴿فأما الذم والتهجين﴾

فن بديع الاستعارة فيه قول أعرابي يذم رجلاً : يقطع نهاره بالملئى ويتوسد ذراع الهم إذا أمسى . ودخل أعرابي بغداد فقال فاذا ثياب أحرار على أجساد عبید إقبال حظهم إدار حظ الكرم شجر فروعه عند أصوله شغلهم عن المعروف رغبتهم في المنكر . وقال بعضهم لرجل استضاف بخيلاً : نزلت بوادٍ غير ممتور ورجل غير مسرور فأقم بندمٍ وارحل بدمٍ . وقال أعرابيٌّ : أولئك قومٌ سلخت أبقاؤهم بالهجاء ودُبغت جلودهم باللؤم فلبا سهم في الدنيا الملامة وزادهم في الآخرة الندامة . وقال أعرابيٌّ لا تُدنس شعرك بعرض فلان فإنه سمينُ المال مهزول المعروف من المرزوقين فجأة قصير عمر الغنى طويل حياة الفقر ، ومن ههنا أخذ أبو نواس قوله :

بما أهجوك لأدرى لسانى فيك لايجرى

إذا فكرت في عرضك أشققت على شعري

واستشارت امرأةً امرأةً في رجل تزوجه فقالت لا تفعلى فإنه وكلةٌ تكلة يا كل خله . وكلةٌ وتكلةٌ بمعنى واحد وهو الذى يتكل فى الأمور على غيره ولا يقوم فيها بنفسه والثناء فى تكلة واوكا قىل تُراثٌ وهو من ورث ، والخلل ما يخرج من بين الأسنان عند التخلل وليس فى اللؤم شىء من الكلام أبلغ من هذا . وقريبٌ منه قولهم فلان يثيرُ الكلاب عن مرابضها ، يريدون أنه من طعمه وشره يثيرها يطلب تحتها شيئاً قد فضل منها ، ومن ذلك قول الشاعر :

أمن بيت الكلاب طلبت عظماً لقد حدثت نفسك بالبحال

﴿ فى الشكر (١) ﴾

وكتب ابن المعتز فى الشكر : قد جلت نعمتك عن شكرى فتولى الله مكافأتك

(١) هذا العنوان غير موجود فى النسخ .

عن عجزى بعد جهدى بما هو أرفع له وأقدر عليه بمنه وراثة ، وهذا من قول
طريح بن اسمعيل : فقصرت مغلوباً وإني لسا كُرُ * وكتب آخر : إذا كان
بجهودي في شكر النعمة واعترافي بحق العارفة يُبلغني أقصى نهاية الشاكرين
وأبعد غاية المعترفين وكانت زيادة معروفك على قدر شكري كزيادة قيمتك في
نفسى فقد أسقط الله تكلف ماجاوز الطاقة عنى . وكتب بعضهم قلبي نجى
ذ كرك ولسانى خادم شركك . ومما يجرى مع ذلك ما كتب بعضهم : أما بعد فإن
أثقل الناس حملاً من تحمل آمال المؤمنين وأولاهم بالمكافأة من أخدمك عرَضه
فتذال لك ونفسه فتواضع دونك وقلبه فكان في رجائك وتأملك ولسانه
فكان في ذكرك محاسنك ونشر مناقبك . وقريب من هذا المعنى قول ابن الرومى :

إنَّ امرأً رفض المكاسب واغتدى يتعلم الآداب حتى أحكما
فكسا وحلى كل أروع ماجدٍ من حرٍّ ماحاك الضمير ونظما
مُتشاغلاً عما يُمارسُ غيره حتى لقد أثرى اللثامُ وأعدما
ثقةً برعى الأكرمين ذمامه لأحقُّ مُلتمسٍ بأن لا يُجرما

وكتبت : وتاملتُ التوقيع في معنى المعيشة فتصور لى الغنى بصورته وقابلنى
بصدق مخيلته وعرفتُ أن الدهر قد غضت جفونه ونامت عيونه وتنتحت عن
ساحتي خطوبه وهذه نعم أعيا بذكرها فكيف أطعمُ في إداء شكرها بل عسى
أن يكون الاعتراف بقصور الشكر عنها شكراً لها ومقابلة بما خلص إلى منها
وأنا معترفٌ بذلك اعتراف الروض بحق الانواء وقائل به كما أقول بفضل الوفاء .
وقال ابن المقفع : الشكرُ نسيمُ النعمة . وقال علي بن عبيدة : النعمة كالروضة
والشكرُ كالزهرة . وكتب ابن المعتز في معنى آخر : سألت عن خبرى وأنا فى
حافية لا عيب فيها الا فقدك ونعمة لا مزيد فيها الا بك . وكتب أبو العباس بن
ثوابة : وأنا أسأل الله إذا من بنعمة أن يجعلك المقدم فيها وإذا امتحن بمحنة
أن يجعلنى وقاءً لك منها . وكتب فى فصلٍ : وإذا ضاق على أن أفعل فليس

يضيق عليك أن تتفضل إذا كان كل واحد منا يجرى إلى غاية في البرِّ والمعوق .
 وكتب أبو علي الضرير : تجاوز بي ذكر فضلك ووصف محاسنك والخبار
 بما وهب الله للامام والأمة فيك إلى القول بمحاجتي قبلك ليس لأني جهلتُ
 الحق على لك ولا لأني ادخرتُ الثناء الجميل لغيرك ولكني رأيتني فيما أتعاطى
 منه كالخبير عن ضوء النهار الباهر الذي لا يخفى على ناظر وكلنبه على الأمر الواضح
 الذي يستوى فيه العالم والجاهل فانصرفتُ عن الثناء عليك إلى الدماء لك ووكلت
 الاخبار عنك إلى علم الناس بك .

قد انتهى بنا القولُ في هذا الباب إلى هنا لعلمنا أنا ان أردنا استيعابَهُ
 لم نقدر عليه لكثرتة ونرجو أن يقع الاكتفاءُ به إن شاء الله تعالى وهو حسبنا
 ونعم الوكيل والحمد لله وحده .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي دلَّ على قدرته وأبان عن حكمته باختلاف ما خلق من الصور
 وتباين ما أنشأ من الفطر من ملكٍ وإنسانٍ وبهيمةٍ وجانٍ وطائرٍ يمسح صفحات
 التراب ويأخذ باهاب السحاب وحش ينطوي على أدرأجه ويستوى مرة في اعوجاجه
 إلى غير ذلك من خِاسِقٍ مُختلفةٍ وأجرام متباينةٍ حقيرها جليلٌ وصغيرها كبيرٌ
 وجعل منافعها متاعاً للإنسان الذي كرمه تكريماً وفضله على كثير ممن خلق
 تفضيلاً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

في صفات الخيل والابل والسير والفلوات
وذكر الوحوش والطيور والحشرات وما يجرى مع ذلك وهو :

﴿ الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني وهو ستة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾

في صفات الخيل

قد وصفها الناس في قديم الدهر وحديثه وصفاً كثيراً واتسع فيها قولهم اتساعاً
شديداً وأنا أحجى بالبديع الغريب من ذلك وأضرب عن غيره لكثرة واستفاضته
ولاحاجة بالناس إلى أن نورد عليهم ما عرفوه ووقفوا عليه وتداولوه إلا ما لا بُدَّ
من إيراده لفقده شبيهه وعدم نظيره : فمن بديع ماجاء عن القدماء في صفة الفرس
قول أبي دواد :

يحمل منه بعضه بعضه فراكب منه ومركوب

وقول الاعرابي :

وأحمر كالديباج أما سناؤه فرأيا وأما أرضه فمحول

سناؤه : أطاليه ، وأرضه : أسافله ، يعني حوافره .

ومن أجود ما قيل في تأنيف اذن الفرس ما أنشده القتيبي * كأن آذانها أطراف أقلام *

وأحسن ما قيل في اصطفاغ الخيل قول الاسعري (١) :

يخرجن من خلل الغبار عوابساً كأنامل المقرور أقمى فاصطلى (٢)

(١) في الأصل « الأشعر » بالمعجمة ، ولعل الصواب بالمهملة .

(٢) فإنه يمد أصابعه الى النار فتكون جميعاً معاً لا تسبق إحداها الأخرى .

أى كلهن ^٣ يُبادِرُ الغارة فليس يفوت بعضها بعضاً . أخذته على بن جبلة
فقال رحمه الله :

كأنَّ خيلَكَ في أثناءِ غمرتها أرسلَ قطريَّ نَهَامِي فوقَ أرسلِ
يخرجنَ من غمراتِ النقعِ ساميةً نشرَ الأناملِ من ذى القرّةِ الصالى
والاولِ أجود . ومثل ذلك قول الراجز * مستويات كضلع الجنب *
وفي وصف وقع قوائمها قول مالك بن حريم الهمداني :

وتهدى بي الخيل المغيرة نهدة إذا صبرت صابت قوائمها معا
ومن أحسن الاستعارة قوله :

وان عثرت إحدى يديه بشيرة ^(١) تجاوبَ أثناءَ الثلاثِ بدعداً

وكان الاحسن أن لا يصفها بالعتار إلا أن قوله * تجاوب أثناء الثلاث بدعدها *
مستعار حسن يعنى على إساءته في وصفه إياه بالعتار، ودعده مثل قولهم «لما» وهو دعاء
للعائر بالحياة . وأهدى بمضمهم شهرياً ^(٢) وكتب : بعثت بشهري حسن المجموعين
الموضوع وطىء المرفوع همه أمامه وسوطه لجأه . وقد أحسن ابن المعتز في قوله :

وخيل طواها القودُ حتى كأنها أنايب سمر من قنا الخط زبل
صبينا عليهم ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراع وأرجل
فذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين
إياها . وقد أجاد في قوله أيضاً * أضيع شيء سوطه إذ تركبه *
وقالوا أحسن بيت قالته العرب قول جرير :

وطوى الطرادُ مع القيادِ بطونها طى التجار بحضرموت برودا

وقد أحسن الاعرابي القول في سرعة الفرس حيث يقول :

غايةُ مجدٍ رفعت فن إيسا نحن حويناها وكنا أهلها

لو ترسلُ الريحُ لجئنا قبلها

(١) الثبرة : الكوم من التراب . (٢) الشهريّة بالكسر : ضرب من البراذين .

وقول الآخر :

جاءَ كمثلِ البرقِ جاشَ ماطرُهُ يسبحُ أولاهُ ويطفو آخره
فما يمسُّ الأرضَ منه حافرُهُ

وهذا غاية في وصف سرعة العدو إلا أن قوله * يسبح أولاه ويطفو آخره * ردىء لأنه جعله مضطرب المقاديم والمآخير . وقول عبيدة بن الطيب في الثور :
ينحفي الترابَ بأظلافٍ ثمانيةٍ في أربع مسهنٍ الأرضَ تحميلُ
يقول أن مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الخائف يمينه بالتحلة لا تراخي بينهما ، والتحلة قول ان شاء الله .

ومن عجيب القول في سرعة الفرس قول ابن المعتز :

كأنَّ جنانَ الفلاةِ تضربه كأنَّ ما يهربُ منه يطابه

وقد أجاد القائل في صفة كلاب * كأننا يرفعن مالا يوضع * ومن عجيب ما قيل في ادامة الجرى قول العرب يُبارى ظله ويُبارى عنانهُ ويُبارى شبابة الرشح . ويستحبُّ في الفرس إشراف مقدمه ومؤخره فمن أجود ما قيل في ذلك قول علي بن جبلة :

تحسبهُ أقعدَ في استقبالهِ حتى إذا استدبرتهُ قلتَ أكبُّ

وقد أجاد المتنبي هذا المعنى في قوله :

إن أدبرتُ قلتَ لا تليلَ لها أو أقبلتَ قلتَ مالها كفلُ

وقلت : طرف إذا استقبلته قلتَ حبا حتى إذا استدبرته قلتَ كبا

ذو أربع يلقى الصفا بمنلها وللحصى من خلفها وثب دبا

إذا ترامينَ به في سيرهِ تحسبهُ منها على أنف الصبا

ووصف النبي ﷺ إناث الخيل بأعجب وصف في قوله « ظهورها حرزٌ

وُبطونها كَنزٌ » وقال الأشعرُ الجمعي في معنى قول النبي ﷺ « ظهورها حرز :

ولقد علمتُ على توقِّي الردى أن الحصون الخيل لامدر القرى

ومن أجود ما وصف به مُحَضَّرٌ^(١) الفرس قول الاعرابي في فرسه
 « يحضر ما وجد أرضاً » وقد بالغ امرؤ القيس في قوله :
 على هيكَل يعطيك قبلَ سُؤالِهِ أفانينَ جري غير كزِّ ولا وان
 قوله « قبل سُؤالِهِ » عجيب الموقع ، وقوله « أفانين جري » أعجب وأبلغ .
 وأجود ما وصف به ظفره عند الطلب قوله :

وقد أغتدى والطيرُ في وكناتها بمنجردٍ قيدِ الاوابدِ هيكل
 فجعل الاوابد وهي الوحش مقيدة له ينالها كيف يُريد .

وقد أجاد أيضاً وأحسن القول في اليقين بالظفر حيث يقول :
 اذا ما ولدنا قالَ ولدانُ أهلنا نعالوا الى أن يأتي الصيد نحطبُ
 وأحسن عمارة التقسيم في قوله في هذا المعنى :

وأرى الوحشَ في يميني اذا ما كان يوماً عِناهُ في شمالي

ونقله الشماخ بن ضرار^(٢) إلى وصف رام فأحسن حيث يقول :

قليلُ التلاد غير قوسٍ وأسهم كأن الذي يرمى من الوحش نازرُ
 أي جامدٌ باردٌ يُصيبه كيف يُريد . وجعله أبو نواس في نعت كلاب فقال :
 بأكلبٍ ترححُ في قاداتها تعدُّ غيرَ الوحشِ في أقواتها
 وهو من قول أبي النجم * تعد غابات اللوى من مالها * وقوله :

يردى على حوافرٍ لاتخذُهُ صم الشوى يحملها وتحمله
 حافٍ وما يحفى وما تمنعه نار عجاج مستطيل قسطله
 تنقش منه الخيل مالا تعزله في جنبه الطائر ديث عجله
 كأن ترب التاع وهو يسحله ضيقُ شياطين رفته شماله

(١) الحضر بالضم : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٢) هو معقل بن ضرار المازني ، من المخضرمين أدرك الجاهلية والاسلام ،

كان سريع الخطر في الرجز وهو من طبقة لبيد .

أَوْخَلَقَ^{هُ} يَنْشَقُّ^{هُ} عَنْهُ سَمَلَهُ تَرَى الْغَلَامَ سَاجِياً لَا يَرُكَلَهُ
 يَعْطِيهِ مَا شَاءَ وَلَا يَسْأَلُهُ فَوَافَتْ الْخَيْلَ وَنَحْنُ نَشْكُكُهُ
 وَيَسْتَحِبُّ فِي الْخَيْلِ سَعَةَ الْمُنْخَرِينَ فَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ مُزَاهِمِ بْنِ
 طَلْفِيلِ الْعُقَيْلِيِّ * مِنْ مَنْخَرٍ كَوْجَارِ الثَّلَبِ الْخَرْبِ * فَجَعَلَهُ خَرْباً لِيَكُونَ أَوْسَعُ .
 وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ :

مِلءُ الْحَزَامِينِ وَمِلءُ الْعَيْنِ يَنْفَسُ^{هُ} عِنْدَ الرَّبِّو مَنْخَرِينَ
 كَنْفَسِ كَبِيرِينَ بِكَفَى قَيْنِ

وَمَنْ أَبْلَغَ مَا قِيلَ فِي طَوْلِ مُعْنَقِ الْفَرَسِ قَوْلَ مُزَاهِمِ الْعُقَيْلِيِّ أَيْضاً
 كَانَ هَادِيَهُ جَذَعاً عَلَى شَرَفٍ * فَلَمْ يَرْضَ أَنْ جَمَلَهَا جَنْدُاقاً حَتَّى جَمَلَهَا عَلَى شَرَفٍ
 كَصَنِيعِ الْخُنَسَاءِ فِي قَوْلِهَا * كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ * وَقَلَّتْ :

بِمَعْقُودِ السَّرَاةِ عَلَى انْدِمَاجٍ وَمَزْرُورِ الْقَمِيصِ عَلَى انْتِمَارِ
 يُرِيكَ جَبِينَهُ لِمَانَ بَرَقَ وَسَاوَرُ جَسَمِهِ لِمَانَ قَارِ
 فَيَشْبَهُ تَحْتَ جُنْحِ اللَّيْلِ لَيْلاً وَيَحْكِي الْخَالَ فِي خَدِّ النَّهَارِ
 وَيَقْبَلُ حِينَ يُقْبَلُ فِي سَمَوِّ وَيُدْبِرُ حِينَ يُدْبِرُ فِي انْحِدَارِ
 وَيُمْسِكُ وَهُوَ كَالْعَدْنِ الْمَعْلَى وَيَحْضُرُ وَهُوَ كَالْمَسْدِ الْمَغَارِ
 يَلُوحُ الْبَدْرُ مِنْهُ فِي جَبِينِ وَتَتَضَحُّ الثَّرِيَا فِي عَذَارِ
 وَقَدْ أَبْدَعَ الْقَائِلُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ أَبْلَقَ أَغْرَ فَقَالَ :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَنَخَاصَ فِي أَحْشَاءِهِ

إِلَّا أَنَّهُ أَسَاءَ فِي الْعِبَارَةِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّطْمَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْخَلْدِ وَضَرْبَ الْجَبِينِ
 لَا يُسَمَّى لَطْماً وَالْقَصَاصُ يَكُونُ بِمَثَلِ الْفِعْلِ فَالْقَصَاصُ بِاللَّطْمِ اللَّطْمُ لَا الْخَوْصُ
 فِي الْإِحْشَاءِ . وَقَالَ ابْنُ دَرِيدٍ وَأَحْسَنُ فِي وَصْفِ الْغَرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ :

كَأَنَّمَا الْجَوْزَاءُ فِي أَرْسَاغِهِ وَالنَّجْمُ فِي جَبِينِهِ إِذَا بَدَأَ
 وَنَحْوَهُ قَوْلُ كَشَّاحِمٍ :

قد راح تحت الصبح ليل مظلم
 ضحك اللجين على سود أديمه
 فكأنه بينات نعش ملبب
 وقلت: عارضت فيه النجم فوق مطهم
 ذاوى العسيب قصيره ضا فى السيب
 كالنور بين العشب يبهر حسنه
 وتطير أربعه به فى أبطح
 صم الخوافر شرب صم الصفا
 وكان غرته نفضض وجهه
 وكان فى أكفاله وتليله
 وكأنما الارساغ ماء لم يسلم
 لم يطلب إلا يفوت ويطلب
 والعاصفات حسيه والبارقا
 وكأنما يحوى مدار حزامه
 احناء بيت بالعراء مطنب

* وأول من شبه الحافر بالحجارة الأفوه فى قوله * يرمى الجلاميد بأمثالها
 ثم قال رؤبة * يرمى الجلاميد بجلود مدق * وأبلغ ما وصف به شدة
 قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاشناندى عن جرهمى :

سِيانَ تحت طموه وطموره
 يظأ اخبار فلا يطير غباره
 يرمى الجلاميد بجلود مدق * وأبلغ ما وصف به شدة
 قوائم الفرس ما أنشدناه أبو أحمد عن ابن دريد عن الاشناندى عن جرهمى :
 سِيانَ تحت طموه وطموره
 يظأ اخبار فلا يطير غباره
 يقول سواء عنده إذا طما فى سيره أى ارتفع وإذا طمر أى وثب ، الأمم
 وهى المرتفعات من الأرض فيها حجارة وطين والمقابل وهى ملاعب الصبيان
 إذا لعبوا بالتراب فمدوا منه طريقين بينهما كالجدول ثم خبئوا خبيثاً فن أخرجه
 فقد غلب ، واخبار الأرض السهلة ، إذا مشى فيه خفف وطأه فلم يثر غباراً وإذا

جرى في الحزان وهي الغليظ من الارض مكن حافره فرض الحصى . ونحوه قول
 جرير * ضرم الرقاق مناقل الأجرال * يقول إذا صار في الرقاق من
 الأرض اضطرم من جريه وإذا صار في الأجرال وهي مواضع الحجارة ناقل فيها
 لتطمئن مواقع حوافره . وقول الآخر شادخة تشدخ من أدلاها *
 يقول تبعد عن الطريق ولا تبالى سهلاً أخذت أم حزناً .

ومن الفرد الذي لاشبهه قول ابن المعتز :

ولقد غدوتُ على طمرٍ قادحٍ رفعت قوائمه غمامة قسطل
 ومُحجَّلٍ غر اليمين كأنه مُتبخترٌ يمشى بِكُمْ مُسبَل

وقد أحسن القائل في قوله :

مدى خطوه أقصى مواقع طرفه وأولُهُ في منعه الخطو آخره
 وقد قطعت من لونها الشمس غرةً له وحجولاً ثم كالظل سائرُه

وقال ابن المعتز :

تمت له غرة كالشمس مُشرقةً يكاد سائلها عن وجهه يكفُ
 إذا تقرَّط يوماً بالعذارِ غداً كأنه عادةٌ في أذنها شنفُ
 وقلت : إذا تحلى بالعذارِ ومشى قلتَ فتاةً تتصدى لفتى
 كأنه تحت الحلى روضةً درَّ عليها الزهرُ أخلافَ الحيا

وأبلغ ما قيل في طول الفرس في الهواء قول أبي دؤاد :

إذا ماجرى شأوينِ وابتلَّ عطفه أناخ بهاد مثل جذع سحوق
 كأنى إذا طاليت حوزةً منته تملق برى عند بيض أنوق
 وبيض الأنوق في أعلى موضع من الجبل ؛ فلا ترى أشد مبالغة من هذا البيت .
 وقلت : مُضطرمُ الغدوِّ والرواحِ تخاله يمشى على أرماح

وأخبرنا أبو التسم عن المقدى عن أبي جعفر عن المدائني قال أهدى رجل
 من الدهاقين الى خالد بن عبد الله القسرى برذوناً وقعد بين يديه فقال ما هذا ؟

فقال أصلحك الله ان تررگته نفس وان حررگته طار . فقال صفته خير منه .
وقال ابن المعتز :

أسرع من لحظته إذا عدا أطوع من عنانه إذا جذب
ويشبهه الفرس في عدوه بالنار فأجمع ماجاء فيه قول ابن المعتز :

ربما أعدو وتحتي طرفه لاحق بالمهاديات (١) طمر

طوي الشحم على متنيه مثل ما يطوى القباطى تجر
فهو نار والتراب دخان مستطير وحصى الأرض جمر

وقال : وكم غدوت بفتيان تسيل بهم سوابق أحكمتهم المضامير

مكنفات بأذان نواصيها كما يشق عن الطلع الكوافير

تنزو كراتهم في كل معترك كما يطير من الذعر العصافير

قوله « تسيل بهم سوابق » من أجود ما وصف به الجرى السهل . ويستحب

في الفرس الشدق وهو سعه الشدقين فمن المذكور في ذلك قول بعض العرب

* وان يلق كلب بين لحية يذهب * ومن مليح ما قيل فيه قول ابن المعتز :

ناظر في غرة شمها واسترطا

وإذا سار رمى يده والتقطا

وكأن ملجمه يفتحان سفظا

وقال : وغدوننا بأعنة خيل تأخذ الأرض بأيدى عجال

زينتها غر ضاحكات كبذور في وجوه الليالى

ومن غريب التشبيه تشبيههم قوائم الفرس المحجلة عند السير بجراء كلاب

بيض ، قال الراجز :

كأن اجراء كلاب بيض دون صافيه الى التعريض

وقال العماني الراجز :

(١) في نسخة (بالعاديات) .

كَأَنَّ تَحْتَ البَطْنِ مِنْهُ أكلبا
وتبعه الحماني فقال :

وليل مثل خافية الغراب
دلفت له بأسودَ مستمر
عبيُّ مذاهبٍ وخفي باب
كأَنظَرَ الغضابُ إلى الغضاب
أجشُّ كما نما قابلتُ منه
تبهُقُ جَلْبَةً وحريقَ غاب
تراه كأن عينك لا تراه
إذا وَصَلَ الوَثابُ إلى الوَثاب
كأن لَدَي مغابنه التماسا
ههادس عنده يُقع الكلاب

وليس نظم هذا البيت بمختار ، وذكر قوائمه ثم قال :

يخالس بينها رفعاً ووضعاً
كما خفت بنائك بالحساب

ومن أحسن ما قيل في الحصى الذي يتراعى بسنبك الفرس إذا جرى قول امرئ القيس :

كأن الحصى من خلفها وأمامها
إذا نجلته ^(١) رجليها خذف أعسرا

وجعله أعسر لذهابه على غير استواء ، أخذته ابن المعتز فقال وغير لفظه وأتى بمعناه :

يقذفُ بارجل حصى الطريق
كأنه رامٍ بسلا تحميقِ

وقال : ينفي خفاف الحصى والنقع منتشره
كأنها خلف رجليه الزناير

وقد أجاد الكميت في قوله :

كأن حصى المعزاء بينَ فروعها
نوى الرضخ يلقى المصعد المتصوب

فجعلها لكثرتها تتلاقى في الهواء. وزاد في ذلك على المعزق ومنه أخذته وهو قوله :

كأن حصى المعزاء بينَ فروعها
بوادى نوى رضاخة لم تدفق

وقد أجاد الراجز في قوله * يرضخ ما يرضخ ما لا يرضخ ^(٢) * يقول إذا

وطأ الحصى نبت من تحت سنبكه فأصاب ما لم يبطأه فدفعه من موضعه وكان رضخه

أى رمحه والرضخ الرمح . ويشبهه الحافر بالقعب فمن قديم الشعر في ذلك قول امرئ

القيس * لها حافر مثل قعب الوليد * أخذته ابن المعتز فقال :

(١) النجل : الرمي كما هو ظاهر . (٢) في الاصل (يرضخ) في مواضع .

قد اغتدى بقادحٍ مُسومٍ يعبوب
 ينفى الحصى بحافرٍ كالقمدح المسكبوب
 قد ضحكت غرْمُه عن موضع التقطيب
 وقد أحسن أبو تمام في قوله :

بحوافٍ حفرٍ وصلب صلب وأشاعرٍ شعيرٍ وحلقٍ أحلقٍ
 فجعل البيت كله تجينيساً ولعله ماسبق الى ذلك . وقد طاب الأمدى قوله « وصلب
 صلَّب » وقوله « وحوافرٍ حفرٍ » وقال ان الحوافر لا تحفر الأرض وأكثرت
 ما ذكر في ذلك انها تثير الغبار قال وهو استقصاء المعنى ، قلنا وبعضهم يستحسن
 ذلك وبعضهم يكرهه . ومن المذكور في صفة الفرس قول البحترى وهو أوصف
 المحدثين للخيل وأكثرتهم إجادة في نعمتها :

أما الجوادُ فقد بلونا يومهُ وكفى بيوم مخبراً عن عامه
 جارى الجيادَ فطارَ عن أوهامها سبقاً وكاد يطيرُ عن أوهامه
 جذلان تلطمه جوانب غرة جاءت مجىء البدر حين تمامه
 واسودَّ ثم صفت^(١) لعيني ناظر جنباته^(٢) فأضاء في إظلامه
 مالت نواحي عُرفه فكأنها عذباتُ أنبلٍ مال تحت حمامه
 ومقدم الأذنين تحسب أنه بهما برى الشخص الذى لأمامه
 وكان فارسه وراء قداله ردفٌ فلست تراه من قدامه
 لانت معاطفه فخييل انه للخيزانٍ مناسبٌ بعظامه
 وكان صهلته إذا استعلى بها رعدٌ يقعق في ازدحام غمامه
 مثل الغراب بدا يبارى صحبه بسواد صبغته وحسن قوامه
 والظرفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونة مالم بزره بسرجه وجامه
 وقوله أيضاً : وأغرَّ في الزمن البهيمُ محجَّل
 قد رُحْتُ منه على أغرِّ محجَّل

(١) في الأصل (صفا) . (٢) كذا في الديوان ، وفي الأصل (جلبابه) .

كلهيكل المبني إلا أنه
 ذنبٌ كما سحب الرداء يذبُّ عن
 جذلانٌ ينفضُ عنزةً في غرةٍ
 تنوهمُ الجوزاءُ في أرساغه
 وتراهُ يسطعُ في الغبار لهيبه
 هزج الصهيل كأنَّ في نغماته
 ملكَ العيون فان بدا أعطينه
 وقد أحسن ابن طباطبا في قوله :

عجباً لشمسٍ أشرقت في وجهه
 وإذا تمطر في الرهان رأيتُهُ
 وقال ابن المعتز :

تحملي طرفةً صادرةً وارده
 ترضيك في يومها وهي غداً زائده
 ورجلها تقتضى ويدها جاحده

وباسناد لنا أن رجلاً أنشد أبا البيداء قول أبي نخيلة :

لما رأيتُ الدينَ ديناً يُؤفكُ وأمست القبةً لا تستمسك
 تُفتقُ من أعراضها وتهتكُ سرت من الباب فسارت دكرك
 منها اللجوجيُّ ومنها الارمكُ كالليل إلا أنها تحركُ

فقال لعنك الله ان كنت أنشدتها وأنت على غير وضوء ، قوله

كالليل إلا إنها تحركُ * استثناء عجيب . وقال ابن المعتز :

إذا ما بدا أبصرت غرة وجهه
 وردفاً كظهر الترس أسبل خلفه
 كنفقود كرم بين غصنين نوراً
 عسيباً كعيص الطود لما تحدرأ
 وما يجري مع ذلك قول بعضهم :

قد أشهدُ الليل^(١) بفتيانِ غررٍ على جياذِ كتائبِ الصورِ
 كأنما خيطوا عليها بالابيرِ أو سُمِّرَ الفارسُ فيها فانسَمِرُ
 وباسنادٍ لنا أن محمد بن عبد الله بن طاهر أرق ذات ليلة فقال لِكاتبه أنا نَمُّ
 أنت ؟ قال لا وأيد الله الأمير ، قال ما أطيب الطعام ؟ قال طعام شهوة في
 أبان جوعة ، قال فما أذُّ الشراب ؟ قال شربة ماء بارد تطفى بها غليلك
 أو كأسٌ تماطى بها نديمك ، قال فما أشهى النساء ؟ قال التي تدخلُ إليها
 والهأ وتخرج عنها هارباً ، قال فما أجود الخيل ؟ قال الأسوق الأعنق الذي اذا
 طلب لحق واذا طلب سبق واذا صهل أطربك واذا بدا أعجبك . قال صدقت
 لله درك ، اعطه يا غلام ألف دينار ، قال أصلح الله الأمير وأين تقع منى ألفا
 دينار ؟ قال أوزدت نفسك ألفاً قال أوليس كذا ؟ قال لا ولكن حقوق ظنه
 يا غلام . فأعطاه ألفي دينار .

وقيل لاعرابي تعرف الجواد المبرز من البطيء المقرف قال نعم أما الجواد
 المبرز فهو الذي لهز لهز العير وأنف تأنيف السير اذا عدا اسلهبٌ واذا اتضب
 اتلابٌ ، والبطيء المقرف هو المدلوك الحجبة القحم الارنية الغليظ الرقبة
 الكثير الجلبة الذي اذا قلت أمسكه قال أرساني واذا قلت أرسله قال أمسكني .
 وقال المهدي لمطر بن دراج : أى الخيل أفضل ؟ قال الذى اذا استقبلته
 قلت نافر واذا استدبرته قلت زاجر واذا استعرضته قلت زافر ، قال فأى
 البراذين خيرٌ ؟ قال ما طرفه أمامه وسوطه عنانه ، قال فأى البراذين شرٌّ ؟
 قال الغليظ الرقبة الكثير الجلبة إذا أرسلته قال أمسكني وإذا أمسكته قال أرساني .
 ووصف رجلٌ من العرب خيلاً فقال : إنها خليقة للجودة وآية ذلك انها سامية
 العيون لاحقة البطون مصفية الآذان افتاء الاسنان ضخام الركبات مشرفات
 الحجبات رحاب المناخر صلاب الجوافر وقمها تحليل ورفعها تامليل ان طلبت فانت

وإن طلبت نالت . واستوصف الحجاج ابن القرية فرساً فقال طويل الثلاث قصير
الثلاث حديد الثلاث رحيب الثلاث صليب الثلاث عريض الثلاث منيف الثلاث
أسود الثلاث . فاستفسره فقال طويل العنق والسبيب والساق ، قصير الظهر والعسيب
والشعر ، حديد القلب والسمع والمنكب ، رحيب المنخرين والشدقين والجوف ،
صليب الدخيس والكاهل والعجب ، عريض اللباب والحجبة والحد ، منيف الجوانح
والقذال والقوأم ، أسود الذكر والحافر والعين . وقال محمد بن مُنادر في وصف فرس :

وَإِذَا أَعْرَضَ قَطْرِيهِ لَنَا وَفِيَا وَاسْتَوْفِيَا قَدًّا بَقْدًا
فَهُوَ كَالْقَدْحِ أَقَامَتْ دَرَاهُ كَفَّ بِرَبِيهِ فَمَا فِيهِ أَوْدًا

ووصف النظام فرساً فقال : هو صافي القميص جيد الفصوص وثيق القصب

نقى العصب يبوع يديه ويندس برجليه ويشير بأذنيه ويبعد مدى بصر عينيه
يلحق الأرانب في الصعداء ويجاوز الظباء في الاستواء ان حركته طار وإن
زجرته حار وإن طرحت عنانه سار كموج في لجة أو سيل في فجوة ان وجد علفاً
أمعن وإن فقدته ضغن . وأنفذ جعفر بن يحيى إلى أبيه برذوناً وكتب إليه :
قد بعثت إليك ببرذون لين المرفوع وطىء الموضوع حسن المجموع طويل العذار
أمين العثار . ومما يجرى مع ذلك ما أخبرني به أبو أحمد عن أبيه قال حدثني أحمد

ابن طاهر انه كتب إلى الحسن بن علي بن يحيى يستهديه لجاماً لجماره :

جُعِلَتْ فِدَاكَ قَدِ أَمْسَى حِمَارِي لَهُ سَرَجٌ وَلَيْسَ لَهُ لِجَامٌ
كَمَثَلِ الْعَاطِلِ الْحَسَنَاءِ أَمْسَتْ لَهَا حَكْلَةٌ وَلَيْسَ لَهَا نِظَامٌ

ثم قال * وأنت لكل ناقصة تمام *

﴿ الفصل الثاني من الباب العاشر ﴾

في ذكر الابل وسيرها وما يجرى مع ذلك من وصف أحوالها
أطرف ما قيل في صفة الابل قول القطامي :

يَمِشِينَ زَهْوًا فَلَا الْإِعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْإِعْجَازِ تَتَكَلَّمُ
فَهِنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمَضٌ وَالرَّيْحُ سَاكِنَةٌ وَالظَّلُّ مُعْتَدِلٌ
قالت العلماء لو كان البيت الأول في صفة النساء لكان أحسن وذلك لما رواه
من تمام حسنه وظريف لفظه . والبيت الآخر هو من أبلغ ما قيل في صفة هاجرة .

ومن مליح ما قيل في ضمير الناقاة قول ابن الخطيم :
وقد ضمرت حتى كأنَّ وضيئها ^(١) وشاحٌ عروس جالٍ منها على خصرٍ
ويُشبهُ الزمام بالحية فمن أول ما قيل في ذلك قول الشاعر :
يما لج مثنى حضرمي كأنَّه حباب نقا يتلوه مرتجل يرمي
وقال ذو الرمة :

رجيعة ^(٢) أسفار كأنَّ زمامها شجاع ^(٣) على يسرى الذراعين مطرق
وأخذ المتنبي فقال « كأنَّ على الاعناق منها الافاعي »
من أجود ما قيل في ضمير الابل قول الفرزدق :

إذا ما أنيختُ قابلتُ عن ظهورها حراجيج أمثال الأهلة شسِّف
شبهها بالأهلة لضميرها واحد يداها . ونُسِّبهُ بالقسيِّ فمن أجود ما قيل في
ذلك وأجمه قول أبي عبادة البحرى :

وخدان القلاص ^(٤) حولاً إذاقا بلنَّ حولاً من أنجم الاسحار
يترقرقن كالسراب ^(٥) وقد خضن غاراً من السراب الجارى
كالقسيِّ المُعطفاتِ بل الأسمهم مبريةً بل الاوتاد
وقال ابن دُرَيْد :

أليَّةٌ باليعمالاتِ يرمى بها النجاءُ بينَ أجوازِ الفلا

(١) الوضين كالحزام . (٢) أى معاودة . (٣) الشجاع هنا . الحية .

(٤) كذا في ديوان البحرى ، والذي في الأصل « وحذاقُ القلاص » .

(٥) كذا في ديوان البحرى ، والذي في الأصل « بالسراب » .

خوص كأشباح الحنايا مُضمَّرَ يرُعنُ بالامشاج من جذب البرى
يرُسنُ في بحر الدُّجى وفي الضحى يطفون في الآل^(١) إذا الآل طفا
ومن غريب ما قيل في عين الناقة قول ذى الرمة :

كأنما عينها منها وقد ضمرتُ وضمها السير في بعض الاضى ميمٌ
فشبهها بالميم لاستدارتها وغورها ، والاضى الواحدة أضاة وهي الغدير ، وقد
قصر بنى الرمة علمه بالكتابة . أخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن العلاء بن
عبد الله بن الضحاك عن الهيثم بن عدى قال قرأ حماد الراوية على ذى الرمة شعره
فرآه ترك في الخط لأمأ فقال له ذو الرمة أ كتب لأمأ فقال حماد وانك لتكتب قال
لا أ كتم عليك فانه كان يأتي باديتنا خطأ فعملنا الحروف تخطيطاً في الرمل في
اليالى المقرة فاستحسنتها فثبتت في قلبى ولم تخطها يدي .

ودخل أبو تمام على المأمون في زى اعرابى فأنشده :

دمنٌ ألمٌ بها فقالَ سلامٌ كم حلٌّ عُقدةَ صبره الامامُ
لجعل المأمونُ يتعجبُ من غريب ما يأتى به من المعانى ويقول ليس هذا
من معانى الاعراب . فلما انتهى الى قوله :

هُنَّ الحامُ فان كسرت عيافةً من حائهنَّ فانهنَّ حمامُ
فقال المأمونُ اللهُ أكبرُ كنتَ يا هذا قد خلطت على الامر منذ اليوم
وكنتُ حسبتك بدويًا ثم تأملتُ معانى شعرك فاذا هي معانى الحضريين واذا أنت
منهم فقصر به ذلك عنده . وقال أبو نواس في في وصف الناقة :

ولقد تجوبُ بى الفلاة اذا صام النهارُ وقالت العُفرُ^(٢)
شدنيةً^(٣) رعت الحى فأتت ملء^(٤) الجبال كأنها قصر

(١) في الأصل « والضحى ، بالآل » . (٢) العفر : الضباء التى يملو

بياضها حمرة (٣) شدن : موضع باليمن تنسب اليه الابل ، وقيل هو اسم فحل .

(٤) في نهاية الأرب « مثل الجبال » ولعله تصحيف .

أخذه من قول عنثرة :

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدن لا تقضى حاجة المتلوم
إلا أن بيت أبي نواس أحسن رصفاً . وذكر ذنب الناقة فقال :
أما إذا رفعته شامدة^(١) فتقول رنق فوقها نسر
أما إذا وضعت عارضة فتقول أسبل خلفها^(٢) ستر

أخذه من قول أبي دواد * قوادم من نسور مضرجات * وليس بيت أبي

دواد شيئاً مع بيت أبي نواس ، ثم قال :

وتسف أحياناً فتحسبها مترسماً يقتاده أثر
فاذا قصرت لها الزمام سما فوق المقادِم ملطم حر
وكانها مُصغ لتسمعهُ بعض الحديث بأذنه وقر

ومن أجود ما قيل في تقدم الناقة في السير قول القطامي :

ألمن يقصرن من نجب مُخَلَّسة ومن عرابٍ بميدات من الحادي

أى يسبقن الحادي فيعدن عنه ، ثم قال أبو نواس وأحسن :

تذر المطى وراءها فكأنها صف تقدمهن وهي امام

وأحسن ابن المعتز في قوله :

وناقة في مهمه رمي بها هم إذا نام الورى سرى بها

فهي أمام الركب في ذهابها كسطر بسم الله في كتابها

ومن مُصيب التشبيه في موطىء الناقة قوله أيضاً :

تلقى الغلاة بنف لا يقر لها كأن مسقطه في تربها طبق

وقوله في ارتفاع الناقة في الهواء وعظمتها :

كأنا عند نهضته رفعتنا خباءً فوق أطراف الرياح

(١) في الأصل غير منقوطة ، وفي ديوان أبي نواس «شامدة» وهي الناقة

التي تشيل ذنبها نشاطاً . (٢) في ديوان أبي نواس « أرخي فوقها ستر » .

ومثله قوله أيضاً :

ترنو بناظرة كأنَّ حجاجها وقبَّ أنفَ بشاهقٍ لم يُجَالِ
وكانَّ مسقطها إذا ما عرَّست آثارَ مسقطٍ ساجدٍ مُتَبَدِّلِ
وكانَّ آثارَ النَّسوعِ بدفها مسرى الأَسودِ في دهاسِ أهيلِ
ويشدُّ حادِيها بجبلٍ كاملِ كمسِيبِ نخلِ خوصِهْ لم يُنْجَلِ

وقال أيضاً :

كانَّ المطايا إذْ غَدَوْنَ بسحره تركنَ أفاحيصَ القِطَا في المباركِ

ثم قال وهو من أجود ما قيل في سمن الابل :

لنا إبلٌ ملءَ الفِضاءِ كأنما حملنَ التَّلَاعَ الجَوَّ فوقَ الحِوَارِكِ

وقد أحسن القائل في وصف سُرعتهن حيث يقول :

مُخَوِّصٌ نِوَاجٍ إِذْ أَحْتِ الحِداةُ بها حَسِبْتَ أَرْجُلَهَا قُدَّامَ أَيْدِيهَا

وذَكَرَ دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ الخِزَاعِيُّ أَنَّ قَائِلَ هَذَا البَيْتِ القِصَافِيَّ لَمْ يَقُلْ بَيْتًا جَيِّدًا

سِوَاهُ وَكَانَ يَقُولُ الشَّعْرَ سِتِينَ سَنَةً ، وَأَخَذَهُ ابْنُ المَعْتَزِ فَقَالَ :

تَخَالُ آخِرُهُ فِي الشَّدِّ أَوَّلَهُ وَفِيهِ عَدْوٌ وَرَاءَ السَّبْقِ مَذْخُورٌ

وقد أحسن مسلم في قوله :

إِلَى الأَمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحَلِنَا خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظَلَمَانِ

كَأَنَّ أَفْلاَتِهَا وَالفَجْرُ بِأَخْذِهَا أَفْلاَتٌ صَادِرَةٌ عَنِ قَوْسِ حِبْسانِ

وقال آخر :

كَأَنَّ يَدَيَّ بِهَا حِينِ يَجْرِي ضَفُورُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجْلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِي

ومن يبلغ ماجاء في ذلك قول ابن المعتز :

زَجَرْتُ بِهَا سَبَاحَ قَفَرٍ كَأَنَّهُ يَخَافُ لِحَاقًا أَوْ يِيَادِرُ أَوْلَا

تِوَارِثُهُ الإِيْجَافُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ ضَنْئِي أَعْيَا الطَّيِّبِ المَعْدَلَا

ومن بديع ماجاء في ذلك قول رؤبة بن العجاج^(١)
 كأن أيديهم بالقاع القرقُ أيدى العذارى يتعاطين الورق
 وقد أحسن أبو الشيص^(٢) في قوله :

وإبل يرُكبُ الركبانُ في أمواجهِ الخضر
 توكلتُ على أهوا لها بالله والصبر
 وأعمال بنات الربيع في المهمة القفر
 شمائل يصاخنَ مُتون الصخرِ بالصخر
 بإجاف يقدُّ الليل عن ناصية الفجر

وقلت : لنا هجاءٌ تنثنى سرواتها بأسنةٍ مثل الاكام سوامق
 خبطنَ الربيعَ وانتسفنَ نباته كأمرت الاجلامُ فوق المفارق
 بناها بناء البيت حون رواعدٌ نجىء على آثارِ جونِ بوارق
 تدورُ بأحقبها البروقُ وتنثنى كأنَّ عليها مذهبات مناطق
 وقال ابن المعتز :

وليل ككحل العينِ خضتُ ظلامهُ بأزرقَ لماعٍ وأخضر صارم
 وطيارة بالرحل صرف كأنما تصافح رضراض الحصى بجماجم
 وقلت : وليلة خبطت من ظلماتها بنازح الخطو إذا الخطو دنا
 قد انبرى يمترف السير بنا في طرقٍ يخبط فيهنَّ الهدى
 ينهى الوجى^(٣) أمثاله عن السرى وساعده ميعهٌ تنهى الوجى

ومن مصيب التشبيه قول الراعي :

في مهمهٍ قلتُ بها هاماتها قلقَ الفؤوس إذا أردنَ نصولا

(١) كان طارفاً باللغة وحشيها ، وغريبتها ، ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر
 واللغة والفصاحة . (٢) هو محمد بن رزين الخزاعي ، كان معاصراً لأبي نواس
 ومسلم بن الوليد ، في شعره رقة . (٣) الوجى : الحفا .

وقول الآخر: حرام من نسل المهاري نسلها
حسبتها غيري استغفر عقلها
أى كأنها من علمها بيديها ورجليها وسرعة تحريكها إياها غيري تخاصم وتشير
بيديها لا تفتر . وقلت :

ومهمه^(١) قلقت فيهار كائنا
ركبته فكان الصبح راكبه
بكل ذي ميمة جدّ الوجيف^(٢) به
وبات ينهب جنح الليل في عجل
حتى بد الصبح مبيضاً ترائبه
وإعما النجح في ليل ترادفه
وساهر الليل في الحاجات نائمه

وقال أبو تمام :

على كلّ رواد^(٣) الملاط تهدمت
رّعه الفيا في بعد ما كان حقة
وقلت : واستنهدتكم إلى المآثر والاعلا
أردفتهن عزائماً فكانت ما
حملتها قلص الركاب كأنها
مهرية الرى السفاد ينحضا

وقال مسلم :

اليك أمين الله رامت بنا السرى
أخذن السرى أخذ العنيف وأسرعت
بنات الفيا في كل مرت ودفد^(٤)
مخطاها بها والنجم حيران مهتدى

(١) المهمة : المفازة . (٢) الوجيف : ضرب من سير الخيل والابل .

(٣) في ديوان أبي تمام (موار) أى مضطرب . (٤) أى المفازة .

لبسن الدجى حتى نصت وتصوبت هوادى نجوم الليل كالدهو باليد
وهذه استعارة بديعة حسنة عجيبة الموقع جداً . وقال أبو نواس :
يكتسى عُنُونُهُ زبدًا فنصيلاًهُ الى نحره ^(١)
ثم يعتمُ الحجاج ^(٢) به كاعتمام النوفِ في عشره
ثم تذرره الرياحُ كما طار قطن الندفِ عن وتره
ومن فصيح الكلام قوله في هذا المعنى :

نفحن اللغام الجعد ثم ضربته على كلِّ خيشومٍ كريمٍ المخطم ^(٣)
وقال الشماخ بن ضرار :

كأن ذراعيها ذراعا مُدَّةً بعيد الشباب حاوأت ان تعذرا
من البيض أعظافاً إذا اتصلت دعت فراس بن غم أولقيط بن يعمر
بها شرف من زعفران وعندبر أطارت من الحسن الرداء المحبرا
تقول وقد بل الدموع خاراها أبت عفتى أو منصبي أن أعيرا
كأن بذفراها مناديل قارقت أ كف رجال يصرون الصنوبرا
وقال الراجز : كأنها نائمة تُرجع تبكى بشجوى وسواها الموجه
وهو نحو قول الراجز * حسبتها غيرى استفرغ عقلها * ومثله قول الآخر :

كأن ذراعيها ذراعا بذية مفعجة لاقت حلائل من عفر
سمعن لها واستفرغت من حديثها فلا شيء يفرى باليدين كما تفرى
فوصفها بأنها بذية وقد أوجعت ونيل منها ولقيت حلائلها عن عفر أى بعد
زمان وتلك الشكوى فى نفسها فجمعات تحدث وتحرك يديها فى حديثها فلا تكاد
تسكنهما . وقال أبو تمام :

(١) العنون : اللحية ، ولعله يريد أن زبده صعد بعنونه . (٢) الحجاج :

المعظم المحيط بالعين . (٣) فى ديوان أبي نواس (نبيل المخطم) ونفحن :

حركن ، واللغام : الزبد ، والمخطم : أنف البعير يوضع فيه الخطام .

فما صلاتى إذا كان الصلاء بها جمر الغضا الجزل إلا السير والابل
المرضياتك ما أرغمت آنفها والهادياتك وهى الشرذ الضلل
وقال البحترى :

والعيس تنصل من دجأه كما انجلى صبغ الشباب على القذال الاشب
وقال ابن المعتز :

ولم نزل نخبط الفلاة بأخ غاف المطايا والظل معتدل
كأننا طار تحتنا قرع على أكف الرياح ينتقل
يفرى بطون النقا النقى كما يطعن بيض الجوانح الاسل
وقال فى الناقة :

تصغى الى أمر الزمام كما عطفت يد الجاني ذرى الفصن
وقال فى لقاح :

حوامل شحم جامد فوق أظهر وان تستغث ضراتهن به ذابا
إذا مامكاء الدرجات بمنعب كما سل خيط من سدى الثوب فانسابا
وهذا فى دقة الشخب (١) حسن جداً :

رأيت انهمار الدر فوق فوجها كما عصرت أيدى الغواسل أثوابا
خوازن نحض فى الجلود كأنها تحمل كشبانا من الرمل أصلابا
وقد أحسن فى الناقة والزمام :

وسل البيداء عن رجل يخطم الرياح بشعبان
وقال : وقتت بها عيسى تطير بزجرها ويأمرها وحى الزمام فترقل
طلوباً برجليها يديها كما اقتضت يد الخصم حقاً عند آخر يمطل
وقال بعض العرب :

تطير مناسمها بالخصى كما نقد الدرهم الصيرف

(١) الشخبو يضم : ما خرج من الضرع من اللبن ، وفى الاصل بالسين المهملة .

ومن غريب ما قيل في تقدم الناقة صواحبها^(١) في السير قول بعض العرب :
جاءَ وقد ملَّ نَوَاءَ البحرينَ يَنْسَلُ مِنْهُنَّ إِذَا تَدَانِينَ
مِثْلَ انْسِلَالِ الْمَاءِ مِنْ جَفَنِ الْعَيْنِ

وأبلغ ما قيل في غزير الناقة قول أبي حية :

تَدِرُّ لِلْعَصْفُورِ لَوْ مَرَاهَا يَمَلُّ مَسْكَ الْفَيْلِ لَوْ أَنَاهَا
ومن جيد ما وصف به سعة الاخلاف قول ابن لجأ :

كَأَنَّمَا نَصَّتْ إِلَى ضُرَّاتِهَا مِنْ نَحْرِ الطَّلْحِ مُجَوِّفَاتِهَا
وقال مسلم بن الوليد في غير هذا المعنى :

أَتَيْتُكَ الْمَطَايَا تَهْتَدِي بِمَطِيَّةٍ عَلَيْهَا فَتِي كَالنَّصْلِ يُونِسُهُ النَّصْلُ
وقال أبو نواس :

أَيَا حَبْدًا عَيْشُ الْوَجَادِ وَضَجْعَةٌ إِلَى دَفِّ مَقْلَاقِ الْوَضِينِ سَعُومِ
تَرَامِي بِهَا الْإِيحَافُ^(٢) حَتَّى كَأَنَّهَا تَحْيِفُ مِنْ أَقْطَارِهَا بِقَدُومِ

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو قال
سمعت جندل بن الراعي يشد بلال بن أبي بردة :

نَعُوسٌ إِذَا دَرَّتْ جُرُورٌ إِذَا غَدَّتْ بُوزِلُ عَامِ أَوْسَدَيْسٍ كِبَازِلُ
قال فلكاد صدرى بن فرج من جودتها حتى كتبها . ودرّة الأبل مع النعاس
والغنم تدر مع الاحتراس فن أجود ما قيل في ذلك قول جيبها الأشجعي :

رَقُودٌ لَوْ أَنَّ الدَّفَّ يُضْرَبُ تَحْتَهَا لَتَنَحَّاشَ مِنْ قَازِوَرِهِ لَمْ تَنَّا كَرِ
أى من قاذورة فيها يقال رجل قاذورة اذا كان يتجنب النساء ويتقى مجامعتهن .

ومن الوصف الحسن قول القطامي في نوق :

جَفَادٌ إِذَا صَافَتْ هَضَابٌ إِذَا شَتَّتْ وَفِي الصَّيْفِ بَرْدٌ دُنَّ الْمِيَاهِ إِلَى الْعَشْرِ
يشبهها بالآبار من كثرة ألبانها في أيام الربيع والقيظ وهي في الشتاء كالهضاب

(١) في الاصل « حواحبها » . (٢) في ديوان أبي نواس « ترامت بها الأهوال » .

سمناً وإذا شربت في اليوم العاشر التمت في مثله وفي كروشها بقية من الماء .
وعرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري كيف لبنها ؟ قال احلب في أي اناء
شئت ، قال فكيف الوطاء ؟ قال افرش ونم ، قال فكيف قوتها ؟ قال اجعل على
الحائط ماشئت ، قال فكيف نجارها ؟ قال علق سوطك وسر . فاشتراها فلم ير
شيئاً مما توهمه بصفة شريح فماد اليه فقال لم أر شيئاً مما وصفت قال ما كذبتك
قال فأقنني قال نعم فأقاله . وأنشد أبو أحمد رحمه الله :

جاءت تهادي مائلا ذراها تحنُّ أولاهها على أخواها
مشى العروس قصرت خطاها فاسمطت القيعان من رغاها
وأتخذتنا كلنا طلاها

يقول انها كبيرة غزيرة إذا مشت سالت ألبانها فايضت القيعان منها والرها
جمع رغو ، واتخذتنا كلنا طلاها أي لشربنا ألبانها كأننا أولادها .

ومن أجود ما قيل في ارتفاع الابل وارتفاع اسنمها قول أبي دؤاد :
فاذا أقبلت تقولُ اكُم مشرفات فوق الأكام اكُم
وإذا أعرضت تقولُ قصور من سماهيج فوقها آطام
وإذا ما فجيحتها بطن غيب قلت نخل قد حان منه صرام
الغيب ماوارك من الشجر ، وسماهيج أرض بالبحرين .

(الفصل الثالث)

في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك

فن أبلغ ما قيل في صفة بمد الفلاة قول مسعود أخى ذى الرمة :

ومهمه فيه السراب يلح يداب فيه القوم حتى يطلحوا
ثم يظنون كأن لم يبرحوا كأنما أمسوا بحيث أصبحوا

وقال رؤبة بن العجاج * يكلُّ وقد الريح من حيث انخرق *

ذُكر أن الريح تكمل فيه لبعده ، ووفد الريح مأخوذ من قول تأبط شرًا
 * ويسبق وفد الريح من حيث ينتحي * وقال مُسلم بن الوليد :
 تجرى الرياحُ بهامِرضي مولهةً حَسْرَى تَلوُذُ بِأَطْرَافِ الْجَلَامِيدِ
 قوله « بأطراف الجلاميد » زيادةٌ ليست في بيت رُوْبَةَ . ويشبهون استواء الفلاة
 باستواء ظهر الترس قال الشاعر * ومهمه كمثل ظهر الترس *
 وأحسن ذو الرمة حيث يقول في هذا المعنى :

وَدَوَّ كَكْفِ الْمَشْتَرَى غَيْرَ أَنَّهُ بَسَاطٌ لِأَخْمَاسِ الْمَرَايِيلِ وَاسِعٍ
 شَبَّهَهُ بِكَفِّ الْمَشْتَرَى لِأَنَّ كَفَّهُ أَلْصَقَ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِأَنَّ الْمَشْتَرَى يَبْسُطُ
 كَفَّهُ لِلصَّفْقِ . وَقُلْتُ فِي نَحْوِهِ :

وَبِحَرِّ كَكْفِ الْأَكْرَمِينَ يَجْفَهُ صَعِيدٌ كَأَيْدِي السَّائِلِينَ مَدِيدِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

وَدَوَّيَّةٌ مِثْلُ السَّمَاءِ قَطَعْتَهَا مَطْوُوقَةٌ آفَاقَهَا بِسَائِهَا

ومن عجيب التشبيه في وصف الآل قول بعض الاعراب :

كُنْفِي حَزَنًا أَنَّى تَطَالَاتُ كِيَّ أَرَى ذَرَى عَلْمِي دَمَخٌ فَمَا يُرْيَانُ
 كَأَنَّهُمَا وَالْآلُ يُنْجَابُ عَنْهُمَا مِنْ الْبَعْدِ عَيْنَا بُرْقَعٌ خَلْقَانُ

وهذا من أغرب ما رُوي من تشبيهات القدماء . وقال جميل بن معمر في السراب :

أَلَا تَيْكَا أَعْلَامٌ بَثْنَةٌ قَدْ بَدَتْ كَأَنَّ ذَرَاهَا عَمَمَتْهُ سَيْبُ

طَوَامِسٍ لِي مِنْ دُونِهِنَّ عَدَاوَةٌ وَلِي مِنْ وَرَاءِ الطَّامِسَاتِ حَيْبٌ

بَعِيدٌ عَلَى كِسْلَانٍ أَوْذَى مَلَالَةٌ وَأَمَا عَلِي ذِي حَاجَةٍ فَقَرِيبٌ

والسبيب الشقة البيضاء . وقال ابن المعتز :

وَالْآلُ يَنْزُو بِالصَّوَى أَمْوَاجِهِ نَزْوُ الْقَطَا الْكُدْرَى فِي الْأَشْرَاكِ

وَالظِّلُّ مَقْرُونٌ بِكُلِّ مَطْيَةِ مَشَى الْمَهَارِ الدُّهْمِ بَيْنَ رِمَاكِ

ولا أعرف في هذا المعنى تشبيهاً أحسن ولا أصوب من هذا .

ومن عجيب التشبيه في وصف اعتدال الظل عند الظهيرة قول الراجز
* واتعل الظل فصار جوربا * وقال آخر :

إذا شئتُ أداني صرومٌ مشيعٌ معى وعقامٌ تنقى الفحل مُقات
يطوف بها من جانبيها ويتقى بها الشمس حتى في الأكارع مبيتُ
أداني : أغانى ، صرومٌ : أى صارمٌ ، مشيعٌ : شجاعٌ كأن معه أصحاباً
يشيعونه فهو جرىءٌ يعنى قلبه ، العقام : التى لاتلد فذاك أشد لها يعنى ناقة ،
والمقات : التى لا يبق لها ولدٌ ، وحى في الأكارع مبيتٌ : يعنى ظلاً قد ضارع
عند انتصاف النهار . ومن بديع ما قيل فى السراب قول ابن المعتز :

وماراعى بالبين إلا ظمائنٌ دعون بكأى فاستجابت سوا كبه
بدت في بياض الآل والبعء دونه كأسطر رِقٍ أمراض الخط كاتيه
ولهم في وصف الاسفار فى البحار شعرٌ قليلٌ فمن أجود ما وصف به الموج قول الهذلى :
* نعاج يرمى الى نعاج *

ولا أعرف فى السير والنعاس أجود لفظاً واستعارة مما أنشدناه أبو تمام :
يقولُ وقد مالتُ بنا نشوةُ الكرى نعاساً ومن يلقى سُرى الليل يكسل
أنخُ نعطٍ انضاء النعاسِ دواءها قليلاً ورقه عن قلائص ذبل
فقلتُ له كيف الاناخةُ بعد ما حدا الليل عريان الظريقة مُنجلى
ومما يجرى مع ذلك قول الآخر :

عودٌ على عودٍ على عود خلق كأنه والليل يرمى بالنسق
مَشاجِبٌ وفلقٌ سقبٍ وطلق

عود : يريد شيخاً كبيراً ؟ على عود أى على بعير مُسِنَّ ، على عود خلق أى
طريق قديم دارس فكأنه يُريدُ كأن ذلك كما قال رؤبة :

فيها خطوطٌ من سواد وبلق كأنه فى الجلدِ توليعُ البهق
أى كأن ذلك شبه البعير بالمشاجب والطريق بالسقب وهو عمودٌ من عمد

الخباء ، وشبهه الشيخ بالطلق وهو القيد لأنحنائه . وقريب منه قول الآخر :
 عودٌ على عودٍ قوود للابل يموت بالترك ويجيا بالعمل
 عودٌ : بغير ، على عود يعنى طريقا ، يموت بالترك : يعنى الطريق يدرس اذا لم
 يسلك ، ويجيا بالعمل : اذا سلك استبان . ومن المختار فى صفة النعاس قول الآخر :
 فأصبحن بالمومةٍ يحملن فتيةً نشاوى من الادلاج ميلُ العائم
 كأن الكرى سقامُ صرخديّةً عُقاراً تمشى فى المطا^(١) والقوائم
 وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن عبد الرحمن عن الأصمعي أن أبا عمرو
 ابن العلاء كان يستحسن قول بشامة بن غدِير ويعجب منه غاية العجب :

كان يديها وقد أرقلت وقد حزن شم اهتدين السبيلا
 يدا سايح خرّ فى غمـرةٍ فأدركه الموتُ إلا قليلا
 وما يجرى مع ذلك قول الاعرابي :
 بدان بنا وابن الليالى كأنه مُحسامٌ جلا عنه القيون صقيل
 فما زلتُ أقى كلَّ يومٍ شبابهُ الى أن أتتك العيسُ وهو ضئيل

(الفصل الرابع)

(فى ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجرى مع ذلك)
 فمن أجود ما قيل فى وصف الثور اذا عدا فيخفى تارة ويظهر أخرى قول
 الطرماح ، وكان الأصمعي يتعجب من حسنه :

يبدو واتصره البلاد كأنه سيفٌ على شرف يسَلُّ ويغمد
 وقد أحسن عدى بن الرقاع^(٢) فى وصف ثورين وما يشيران فى عدوهما من الغبار وهو
 يتعاوران من الغبار ملاءة بيضاء مَحْمَلَةٌ هما نسجاها

(١) المطا : الظهر . (٢) هو عدى بن زيد العاملى ، من معاصرى جرير

مدح بنى أمية فى الشام واختص بالوليد بن عبد الملك .

تطوى إذا علوا مكاناً جاسيا وإذا السنايك أسهلت نشرها
لأعرف في صفة الغبار أحسن ولا أتم من هذا . وأما قوله في صفة قرن الطي فليس
له شبيه وهو من المشهور :

يُزجى أغنَّ كأن إبرة روقه قلمٌ أصاب من الدواة مداها
وقد أحسن الراعي في وصف الوعل :

برودٌ بها ذبُّ الرياد كأنه فتى فارسيٌّ في سراويل رامج
ذبُّ الرياد أي^(١) الوعل ، وبرود يجيء ويذهب ، شبه ما على قوائمه من الشعر
بالسراويل وشبه قرنه بالرمح . وقال ابن المعتز :

كأنى على طاوٍ من الوحش ناشط تخالُ قرون الأجل من خلفه غابا
الأجل : القطيع من بقر الوحش ، والغاب : الاجمة . وقال أيضا :

وجرت لنا سنحا جاذر رملة تتلو المها كاللؤلؤ المتبدد
قد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراد من سحق الاشم
وقال ابن المعتز :

شغلته لواقحٌ ملأته غيره فمؤ خلفهن كمي
قابضٌ جمعها اليه كما يجمع أيتامه اليه الوصى
كلما شمَّ لاقحاسي منها رأس فخل برجلها معلى
خارجٌ من ظلال تقع كما مسزق جلبابها الخليلع الغوى
قد طواها التسويق والشدحتى هي قبٌّ كأنهن القسى
هربت في رؤوسهن عيونٌ غائراتٌ كأنهن الركى
وقال أيضا : كأن آثارَ أظلاف الضباء به ودعٌ يخلفه أضلافه نسق

ومن فصيح ما قيل في السكلب وبليغه قول أبي نواس :

كأن لحية على افتراه^(٢) شك مسامير على طواره

(١) في الأصل « على الوعل » . (٢) في ديوان أبي نواس « لدى افتراه » .

طواره : نواحيه .

سمع^(١) إذا استروح لم يماره إلا بأن يطلق من عذاره
فانصاع كالكوكب في انحداره لفت المشير مؤهناً بناره
شداً إذا أخصف في جداره^(٢) خرق أذنيه شبا اظفاره

وهذا مثل قوله :

من كل أخذى ميسان المنكب يشبُّ في القودِ شُبوبَ المقرب
يلحق أذنيه بجحد الخلب

المقرب : الكريم من الخيل يشد لكرمه بقرب البيوت ، ميسان المنكب أى
من سعة جلده يمس منكبه . ومن بديع الوصف قوله :

كأتما الأظفورُ في قنابه موسى صناعِ رُدِّ في نصابه
تراه في الحضرة إذا هابه يكادُ أن يخرجَ من اهابه
أخذه من قول ذى الرمة :

لا يذخران من الايفال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب
والقناب : الغلاف . وقد أحسن في قوله وأجاد :

فجاء بُزجيبها على شياتها شمَّ العراقيبِ مؤنقاتها
مفروشة الأيدى شربنثاتها مشرقة الأكتاف موفداتها
قود الخراطيم مخرطماتها غرَّ الوجوه ومحجلاتها

الموفدات : المشرفات ، خرطوم مخرطم مثل ليل أليل :

كأن أقماراً على لبَّاتها ذل المآخير عملساتها^(٣)
لنفتاً الأرنب عن حياتها ان حياة الكلب في وفاتها

وقال ابن المعتز في سعة أشداق الكلاب :

(١) السمع : ولد الذئب . (٢) في ديوان أبي نواس (حتى إذا أخصف في

احضاره) . (٣) في الاصل « زل المساخير معكساتها »

كأنها في حلقِ الأطواقِ ضواحك من سعة الأشداق
 وقال في شدة عدو الكلب * كأنها تهجل شيئاً تحسبه * من قول أبي نواس
 * كأنما يعجلن شيئاً لقطا * ومن بليغ ما قيل في شدة العدو قول الأحرر في الثور:
 وكأنا جهدت أيتهُ ان لا تمسَّ الأرضَ أربعهُ
 ومن جيد وصف السرعة قول الحماني:
 يبادرُ الناظر وهو يبدُرهُ كأنَّ من يُبصرهُ لا يبصرهُ
 وقال الأصمعي وأحسن ما قيل في صفة الذئب قول حميد بن ثور:
 ترى طرفه ينسلان كلاهما كما اهتزَّ عودُ النبعة المتتابعُ
 ينأى بأحدى مُقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ
 وقال الأصمعي من أوجز الكلام قول الراجز في الذئب:
 أطلس يخفي شخصه غبارهُ في فيه شفرتهُ ونارهُ
 هو الخبيث^(١) عينه فراره

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عبد الرحمن
 عن عمه عن أبي عمرو قال: رأيتُ باليمن غلاماً من جرّم ينشدُ غزلاً فقلت
 له صفها يا غلام فقال: حسراء مقبلة شعراء مدبرة بين عثرة الدهسة وقنو الدبسة
 سجحاء الخدين خطلاء الأذنين فقساء الصورين كأن زنميتها تتواقلسوة يالها
 أم عيال ومال مال. الحسراء: التي قل شعر مقدمها، والشعراء: التي قد كثرت
 شعرها، والعترة عثرة كدرة، والدهسة لون الأرض، والقنو شدة الحرارة،
 والدبسة حمرة كدرة، والسجحاء السهلة الخدين، والخطلاء الطويلة الأذنين
 المضطربتهما، والفمساء المتباعدة بين طرفي القرنين، والصور: القرن.

(١) في النسخ غير منقوطة فصححناها من لسان العرب حيث يقول « الخبيث
 عينه فراره: تعرف الخبيث في عينه إذا أبصرته ». وفي النسخ « عينه » بالباء وهو تصحيف.

الزئمتان اللحمتان المعلقتان تحت حنك الشاة^(١) ، والتتو ذؤابة القلنسوة .

ولأعرابي في الذئب :

وأطلس ملء العين يحمل زوره
له ذئب مثل الشواء يمدّه
طواه الطوى حتى استمر مريره
يقبض عضلاً في أسرتها الردى
ومتن كتن القوس أعوج مناد
فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد
بمحث تلوى اللب والرعب والحقد
وأتبعته أخرى وأضلت نصله
وقال غيره في الفيل :

أجرود كالعود طويل الناين
بعيد ما بين محطّ الرجلين
ينفض أذنين كفضلى بردين

وقال ابن الرومى فيه :

ولأعضل الناين حامل مخطم
يقلب جثاناً عظيماً موثقاً
ويسطو بخروطوم يطاوع أمره
ولست ترى بأساً يقوم لبأسه
به حجج طوراً وطوراً به فعم
يهدئ بركنيه الجبال اذا زحم
ومشتبهات ما أصاب بها عثم
إذا عمل الناين فى الناس أوصدم

﴿ الفصل الخامس من الباب العاشر ﴾

فى ذكر الطيور

مما جاء من منشور الكلام فى وصف الحمام قول بعضهم : بهرمانى العينين حاجى

(١) قال المحبى فى جنى الجنتين فى تمييز المثنيين « الزئمتان هنتان تكون للمعز فى حلوقها ، فان كانتا فى الاذنين فهما زئمتان بالنون » ولم يخص فى القاموس هذا التخصيص .

المنقار أصهب القرطمتين ^(١) سبجي الجناحين كأنما خطأ بقلين درى الدفتين
 فضى الحقيبة والبطن والكشحين أرجواني الساقين والقدمين مُعتدل الهامة جاحظ
 الحدقتين رحب الأذنين والمنخرين واسع الحوصلة والشدقين محدد المنكبين
 والركبتين سبط الذنب والكفين طويلُ العنق والقوادم والفخذين قصير الخوافي
 والساقين عريضُ الصدر والدفتين والوظيفتين غليظ القصب أجش الهدرة منتصب
 الهامة ذكي الحركة بعيد الذرقة .

ووصف ابن المعتز حاماً طلبه من انسان : أريد حرمي الطرق طاجي المنقار
 أغنَّ الهدير ذا ذنبٍ قصير يسحبُ حوصلته إذا هدر وتروح صفقته إذا صفق
 قرطاسي الدفتين سبجي الجناحين كأن رجله خاضتا دماً أو شربتا عندما وكأن
 عينيه جمرة ورأسه زبدة . وقلت في حمام أبلق :

وَمُتَّفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ لِبَسْنِ ظَلَامًا بِالصَّبَاحِ مَرَّقَمَا
 أَخَذَنْ مِنَ الكَافُورِ أَنْفًا وَمَنْسَرًا وَخَضْبِينَ بِالْحِنَاءِ كَفًا وَأَصْبَعَا
 وَتَدْنُو بِأَبْصَارٍ إِذَا مَا أَدْرَتْهَا جَلُونَ عَقِيقًا لِلْعَيُونِ مَرْصَعَا
 تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجِلَامِ كَأَنهَا جِنَادُلُ تَدْحُوهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعَا
 تَبُوعٌ ^(٢) بِهَا فِي الْجَوِّ مِنْ غَيْرِ فِتْرَةٍ كَأَنَّ مَجَادِيفًا تَبُوعُ بِهَا مَعَا
 إِذَا هِيَ عَبَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسْبَتَهَا تَرَقُّ فِرَاحًا فِي الْمَغَادِرِ جَوْطَا
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي عَيْنِ الْعَمَقِ :

يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ كَأَنَّهُمَا نَقَطْنَا زُبُقِ

ومن الخنثار في الديك ما أنشده الجاحظ :

كَأَنَّ الدِيكَ دِيكَ بَنِي نَمِيرٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى السَّرِيرِ

والناس يستحسنون قول ابن المعتز في الديك :

(١) قرطمتا الحمام : نقطتان على أصل منقاره - كما في جنى الجنتين للحمي .

(٢) أي تسرع .

صَفَّقَ إِمَّا ارْتِيَا حَةَ لَسَى الصَّبِيحِ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسْفَا
وَقَالَ دَيْكَ الْجِنِّ :

أَوْفَى بِصَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ مَفْرَقُهُ كَدْرَةَ النَّجَاجِ لَمَّا عُغِيَّتْ شَرْفَا
وَقَوْلُهُ « صَبْغِ أَبِي قَابُوسٍ » يَعْنِي شَقَائِقَ النَّعْمَانِ ، وَهَذَا كَلَامٌ بَعِيدٌ الْمَتَنَاوَلِ ظَاهِرِ
التَّكْلَافِ . وَقُلْتُ فِيهِ :

مُتَوَجِّحٌ بِعَقِيقٍ مَقْرَطٌ بِلَجِينِ عَلَيْهِ قَرَطُوقٌ وَشِيٍّ مُشْمَرُ الْكَفِينِ
قَدَزِيْنِ النَّحْرَمَنِ نَنْتَانِ كَالْوَرْدَيْنِ حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يُبْدُو مُطَرَّرَ الطَّرْتَيْنِ
دَعَا دُعَاءَ طَرُوبٍ مُصَفَّقِ الْكَفِينِ يَزْهِي بِتَاجِ وَطُوقٍ كَأَنَّهُ ذَوْرَعَيْنِ

وَقَالَ السَّرِيُّ الرَّفَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَاحُ قَنَاعَهُ فَتَأَلَّقَا وَسَطَا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ فَأَطْرَقَا
وَعَلَا فَبَشَرَ بِالصَّبَاحِ مُدْرَعٌ بِالْوَشِيِّ نُوجٌ بِالْعَقِيقِ وَطُوقًا
مُرْخِي فَضُولِ النَّجَاجِ فِي لُبَّاتِهِ وَمُشْمَرٌ ثَوْبًا عَلَيْهِ مَغْمَقَا

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِ :

وَقَامَ فَوْقَ الْجِدَارِ مُشْتَرَفٌ كَمَثَلِ طَرَفِ أَعْلَاهُ أَسْوَارُ
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ كَأَنَّهَا الْعَرَفُ مِنْهُ مَنَشَارُ

وَمِنْ أَجُودِ مَا قِيلَ فِي وَصْفِ النَّعْمَانِ قَوْلُ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ :

وَمَكَانَ زَعَلٍ ظَلَمَانُهُ كَرَجَالِ الْحُبُوشِ تَمْشِي بِالْعَمَدِ
فَقَالَ شَبَّهَ أَعْنَاقَهَا إِذَا مَدَّتْ بِالْعَمَدِ . وَمِنْ أَحْسَنِ تَشْبِيهِ أَخْذِهِ الْعَمَانِي :

كَأَنَّهَا حِينَ مَدَّتْ عُنُقَهَا حَرَقَا سُودُ الرِّجَالِ تَعَادَى بِالْمَزَارِيقِ

وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ « مَدَّتْ أَعْنَاقَهَا » وَالَّذِي قَالَ رَدِيءٌ ، وَوَقَدْ جَاءَ مِثْلُهُ :

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَيْنَةَ :

يَاجِنَةٌ فَانْتَ الْجَنَانُ فَمَا تَبْلَغُنَا قِيَمَةً وَلَا تُؤْمِنُ
أَلْفُنَا فَانْخِذْنَا وَطَنًا إِنَّ فَوَادِي لِحُبَّهَا وَطَنُ

أنظر وفكر فيما تطيفُ به
من سفنٍ كالنعامِ مقبلةٍ
ومثله قوله :

زر وادىَ القصرِ نعم القصرُ والوادي
ترقى قراقيرُهُ والعيسُ واقفةٌ
وقول الآخر :

كأنَّ بالسهبِ على خربائه
يضحكُ جنُّ الأرضِ من نجائه
يعنى الغبار المنعرج خلفه . وقلتُ في فاخنة :

مررتُ بمطرابِ الغداةِ كأنَّها
تُعلُّ مع الاشراقِ راحاً مُفلفلاً
ويروى « تُعلُّ رحيقاً في الفُصونِ مُفلفلاً » :

منمرة كدراء تحسبُ أنها
بَدَتْ تيجلي للعينِ طوقاً ممسكاً
لها ذنبٌ وافي الجوانبِ مثل ما
اذا حلفت في الجوِّ خلتَ جناحها
وقال أبو نواس في حياريات :

يخطرُنَ من برانس قُشوب
من حبيرِ عُولينَ بالتذهيب
فهنَّ أمثالُ النصرارى الشيب

وقلتُ في قبجة (٢) :

أهديتها كهلديَّ آنسة
تلبسُ سُمورةَ مُشمرةً
وقد جرى المسكُ من محاجرِها
وهي سليلُ النواشِرِ النفرِ
تصونُ أطرافها من العفرِ
فضمَّ لَباتها مع الثفرِ

تُحَطَّرُ فِي حِلَّةٍ مُصَدَّرَةٍ كَأَنَّهَا حَمِينٌ نَقَطَ قَرَطْمَهَا
 وَاحْمَرَّ مَنقَارُهَا وَمَنخَرُهَا وَقَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي طَيْرِ الْمَاءِ :

كَأَنَّا يَصْفَرْنَ مِنْ مَلَاعِقِ صِرْصِرَةَ الْأَقْلَامِ فِي الْمَهَارِقِ
 وَنَقَلَهُ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ أَيْضًا :

يَصْفَرُّ أحيانًا إِذَا لَمْ يَهْزَجْ مِنْ مِثْلِ حَرْفِ الْمَجْدَحِ الْمَغْنَجِ

المجدح : ما يجدهح به السويق ، والمغنج : المعطف .

وَأَحْسَنَ مَا شَبَّهَ بِهِ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الْأَعْرَابِ يَصِفُ طَيْرًا أَنشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ :

يَضْرِبْنَ أَحْنَاكَ إِلَى الْمَاءِ كُلِّهَا لَبِيقٌ كَمَفْرُوجِ الْمَنَاقِيشِ أَسْجَحْ
 لَبِيقٌ : أَي رَفِيقٌ بِذَلِكَ حَازِقٌ بِهِ ، يَقُولُ هَذِهِ الْأَحْنَاكَ لَبِيقَةٌ بِالشَّرْبِ ،

والمفروج : المفتوح ما بينه . وَقَلْتُ فِي الْخَطَّافِ :

وَزَائِرَةٌ فِي كُلِّ حَامٍ تَزُورُنَا فَيُخْبِرُنِي عَنْ طَيْبِ الزَّمَانِ مَزَارُهَا
 تُخْبِرُنِي ^(١) أَنَّ الْجَوَّ رَقَّ قَمِيصُهُ وَأَنَّ الرِّيَاضَ قَدْ تَوَشَّى إِزَارُهَا
 وَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ رَاعٍ أَخْضَرَارُهَا وَأَنَّ وَجْهَ الْأَرْضِ رَاعٍ أَخْضَرَارُهَا
 تَحْنُ الْيَنَا وَهِيَ مِنْ غَيْرِ شَكْلِنَا فَتَدْنُو عَلَيَّ بَعْدَ مِنَ الشَّكْلِ دَارُهَا
 فَيُعْجِبُنَا وَسَطَ الْعَرَاصِ وَقَوْمُهَا وَيُؤَنِّسُنَا بَيْنَ الدِّيَارِ مَطَارُهَا
 أَغَارُ عَلَيَّ ضَوْءِ الصَّبَاحِ قَمِيصُهَا وَفَازَ بِالْوَانَ اللَّيَالِي خَارُهَا
 تَصْبِيحٌ كَمَا صرَّتْ نَعَالُ عَرَائِسِ تَمَشَّتْ إِلَيْهَا هُنْدَاهَا وَنَوَارُهَا
 تَجَاوَرُنَا حَتَّى تَشَبَّ صَفَارُهَا وَتَقْضِي لَبَانَاتِ النَّفُوسِ كِبَارُهَا

وَلَمْ أَسْمَعْ فِي ذَلِكَ أَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ :

وَعَرِيبَةٌ حَنَّتْ إِلَى أَوْطَانِهَا جَاءَتْ تَبْشِرُنِي بِالزَّمَانِ الْقَبِيلِ

(١) فِي النِّسْخِ مَهْمَلَةٌ مِنَ النِّقْطِ .

فرشت جناح الآبنوس وسطرت
وقلت في أصواتها :

أياعجباً من أنس لك نافر
يزور على بُعد المكان ولم يُرِدْ
له في الذرَى شذرٌ يَمُرُّ وينثى
وهذا معنى لم أسبق إليه . وقال أبو نواس في أصوات الخطاف :

كأنَّ أصواتها في الجوّ طائرةٌ
وقال ابن المعتز في البازي :

فارسٌ كفَّ مائل كالأسوار
ذو جُجُوٍّ مثل الرخام المرمار
أو مصحفٍ منمّمٍ بأسطار
ومقلّة صفراء مثل الدينار
يرفع جفنًا مثل حرف الرُّنار

وهذا تشبيه في غاية الاصابة . ومن أحسن ما قيل في منسر البازي قول أبي نواس :

ومنسر أكلف فيه شيخنا كأنه عقد ثمانينا

وقال ابن المعتز في عين البازي وأجاد فيه :

ومقلّة تصدقه إذا رمق
كأنها نرجسة بلا ورق

وقال أبو نواس :

في هامة عليها تهدي^(١) منسراً
كمطفة الجيم يكف أعسرا

وقال ابن المعتز في بُزاة :

وقتيان غدوا والليل داج
وَضوءُ الصبح متهمُ الطلوع
كأن بُزاتهم أمراءُ جيشٍ
على أكتافها صدأُ الدروع

وقال في عين البازي * كأنها في الرأس مسمار ذهب *

(١) في الأصل « غلباء تهدي » .

وقال أيضاً: ومنسر غضب الشباه دام كعقدك الحسينَ بالايهام
وخافق للصيدِ ذى اصطلام ينشره للنهض والاقدام

كنشرك البردَ على المستام

وقال أيضاً: ذى جؤ جؤ محبر موشى ومقلة تلحقُ بالقصى
كانها دينارُ صيرفى واتصلت براته القوهى

صاف كفصنِ الذهبِ المجلى

وقال أيضاً: أقر من ضرب بزاة قمرٍ بصقل حلاقاً شديد الطحر
كانه مكتحل متبر في هامة لت كلم الفقر
تريح ان راح لأمرٍ بهر من منخرٍ رحب كعقدِ العشر
وقلت في الصقر:

وصلتان فلتان أتمر كأنه إذا هوى للأعفر
مُعبرٌ بهوى الى مزعفرٍ بأبيض من البزاة أقر
منمن الصدرِ كصدرِ الدفتر بمثل اهداب جفون الاحور
وقلتُ: بصلتان سلط جسور تخاله في مفصل مزور
ضم جناحيه على سمور معوج المنسر والأظفور

كالجيم في منقطع السطور

وقلت في عصفورة يقال لها السقا:

ومفتنة الألوانِ بيض وجوها ونمر تراقبها وصفر جنوبها
كان دراريماً عليها قصيرة مرقمة أعطافها وجيوبها
تعدل أوان الأغاني كأنما تعدل أوزان الأغاني عريها
تسام استقاءً في العشاء إذا عرى وعطل أيام المصيف ذنوبها

وكان الأصمعي يتعجب من حسين بيت الطرماح في صفة الظليم

مجتاب . وقلت في بلابل:

مررتُ بدكن القمص سودِ العائمِ تغنى على أعرافِ غيدِ نواعمِ
 زهينَ بأصداغِ تروقُ كأنها نجومٌ على أعضاءِ أسودِ فاحمِ
 ترى ذهباً ألقتهُ تحتَ ماخرِ لها ولجيناً بطنه بالمقادمِ
 فياحسنَ خلقٍ من نضارِ وفضةٍ وخزٍ وديباجِ أحمرٍ وقاتمِ
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أبي ذكوان وأبي خليفة عن التوزى قال
 قال عمرو بن الحارث الجمحى مارأى الأصمعى مثل نفسه قال الرشيد يوماً أنشدونا
 أحسن ما قيل في وصف العقاب فعذر القوم ولم يأتوا بشئ فقال الأصمعى أحسن ما قيل فيها:
 باتتُ يورقها في وكرها سغبٌ وناهضٌ يخلص الأثقات من فيها
 وقال امرؤ القيس :

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً وباساً لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالى
 فقال الرشيدُ ما بعلٌ ^(١) القوم بشئ إلا وجدت عندك فيه شيئاً .
 وقال آخر في الغراب :

وجرى بينهم غداةً تحملوا من ذى الأبارقِ شاجحٌ يتفندُ
 شبحُ النسا خرقُ الجناحِ تحالهُ فى الدارِ إثرَ الظاعنينَ مُقيدُ
 وقال آخر فى عقق :

إذا بارك اللهُ فى طائرٍ فلا بارك اللهُ فى عققِ
 طويلِ الذنابِ قصيرِ الجنا حمتى ما يجد غفلةً يسرقِ
 يُقلِّبُ عينينِ فى رأسه كأنهما قطرتا زئبقِ

وقال آخر فى الزنابير :

لها حماةٌ كأنها شعرٌ تظهرُ مسودةً وتسترُ
 قد أذهبت فى الجبينِ غرته إذ فضضت فى جياتنا الفررِ
 وقلت فى ظبية داجنة وقارى :

(١) بعل بأمره كغفرح : دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع .

فيها مؤانسةٌ لنا وحشيةٌ
تختالُ في متصنل متكفر
تومى بناظرها إلى ظمياء
تبراً أضرَّ بفضة بيضاء
ودقيقة الأطراف وهي جسيمةٌ
رياً تمرر في متونِ ظاء
ومغنيات من وراء سنائرٍ
مشقوقة الأوساط والاحناء
غنتُ فلم تحوج إلى مشهورةٍ
وَشَدَّتْ فلم تفقر إلى الميلاء
تبدو على أعناقهنَّ أهلةٌ
سودٌ تبدل ظلمة بضياء

﴿ الفصل السادس من الباب العاشر ﴾

(في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء
والضب والبق والبراغيث وما يجري مع ذلك)

كتب الصحاب أبو القاسم في وصف قنفذ : قد آخفتك ياسيدي بملق نفيس
يتعجب المتأمل من أحواله ويحار الناظر في أوصافه ويتبدل المعبر في آياته فما تعرف
بديهة النظر أمن الحيوان هو أم من الجماد أم هو من الشجر أم من النبات ومن
الناطق هو أم من الصامت أم من الحار أم من البارد أم من الرطب أم من اليابس
حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه والفحص أكمل شروطه علم أنه حي
سلاحه في حصنه ورام سهامه في ضمنه ومقاتل رماحه على ظهره ومخاتل سره خلاف
جهره ومحارب حصنه من نفسه يلقاك بأخشن من حد السيف ويستتر بألين من
مسه حتى إذا حذر جمع أطرافه فتحسبه راوية قتاد أو كرة حشرف ومتى أمن بسط
أ كفافه وهي أمضى من الأجل وأرمى من عمل ان رأته الأرقام رأته حينها أو
عاينته الأساودعاينت حتفها صملوك ليل لا يحجم عن دامسه وحارس ظلام لا يجبن
في حنادسه - شعر :

كغشم الفتيان غير مهبل سهد إذا ما نام ليل الهوجل

لجمره من الضب شبهه ومن الفأر شكل ومن الورد نسبة ومن الدليل
سبب ولم أعمه عايك هو أنقد ولذلك قيل من لم يذق غماضاً ولم يرقد حثاناً
بات بليلة الأنقد ، وذكره الشيهم وهو الشيطان وأثناء عيمة معرفة لا يدخل الألف
واللام عليها كمنخوط ودجلة وكحل ، ولا أعنيك هو القنفذ ، ومن أحواله أن العرب
تسلخ جلده فتخرجه كالشحمة البيضاء وتجعله من أنف ما كلفه وأفخر مطاعها حتى تراه
أرفع من الأفاعى وأنفع من الجرذان وتدعى جهلة الأعراب انه من مراكب
الشيطان وهو أطف من الفرس حساً وأصدق سمماً وقد جاء في المثل (أسمع من
قنفذ) ومن أوأبده أنه يسود إذا هرم وبصير كأبر ما يكون من الكلاب وأعظم
ويشبهه به ركب المرأة عقب التنف والنورة ولذلك قال ابن طارقي في أرجوزته :
بصيرٌ بعدَ حَلَقِهِ ونورَتُهُ كقنفذِ القفِّ اختبي في فروته
ويشبهه الساعى والنمام به لخبثه ومكره واضطرابه في ليله قال أيمن به خريم :
كقنفذِ الرملِ لا تخفى مدارجُهُ خبٌّ إذا نامَ ليلُ الناسِ لم يَتم
وقال عبدة بن الطبيب (١) :

قومٌ إذا دَمَسَ الظلامُ عليهم حدجوا قنفاذَ بالنيمة تمرعُ
وقال جرير :

يَدبُّونَ حَولَ رِكيَاتِهِم ديبَ القنفاذِ في العرفج
فخذنه ياسيدي ممتعاً واقبله شاكرًا برى فيه فاحتط عليه احتياط الشحيح
على ماله والجبان على روحه وارغب إلى الله تعالى في حفظه واسأله إطالة عمره وهو
حسبي ونعم الوكيل .

ولم أسمع في صفة الهرة أظرف من قول ابن طباطبا العلوى الاصفهاني قال فيها :
أرقتُ مُقلتي لِحَبِّ عَرُوسِ طفلةٍ في الملاحِ غيرِ شمس
فتنتني بظلمةٍ وضياءٍ إذ بدت لي كالماج في الابنوس

(١) هو الشاعر الفحل الشجاع الذي شهد الفتوح ، وقال فيها شعراً .

تلقى الظلام من مقلتها بشماع يحكى شمع الشموس
 ذات دك قصيرة كلما قا مت تهادى طويلة فى الجلوس
 لم تزل تسبع الضوء وتثقى كل عضولها مس التنجيس
 دأها ساعة الطهارة دفن العنبر الرطب فى الخنوط اليبس
 ومن أجود ما قيل فى الحية قول النابغة :

صل صفا لا ينطوى من القصر طويلة الاطراف من غير خفر
 مهروثة الشدقين^(١) حولاء النظر نفتر عن عوج حداد كلابر

داهية قد صغرت من الكبر

وقال الآخر : خلقت لها زمة عرين ورأسه كالقرص فطح من دقيق شعير
 فكان شديقه إذا استعرضته شدا عجز مضمضت لظهور
 وأجاد خلف فى قوله :

ثم آى بحية مانجى أبت مثل بيدق الشطرنج

وليس من شعر المحدثين فى الحية أحسن من قول ابن المعتز :

كأنى ساورنى يوم بينهم رشاء مجدولة فى لونها بلق
 كأنها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه النور والورق
 ينسل منها لسان تستغيث به كما تعود بالسبابة العرق
 وقوله أيضاً :

أنعت رشاء لايجي لديقتها لو قدما السيف لم يعلق به بلل
 تلقى إذا انسلخت فى الأرض جلدتها كأنها كم درع قده بطل
 وقلت : وخفية الحركات تقترع الربى كالبرق يدع فى الغمام الرائح
 منقولة تحكى بطون صحائف ابان تبدو من بطون صفائح
 ترضى من الدنيا بطل صخيرة ومن المعاش باشقام روائح

(١) أى واسعة الشدقين .

وهذا من قولهم ان الحية إذا هرمت لم تحتج الى الطعام واكتفت بالنسيم .
وقال اعرابي :

وحش كحلقة السوارِ غايتهُ شبرٌ من الاشبارِ
كأنه قضيبُ ماءٍ جارٍ يقرُّ عن مثل تلظي النارِ

وقال آخر : يرقونه فكأنما يعنى برقيقته سواء

وقال أبو العباس ثعلبٌ يُقالُ انه لم يسمع في صفة الحية أحسن من هذا البيت وأنشد:

كأنما لسانه على فيه دخانٌ مصباح ذكت ذواكبه

وقال عبد الصمد بن المعدل في العقرب :

ياربِّ ذى إفاك كثيرٌ خدعه يبررُّ كالقرنين حين يطلعه

في مثل ظهر السبت حين تطلعه أسود كالسيحة فيه مصعبه

لا تصنع الرقشاء ما لا تصنعه

وقلتُ فيها أيضاً :

وإذا شتوتُ أمنت لسة عقرب كالنارِ طارت من زنادِ القادح

قد خلتها تمشى بسبحة عابد كلالقدمشى بصعدةٍ رامح

وقال آخر: يحملُ رمحاً ذا كهوبٍ مشتهر فيه سنانٌ كالخريق يستعر

انفَ تأنيفاً على حسن قدر تأنيفِ أنفِ القوسِ مُشدَّتْ بالوتر

ومن أحسن ما قيل في الحرباء وهي دويبة شبيهة بالعظاة تأتي شجرة بالتنضبة

فتمسكُ بيديها غصنين منها وتُقابلُ الشمس بوجهها فكما زالت عين الشمس

عن ساق منها خلت يديها عنه وأمسكت بساق آخر حتى تغيب الشمس فتسبح

في الأرض وترتعُ قال أبو دواد :

إني أتيج لها حرباءُ تنضبة لا يرسلُ الساقُ إلا ممسكاً ساقا

والعرب تقول أحزمُ من الحرباء لأنها لا ترسل غصناً إلا أمسكت بأخره ،

وَبَشَّبَهُ بِه الرَّجُلُ الْخَصِيفُ ^(١) الَّذِي لَا يَتْرُكُ سَبَبًا إِلَّا أَخَذَ بِسَبَبِ أُمَّتِنِ مِنْهُ .
قال ابن الرومي في امرأة ورقبيها :

مابالها قد حسنت ورقبيها أبدأً قبيحٌ قبيحُ الرقباء
ماذاك إلا أنها شمسُ الضحى أبدأً يكونُ رقيها الحرباء

وقال بعض العلماء : الحِرباءُ فارسيَّةٌ معرَّبةٌ وأصلها خورباء أي حافظ الشمس ،
وخور اسم للشمس بالفارسية . وكان ذو الرِّثمة أنعت العرب للحرباء قال :

ودوَيْتَ جرداء جرداء خيمت بها صبواتُ الصيفِ من كل جانب
كأنَّ يدي حربائها متمسكاً يدا مُذنبٍ يستغفرُ اللهُ تائب

وقال أيضاً : وقد جعل الحرباء يصفر لونه
ويسبح بالكفين سبحاً كأنه
وقال أيضاً : يصلى بها الحرباء للشمس مائلاً
إذا حوّل الظل العشي رأته
ويخضرُّ من حرِّ الهجير غباغه
أخو فجره أوفى به الجذع صالبه
على الجدل إلا أنه لا يكبر
حنيفاً وفي قرن الضحى يتنصّر

وهذه تشبيهاتٌ مصيبةٌ مجيبةٌ الاصابة دالةٌ على شدة الخلق وثقوب الذهن ، وقد
أجمعت العرب أن ذا الرمة أحسنهم تشبيهات . وقال ابن المعتز :

ومهمه فيه بيضات القطا كسرا كأنها في الأفاحيص القوارير
كأنَّ حربائها والشمسُ تصهره صال لنا من لهيب النار مقرر

وهذا تشبيهٌ مصيبٌ أيضاً إلا أنَّ للأول ماءً وطلاوة ليس لذا .

ومن أحسن ما قيل في الضب قول الحماني :

تري ضبِّها متسعاً رأسه كما مدَّ ساعده الأقطع
له ظاهرٌ مثل بردِ الوشي وبطنٌ كما حسر الأصلع
هو الضبُّ ما مدَّ سكاكه فاذ ضمَّه فهو الضفدع

ومن أجود ما قيل في البعوض وأجمعه قول بعضهم أنشده أبو عثمان :

(١) في نسخة « الخصيف » وفي أخرى « الخليف » ولعل الصواب ما أثبتناه .

إذا البعوضُ زجلتُ أصواتها وأخذَ اللحنُ مُغنياتها
 لم تُطرب السامعُ خافضاتها وأرقَ العينين رافعاتها
 صغيرةٌ كبيرةٌ أذاتها يقصر عن بُغيتها بُغاتها
 ولا يصيبُ أبداً رُماتها راحةُ خرطومها قناتها

وقال آخر : * حنانة أعظمها أذاها * وقال ابن المعتز :

بتُّ بلبيلٍ كله لم أطرفِ قرقسه^(١) كالزبير المنتفِ
 يثقبُ الجلدَ وراء المطرفِ حتى ترى فيه كشكل المصحفِ

أو مثل روس العصفر المنتفِ

وقلت : غناءٌ يسخنُ العينَ وينفي قرحَ القلبِ
 ولا يأتي على الزمرِ ولا يجرى مع الضربِ
 غناءُ البقِّ بالليلِ ينافي طربَ الشربِ
 إذا ما طرَّقَ المرءُ جرى في طلق السكرِ
 نحيفٌ راح كالشنِّ ولكن بات كالوطبِ
 إذا ما نقبَ الجلدَ ة أخفى موضعَ النقبِ
 سوى حجرٍ خفياتِ تحاكي نقطَ الكتبِ

وقد ذكروا أن كل معنى للأوائل أخذته المتأخرون وتصرفوا فيه إلا قول

عنتره في الذباب فإنه لم يتعرض^(٢) له ولو رامه من رامه لافتضح وهو قوله :

وترى الذبابَ بها يُغنى وحدهُ زجلاً كفعل الشاربِ المترنمِ
 هزجاً يحكُّ ذراعَه بذراعِهِ فعلَ المكبِّ على الزنادِ الأجدمِ
 وقلت : وبدا فغناني البعوضُ مطرباً فهرقتُ كأسَ النومِ إذ غناني
 ثم انبرى البرغوثُ ينقطُ أضلعي نقطَ المعلمِ مُشكلَ القرآنِ
 حتى إذا كشفَ الصباحُ قناعه قرأتُ لي الذبانُ بالالخانِ

(١) القرقس بالكسر : البعوض . (٢) في الاصل « لا تعرض » .

وكتب أبو القاسم الأمدى : وصار كاتب الديوان أفرغ من حجام ساباط وحسبك أيدك الله أن كاتب الديوان في هذا الوقت شيخٌ كان يخلفني ويخلف من كان يلي الديوان قبلي يُعرفُ بابن نوح حسن الشيبة عظيم الهامة كثير الصمت لو رأيته لقلت هذا نوح النبي ﷺ ستمتاً ووقاراً وليس له عملٌ خاف سلته إلا صيد الذبان فهو أعلم خلق الله بأجناسها إذا مرَّ به ذبانٌ يطيرُ عرفه بطيرانه قبل أن يسقط فيقول هذا ذكرٌ وهذا أنثى وهذا ربيعيٌ وهذا صيفي وهذا مُلِحٌ وهذا لجوجٌ يسقط على العين والأنف ويُطردُ فيعود وهذا يسمع وهذا ليس بلساع وهذا يقع على الأفتار وهذا تزهُ عيوف لا يقع إلا على الماء كل الحلوة والأشياء العذبة وهذا من صيد الليث وهو جنس من العناكب وليس هذا من صيده وهذا يقع في شبكة الخدرنق - وهو المنكبوت الطويل الأرجل - وهذا يسفندٌ وهو يطير وهذا لا يسفند إلا واقماً وهذا مما يدخلُ رأسه في رؤوس الذبان السبعة التي تقع في الأحكال لأنه أقرح وهذا ان وقع رأسه في كل عى من يكتحل به لأنه أحمر الجبهة وهذا يقبل بدنه على خرطومه وهذا لا يقبل وهذا هزجٌ مغنٌ وهذا صموتٌ وهذا يُنذِرُ وهذا يُبشِّرُ بطنينه وزمزمته فيصدق فيما يعدُّ ويوعدُ ويكون ذلك أخذاً بالكف . وقد ألف فيها كتاباً حسناً فيه نوادر وعبر . وظننته قد نظر في باب الذباب والبعوض من كتاب الحيوان واستقى من هناك ففاتحته فإذا هو لا يعرفُ الجاحظ ولا سمع بكتاب الحيوان قط ونظرت فإذا أبو عثمان لم ينته في معرفة الذباب إلى شيء مما انتهى إليه وعرفه .

ومن أجود ما قيل في البراغيث قول بعضهم وقد ظرف في ذلك :

فيا لعباد الله ما لقبيلة إذا ظهرت في الأرض شدَّ مغيرها

فلا الدينُ بينها ولا هي تنتهى ولا ذو سلاح من معدٍّ يضيرها

وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرِّى طيبُ بلادهم وأن أميرَ الرِّى يجي بنُ خالدٍ

بلاذٌ إذا جنَّ الظلامُ تقاقرت
ديازجةٌ سودُ الجلودِ كأنها
وقلت: ومن براغيث تنفي النوم عن بصرى
يطلبن منى ثاراً لستُ أعرفه
إلا عداوة سودانٍ لبيضان

وقد شكاهن الرماح الأسدَى فأحسن في قوله :

تطاوَلَ بالفسطاط ليلٍ ولم يكن
يؤرقني حُذبٌ صغارٌ أذلةٌ
إذا ما قتلناهنَّ أضعفنَ كثيرةً
ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً
بجنو الفضا ليلي على بطولٍ
وان الذي يؤذينه لذليلٌ
علينا ولا ينعي لهنَّ قتيلٌ
وليس لبرغوثٍ إلى سبيلٍ
وقال ابن المعتز :

وبراغيث ان ظفرنَ بجسمى
وأما القمل فأعجب ما قيل فيه قول بعضهم :

للقمل حولَ أبي العلاءِ مصارعٌ
وكأنهنَّ إذا علونَ قميصه
وقد أبدع جرير في قوله :

تري الصيبانَ ما كفةً عليه
وقلتُ في النمل :

وحىَّ أناخوا بالمنازلِ باللوى
إذا اختلفوا في الدارِ ظلتُ كأنها
إذا طرقوا قِدرى مع الليلِ أصبحت
لهم نظرةٌ يمخى ويُسرى إذا مشوا
فصاروا بها بعدَ القطارِ قطينا
تبددٌ فيها الريحُ بزرَ قطونا
بواطنها مثلَ الظواهرِ جونا
كما مرَّ مرعوبٌ يخافُ كينا
يجرونَ خيطاً في الترابِ مبيدنا
تضمُّ صنوفاً منهمُ وفتونا

فيا مَنْ رَأَى يَتَأُ بِضِيقٍ بِخُمْسَةٍ وفيهِ قَرِيَّاتٌ يَسْعُرُ مِثِينَا
 قالوا ومن الأبيات الجامعة للشرِّ قول بعض القدماء :
 به البقُّ والحُمى وأسدُّ خَفِيَّةٌ وعمرو بن هُندٍ يعتدى ويجورُ
 وبالمصرِ برعوثٌ وبقٌ وحصبَةٌ ومُحمى وطاعونٌ وتلك شرورُ
 وبالبدوِ جُوعٌ لا يزالُ كأنَّهُ دُخانٌ على حدِّ الأكامِ يمورُ
 ألا أتمَّ الدنيا كما قالَ ربُّنا لأحمدٍ حُزنٌ تارةً وسرورُ
 وقلت في الجراد :

أجنحةٌ كأنها أرديةٌ من قصبٍ لكنها منقوطةٌ مثل صدورِ الكُتبِ
 وأرجلُ كأنها مناشِرٌ من ذهبٍ
 وقلت : وأعرابيةٌ ترْتادُ زاداً فتمرقُ من بلادٍ في بلادٍ
 غدت تمشي بمنشارٍ كليل تبوعُ به قرارةً كلِّ وادى
 وتنشر في الهواءِ رداءَ شربٍ على أرجائه نقطُ المدادِ
 وتلبس تحت ذاك عطفٍ لاذٍ على أكنافه ودع الجسادِ

ومن عجيب ما قيل في الفأر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن سعيد عن الرياشي قال دخل اعرابيُّ البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر فقال في ذلك :

عجل رَ بُّ الناسِ بالمقابِ لعامراتِ البيتِ بالخرابِ
 كحل العيونِ وقص الرقابِ مجرداتِ أجبلِ الأذئابِ
 مثل مدارِ الطفلةِ الكعابِ كيف لها بأنمرٍ وثابِ
 مُنهرتِ الشدو حديدِ الثابِ كأنما يكشرُ عن حرابِ

يفرسها كالأسدِ الوثابِ

آخر الباب العاشر من كتاب ديوان المعاني والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد وآله وصحبه والخلفاء الراشدين من بعده .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله على ما أراد بنا من عاجل الخير وآجله ومؤتنته وراهنه فجعل لنا في أنفسنا مواعظ وفي أبداننا زواجر يردنا ويهدينا ويكفنا عما يُردينا من مرض بعد صحة وشيبة بعد شبية لنعتمر بتغير الأحوال علينا وتغير الحدائق إيانا حمداً تتألف أشتاتُه وتتصلُ مواده ، وصلى الله على محمد وآله .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرأى)
والزهد وما يجري مع ذلك وهو :

﴿ الباب الحادى عشر من كتاب ديوان المعانى ﴾

فأولُ ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصُّولى قال سمعتُ ابن الأعرابى يقولُ
لأعرفُ في التفجع على الشباب وفي ذم الشيب أحسن من قول أبي حازم الباهلى
على قُرب عهده :

لأنكذبنَّ فما الدنيا بأجمعها من الشبابِ بيوم واحد بَدَلُ
شَرَحَ الشبابِ لقد أبقيتَ لى أسفاً ما جدَّ ذكرك إلا جدَّ لى نكلُ
كفالك بالشيب ذنباً ^(١) عندَ غانيةٍ وبالشبابِ شفيماً أيها الرَّجُلُ

(١) في نسخة « كفالك بالشيب عيباً ».

وأحسن منه عندي قول منصور النمرى (١) :

ما تنقضى حسرةٌ منى ولا جزعٌ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ
 بان الشبابُ ففانتنى بشرته (٢) صروفُ دهرٍ وأيام لنا خُدعُ
 ما كنتُ أو في شبابي كنهَ غرتِه حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع
 قوله (فاذا الدنيا له تبع) من أشرف كلام وأنبله وأجمعه وأجزه ، وسمعه الرشيد
 فقال نعم لاخيري دنيا لا يُخطر فيها ببرد الشباب . وقال محمود الوراق :

لا يحسن النسك والشباب ولا البطالاتُ والخضاب
 كلُّ نعيمٍ وكلُّ عيشٍ قبلَ الثلاثينَ يُستطاب

وقال غيره :

فقاتٌ وهل بعدَ الثلاثينَ مَلَبٌ فقلتُ وهل قبلَ الثلاثينَ مَلَبٌ
 وأخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا الفضل بن الحباب الجمحي
 قال حدثنا محمد بن سلام قال من كلام يونس بن حبيب : الكبر وكل عيب والعزل
 وكل ذم والولاية وكل مدح والشباب وكل صحة واليسار وكل فضيلة والفقر وكل
 ذلة . وقال ابن المعتز :

لهفي على دهر الصبا القصيرِ وعُصْنِه ذى الورقِ النضيرِ
 وسُكْرِه وذَنْبِه المغفورِ و مَرَحِ القلوبِ فى الصدورِ
 وطولِ حبلِ الأملِ المجرورِ فى ظلِّ عيشِ غافلٍ غريرِ
 أغدو وجنى الصبا أميرى ملء العيونِ الغاياتِ الحورِ

وقال الحماني :

وأيامه الغرُّ مثل الخطوطِ فى المسكِ فوق خُدودِ الحسانِ

(١) من شعراء الدولة العباسية ، استقدمه الفضل به يحيى واستصحبه ثم وصله
 بالرشيد ، وفي حضرته أنشد هذه الأبيات .

(٢) شِرة الشباب : نشاطه ، وفى الأغاني (بلدته) .

ليالى أنت جُذيل الصِّبَا
وقال أيضاً: أيام كنتُ من الغواي
وأيامه وعُذيق الغواي
كالسوادِ من القلوبِ
بين المخانقِ والجيوبِ
فاذا استطعنَ خبائني

وقال أبو عبد الله بن المعتز:

يا قلبُ ليسَ الى الصبا من مرجع
وقال يصف نفسه في شبيبته:

من بعد ما قد كنتُ أي فتى
فاذا رأني عَيْنُ غَائِبَةٍ
كقضيبِ بانِ ناعِمِ رَطْبِ
فإذا رأني عَيْنُ غَائِبَةٍ
فليست تحطاني الى من ورائي
وقال أعرابي: سقى الله أياماً لنا وليالياً
لهنَّ بأكنافِ الشبابِ ملاعبُ
إذ العيشُ غُضُّ والشبابُ بَغْرَةٌ
وشاهدُ آفاتِ المحبينَ غائبُ

وأما آتى بالبيت والبيتين لأنني أعتد الفقرة فأوردها وأقصد النادرة فأكتبها
وأتوخى المعنى الشريف واللفظ الظريف فأزفهما اليك وأجلوهما عليك ولو
تحدقت^(١) في المعاني وأضفتُ الى كل شيء منها شكلاً وقرنتُ اليه مثله أو أكثر
من عدد ما أورده من الأبيات لصار كل فصل من فصول كتابنا باباً طويلاً وكل
باب منه كتاباً كبيراً حتى يكون جديراً بالاملال والاضجار وداخلاً في حدِّ
الاكثار والاهذار ونعوذ بالله منهما.

تذكرُ إذ أنتَ قضيبُ رطيبِ
خالطَ ماء الحسنِ في وجهه
عليه للحسنِ رداءُ قشيبِ
إذا مشى يخطر في برده
غابِر فيه الشكل حسن رطيبِ
كنتَ قضيبَ البانِ لم يقتضب
وأنتَ من بعدِ قضيبِ قضيبِ
فألهو مغبِر مغبِر مقاديرمه
مُغفِرُ الوجهِ حريبُ سلبِ

خذ بنصيب من سرور الصبا فما لشيخ من سرور نصيب
وأول من بكى الشباب وذم المشيب عبید بن الأبرص في قوله :
والشيب شين لمن أمسى بساحته
وقال مزاحم العقيلي (١) :

عزاء على ما فات من وصل خلة
ومثل ليالينا بمحطمة فاللوى
وقد أحسن أبو العتاهية في قوله :

عريت من الشباب وكان غضاً
ألا ليت الشباب يعود يوماً
وقلت : قوامه كما شاء المشيب معوج
وفرع جللاه الشيب حتى كأنما
وعهدى به بالأمس جونا كأنما
ليالى جاءتك الليالى عرائساً
حسان الوجوه كالرياض أنيقة
رفاق جلايب النسيم أريجة
وقال رؤبة وأحسن في ذلك :

كرّ الجديدان بنا وانطلقا ولا يجدران إذا ما أخلقا

(١) شاعر فصيح إسلامي صاحب قصيد ورجز كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وكانت الشعراء تقرظه ، روى أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان فقال له أتعرف أحداً أشعر منك ؟ قال لا إلا أن غلاماً من بنى عقيل يركب أعجاز الأبل وينعت الفلوات فيجيد ، ثم جاءه جرير فسأله فأجابه بجوابه ، ثم جاء ذو الرمة فسأله كذلك فأجاب بمثله جوابيهما وقال : غلام يقال له مزاحم يسكن الروضات يقول وحشياً من الشعر لا يقدر على مثله . (٢) أى تقبض جلده .

ولو يبيعان الشباب أنفقا والشيب لاسوق لهان سؤفا
وقال المقنع أظنه :

وذادت عن هواه البيض بيضٌ لها في مفرق الرأس انتشار
جديدٌ واللبيس^(١) أعزُّ منه وأحرى أن ينافسه التجار
وقد أحسن الفرزدق في قوله :

وفي الشيب لذاتٌ تخادع نفسه ومن قبله عيشٌ تعلق جادبه
ومن الشعر الجذل السهل المطيع الممتع القريب البعيد الممكن المتعذر قول النمرى :

ومنازل لك بالحى وبها انخليطُ نزولُ
أيامهنَّ قصيرةٌ ومروروهنَّ طويل
وسعودهنَّ طوالع ونحوسهنَّ أفول
والمالكية والشبا ب وقينةٌ وشمول

ومن أبلغ ما قيل في كراهة الشيب قول البحترى :

وددتُ بياضَ السيفِ يومَ لقينى مكانَ بياضِ الشيبِ حلَّ بمفرقى

وقد أحسن أبو تمام الاحتجاج للشيب في قوله :

فأصغرى أن شيباً لاحَ بي حدثاً وأكبرى أنى في المهدي لم أشب
لاتتكرى منه تجديداً تجلله^(٢) فالسيف لا يردى أن كان ذا شطب

ولا يرو عنك إيماض القتيرِ به فانَّ ذاك ابتسامُ الرأى والأدب

ووجدت بيتاً فاسد السبك فأصلحته وقلت :

نجومٌ مشيبٌ في ظلامٍ شبيبةٍ وما حسنٌ ليلٍ ليس فيه نجوم

وقال أبو عبد الله الإسباطى :

لا يرعك المشيبُ يا ابنةَ عبد الله فالشيبُ زينَةٌ ووقار

أما تحسنُ الرياضُ إذا ما ضحكك في خلالها الأنوار

وقال الخوارزمى - متأخر :

(١) أى الذى لبس كثيراً . (٢) فى ديوان أبى تمام «تخديداً تجلله» .

وقالوا أفق من سكرة اللهو والصبيا فقد لاحَ صبحٌ في دجلكَ عجيب
فقلت لهم كففوا الملامَ وأقصرُوا فانَّ الكرى عند الصباح يطيب
وهذا معنى مליح أظنه ماسبق إليه . وأول من تهاون بالشيب جرير في قوله :

يقولُ العاذلاتُ عَلاكَ شيبُ أهذا الشيبُ يَمْنَعُ مراحى

وتبعه الناس فمن أحسنهم قولاً فيه ابن الرومي حيث يقول :

لاحَ شيبى فرحتُ أَمْرُحُ فيه مَرَحَ الطرفِ في العذارِ المحلى
وتولى الشبابُ فازدَدتُ غيًّا في ميادينِ باطلَى اذ تولى
إنَّ من ساءهُ الزَّمانُ بشىءٍ لأحقَّ امرئٍ بأن يتسلى

وهذا من قول أحمد بن زياد الكاتب :

ولما رأيتُ الشيبَ حلَّ بياضه بفرقِ رأسى قلتُ للشيبِ مرحبا
ولوخلتُ أنى إن كفتُ تحيى تنكبَ عنى رمتُ أن يتنكبا
ولكن إذا ما لكره حلَّ تساحتُ به النفس يوماً كان للكره أذهبا

وفي ألفاظ هذه الأبيات زيادة على معناها ، وأبيات ابن الرومي متوازنة اللفظ

والمعنى مع اصابة تشبيهه في قوله * مرح الطرفِ في العذارِ المحلى *

وقد بالغ في ذم الشيب أبو تمام فقال :

دقةٌ في الحياة تدعى جلالاً (١) مثل ماسمى اللديغُ سليما
غرَّةٌ مرَّةٌ (٢) ألا إنما كنتُ أغراً أيامَ كنتُ بهما

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسى في مشيبي فكيفَ تحبى الخودُ الكهابُ
وقلت : فلا تعجبا أن يعينَ المشيبُ فما عينَ من ذلك إلا معيبا
إذا كان شيبى بغيضاً إلى فكيفَ يكون إليها حبيبا
وقد كنتُ أرقلُ بردَ الشبابِ قشيباً وأرقلُ وشياً قشيبا

(١) في ديوان أبي تمام (جلالاً) . (٢) في الديوان (غررة بهمة) .

إذا ملتُ ملتُ قضيبياً رطيباً وان صلت صلت قضيبياً قضبوا
ومن ملبح ما قيل في الشيب وهزه النساء من صاحبه قول كشاجم :
ضحكت من شبيبة ضحكتُ في سواد اللمة الرجله
ثم قالت وهي هازلة جاء هذا الشيب بالعجله
قلت من حبيك لا كبر شاب رأسي فأنثت خجله
ونثت جفناً على كل هي منه الدهر مكتحله
أكثرت منه تعجبها وهي تجنيه وتضحك له

ومن ملبح ما قيل في ذلك وغريبه قول الآخر :

فظلت أطلبُ وصلها بتعطف والشيب يغمزها بأن لا تفعل
وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقتة إذا جاء فأحسن حيث يقول :
الشيب كرهه وكُرهه أن يفارقتي أحب بشيء على البغضاء مودود
فتبعه على بن محمد الكوفي فقال :

بكي للشيب ثم بكى عليه فكان أعزّ فقداً من شباب
فقل للشيب لا تبرح حميداً إذا نادى شبابك بالذهب
ونقله الى موضع آخر فقال :

لعمرك للشيب على مما فقدت من الشباب أشد فوتا
هذا البيت مضطرب اللفظ والرصف والصنعة فاعتبره :

تمليت الشباب فكان شيباً وأبليت المشيب فصار موتا
وكان من تمام الصنعة أن يقول « أشد فقداً » لقوله « فقدت من الشباب ». وقلت :

والشيب زورٌ يجتوى وقربه لا يرتضى وفقده لا يشتهي
قد يشتهي كل أمرى بلوغه وقل من يبلغه إلا شكا
كأنما الشباب كان فرقةً له من الأنفس حب وقل

وقد أجاد الأعرابي في قوله في صفة الشيب : أكره ضيف وأبغض طيف أحب

غائب وأفجع آيب . وقلت :

تكاف مدح الشيبِ عندي مُعَمَّرٌ
فقلت انظرنى أولاً منه مؤلماً
تصرَّم من عمرى ثلاثونَ حِجَّةً
شبابٌ أطارَ الوجدَ عنى غيَابُهُ
أقمت به صدرَ السرورِ فلم يَزَلْ
فطر بجناحِ اللهُوِ فى زمن الصبا
تناولَ وخط الشيبِ أطرافَ عارضى
ومن المشهور قول دعبل الخزاعى ^(١) :

لا تعجبى يا سلم من رجلٍ
ضحك المشيب برأسه فبكى
ومما يحتج به للمشيب على الشباب أن الشباب قلما يبقى أكثر من أربعين
سنة وقد يعيش المرء فى الشيب التسعين والمائة ، وقال امرؤ القيس فى ذلك :

ألا إنَّ بعدَ الفقرِ المرءَ قنوةً
وبعد المشيبِ طولَ عمرٍ وملبساً
وقال أعرابى : ما بال شيخ قد تحدد لجمه
أبلى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا
سوداء داجية وسحق مفوف
وأجدُّ لوناً بعد ذلك هجانا
قصر الليالى خطوهُ فتداني
وحنونَ قائمَ ظهره فتحاني ^(٢)
والموت يأتى بعد ذلك كلِّه
وكأنما يعنى بذاك سوانا
لأعرف فى وصف الشيب من أول ما يبتدىء إلى أن ينتهى أحسن من
هذا، وقوله (وكأنما يعنى بذاك سوانا) من أبلغ ما يكون من الموعظة . وقلت :

وشبابٍ خفَّ نازله
ومشيبٍ آب نازله
ليتة عادَ كما كانا
ليتة إذ كان ما بانا

(١) شاعر متقدم مطبوع ، هجا الخلفاء ومن دونهم وهرب منهم لكيلا

ينتقموا منه . (٢) فى الاصل « فتدانا ، فتحانا » .

خانني دهر^ه وثقت به^ه رب^ه موثوق^ه به خاننا
وأشدنا أبو أحمد :

وأنكرت^ه شمس^ه الشيب^ه في ليل^ه لمتي^ه لعمرى^ه لليلى^ه كان^ه أحسن^ه من شمس^ه
كان^ه الصبا^ه والسمت^ه يطمس^ه نوره^ه عروس^ه أناس^ه مات^ه في ليلة^ه العرس^ه

ومن بديع الاستمارة في الشيب قول البحترى :

في الشيب زجر^ه له^ه لو كان^ه ينزجر^ه وبالغ^ه منه^ه لولا^ه أنه حجر^ه
إبيض^ه ما سود^ه من فوديه^ه وارتجت^ه (١)
ولفتي^ه مَهْلَةً^ه في الحب^ه واسعة^ه مالم^ه يمت^ه في نواحي^ه رأسه^ه الشعر^ه
ولا أعرف^ه في الشيب أجمع^ه من قول أبي تمام :

غدا الشيب^ه (٢) مختطاً بفودي^ه خُطَّةً^ه سبيل^ه (٣) الردى^ه منها إلى النفس^ه مهبع^ه
هو الزور^ه ينجفى^ه والمعاشر^ه يمجتوى^ه وذو^ه الألف^ه يثقل^ه والجديد^ه يرقم^ه
له^ه منظر^ه في العين^ه أبيض^ه ناصع^ه ولكنه^ه في القلب^ه أسود^ه أسفع^ه
ونحن^ه نرحبه^ه على الكره^ه والرضا^ه وأنف^ه القى^ه في (٤) وجهه^ه وهو أجدع^ه
ومن أعجب^ه ما سمعت^ه في الخضاب قول بعضهم :

عجبت^ه لما^ه رأيتي^ه عادة^ه ما بين^ه غيد^ه
ضحكت^ه إذا بصر^ه نيتي^ه قد^ه تزينت^ه لعيد^ه
ثم ناديت^ه جميعاً^ه يا عتيقاً^ه في جديد^ه
غرنا^ه منك^ه خضاب^ه قد^ه تراءى^ه من بعيد^ه
لاتغالطنا^ه فما نصـلح^ه إلا للصدود^ه

وقال ابن الرومي :

فدعته^ه إلى الخضاب^ه وقالت^ه إن^ه دفن^ه المعيب^ه غير^ه معيب^ه

(١) في الأصل (إرتجت) . (٢) في ديوان أبي تمام (غدا لهم) .

(٣) في الديوان (طريق) . (٤) في الديوان « من وجهه » .

وقال: عذاره كمثل الأنجمي مطرز^ه وفرع^ه كلون العبقري^ه محبر^ه
 وقد كان من صنع الشباب ممسكا فأصبح في كف المشيب مكفر^ه
 فقل للعذول أقصر الآن إنني على الرغم من أنف الصباية مقصر^ه
 كففاك تكاليف الملام كواكب^ه من الشيب في ليل الشيبية تزه^ه
 لوائح من تحت الخضاب كأنما سنى الصبح في وجه الدجينة يكشر^ه
 وأول من ذكر أنه شاب من غير كبر ابن مقبل^(١) في قوله:

ماشت من كبر^ه ولكي أمرؤ^ه عالت قرع^ه نواب^ه الدهر
 فرأيتها عضلا موقحة عزت فما تُسطاع بالكسر
 فلذلك صرت مع الشيبية نازلا في غير منزلي من العمر
 ومن أجود ما قيل في تقارب الخطو قول أبي الطمجان:

حنتي حادثات الدهر حتى كآني خاتل^ه أدنو لصيد^ه
 قريب الخطو يحسب من رأني ولست مقيدا^ه أني بقيد^ه
 وقد أحسن الآخر في قوله أيضا:

الدهر أبلائي وما أبليته^ه والدهر^ه غيرني وما يتغير^ه
 والدهر^ه قيدني بقيد^ه مبرم^ه فمشيت فيه وكل يوم يقصر^ه

وقوله « وكل يوم يقصر » من أحسن العبارة عن ازدياد الضعف وتقصير الخطو
 في كل يوم . ومن أعجب ما قيل في الصلح قول الاعرابي:

قد ترك الدهر عصاتي صنفنا فصار رأسي جبهة^ه الى القفا
 كأنما قد كان ربعا^ه فمعا يمسي ويضحى المنايا هدا
 ومثله قول الآخر:

ثم حسرت عن صفاة^ه نلمع فأقبلت^ه قائل^ه تسترجع
 مارأس ذا إلابينا^ه أجمع

(١) هو تميم بن مقبل من بني العجلان ، مخضرم معدود في الفحول .

ومثله أيضاً :

جلاه عن أهل الهوى قبح الجلا جبين وجه وجبين في القفا
وقال ابن الرومي في معناه بهجو رجلاً يجذب طرفه من قناه الى وجهه :
يجذب من نقرته مُطْرَةً إلى مدى تقصر عن نيله
فوجهه يأخذ من رأسه أخذَ نهار الصيف من ليله
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي لخلاف بن خليفة :

وقام إلى رأسه حاذقٌ فصير من رأسه قرعه
يريك بريقاً كطست الجلا بيض كما نصب الطالعه
فما شوق عيني إلى قرّة كشوق يميني للصلمه
يسكاد وإن لم يردها الضمير تشوق الحليم إلى صفمه
فعلنا عليه بإيماننا نسائله عن خبر الوقعه

وقال مالك بن أسماء :

أواري بذبال على العقب جثتي إذا الصلغ واروا هامهم بالقلانس
تودّ النساء المبصراتي أنه يعار فيستأجرنه للعرانس

وقلت في مدح الخلق :

قتل الشعر من خفيف ثقيل و كثير على الرؤوس قليل
ضيق الشعر حين طال قليلاً ضامه الله من قصير طويل
إنما الخلق راحة وجمال فاشدد الكف بالمريح الجميل
مأرى للحسام يصدأ حسناً إنما الحسن للحسام الصقيل

ويشبهون الرأس المخلوق بالصخرة أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد
عن عبد الرحمن عن عمه قال كان يزيد بن الطثيرة زير نساء يتحدث إليهن فتحدث
إلى امرأة من بنى أسد فهويها وهويته فخطبها إلى أبيها فرده ، وخطبها ابن عم له
فزوجه فدخل عليها ابن عمها وهي تقول :

لم يبق إلا شبحاً وعظماً وأدمعاً تنهلُّ منها سجياً

علمت ما بي فجفوت عالماً من سشم الوصل تجنى الجرماً

فنهاها زوجها أن تتمثل فأنشأت تقول :

تمثلتُ بيتاً ثم أذريتُ دمعاً فن لامنني فيه فبدل مايا

فما أشرف الأيفاع إلا صبايةً وما أضربُ الأمثال الأنداويا

فأتى الزوج أباه فأخبره فأتاها أبوها فقال والله لأن تتمثل لأضربن ظهرك

وبطنك ، فدخل عليها زوجها وهي تقول :

فان تضربوا ظهري وبطني كلاهما فليس لقلب بين جنبيَّ ضارب

فاشدد ذلك على زوجها وهم بطلاقها وخرج مغضباً وإذا يزيد بفنائها وهو يقول :

تراعتُ وأستارُ من البيت دونها الينا وحانت غفلة المتفقد

بعيني مهابةً تحدرُ الدمع منها بريمين شتى من دموع وأثم

فجمع أهل بيته وأخوته وأتى أخاه واستعداه عليه فضر به أخوه وحلقه . فقال

وهو يخلق :

أقول لثورٍ وهو يخلقُ لمتي بعققاء مردودٌ عليها نصابها

ترفقُ بها يانورٌ ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها

فياربَّ يوم قد تغلل وسطها أنا ملرخصات حديث خضابها

تولى بها (١) نورٌ تزفُّ كأنها سلاسل درع لينها (٢) وانسكابها

وأصبح رأسي كالصخيرة أشرفتُ عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

وقد أحسن الفرزدقُ الاستعارة في وصف الشيب وهو قوله :

والشيب ينهض بالشباب كأنه ليلٌ يصيح بجانيه نهار

ولأبي إسحق الصابي أبيات في الصلغ لم يسبق إلى معناها قالها على وجه المجون :

لما رماني الزمان بالصلغ وقلَّ مالي وضاق متسعى

(١) رواية الاغانى « فراح بها » (٢) في الاغانى « خبؤها »

حاسبت عن لثى مزينها حساباً شيخاً للحق متبع
 قلت له اقنع من أصل واجبها بالثلث مما به علمت معي
 واعمل على أنها مزارعة شكوت فيها شكاة متضع
 فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف مني خراج مزرع

ومما جاء في مدح الصلح ما أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأنباري عن ثعلب
 عن ابن الأعرابي قال ألح رجل النظر إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقال له
 إلى أي شيء تنظر؟ قال إلى بطن مندح وهامة صلحاء فقال عليه السلام أما البطن
 فأسفله طعم وأعله علم وأما الهامة فكما قال الشاعر:

بنى إنا المجد آباء لهم شرف صلح الرؤوس وسيا السؤدد الصلح
 وقال آخر: كفى حزناً أني أدب على العصا فيأمن أعدائي ويغضني أهلي
 ويوصى بي الوغد الضعيف مخافة علي وما قام الحواضن عن مثلي
 أقيم العصا بالرجل والرجل بالعصا فما عدلت ميل عصاي ولا رجلي
 وقال محمود الوراق في ذم الخضاب:

يشيب الناس في زمن طويل ولي في كل نالثة مشيب
 وأخفى الشيب جهدي وهو يبدو كما غطى على الريب المرريب
 وقلت: جربت لعارض غيث الليالي تحالك لونه فابيض جله
 وصرت تقص ما يبيض منه أتخلقه إذا ما يبيض كله
 تعز عن الشيبة والله عنها فان الليل ليس بدوم ظله
 وخل الشيب يضحك ناخذاه فان الصبح لا يخفي مطله
 وان حلت عرى اللذات فيه فلست بما قد ماجد جله

﴿ الفصل الثاني من الباب الحادى عشر ﴾

(فى ذكر العلل والامراض والمرائى والتعازى والزهد)

أحسن ما قيل فى الرمذ قول الواثق أنشدناه أبو أحمد عن الصولى قال وجدت
مع هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات من شعر الواثق بالله فى خادم له قد اشتكت عينه :

لى حبيبٌ قد طال شوقى اليه لا أسميه من حذارى عليه
لم تكن عينه لتجحد قلى ودمى شاهدٌ على جفنيه

ومن ههنا أخذ هذا المعنى فتدوول قال ابن الرومى أو الناجم :

قالوا اشتكت عينه فقات لهم من كثرة القتل مسها الوصب
مُحمرتها من دماء من قتلت والدم فى النصل شاهدٌ عجب

ومن بديع ذلك وغريبه ما أنشدناه أبو أحمد عن الصولى أيضاً :

يكسِر لى طرفاً به حمرةٌ قد خلط النرجس فى ورده
ما احمرت العين ولكنه يكحلها من وردتى خده

أخذه من بعض أهل زمانه :

قالوا بدت فى عينه حمرةٌ قد حازها من وردة الخد

فقلت لم يرمدٌ ولكنه يصفح النرجس بالورد

ومن مليح ما قيل فى شكايه الحبيب قول العباس بن الأحنف (١)

زعموا لى أنها صارت تحم ابتلى الله بهذا من زعم

اشتكت أكل ما كانت كما يكسف البدر إذا ما قيل تم

ومما قيل فى اصفرار اللون من العلة قول أبى تمام :

معدن الحسن والملاحه قد أصبـح للسقـم معدناً وقراراً

(١) شاعر غزل شريف مطبوع من شعراء الدولة العباسية ، قدمه المبرد لى

نظرائه وأطنب فى وصفه وقال رأيت جماعة من الرواة يقدمونه :

لم تشن وجهه الجميل ولكن حطت ورَدَ جنتيه بهارا
ونحوه قول أحمد بن إسحق الطالقاني :

لقد حلت الحمى بساحة خدّه فأبدت التفاح بالسوسن الغض
والأصل في ذلك قول عبد بنى المسحاس أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا
أبو اسحق الشطبي قال حدثنا ابن أبي سعيد قال حدثنا الخزامي قال حدثنا عبد
الملك الماجشون عن يوسف بن عبد العزيز الماجشون قال كتب عبد الله بن
طاهر إلى عثمان بن عفان : انى اشتريت لك عبداً حبشياً شاعراً . فكتب اليه عثمان
لا حاجة لي فيه فان قصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم ويشب بكرمياتهم
فاشتراه بنو المسحاس وكان يكسر في كلامه فقال يوسف لحدثني من رآه
في شجرة واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر وينسب بأخبث نسيب ويقول :

ماذا يُريدُ السقامُ من قديرٍ كلُّ جمالٍ لوجهه تبعُ
ما يبتغي خابَ من محاسنها أماله في القباح متسع
لو كان يبغى الفداء قلتُ له ها أنا دون الحبيب يا وجمع

ثم يقول لنفسه « أحسنك والله » يُريدُ أحسنت . وكان كما حدث عثمان
رضى الله عنه فانه ما زال يهجو مواليه ويشب بكرمياتهم حتى قتلوه فضحكت منه
امرأة وقد ذهبوا ليقتلوه فقال فيها :

فان تضحكى منى فيارب ليلة جملتك فيها كالقباء المفرج
وقال أيضاً :

ولقد تحدر من جبين فتاتكم عرق على وجه الفراش وطيب
ومن عجيب ما يُروى له قوله يُمدح نفسه :

إن كنت عبداً فنفسى حرة كراماً أو أسود اللون انى أبيض الخلق
وهذا أحسن ما مدح به أسود .

ومن أحسن ما وصف به نحول العليل قول أبى نواس الحسن بن هانيء :

ياقمرأً للنصفِ من شهره اُبدى ضياءً ثمان بقين
ومن أحسن ما قيل في تهوين الحمى على المحموم قول محمد بن زياد الكاتب :
قالوا محمدُ محمدُ المجدُّ مومجُ والشمسُ تكسفُ ساعةً وتعودُ
فلئن مُحمت فلا مُحمت فانها داءُ الاسودِ وفي الرجالِ اسودُ
وهذا عندي أحسن من قول البحترى :

وما الكلبُ محمومًا وإن طال عمرهُ إلا إنما الحمى على الأسدِ الورد
على أنه معنى مولد وشيء تدعيه العامة ولا تعرف صحته . وقلت :
وقد سررتني انى رأيتك واطئًا على عقبي داء تراخى فأدبرا
وقد ظلَّ يبغى رائد البرء مورداً لديك ويبغى فارط السقم مصدرًا
ولا غرو أن يغشاك عارضُ علة فاني رأيتُ الورد يغشى الغضنفرًا
ولو كنتَ نجمًا ما كسفتَ وإنما كسوفك ان أمسيتَ بدرًا مُنورًا
ومن ذلك قول على بن العباس النوبختي :

لئن تخطتُ اليك نائبةً حطتْ بقلبي ثقلاً من الألم
فالدهرُ لا بُدَّ محدثُ طبعاً في صفحتي كلِّ صارم خذم^(١)
وفي ألفاظ هذا البيت زيادة على معناه . وقال أيضاً في رجل اعتل :
طالَ فكري تعجباً لمصوغ ذهباً كان يقبلُ الاقضاء
والحسامُ الهذاذ^(٢) يزدادُ حسناً كلما زادهُ الصقالُ جلاءً

والرغبة من هذين البيتين في معناهما وأما سببهما ووصفهما فلا خير فيه والبيت
الثاني أصلح والبيت الأول متكلف جداً . وقال عبد الصمد بن المعدل^(٣) بذكر الحمى :
فطوراً ألقبها سُخنةً وطوراً ألقبها فتره

(١) سيف خذم : أى قاطع . (٢) أى القطار .

(٣) من شعراء الدولة العباسية بصرى المولد والمنشأ ، كان هجاءً شديد
العارضة ، أبوه وجده وأخوه من الشعراء .

وقد أعقبت خلق حدةً وأورثوا الفها ضجره
 للعبد أن غاظني لطفه وللحر أن ساءني زجره
 ويربو الطحال إذا ما شبع فتعلو الترائب والصدرة
 وأمسى كافي من معدني لبست ثيابي على ذكركه
 أسائل أهل عن سحتي وأمنهم نظرة نظره
 وأجزع إن قيل بي صفة وأشفق إن قيل بي حمره

ومن أجود ما قيل في الفصد قول ابن الرومي :

أيها البدر لم تزل في كمال الأمر بدرأ وفي النماء هلالا
 كيف كانت عقبي افتصادك كانت صحة مستفاداً واندمالا
 واعتدالاً بين المزاج كما أو تبت في الخلق والخلق اعتدالا
 فمل الله ذاك انك ما زلت لمرضى ما ارتضى فعلا
 وفي الفصد شعر كثير ليس في أكثر ما مر بي مختاراً إلا ما أنشدته لعلي بن
 عبد العزيز الجرجاني :

يا ليت عيني تحملت أملك وليت نفسي تقسمت سقمك
 أوليت كف الطيب إذ فصدت عرقك أجرى من ناظري دمك
 أعرته حسن وجنتيك كما تعيره أن لثمت من لثمك
 طرفك أمضى من حد مبضعه فالخط به العرق واغتم أملك

ومن مליح ما قيل في الزكام ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن أبي ذكوان
 الجرمي قال دعا عيسى بن علي عبد الله بن المقفع الى الغداء فقال : أعزك الله
 لست يومى هذا للكرام باكيل . قال ولم ؟ قال لأنى مزكوم والزكاة قبيحة
 الجوار مانعة من عشرة الاحرار . قال وكانت عجوز من بنى عجل تقول :
 حقر من يحقر الزكام . ولم يمر بي في الصداق شيء مليح أثبتته لك غير أنى سمعت
 لبعضهم أبيتاً في صفر العمامة حتى أشبهت عصا به يعصب بها الصداق وهي هذه الايات :

وقدّمتَ لِي وعَدًّا بأنك مُلبسِي
 فلا تكسني منهنَّ إلا عمامةً
 يقول أناسٌ لي إذا مالبتها
 رأسك هذا من صداعٍ مُعصَّبٍ
 على أن رصفها ليس بمختار . ولبشار بيت حسنٍ فيهِ ذكْرُ الصداعِ وهو قوله :
 حلٌّ من قلبه محلٌّ شرابٍ
 يشتهي شربَهُ ويخشى صداعه
 وقد قارب الآخر :

لطيرتي بالصداع نالت
 وجدتُ فيه اتفاقَ سوءٍ
 فوقَ منال الصداعِ مني
 صدعني مثل صدعني
 وقلت في المعنى الأول :

يقومُ بقامةِ كَنَواةِ قسبٍ
 عليه عمامةٌ قصرتَ ودقتُ
 وينشر لحيه مثلَ الشراعِ
 فتحسبه تعصباً من صداعٍ
 وقال بعضهم في الجدرى :

وجهه للحسن معدنٌ
 نقطُ من جدرى
 فتأمل وتبين
 كدباقي معين

وأما النقرس فقد مرَّ بي فيه آياتٌ جيادٌ أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن
 سوار بن أبي شراعة عن عبد الله بن محمد الدمشقي الكاتب عن محمد بن الفضل
 ابن اسماعيل بن علي بن عبد الله أن أبا الفضل ناله نقرس في رجله فدخل إليه أبوه
 اسماعيل يعوده فقال له كيف أنت يا بني ؟ فقال :

أشكو إلى الله ما أُصبتُ به من ألمٍ في أناملِ القدمِ
 كأنني لم أطأ بها كبدًا من حاسدٍ سرَّ قلبه ألمي
 والحمد لله لا شريكَ له لمحي للأرضِ بدمها ودمي
 مامن صحيحٍ إلا ستنقله إلا يامُ من صعبةٍ إلى سقمِ

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن المبرد وأنى العينا . قال كان أبو علي الحرمازي

في ناحية عمرو بن مسعدة وكان يجري عليه فخرج عمرو الى الشام مع المأمون وتخلف
الحرمازي ببغداد لنقرس ناله فقال :

أقام بأرض الشام فاخذلَّ جانبي ومطلبه بالشام غير قريب
ولاسيا من مفلس حلف نقرس أما نقرس في مفلس بمجيب
أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا قال ذكر اعرابي رجلاً قد
أثرى فقال قد تنقرس ، وذلك تقول الناس إن النقرس يعرض لذوى النعمة
والترفة ، ومنه قول الاعرابي :

فصرتُ بمدَّ الفقرِ والتأيسِ يخشى على القومُ داءَ النقرسِ
ويقال للرجل العالم نقرس وللداهية نقرس قال المتلمس * يخشى عليك من الجباء النقرس *
ومن مليح النوادر ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن يموت بن المزرع قال
حضر الجواز عند أبي يوماً ودخل رجلٌ فقال ما أخرجك عنا فقال أصابتنى خلفه
أما ترى وجهي فقال الجواز ما بين الاختلاف على وجهك . وقال ابنه في الحمى :

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ فليس تزورُ إلا في الظلام
جعلتُ لها المطارفَ والحشايا فعاقتها وبانت في عظامي
إذا ما فارقتنى غسلتنى كأننا عاكفان على حرام

وهذا البيت معيب لان الفسل غير مقصور على الحرام وحده بل هو من الحلال
والحرام جميعا فليس لتخصيص الحرام به وجه . وقلت في حمى نالتني :

وأخيراً أتى رحمتي في حلة الضحى
تنفضني الحمى ضحى وعشبة كما تنفضت في الدجن قادمتي نسر
تذرتني على الورس في وضوح الضحى وتبدله بالزعفران لدى المصر
إذا انصرفت جاء الصداق مشمراً نأرتني عليها في الاذية والشر
وتجعل أعضائي عيوناً دواماً نواصل بين السكب والسجم والهمر
فحسبه طلاً على أقحوانة وعهدى به يمكى حبا بأعلى حمر

ولما تَمَدَّتْ عَدَتْ مِنْهَا بِحِمِيَّةٍ كَمَنْ تَرَكَ الرَّمْضَاءَ وَأَنْفَلَ فِي الْجَمْرِ
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ وَضُرٌّ عَلَى الْأَحْرَارِ بِإِلَّاكَ مِنْ ضَرِّ
 مَنْ مَرَضَ لِمَرَضِ الْجَفُونَ : أَنْشَدَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ قَالَ أَنْشَدَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِنَفْسِهِ :

تَمَارَضْتُ لَمَّا لَمْ تَكُنْ لَكَ عِلَّةٌ وَقَلَّتْ شَهِيدِي مَا بَطَّرَفِي مِنَ السَّقَمِ
 فَلَا تَجْعَلُنَّ سَقَمًا بَطَّرَفَكَ عِلَّةً فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ السَّقَمِ فِي صِحَّةِ الْجَسْمِ
 وَقَالَ غَيْرُهُ :

أَحْبَبْتُ مِنْ أَجَلِهِ مَنْ كَانَ يَشْبَهُهُ وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَعْشُوقِ مَعْشُوقٌ
 وَقَدْ حَلَبْتُ بِجَسْمِي سَقَمَ مَقَلَّتِهِ كَأَنَّ جَسْمِي مِنْ عَيْنِيهِ مَسْرُوقٌ
 وَقَالَ الْأَخِيظَلُّ : كَيْفَ يَضْنِي بَعْدَ مَا كَانِ الضَّنْيُ عَوْنًا لِعَيْنِهِ

وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ وَقَدْ مَرَضَ فَتَخَلَّفَ إِخْوَانُهُ عَنْ عِيَادَتِهِ :

عَلَيْكُمْ لَا يَبَادُ مِنْ عِلَّةٍ وَضَيْفِكُمْ لَا يَسُدُّ مِنْ خَلَّةٍ
 لَا ابْنَ جَفَوْتُمْ دَنَا الْمَمَاتُ وَلَا أَنْ زُرْتُمْ تُنْسَوْنَ فِي أَجَلِهِ
 مَا ضُرُّ مَجْفُوكُمْ جَفَاؤَكُمْ بِالْأَمْسِ فِي جِسْمِهِ وَلَا أَمَلُهُ

وَأَنْشَدَنِي أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصَّوَلِيِّ لِمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْيَزِيدِيِّ :

مَالِي مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْ وَرَغِبْتُ فَيْكَ فَلَمْ تَجُدْ
 الْحَبُّ يُذْهِبُهُ الْأَذَى فَاحْذَرْ عَلَيْهِ وَلَا تَعُدْ

وَهَذَا شِعْرٌ مَطْبُوعٌ مَخْتَارٌ ، وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ :

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَبَّ فِي الْقَلْبِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ
 وَقَلْتُ : وَقَدْ مَادَنِي الْإِخْوَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَمَا قَصَرُوا فِي الْعَرَفِ وَالْفَضْلِ وَالْبِرِّ
 فَلَمْ لَمْ تَكُنْ فِيهِمْ فَيَكْمَلُ حَسَنَتَهُمْ أَيَاظَالِمَا أَخْلَى النُّجُومَ مِنَ الْبِدْرِ
 وَإِذْ كُنْتُ لَمْ تَنْهَضْ إِلَيَّ وَلَمْ تَكْتَدْ فَلَمْ تَسَلْ عَنِّي فَتَخْبِرْ عَن أَمْرِي
 وَمَالِكٌ لَمْ تَبْعَثْ إِلَيَّ بِأَسْطَرِ تَمَجُّجَهَا إِحْدَى يَمِينِكَ فِي ظَهْرِ

تضنُّ بتسليمِ وزرةِ ساعةٍ فكيف يُرْحَى جودُ كفيك بالوفر
فان كنتَ لا تبقى على الحال بيننا فهلا تخاف سوءَ بادرةِ الشعر
إذالمْ تكونوا للحقوقِ فمن لها وأنتم كرامُ الناسِ في البدو والحضر
وَأنتَ إذا أنحيتَ تفرى أديمها فما ذنب ذى جهلٍ فرى مثل ما تفرى
وما لعداةِ العلمِ تذكُرُ عيهمْ وأنتَ على أمثالِ غايرهمْ تجرى
ومن الغريبِ البديعِ مدحِ الموتِ وهو قول ابن الرومي :

قد قلتَ إذْ مدحوا الحياةَ فأكثرُوا للموتِ ألفُ فضيلةٍ لا تعرفُ
فيها أمانٌ لقاءه بقاءه وفراق كلِّ مُعاشِرٍ لا ينصِفُ

ومن أحسن ما قيل في مكابدة النفس عند الموت قوله أيضا :

بات الأميرُ وباتَ بدرُ سماننا هذا يُودِّعنا وهذا يكسفُ

ولعل ذلك مأخوذٌ من قول الأوَّل :

ألمْ يبلغكِ والأنباءُ تنعى وللدنيا بأهلها صروف

صريعٌ لم يُوسِّدهُ قريبٌ ولم يشركه في الشكوى أليفُ

يظلُّ كأنه قعرٌ مُنيرٌ يجول على محاسنه كسوف

ولهذا البيت رونقٌ عجيبٌ وطلاوةٌ حسنة . ومن عجيب ما جاء في وصف

المصيبة قول حذيفة بن اليمان : إن الله تعالى لم يخلق شيئاً إلا صغيراً ثم يكبر

إلا المصيبة فإنها خلقت كبيرة ثم تصغر . وهذا قول مصيبٌ لا يُتَّرى به ومنه أخذ قوله :

وكا تبلى وجوهٌ في السرى فكذا يبلى عليهنَّ الحزن

ولأعرف في التعزى عن المصيبة كلاماً أحسن تقسيماً من قول الأعرابي ومات له

ثلاثة بنين في يوم واحد فدفنهم وعاد الى مجلسه فجعل يتحدث كأن لم يفقد واحداً

فليم على ذلك فقال : ليسوا في الموت يبدع^(١) ولا أنا في المصيبة بأوحد

ولا جدوى للجزع فعلامٌ تلومونى . فهذه الثلاثة الأقسام لاربع لها .

وعزى رجل رجلاً وقد ولدت امرأته ابناً وماتت في نفاسها فقال أعظم الله أجرك فيما أبادو أجرل حظك فيما أفاد .

ولأعرف أحداً أجاده هذا المعنى كما أجاده عبد الملك بن صالح الكاتب : أخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال قيل للرشيدي أن عبد الملك بن صالح يُعِد كلامه ويفكر فيه فلذلك بانته بلاغته فأنكر ذلك الرشيدي وقال هو طبع فيه ثم أمسك حتى جاء يوماً ودخل عبد الملك فقال للفضل بن الربيع إذا قرب من سريري فقل له ولداً لمير المؤمنين في هذه الليلة ابنٌ ومات له ابنٌ فقال له الفضل ذلك فدنا عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين سرى الله فيما ساءك ولا ساءك فيما سرك وجعلها واحدةً بواحدة ثواب الشاكرين وأجر الصابرين . فلما خرج قال الرشيدي أهذا الذى زعموا أنه يتصنع للكلام مارأى الناس أطبع من عبد الملك في الفصاحة قط (١) . وعزى اعرابى رجلاً فقال لا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها .

أحسن ما قيل في مدفون قول ابن الرومى في بستان جارية أم على بنت الراس :
 لله ما ضمنت حفيرتها من حسن مرأى وطهر مخنبر
 أضحت من الساكنى حفاثرهم سُكنى الغوالى مداهن السرر
 لو علم القبر من أتيح له لانخفض القبر غير محتفر
 وهذا البيت مأخوذ من قول الأوّل :

لو علم القبر من يوارى تاه على كل من يليه

وقالوا أحسن مرثية للعرب ابتداءً قول أوس بن حجر :

أيتها النفسُ أجملى جزعاً ان الذى تحذرين قد وقعا

وأحسن مرثية لمحدث ابتداءً قول أبي تمام الطائى :

أصم بك الداعى (٢) وإن كان أصمما وأصبح مغنى الجودِ بعدك بلقما

فقال فيها : فتى كان شرباً للعفاة ومرعى فاصبح للهنديّة البيض مرتما

(١) تقدمت هذه القصة . (٢) في ديوان أبي تمام « الناعى » .

إذا ساء يوماً في السكرة منظرًا تصلاهُ علمًا ان سيحسنُ مسمما
فان ترم عن محمير تداني به المدى فخانك حتى لم يجد فيك منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبةً فقطمها ثم انثنى فتقطعا
وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول متمم بن نويرة في أخيه مالك قتل
في الردة قتله خالد بن الوليد : أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا أبو بكر بن دريد عن
أبي حاتم عن الأصمعي قال كان متمم بن نويرة قدم العراق فأقبل لا يرى قبراً
إلا بكى عنده فقبل له يموت أخوك بالملأ وتبكي على قبره بالعراق ! فقال :
لقد لآمني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك
هذا البيت غير مختار الرصف عندي وفي ألفاظه زيادة على معناه :
أمن أجل قبر بالملأ أنت نائحٌ على كل قبر أو على كل هالك
فقلت له أن الشجي يبعث الشجي فدعني فهذا كله قبر مالك
يقول قد ملأ الأرض مصابه عظماً فكأنه مدفون بكل مكان . وهذا
أبلغ ما قيل في تعظيم الميت .

ومنه أخذ القائل قوله أخبرنا به أبو أحمد عن ابن الأباري عن ثعلب عن
الرياشي لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز وهو عندي من أرثي ما قيل :
لهني عليك للهفة من خائف كنت المجير له وليس مجير
عمت صنائعه فعم مصابه فالناس فيه كلهم مأجور
فالناس ما هم عليه واحد في كل واد رنة وزفير
يثنى عليك لسان من لم توله خيراً لأنك بالثناء جدير
ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور
والصحيح أن يقول «منشر» لأنه يقال انشر الله الموتى فنشروا هم .

وقالوا أرثي بيت قالته العرب قول المحدث :
على قبره بين القبور مهابةً كما قبلها كانت على صاحب القبر

وقالوا بل قول الآخر :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه
فطيب تراب القبر دَلَّ على القبر
وقالوا أرثاه قول ابن مُنَادِر :

أنعي فتى الجود الى الجود
أنعي فتى مصّ الثرى بعمده
مامثل من أنعى بوجود
بقية المساء من العود

وأخبرنا أبو أحمد قال سمعت محمد بن يحيى قال سمعت محمد بن يزيد يقول

لو سُئِلْتُ عن أحسن أبيات تعرف في المراثى لم أختر على أبيات الخزيبي :

ألم ترفى أبى على الليث بنية
وأحثي عليه التراب لا أتخشع
وأعدده ذخرًا لكلِّ مَمْلِئَةٍ
وسهمُ المنايا بالذخائر مُولِعُ
وأنى وإن أظهرتُ منى جلادة
وصانعتُ أعدائى عليه لموجعُ
ولو شدتُ أن أبكى دمًا لبكيتُه
عليه ولكن ساحة الصبرِ أوسعُ

وقال أبو عمرو بن العلاء أرثى بيت قول عبدة :

فما كان قيسٌ هُلكهُ هُلكهُ واحد
ولكنه بُنيانُ قوم تهادما
وقال خلف الأحمر أرثى بيت :

الآن لما كنتَ أكل من مشى
وتكاملت فيك المروءة كلها
واقترتْ نأبُك عن شباه القارح
وأعنتَ ذلك بالفعالِ الصالح

وقال الأصمعي أرثى بيت للعرب :

ومن عجب أن بتَّ مستشعر الثرى
ولو أنى أنصفتك الوُدُّ لم أبت
وردن (١) بما روّدتنى مُتمتعا
خلافك حتى تنطوى في الثرى مما

ومن أحسن ما قيل في بقايا آثار الميت قول الحسين بن مطير (٢) :

فتى عيشَ في معروفِهِ بعدَ موتهِ
كما كانَ بعدَ السيلِ مجراه مرتعا

(١) لعله (وبت) . (٢) في الاصل (الحسن) وهو شاعر من مخضرمي الدولتين

الأموية والعباسية، قدم في القصيد والرجز فصيح .

وفي هذه القصيدة :

أيا قبرَ معنٍ كنت أولَ حفرةٍ من الأرضِ خطتُ للسماحةِ مضجعا
وياقبرَ معنٍ كيفَ وارتيتَ شخصه ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا
فلما مضى معنٌ مضى الجودُ والندى وأصبحَ عرنينُ المسكارمِ أجدا
وأنا أقول إن هذه الأبيات أرتى ما قيل في الجاهلية والاسلام .

وقالوا أرتى بيت قيل قول مهلهل في كليب :

نبئتُ أنَّ النارَ بعدك أوقدتُ واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتكلموا في أمرٍ كلٌّ عظيمةٌ لو كنتَ شاهدهم إذا لم ينبسوا
وكان كليب إذا أوقد ناراً لم يوقد أحدٌ ناراً ولم ينزل ضيفٌ إلا عليه وإذا
جلس مجلساً لم يتكلم فيه أحدٌ إلا هو .

وقالوا أحسن ما قيل في المرأى قول متمم بن نويرة في أخيه مالك :

وكنا كندمانى مُجذيمةَ حقبةً من الدهرِ حتى قيلَ لن نتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا أطولِ اجتماعٍ لم نبت ليلةً مما

وليس في المحدثين أحسن مرأى من أبى تمام فن ذلك قوله :

غدا غدوة والمجد ^(١) نسج ردايه فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر ^(٢)
فأثبت في مستنقع الموتِ رجله وقال لها من تحت أخصك الحشر
فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر ان فاته النصرُ
فتى سلبته الخيل وهو لها حى ويزته نارُ الحرب وهو لها جمر
كان بنى نهان يوم وفاته نجوم سماءٍ خرَّ من بينها البدرُ
مضى طاهر الاثواب لم تبق روضة غداة نوى إلا اشتت أنها قبرُ
وكيف احتمال للسحاب ^(٣) صنيعه بأهقائه قبراً وفي لحده البحرُ

ولولا كراهة الاطالة لاوردت القصيدة كلها إذ ليس فيها الا مختارٌ .

(١) بي ديوان ابى تمام «والحمد» . (٢) فى الاصل (أجر) . (٣) فى الديوان (للغيوث) .

وقوله ^(١) في ادريس بن بدر السامي :

أدريس مضع المجد بمدك كله
وضل بك المرتاد من حيث يتهدى
وتبسط كفاً في الخطوب ^(٢) كأنما
ولم أنس سعي الجود حول سريره
وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً

وقوله في بني حميد :

عهدي بهم تستنير الأرض أن نزلوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة
فيا الشماتة إعلناً بأسد وغى
وقوله أيضاً: إذا فقد المفقود من آل مالك
خليلي من بعد الأسي والجوى قفا
ألماً فهذا مصرع البأس والندی
ألم تريا الأيام كيف فجعننا
خطوب اليه من نداءه وبأسه
وقد كثرت على محاسنه في هذا الباب فما أدري ما أورد وما أترك . وقد أحسن القائل :

وسميته يحيي ليحيا ولم يكن
تيممت فيه الفأل حين رزقه

وأخذ أبو تمام قول الفرزدق في جارية له ماتت وفي بطنها غلام :

وجفن سلاح من معد رزفته : والبيت :

وفي جوفه من دارم ذوخ حفيظة لو أن الليالي أنسأته لياليا

(١) أي قول أبي تمام . (٢) في ديوان أبي تمام « في الحقوق » .

(٣) في الديوان (فأصبح يدعى) . (٤) في الديوان « وحسب البكا ان قلت » .

وكان وجه الكلام أن يقول « وفي جوفه ذو حفيظة من دارم » فقال أبو تمام
وزاد زيادةً أسقط بها بيت الفرزدق حتى صار لا قيمة له معها وهو قوله في ابنين
لعبد الله بن طاهر قد ماتا صغيرين في يوم واحد :

نجمان شاء الله أن لا يطلما إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
أنَّ الفجيمة بالرياض نواضراً لا أجلُّ منها بالرياض ذوابلا
لو ينسيان لكان هذا غاربا للمكرّمات وكان هذا كاهلا
لهفى على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت^(١) حتى تكون شمائلها
لغدا سكونهما حجا وصباهما حملاً وتلك الأرحمجة نائلها
أنَّ الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكون^(٢) بدرّاً كاملاً
ثم قال يوسيه :

ان ترز في طرفي نهار واحد رزعين هاجا لوعة وبلا بلا
فالتقل ليس مضاعفاً لمطية إلا إذا ما كان وهماً بازلا
ثم قال أيضاً :

شمخت^(٣) خلالك أن بؤسيك امرء أو أن تذكر^(٤) ناسياً أو غافلا
إلا مواعظ قادهالك سمحة اسجاح لبك سامعاً أو قائلها
هل تكاف الأيدي بهزّ مهنّد إلا إذا كان الحسام الفاصلا
وقالوا ليس للعرب مرتبة أجود من قصيدة كعب بن سعد التي يرى فيها أخاه
أبا المغوار ويقول فيها :

أتى دون حلو العيش حتى أمره منكوبٌ على آناهنّ منكوب
هوت أمه ما يبعثُ الصبح غاديا وماذا يؤدي الليل حين يؤوب
حلّيمٌ إذا ما الحلم زين أهله مع العلم في عين العدو مهيب

(١) في الأصل « قد أمهلت » . (٢) في ديوان أبي تمام « سيعود » .

(٣) في الأصل (سمحت) . (٤) في الأصل (أو كان يذكر) .

هوت أمه ماذا تضمن رحله
فتى أريحي كيف بهتر للندى
حليف الندى يدعو الندى فيجيبه
فان تكن الأيام أحسن مرة
وحدت تمانى انما الموت بالقرى
وقال فيها: وداع دعا نانا من يجيب الى الندى
فقلت ادع أخرى وارفض^(١) الصوت مسمعا

ومن عجيب المرأى قول الرقاشى فى البرامكة :

الآن استرحنا واستراحت ركابنا
فقل للمطايا قد أمنت من السرى
وقل للمنايا قد ظفرت بجمفر
وقل للعطايا بعد فضل تعطلى
ودونك سيفاً برمكياً مهنداً
ومن جيد المرأى قول الآخر :

سأبكيك للدينيا وللدين انى
ربيع إذا ضن الغمام بمائه
وقد أحسن أبو الحسن بن الانبارى القول فى ابن بقية^(٢) حين صلب :
علو في الحياة وفى المات
كان الناس بمدك حين قاموا
وهذا البيت مأخوذ من قول ابن المعتز فى عبد الله بن سليمان حين توفي :
وصلوا عليه خاشعين كأنهم
قيام خضوع للسلام عليه

(١) المعروف «وارفع الصوت» . (٢) كان برآ جواداً ، نغم عليه عز الدولة أمراً

فقبض عليه وسمل عينيه ، ولما ملك عضد الدولة صلبه (٣) وفى رواية (لحقك تلك) .

كأنك قائمٌ فيهمُ خطيباً
مددتَ يدك نحوهمُ جميعاً
ولما ضاقَ بطنُ الأرضِ عن أن
أصاروا الجوقَ قبرك واستنابوا^(١)
فلم أرَ قبلَ جذعك قطُّ جذعاً
ومن جيد ما قيل في عظم شأن الميت قول ابن المعتز:

هذا أبو القاسم في نعشه
وقول أبي تمام:

قبوركم مستشرفات^(٢) المعالم
وفيها عُلا لا يُرتقى بالسلام
وأباناً ويزبلاً وحراء
أوعلى ذرورةِ النعوشِ تراءى
بني مالك قد نيهتَ حاملَ الثرى
رواكد قيد^(٣) الكف من متناول
وقلت: سائل القبر كيف أضمرت قدساً
من رأى البدرَ بالترابِ توأرى
وقال ابن المعتز وأحسن:

تعالوا نزرُ قبرَ السماحة والرِّفد
لقد عشتَ لم يعلقُ بفعلك ذمَّةً
وقال أيضاً:

ألست ترى موتَ العلي والحامد
وللدهرِ أيامٌ مُسِنَّ عوامداً
وقال دعبل بن علي الخُرَاعي:

حَنَطَتُهُ يَانَصْرُ بِالْكَافُورِ
هَلَا يَبْعُضُ خِلَالَهُ حَنَطَتُهُ
ورفعتهُ للمنزلِ المهجورِ
فيضوعُ أفقِ منازلِ وقبورِ

(١) في رواية (واستعاضوا). (٢) في الأصل (وذاكم مشرفات).

(٣) في الأصل (رواكد قيس).

وقلت: على الرغم من أنف المكارم والعلی
 ألم تر أن البأس أصبح بعمده
 فمرا على قبر المسود وانظرا
 فان يك واره التراب فكبرا
 ولا تساما نوحا عليه مكررا
 فما كان قيس هلكه هلك واحد
 ولا تحسبا انى اواريه وحده
 غدت داره قفرا ومفناه بلقما
 اشل وان الجود أصبح أجدا
 الى المجد والعلیاء كيف تخشعا
 على الجود والمعروف والفضل اربعا
 ونوحا لفقد العارفات مرجما
 ولكنه بنیان قوم تضعضعا
 ولكننى واريتى والندى معا

ومن بارع المرأى قول ديك الجن الحمصى :

مات حبيب فمات ليث
 سممت عيون الردى إليه
 ماأمك اجتاحت المنايا
 كل فؤاد عليك أم
 وغاض بحر وباح نجم
 وهى إلى المكرمات تسمو

ومما جاء فى صفة القبر قول الشاعر :

ورسم دار مقفر الجناب
 يزداد عمراناً على الخراب

وقالوا أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول أبى نواس :

إذا امتحن الدنيا لييب تكشفت
 له عن عدو فى ثياب صديق

وهو مأخوذ من قول جرير فى وصف النساء :

دعين الهوى ثم ارتمين قلوبنا
 بأسهم أعداء وهن صديق

وقالوا بل أصدق ما قيل فى صفة الدنيا قول الأول :

محتوفها رصد وعيشها نكد
 وصفوها رتق وملكها دول

وقلت : ما بال نفسك لانهوى سلامتها
 فأنت فى عراض الدنيا ترغبتها

دار إذا أنت الآمال تمرها
 جاءت مقدمة الآجال تخر بها

أصبحت تطلب دنيا لست تدركها
 فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

ومن جيد ما قيل فى الزهد قول ابن المعتز :

نسبرُ إلى الآجال في كل لحظة
ولم أرَ مثلَ الموتِ حقاً كأنه
وقلت: ألسَت ترى موتَ العالِ والفضائلِ
فما العنايا أغفلتُ كلَّ ناقصِ
على الرَّغمِ من أنفِ العلاسِبقِ الرديِّ
على أنَّ من أبقتهُ ليسَ بخالدِ
رأيتُ المنايا بينَ غادٍ ورائحِ
ولم أرَ كالدينا حبيباً مُضرةً
وقال ابن المعتز:

كم بدارِ الموتِ من ذى إربة
ومُلوكِ بليتِ أيديهم
وقلت: فتمجبتُ كيفَ لانهدرُ الموتِ
عجرتُ منهُ على الموتِ الخيلُ
وتقدتُ كانتُ مطايا للقبلِ
تَ وأنفاسنا خطانا إليه

وقرأت للجاحظ كلاماً مفقود النظر معدوم الشبيه لا أعرف لأحد مثله
وهو: أيها المستدل على أمور الدنيا كفاك بها على نفسها دليلاً وبومها لك من
غدها تشبيهاً وتميلاً تالله لقد أطلعتك بمؤلفاتها على حدوث تأليفها وأثبتت لك
الصانع بأثار صنعته فيها ووقفتك على معرفة كمالها بما توافى فيك من أجزائها
ودلتك بتحليل المركبات فيها على التحلل تركيبها. ووقفتك بقطع الشمس والقمر
قطرها على إدبارها وانقطاعها فكشف لك انتهاء حدودها عن تنهاى أمدها وأبان
لك دُوبُ اطراد نهارها وليلها وتتابع دوران بروجها ونجومها وتعاقب أزمنة
بردها وحرها واعتدالها وحرركات نيرانها ورياحها ومياهها أنها مسوقة محشونة
إلى أمدها كما تحت براياها بالأوقات الجارية إلى آجالها. ثم قال وتحدث ما تخوفك به
طوارق أحداثها وتوطنك على إيطان جثمانها حدثاً من أحداثها لا تمسك منها
بعروة إلا شهدت على أشكالها فأية نصيحة أصدق لك من نصيحتها أو عظة أشفي

وأبلغ من عظمتها أو شهادة أصح وأعدل من شهادتها بالفناء ، ألم تر أجزاءها
مؤتلفة بالاجتماع مختلفة بالطباع يهلك بعضها بعضاً ويعود إرماها نقضاً ، فيا ناسياً للصخر
وتهدمه وللحديد وتلذمه وانقياً ببقاء لحمه ودمه ومساعفاً لشبهه وقرمه إذ كر أن جسدك وشيكا
مفارقك وأنه وإن جددته مخلقتك وأنتك تطلقه في شهواته ويوتفك وتبقى عليه من التعب
ويوبقك ففيم تشتغل به عن مصلحتك وعلام تتكل في عقبيك - إلى أن قال وتقوى على الزهد
فيما يتنافسه الجهال بذكر الموت وفجأته وبقناته ووضوح آياته وغموض ميقاته وانخذال
الحالة عن دونه وبأس النفوس من منعه عند غوصه عليها في الابدان وتحليله لها
من الأعظم والأعصاب والعروق واللحم والاهاب حتى يسوقها من الاغراض
والأوصال سياق رهاق مضيق للحناق محقق للفراق مؤيس من التلاق عند إحساسه
بموت جسده عضواً فعضواً وفقدان قوته جزءاً جزءاً وهي تمرح في الصدر حشرجة
وفي الجوانح رجرجة وفي اللهوات غرغرة وفي الخلقوم خرخرة بالنزع الجاذب
والعلن الكاذب والفواق الدائب والانفاس الذواهب فهناك تنفس الصمداء
وتوقد البرحاء وفي سممه وبصره بقية يرمى بها أولاده يتامى ونساءه أيامى وأموا له
نهبي وجوعه شتى ووجوه الشامتين به مشرقة والدموع من أحبته مستبقة والجيوب
عليه مشققة والشعور مقطعة والحدود بالطمم مبقعة وذلك غير طائد عليه ولا عليهم
بمنفعة في كلام طويل .

ومن جيد ما قيل في إفضاء السلامة بصاحبها إلى الهلاك قول النمر بن تولب :
تدارك ما قبل الشباب وبعدهُ حوادث أيام تمرُّ وتغفل
يودُّ الفتى طولَ السلامةِ والغنى فكيف ترى طولَ السلامة تعقل
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة ينوءُ إذا دام القيام ويحملُ
وقيل لرجل من الاوائل : ما كان سبب موت أخيك ؟ قال كونه فأحسن ماشاء .
وقال بعضهم في معناه :

ما بالُ من آفته بقاؤه نغصَ عيشي كله فناؤه

وقال آخر في نحوه :

فإنَّ الداءَ أكثرَ ماترأهُ من الأشياءِ تحلوا في الحلو
ومن جيد ما قيل في موت الولد قول ابن الرومي :

بكاؤُ كما يشفى وإن كان لا يجدي فجوداً فقد أودى نظيرُ كما عندي
توفي حمامُ الموتِ أوسطَ صبيتي فله كيف اختارَ واسطةَ المقدِ
طواه الردى غنى فأضحى مزاره بعيداً على قرب قريباً على البعدِ
عجبت لقلبي كيف لم ينفطرُ له ولو أنه أقسى من الحجر الصلدِ
وماسرَّتني أن بعته بشوابه ولو أنه التخليد في جنة الخلدِ
ولا بعته طوطاً وليكن غضبته وليسَ على ظلمِ الحوادثِ من مُعدى

وأما موت الأخ فقد روينا فيه خبراً مليحاً أخبرنا به أبو طاهر محمد بن يوسف
قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن بكر قال حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثني
يوسف قال حدثنا صهيب بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن عمرو قال حدثنا إسماعيل
ابن عياش عن عبد الله بن دينار قال قدم لقمع من سفرٍ فلقني غلاماً له فقال
له ما فعل أبي؟ قال مات قال ملكت أمري فما فعلت أمي؟ قال ماتت قال ذهب همي
قال فما فعلت أختي؟ قال ماتت قال سترت عورتني قال فما فعلت امرأتي؟ قال ماتت قال
جدد فراشي قال فما فعل أخي؟ قال مات قال: أوه انقطع ظهري انتهى .

وذكر قدامة بن جعفر أن أبا جعفر المنصور لما دفن ابنه جعفر الأصغر قال للربيع

كيف قال مطيع بن إياس فأنشده :

يا أهل بكاوا لقلبي القريح وللدموع الذوارف السفج
راحوا يبجي ولو تطاوعني الأقدار لم تبتكر ولم ترح
ياخير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمس للمدح
قد شمت الحزن بالسرور وقد أدبل مكروهه من الفرح

فبكى المنصور ثم قال : صاحب هذا القبر أحق بهذا الشعر ، ثم أذن للناس فدخلوا
ونصبت المواثد فلم يقدر أن يمدّ يده من الجزع الذي كان خامرهُ فقام شبيب بن
شيبه فأنشده قول الثقفى في ابنه على وكان شرطة عبيد الله بن العباس باليمن فقتله
بشر بن أرطاة فقال يرثيه :

لعمري لقد أودى ابنُ أرطاةَ فارساً بصنماءَ واليثة الهزبر أبى الأجر
تأملُ فان كانَ البكا رَدَّ هالكاً على أحدٍ فاجهدُ بكاك على عمرو
فسرّى عنه وأكل مع الناس ورفع الحزن مع رفع الطعام .

ومن عجيب المراثى قول الأشجع :

مضى ابن سعيد حين لم يبقَ مشرقٌ ولا مغربٌ إلا له فيه مادحٌ
وما كنتُ أدري ما فواضلُ كفه على الناسِ حتى غيبتهُ الصفائحُ
فأصبحَ فى لحدٍ من الأرضِ ميتاً وكانَ به حياً تضيقُ الأباطحُ
سأبكيك ما فاضتْ دُموعى وإن تغضُ فحسبك منى ما تحنُّ الجوانحُ
كانَ لم يمضِ حتى سواك ولم تقمُ على أحدٍ إلا عليك النوائحُ
لئن حسنتُ فيك المراثى وقيلها لقد حسنتُ من قبلُ فيك المدائحُ
وما أنا من رزءٍ وإن جَلَّ جازعٌ ولا يسرورٍ بعد موتك فارحُ

وأنشدنا أبو القاسم عبد الوهاب بن ابراهيم قال أنشدنا العمدي قال أنشدنا

أبو جعفر عن المدائنى لعرفجة بن شريك يرثى أوساً :

رأيتُ المنايا تصطفى سَروانا كأنَّ المنايا تبتغي من تفاخره
فما كانَ قيسٌ طاجراً غيرَ انه حتى أنفه من أن بضيعَ مجاوره
وطابَ لوردِ الموتِ نفساً ولم يخمُ وقد ضاقَ بالنكس اللثيم مصادره
فصادفَ رق الموتِ حراً ممدعاً إذا سئلَ المعروفَ لانت مكاسره
حتى أنفه أوس ولم يثن وجهه وبفنى الحياء المرءَ والرمح شاجره
ومن ههنا أخذ أبو تمام قوله :

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده عليه الحفاظ المره والخلق الوعر
وعزى ابن السماك الرشيد عن ابن له مات فقال : أما بعد فإن استطعت أن
يكون شركك لله حين أخذه أكثر من شركك لله حين وهبه فافعل فإنه حين قبضه
أحرز لك هبته ولو بقي لم تسلم من فتنته ، عجيباً لجزعك على ذهابه وتلفك على
فراقه أرضيت الدار لنفسك فترضاها لولدك أما هو فقد خلص من السكر وبقيت
معلقاً بالخطر والسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا يحصى عدده ولا يبلغ أمده ، وصلواته على سيدنا ونبينا محمد
وآله الطاهرين المختارين وسلم .

﴿ هذا كتاب المبالغة ﴾

(في صفة أشياء مختلفة يحتم بها كتاب ديوان المعاني وهو :)

﴿ الباب الثاني عشر منه فأول ذلك ﴾

﴿ القول في الحنين إلى الأوطان ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن عسل بن ذكوان قال قال أبو سرح سمعني
أبو دلف أنشد :

لا يمنعه منك خفض العيش في دعية نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد أنت ساكنها أهلاً بأهل وجيراناً بجيران

فقال : هذا الأُم بيت قائمه العرب . قال أبو هلال رحمه الله : النزوع ههنا ردى^١ والجيد النزاع ، وإنما جعل أبو دلف هذا البيت الأُم بيت لأنه يدل على قلة رعاية وشدة قساوة وحنين الرجل إلى أوطانه منقبة من علامات الرشد لمسافيه من الدلائل على كرم الطينة وتمام العقل . وقالت الحكما : حنين الرجل إلى وطنه من علامات الرشد . وقال بزرجهر : من أمارات العاقل بره بأخوانه وحنينه إلى أوطانه ومداراته لأهل زمانه . وقال أعرابي : لا تشك بدأ فيه قبائلك ولا تحف أرضاً فيه قوايلك . وقالت العرب : أكرم الخليل أشدها خوفاً^(١) من السوط وأكيس الصبيان أشدهم بغضاً للمكتب وأكرم الصفايا أشدها حينئذ إلى أوطانها وأكرم المهارة أشدها ملازمة لمهاتها وأكرم الناس آفهم للناس . وقدين الله تعالى فضل الوطن وكلف النفوس به في قوله تعالى (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ) فجعل خروجهم من ديارهم كفؤ قتلهم لأنفسهم ومنه قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتِفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ) وقوله تعالى (وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبْنَاكُمْ فِي الدُّنْيَا) فجعل إخراجهم إياهم من ديارهم بدلاً من العذاب المستأصل لهم لشبهه به عندهم . وقال بعض الحكما : الخروج من الوطن أحد السبابين والجلاء أحد القتلين . وقال يحيى بن أبي طالب :

إذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة^٢ دطاني الهوى وارتاح قلبي إلى الذكر
يقولون إنَّ الهجر يشفي من الهوى وما زددت إلا ضعف ما بي على الهجر
وكان كثير من العرب ممن يعتزى إلى فضل كرم لا ينتجعون وكذلك
كانت قريش . وقال الحارث بن ظالم :
رفعت الرَّمح^(٣) إذ قالوا قريش^٤ وشبهت الشائل والقبابا^(٣)

(١) سقط من الأصل « خوفا » أو ما بمعناها . (٢) في الأغاني « السيف » .

(٣) في الأغاني « وبينت الشائل والعتابا »

ولو أتى أطواعُ كنتُ فيهم وما سيرتُ أتبع السحابة
وقال الحويذرة (١).

وتقيمُ في دار الحفاظ بيوتنا زمناً ويظعنُ غيرنا للأمرع
والأمرع جمع لا واحد له من لفظه، وكانوا يسمون منزلهم دار الحفاظ لأنهم
كانوا يقيمون فيه لقرى الأضياف وإعطاء الفقير وصلة المسكين وابن السبيل .
وقال أبو تمام : كم منزل في الارض يألفهُ القتي وحنينهُ أبدأً لاوّل منزل
وقد قالت الهند : حرمة بلدك مثل حرمة أبويك لان غذاءك منها
وغذاءهما منك . وقال آخر : أرض الرجل ظُهره وداره مهده . وقال آخر : الحنين الى
الوطن من رقة القلب ورقة القلب من الرحابة والرحابة من الرحمة والرحمة من كرم
الفطرة وكرم الفطرة من طهارة الرشدة وطهارة الرشدة من كرم المحتد قال الشاعر :
تقربُ الدّار في الاقتار خيرٌ من العيش المُوسّع في اغتراب
وقال جالينوس : يتروح العليل بنسيم أهله كما تنقوت الحبة بيل المطر إذا
أصاب الارض . وقال أفلاطن : غذاء الطبيعة من أجمع أدويتها . وقال : يداوى
كل عليل بمقاير أرضه فان الطبيعة تنطلع الى هوائها وتنزع الى غذائها . وقلنا :
ليس الانسان أفنع بشيء منه بوطنه لانه يتبرم بكل شيء ردىء ويتذم من
كل شيء كربه إلا من وطنه وان كان ردىء التربة كربه الغذاء ولولا حب الناس
للاوطان لخرب أخابث الارض والبلدان ، قال الشاعر :

ألا ليت شعري هل تحننُ ناقتي بصحراء من نجران ذات ثرى جمعد
وهل تنفضنُ الريحُ أفنانَ لمتي على لاحقِ الاطلين مطمر ورد
وهل أردن الدهر حسى مزاحم وقد ضربتهُ نفحةً من صبا نجد

وذ كر ابن الرومى العلة التي يجب الوطن لاجلها وليس له في ذلك امام إلا

(١) في الاصل «الخويذرة» بالخاء المعجمة وهو غلط ، ويقال له الحادرة لقب غلب

عليه ، والخويذرة تصغيره (والحادرة الضخم) واسمه قطبة الثعلبي وهو شاعر جاهلي مقل .

أحمد بن اسحق الموصلي فانه قال :

أحبُّ الأرضَ تسكنها سليمي
وما دهري بحب تراب أرض

وقال ابن الرومي :

ولى وطنٌ آليتُ أن لأبيعهُ
عهدتُ به شرخَ الشبابِ ونعمةُ
فقد أفتتُه النفسُ حتى كأنهُ
وحببَ أوطانَ الرجالِ إليهمُ
إذا ذكروا أوطانهمُ ذكرتهمُ
وقد ضامني فيها اللئيمُ وغرني
فان أخطأني من يمينك نعمة
وقلت في نحو من ذلك :

ثوى في حفرة العاناتِ يمينُ
وإن تهوَّ البقاعِ فليس غرواً
وقال ابن الرومي :

فاذا تصوَّرتُ في الضميرِ وجدتهُ
وعليه أفتانُ الشبابِ تيميدُ
وقيل لأعرابي كيف تصنع بالبادية إذا اشتدَّ القيظُ واتعمل كل شيء ظلّه ؟
فقال وهل العيش إلا ذاك يمشى أحداً نا ميلاً ويرفض عرقاً ثم ينصبُ عصاه ويلقى
عليها كسائه ويجلس يكتال الريح فكانته في إيوان كسرى . وذكر أعرابي
بلده فقال رملتهُ كنتُ جنين ركامها ورضيع غمامها . وقالت أعرابيةُ : إذا كنت
في غير أهلِكَ فلا تنس نصيبك من الذلِّ . وقال الشاعر في معناه
* نصيبك من ذلِّ إذا كنت خاليا * وقلت :

حسبتُ الخَيْرَ يكثرُ في التنايِ فكانَ الخَيْرُ أ كثرُ في التدايِ

ذَكَرْتُ مَقَامَنَا بِسِرَاةٍ حَزْوَى فَسَرْتُ مَعَ الْوَسَاوِسِ فِي عَنَانِ
 أَلَا اللَّهُ حَزْمٌ وَاصْطِبَارٌ تَقَاسَمُهُ بِنِيَاتِ الزَّمَانِ
 عَزِيزٌ أَضْمَرْتَهُ نَوَى شَطُونِ فَظَلَّ مِنَ الْمَهَانَةِ فِي ضَمَانِ
 يَنَاطُ إِلَى الْعَزِيزِ إِذَا تَبَوَّى بِمَنْزِلِ غَرْبَةِ طَرْفِ الْهُوَانِ
 وَقَالَ آخِرٌ : يَحْنُ اللَّيْبُ إِلَى وَطْنِهِ كَمَا يَحْنُ النَّجِيبُ إِلَى عَطْنِهِ . وَقَلْتُ :
 إِذَا أَنَا لَا (١) أَشْتَاقُ أَرْضَ عَشِيرَتِي فَلَيْسَ مَكَانِي فِي النَّهْيِ بِمَكِينِ
 مِنَ الْعَقْلِ أَنْ أَشْتَاقَ أَوَّلَ مَنْزِلِ عَنَيْتُ بِخَفْضِ فِي ذُرَاهُ وَلَيْنِ
 وَرَوْضِ رِعَاهُ بِالْأَصَائِلِ نَاطِرِي وَغَصْنِ ثَمَاهُ بِالْفَدَاةِ يَمِينِي
 وَقَالَ ابْنُ الْمَوْلَى :

سُرِرْتُ بِجَعْفَرٍ وَالْقَرَبِ مِنْهُ كَمَا سُرَّ الْمَسَافِرُ بِالْأَيَابِ
 كَمَطُورٍ - بِلِدَّتِهِ فَأُضْحَى غَنِيًّا عَنِ مَطَالَعَةِ السَّحَابِ
 وَهُوَ مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

فَكُنْتُ فِيهِمْ كَمَطُورٍ بِلِدَّتِهِ فَسَرَّ أَنْ جَمَعَ الْإِوْطَانَ وَالْمَطْرَا
 وَفَضَّلَ بَعْضُهُمُ السَّفَرَ عَلَى الْمَقَامِ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ
 مِنْكُمْ مَرَضَى وَآخِرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَقِفُونَ مِنْ فَضْلِ
 اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) قَالَ فَكَسَمَ الْحَاجَاتِ فَجَمَلُ أَكْثَرِهَا
 فِي الْبُعْدِ ، وَقَالَ تَعَالَى (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ
 وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ) قَالَ فَأَخْرَجَ الْكَلَامَ مَخْرَجَ الْعُمُومِ وَلَمْ يَخْصُ أَرْضًا
 دُونَ أَرْضٍ وَلَا قَرَبًا دُونَ بَعْدٍ ، وَيُنْشَدُ فِي هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مَخْلُقٌ لِدِيَابِجَتِهِ فَاغْتَرَبَ تَجَدُّدِ
 فَانِي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتْ مَحَبَّةً إِلَى النَّاسِ إِذْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ
 وَقَالَ (٢) فِي الْحَثِّ عَلَى الْأَسْفَارِ وَالطَّلَبِ وَالتَّزْهِيدِ فِي الْمَقَامِ وَالدَّعَاةِ : الرَّاحَةُ

(١) فِي الْأَصْلِ « لَمْ » وَيَصِحُّ « لَمْ أَشْتَقْ لِأَرْضٍ » . (٢) كَذَا .

عقله والبركات في الحركات ومن غلى دماغه في الصيف غلت قدره في الشتاء .

وقال عبد الله بن وهب : حبُّ الهويناء يكسب الضنى ، وقال أبو المعاني :

وان التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين أنكحها مهرا

فراشاً وطيناً ثم قال لها انكي فقصر الكلالا بُدَّ أن تلد الفقرا

وقال نهيك بن أساف :

أمُّ نهيك إرفعى الطرفَ صادِقاً^(١) ولا تياسى أن يثرى الدهر بائس

سيفنيك سعي^(٢) في البلادِ وغربى^(٣) وبعلى التي لم تحظَ في البيتِ^(٤) جالس

وأخبرنا أبو أحمد عن ابن ذريرد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال قال أكتهم بن

صيفي : ما يودنى أنى مكفى وأنى أسمنت وألنت ، قيل ولم ذاك قال مخافة عادة العجز .

وفي الحديث المرفوع « سافروا تغنموا »^(٥) وقال الشاعر وذمَّ طول الضجعة :

فان تَأْتِيَانِي بِالشَّاءِ وتلُسا مكان فراشى فهو بالليل بارد

وقال آخر : أبيض بسام يرود مضجعه واللقمة الفرد مراراً أشبعه

وقال الخطيئة بهجو القعود والراحة :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

وقال أبو عبادة البحتري :

وقد سألتُ فما أعطيتُ مرغبةً وكان حتى أن أعطى ولم أسل

أرمى بظنى ولا أعدو^(٦) الخطاء به فاعجب لاختفاء راي من بنى نمل

أسيرُ إذ كنت في طولِ المقام بها أ كدى لعلى أجدى عند مُرتجلى

شرق وغرب فعهد العاهدين بما طالبت في ذملان الأيتق الذمل

(١) في الأغاني (صاعدا) . (٢) في الأغاني (سبرى) . (٣) في الأغاني

(ومطلبي) . (٤) في الأغاني (فى الحى) . (٥) روى هذا الحديث بأنفاظ

مختلفة وزيادات لأحمد والطبرانى والحاكم وغيرهم .

(٦) فى ديوان البحتري « فما أعدو » .

ولا تقبل أمم شتى ولا فرق (١) فالأرض من تربة والناس من رجل
وقال بشار بن برد :

تخاف المنايا إذ ترحل صاحبي كأن المنايا في المقام يناسيه
أخذه من قول الأعشى : * * * * * وكم من رد أهله لم يرم * * * * * والأول أجود سبكا
وأفصح لفظاً . وأخبرنا أبو أحمد عن الجوهري عن أبي زيد قال قال أبو الحسن
كان خالد بن عبد الله القسري يطعم الأعراب في حطمة أصابتهم في كل يوم
يطعم ثلاثين ألف إنسان خبزاً وسويقاً وتمراً فقيل لأعرابي لو أتيت خالداً فإنه
يطعم الأعراب فقال :

يقول ابن حجاج تبحر ولا تمت مزالا بجران تعاوى كلابها
فقد خبر الركب أن جدیده تباح ورغفانا شباعاً رغابها
وماء فرات ما شهيت وقرية تدب ديب النمل فيك شراها
فأقسم لا أتباع رُغفان خالد بأرواح نجد ما أقام تراها
إذا باحت بالمرمتين وصارة رياح الخزامى حين تندی رحابها

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد قال حدثنا الفضل بن محمد
العلاف قال لما قدم بُعايبني نمر كنت كثيراً ما آتيتهم فلا أعدم أن ألقى منهم
الفصيح فجئت يوماً إليهم في عقب مطر فاذا شاب جميل قد نهكه المرض فليس
به حراك وإذا هو ينشد :

ألا ياسني برق على قلل الحمى ليهنك من برق على كريم
لمت اقتداء الطرف والقوم هجج فهبجت أسقاماً وأنت سقيم
فهل من معير طرف عين خلية فانسان طرف العامري كلم
رمى قلبه البرق اليماني رمية بذكر الحمى وهناً فبات بهم
قال فقلت ان فيابك لشغلاً عن الشعر قال صدقت ولكن البرق أنطقني .

وقال عبد الله بن محمد الفعسي :

ألا ليت شعري هل أيتنَّ ليلةٌ وهل أحدٌ باد لنا وكأنه
يحول^(١) السراب الطلح يبنى وينه فاني لأرعى النجمَ حتى كأني
وأشواقُ للبرقِ اليماني إذا بدا وله أيضاً :

ومن حاجتي لولا الحياءُ وأنى مسيري مع الفتيان في طلق الهوى
فلم يبق من تلك^(٢) اللذازة عندهم وقال أعرابيُّ :

أُمغترباً أصبحتَ في رآ مَهْرٌ ممز إذا راح كعبٌ مصعداً أن قلبه
وان الكتيب الفرد من أيمن الحمى تفوقتُ ذرات الصبا في ظلاله
إذا هبَّ علوىُّ الرياح استمالني وما يجري مع ذلك قول الآخر :

إذا عقدَ القضاءُ عليك أمراً فمالك قد أومتَ بدار دُلَّ
تبلغُ بالكفاف فكلُّ شيءٍ وقال امرؤ القيس :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى رضيتُ من السلامةِ بالاياب

(١) في الأصل (يحب) . (٢) في الأصل «ذاك» .

وقال البحرى :

وكانَ رجائى أن أؤوبَ مُمَلِّكاً فصارَ رجائى أن أؤوبَ سليماً

﴿ فصل فى مدح الاخوان ﴾

من أحسن التشبيه فى مدح الأخ ما^(١) أنشدني أبو علي بن أبي حفص عن جعفر بن محمد :

أخٌ لى كأيام الحياةِ أخاؤه تلونَ ألواناً على خطوبها
إذا عبتُ منه خلةٌ فهجرتهُ دعتنى إليه خلةٌ لأعيبها

وقال البحرى :

قدمتَ فأقدمتَ الندى يحمل الرضا إلى كلِّ غضبانٍ على الدهرِ عاتبِ
وجئتُ كما جاء السحابُ^(٢) محرّاً يدبكِ بأخلافِ تفى بالسحابِ
فعدتُ بك الأيام وهى كواكبُ^(٣) جلا الدهرُ منها عن حدود الكواعبِ
وما أنسَ لأنسَ اجتذابك همتى إليك وتزيني بأعلى^(٤) المراتبِ
فياخيرَ مصحوبٍ إذا أنا لم أقمُ بشركِ فاعلمُ أنى شرُّ صاحبِ
وكتب بعضهم : لست أذم من أيامنا إلا قصرها و طول الحسرة على أثرها .

وقريبٌ من المعنى الأول قول الآخر :

خليلٌ إذا ما جئتُ أبقيه حاجةً رجعت بما أنفى ووجهى بمائه
بلوت رجالاً بعده فى إخوانهم فما ازددت إلا رغبة فى إخوانه

وقال دعبل بن علي :

أخٌ لى عاداهُ الزمانُ فأصبحتُ مذممةً فيما لديه المطالبُ
متى متذوقهُ التجاربُ صاحباً من الناس ردهت اليك التجاربُ

وقال إبراهيم بن العباس :

(١) «ما» ساقطة من الأصل . (٢) فى ديوان البحرى (الربيع) .

(٣) فى الديوان «الايام زهراً كأنها» . (٤) فى الديوان (وترتيبى أخص المراتب) .

ومؤمل للنائب إذا هبَّ الزمان باذره هبًّا
لما رأى نهب حادثة جعل الذخائر دونها نهبًا

وقال أيضا :

ولكنَّ الجوادَ أبا هشام وفي العهد مأمونُ المغيَّب
بطيُّ العهد ما استغفنت عنه وطلاَّعٌ عليك مع الخطوب
والبيتُ الأخير يشير إلى قول جرير * وإني لعف الفقر مشترك الغنى *
ونحوه قول إبراهيم أيضا :

أسدٌ ضار إذا هيَّجته وأبٌ برٌّ إذا ماقدرا
يعرفُ الأبعدُ إن أنرى ولا يعرفُ الأَدنى إذا ما افتقرا

وقال أيضا :

ولكنَّ عبدَ الله لما حوى الغنى وصارَ له من بين اخوانه مالٌ
رأى خلةً منهم مُسدُّ بماله فساهمهم حتى استوت بهم الحال
ونحوه قوله أيضا :

بدا حينَ أترى باخوانه فقلل عنهم شبهاء العدم
وذكره الحزمُ غبَّ الأمور فبادرَ قبلَ انتقال النعم

ومما هو في هذا السبيل ما كتب بعضهم : ماشخصتُ حتى شخص عقلي فصار
عديلك واستقل ودى فأضحى زميلك ولا مطعم لي في مستقرها حتى تستقر
النوى بك وتحقق الأمانى فيك ولك . وقال أبو تمام :

ليالى نحنُ في غفلات عيش^(١) كأنَّ الدَّهرَ منها في وثاقٍ
وأيامًا لنا وله^(٢) لدانا عرينًا^(٣) في حواشيه الرِّفاقِ
وفي هذا الموضوع أيضًا قوله :

(١) في ديوان أبي تمام «سنبكى بعمده غفلات عيش» . (٢) في الأصل «ولهم» .

(٣) في الأصل «عرييا»

أَيامنا ما كنتِ إلا مواهباً وكنتِ بأسعافِ الحبيبِ حبايبنا
 سفربٌ مُتجددٌ ألمهدك في البكا فما كنتِ في الأيامِ إلا غرايبنا
 وقلت في فضل الصديق على القريب :

رأيتُ بالودِّ عن القريبِ غنى وليسَ بالقريبِ عن الودِّ غنى
 وصاحب الودِّ^(١) مُسامٌ منتضى يزِينُ في السلمِ ويكفي في الودِّ غنى
 وقلت أيضاً في قوله :

ليسَ حدُّ الحسامِ أكنى وأغنى من أخٍ ذى كفايةٍ وغناءٍ
 وأخُ المرءِ عصمةٌ في بلاءٍ بعترتهِ وزينةٌ في الرِّخاءِ
 وقال شبيب بن البرصاء :

إذا المرءُ أغراهُ الصديقُ بدالهُ بأرضٍ الأُطادى بعضُ ألوانها الربدُ
 ومن أجود ما قيل في الاغضاء عن الأخ قول النابغة :

ولستَ بمسْتَبِقٍ أَخاً لا تلهُ على شعثِ أىُّ الرجالِ المهذبُ
 وقال بشار بن برد :

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتبنا صديقك لم تلقَ الذى لاتعاتبه
 فمشٌ واحداً أو صلَّ أخاك فانه مُقارِفُ ذنبِ مرَّةٍ ومجانبه
 إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القذى ظمئتَ وأىُّ الناسِ تصفو مشاربه
 وقال آخر : إلبس أخاك على نصنُّعه فلربُّ مُفتضحٍ على النص
 ما ظلتُ أخصُّ عن أخى ثقةٍ إلا ذمَّتْ عواقبُ الفحص
 وقال آخر :

ومنْ ذا الذى ترضى سجاياهُ كلها كفى المرءُ نبلاً أنْ تُعدَّ معائبه
 وكتب الصحاب في فصل : وتمثلت لى أخلاقك التى لولاها لم يسلس الماء
 ولم يرق الهواء ولم ترع الحقو والذمم ولم يعرف المجد والكرم أخلاقٌ جددٌ غير

أخلاق لا تأخذ الأيام جدتها ولا تشهج الليالي بردتها .

ومن جيد ما قيل في اظهار الرغبة في الاخوان قول أبي فراس بن حمدان :

قل لآخواننا الجفأة رويداً إذ رجونا إلى احتمال الملل
ان ذاك الصدود من غير جرم لم يدع في موضعاً للوصال
أحسنوا في وصالكم أو فسيثوا لا عدمناكم على كل حال

وقلت في معناه :

كم قد منحتك حسناً وليس منك جزاء
ترى يضرك أن لو يكون منك وفاء
لا تبلنا بصدود إن الصدود بلاء
بل مالنا منك بدت فاصنع بنا ماتشاء

وأنشدنا أبو أحمد :

اذكر أخانا تولى الله صحبته إني وإن كنت لألقاه ألقاه
الله يعلم أني لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

وقال الخريبي :

أخ لي كذوب الشهيد طعم إخائه إذا اختلفت بيض الليالي وسودها
كأمنية الملهوف حزماً وناثلاً وعوناً على عمياء أمر يكيدها
له نعم عندى ضعفت بشكرها على أنه في كل يوم يزيدها
تحمل عنى شكرها فأراخى وللشكر مرقاة كزود صعودها

وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدني أبو إسحق الشطي قال أنشدنا حماد الراوية^(١) :

(١) هو حماد بن سابور بن المبارك ، كان طالماً بأيام العرب وأخبارها وأنسابها
وأشعارها ولغاتنا . ولد في الكوفة وجال في البادية ودخل الشام فخطى عند بني
أمية ، قال له الوليد الأموي : بم استحققت لقب الراوية ؟ قال يأتي أروى لكل
شاعر تعرفه يأمر المؤمنين أو سمعت به ، ثم لا ينشدني أحد شعراً قديماً أو محدثاً إلا

تصفتُ إخواني بعينِ عنايةٍ فأصلحتُ منها كلُّ ما أفسدَ الدهرُ
وأرضاك عفو الشكر دونَ اجتهادهِ وفي دون ما أوليت ما اجتهد الشكر
ومن ملبح ما قيل في مدح الزمان :

رَقَّ الزَّمانُ لفاقتي ورثي لطولِ تحرُّقي
فأنالني ما أشتهي وأراحَ مما أتقي
فلا أغفرنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السُّبَّقي
حتى جنائتهُ بما فعلَ المشيبَ بفرقي

﴿ في ذم الاخوان والرفقاء ومايجرى مع ذلك ﴾

من قديم ما يروى في ذلك قول لبيد بن ربيعة :
ذهب الذين يُعاشُ في أكنافهمُ وبقيت في خلفِ كجلا الأجر
وضمَّنه جحظة البرمكي فقال :
قومٌ أحاولُ نيلهمُ فكأنتي حاولتُ تنفَ الشعرِ من آناهمُ
قم فاسقنيها بالكبيرِ وغنَّي ذهبَ الذينِ يُعاشُ في أكنافهمُ
وأنشدنا أبو القاسم عن المقدى عن أبي جعفر لأبي الشيص :
وصاحب كان لي وكنتُ له أشفق من والدِ علي ولدِ
كنا كساقٍ يمشى بها قدمُ أو كذراعٍ نيطتُ إلى عضدِ
حتى إذا دانت الحوادثُ منْ خطوى وحلَّ الزمان من عقدي

ميزت القديم من المحدث ، قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال كثير ولكني
أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات
من شعر الجاهلية دون الاسلام ، قال سأمتحنك في هذا ، فأنشد حتى ضجر الوليد
فوكل به من يتق بصدقه فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبر الوليد
بذلك فأمر له بمائة ألف درهم - كما في الاغانى وغيره .

أحول غنى وكان ينظرُ من
وكانَ لي مؤنساً وكنتُ له
حتى إذا استرقدتْ يدي يده
عيني ويرمي بساعدي ويدي
ليس بنا حاجةٌ إلى أحدٍ
كنتُ كاسترقدِ يدَ الأسدِ

ومن جيد ما قيل في ذى الوجهين :

تعاشرني ضحكاً كأنك ناصحٌ
لسانك لي شهيدٌ وقلبك علقمٌ
أراك إذا لم أهو شيئاً هويته
عدوك يخشى صوتي إن لقيته
وكم موطن لولاي طحت كما هوى
كأنك إن قيل ابن عمك غانمٌ
بدا منك غشٌ طالما قد كتتمته
وقريبٌ من ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد قال أخبرنا الصولي قال أخبرنا أبو

ذكوان عن الرياشي قال سمعت أبا عبيدة يقول دخل رجلٌ الكوفة فنزل بأل
عطارد فلم يضيفوه ورأى لهم أبنيةً عاليةً فقال ارتجالاً :

تناهوا برفع الدور حتى كأنها
فليسوا بفتيان الساحة والندى
فقد أصبحت أضياف آل عطارد
ومن ذلك قول الشاعر :

لعمري لقد أعطيتُ برداً وحلةً
فما يكُ من خيرٍ فما تستطيعه
وعراك من ثوب الساحة سالبه
وما يكُ من شرٍّ فانك صاحبه
وقال يزيد المهلبى :

فاذا غنيت فكلهم لي خاتلٌ
وما أ كثر أحدٌ في ذم الزمان
واذا افتقرت فكلهم لي جاني
أكثر إبراهيم بن العباس فن جيد قوله :

كَمْ أَخْ كَانَ مِنِّي فَلَمَّا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ جَفَانِي جَفَانِي
 مُسْتَعِدًّا لِي بِسَهْمِ فَلَمَّا أَنْ رَأَى الدَّهْرَ رَمَانِي رَمَانِي
 وَقَالَ غَيْرِهِ : إِحْذَرْ مُودَّةَ مَا ذِيقِ شَابَ المرارةَ بالخلاوةَ
 مُبْحِصِي العيوبَ عَلَيْكَ إِسْمَامَ الصَّدَاقَةِ للمداوةَ
 وَقَالَ إِبْرَاهِيمَ :

بَلَوْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَ الزَّمَانِ وَكُلُّ بُلُومٍ وَذِمٌّ حَقِيقٌ
 فَأَوْحَشَنِي مِنْ صَدِيقِ الزَّمَانِ وَأَنْسَى بِالْعَدُوِّ الصَّدِيقِ
 وَقَوْلُهُ : أَخْ كُنْتُ أَوْيَ مِنْهُ عِنْدَ أَدِّ كَارِهِه
 سَعَتْ نَوَابُ الأَيَامِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
 وَإِنِّي وَإِعْدَادِي لِدَهْرِي مُحَمَّدًا
 وَقَالَ بَعْضُ الجُمْفَرِيِّينَ :

إِنَّ الجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ أَفْسَدَ النَّاسُ
 فَلَا يَفْرَنُكَ أَضْغَانٌ مُزْمَلَةٌ قَدْ يُرْكَبُ الدَّبْرُ الدَّامِي بِاحْتِلَاسِ
 قَالُوا هُوَ مِنْ قَوْلِ زَفَرِ بْنِ الحَارِثِ :

وَقَدْ يَنْبِتُ المُرْعَى عَلَى دَمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حِرَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ
 قَالُوا يَعْنِي الرَّجُلَ يَظْهَرُ لَكَ الوُدُّ وَيَضْمُرُ خِلَافَهُ كَالنَّبَاتِ الحَسَنِ يَنْبِتُ عَلَى
 القَنْدَرِ فِيصِيرُ رَائِقَ الظَّاهِرِ خَبِيثَ البَاطِنِ ، وَقَالَ آخَرُونَ : الدَّمْنَةُ حَيْثُ تُنْزَلُ
 الأَبْلُ فَنَدَمْنَا بِالأَبْوَالِ والأَبْعَارِ فَلَا تُنْبِتُ شَيْئًا فَإِذَا طَالَ عَلَيْهِ العَهْدُ وَسَقَمَتِ الرِّيحُ
 وَأَصَابَتِ السَّمَاءُ نَبْتًا بَعْدَ حِينٍ ، فَيَقُولُ قَدْ يَنْبِتُ ذَاكَ وَهُوَ مِمَّا لَا يَنْبِتُ وَيَتَغَيَّرُ
 بِالنَّبَاتِ وَتَبْقَى حِرَازَاتُ القُلُوبِ لَا تَتَغَيَّرُ ، وَهَذَا التَّفْسِيرُ هُوَ الصَّحِيحُ لِأَنَّ أَلْفَاظَ
 البَيْتِ تَقْتَضِيهِ والأَوَّلُ فَاسِدٌ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَقْتَضَاهَا .

وَقَالَ أَبُو فِرَاسِ بْنِ حَمْدَانَ فِي ذِمِّ الأَخْوَانِ فَأَجَادَ :

تَنَاسَى الأَصْحَابُ إِلاَّ العُصْبِيَّةُ سَتَلْحَقُ بِالأُخْرَى غَدًا وَتَحْمُولُ

فمن قبلُ كان الغدرُ في الناس سبباً
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه (١)
ومن ذا الذي يبقي (٢) على الدهر إناهم
وصرنا نرى أن المتارك محسنٌ
أقلبُ طرفي لا أرى غير صاحبِ
وقلت: إلى كم تستمرُّ على الجفاء
فمن لي أن أرى لك مثلَ فعلي
ألا إني لأعرفُ كلَّ شيءٍ
عريتَ من الوفاءِ وليس بدعاً
فان ترجعِ إلى الحسنى وإلا
وإن كان التقاربُ ليس مُجدي
وأشدنا أبو أحمد قال أنشدني ابن لذكك البصرى لنفسه يذم الزمان:

يا زماناً ألبسَ الاحـرارَ ذلاً ومهانَةً

لست عندى زمان

وقلت: زمانٌ كثوب الغولِ فيه تلوُّنٌ
وقال آخر في خلاف ذلك:

أرى حلالاً تصانُ على رجال

يقولون الزمان به فسادٌ

وأشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد:

مشى فوقه رجلاه والرأس تحته

وقال أبو السمر موسى بن سحيم:

متى ما تفكر في الزمانِ وأهله

نقل لاعبٌ هذا وليس بلاعبٍ

(١) في ديوان أبي فراس « خليله » . (٢) في الديوان « وإن الذي يبقي » .

وأنشدنا الآخر أيضاً :

تبدل هذا الدهر فيمار جوتته على انه فيما أحاذره ندب
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة لمحمد بن يعقوب بن داود :
لاتعجبنيك عمامتي فالفقر من تحت العمامة
والفقر في زمن الثنا م لكل ذي كرم علامه
وقلت في قريب منه :

وليس ينفك كسخان يجاذبنا علامة الحر أن يبلى بكسخان
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه :
رب قد ضاقت النفوس وقد قلت الحيل
فلك لا يدور إلا بما تشتهي السفل

وقال أبو تمام :

على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب
ومن عادة الأيام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب
وقال قابوس بن شمعون :

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل تاند الدهر إلا من له خطر
فإن تكن نشبت أيدي الزمان بنا ومسننا من تمادى يؤسه ضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد (١) وليس يكسف إلا الشمس والقمر
أما ترى البحر يعلو فوقه جيف وتستقر بأقصى قمره الدرر
وقريب من هذا ماقلته :

إن كنت تسلم من شغب الزمان ولا أعطى السلامة منه كلما شغبا
فالمصاصات إذا مرت على شجر حطمنه وتركن البقل والعشبا
وأنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا جحظة البرمكي لنفسه في المعنى الأول :

(١) وفي رواية « لاعداد لها » .

يقولون زُرناواقضِ واجبَ حقنا وقد أسقطتُ حالي حقوقهمُ غنى
إذا أبصروا حالي ولم يأنفوا لها ولا لهم منها أنتُ لهم مَنِي
وأنشدنا أبو علي بن أبي حفص قال أنشدني أبو جعفر للعطوى (١) :

لِيَ خَمْسُونَ صَدِيقًا بَيْنَ قَاضٍ وَأَمِيرٍ
لَبَسُوا الْوَفَرَ فَلَمْ أَخْلَعْ بِهِمْ ثُوبَ الْفَقِيرِ
كَلِمَهُمْ كَالِ لِي الْحَرِّ مَانَ بِالصَّاعِ الْكَبِيرِ

ومن ههنا أخذ ابن الرومي قوله :

سَأَلْتُ قَفِيزِينَ مِنْ حَنْطَةِ فَجَدتْ بَكْرًا مِنَ الْمَنَعِ وَافِي
وَقَدْ تَقَدَّمَ . وَقَلتْ :

أَلَيْسَ صَعْبًا أَنْ تَرَى كَاشِحًا مَالِكٌ يَدُّ مِنْ مَدَارَاتِهِ
أَصْبَحْتَ فِي دَارِ إِسَاتِهِ أَعْدَادِ أَنْفَاسِي وَسَاعَاتِهِ
وأنشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري (٢) :

لَيْتَكَ أَدَّبْتَنِي بِوَاحِدَةٍ تَقْنَعُنِي مِنْكَ آخِرَ الْأَبْدِ
تَحْلِفُ لِي لَا تَبْرُنِي (٣) أَبَدًا فَانَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَى كَبْدِي
أَشْفَ فَوَادِي مَنِي فَانَّ بِهِ عَلَى قَرْحًا (٤) نَكَاتِهِ يَدِي
أَنْ كَانَ رَزْقِي الْبَيْكِ فَارْمَ بِهِ فِي نَاطِرِي حَيَّةٍ عَلَى رَصْدِ
فَكَيْفَ أَخْطَأْتُ لِأَصْبَتُ وَلَا تَهَضَّتْ مِنْ عَشْرَةٍ إِلَى سَدَدِ

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بصري المولد والمنشأ ، كان كاتباً شاعراً في الدولة العباسية ، له فن من الشعر لم يسبق إليه ذهب فيه الى مذهب أهل الكلام ففارق جميع نظرائه وخف شعره وروى واستعمله الكتاب وجملوه إماماً .

(٢) شاعر مطبوع من بني شيبان متوسط الشعر من شعراء الدولة العباسية كان مداحاً هجاءً مليح النواذر . (٣) في الأغاني « تحلف أن لا تبرني » .

(٤) في الأغاني (مني جرحاً نكاته) .

لو كنتُ حُرّاً كما زعمتُ وقد
لكنتى عُدتُ ثم عُدتُ فان
قد صرت من سوء ما بليت به
وقلت: العين تذرِف والفؤاد يذوبُ
ولقلة الكرماء أنت مُضَيِّعٌ
تالله لم تخطفك أسباب الغنى
فاصبر فقد عزّاك عن درك الغنى
طابوا قطوبى ان تعذرَ مطلبي
وشحوب جسمى من مواصلة السرى
واقعد بدلٌ على كمال كرامتى
واقعد جلا حزنى وفرج كربنى
لا تلعبنّ فمن ورائك طالبٌ
وقال أبو تمام :

هب من له شيءٌ يريدُ حجابَهُ
ما زال وسواسى لقلبي خادما
ما ان سمعتُ ولا أرانى سامعاً
ما كنت أدرى لادريت بأنه

ما بال لاشيء عليه حجابُ
حتى رجا مطراً وليس سحاب
يوماً بصحراء عليها باب
يجرى بأفنية البيوتِ مراب

﴿ فصل فيما قيل في فضل الوعد ومدح الانجاز ﴾

أخبرنا أبو أحمد قال أخبرنا الصولى قال حدثنا ابن زكريا عن ابن دينار قال
حدثنا محمد بن عبيد الله العتيبي قال كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد بن برمك
في حاجة لرجل فقال عده عنى قضاءها فقال وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود
القدرة؟ فقال له يحيى هذا قول من لم يعرف موضع الصنائع من القلوب إن الحاجة اذا

لم يتقدمها موعد ينتظر به تبحها لم تتجاذب الأئفس بسرورها ولم تتلذذ بتناولها وإن الوعد تطعم والأبجاز طعام . وليس من فاجأه طعام كمن وجد رائحته وتمطق له وتطعمه ثم طعمه فدع الحاجة تحتم بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل وحلاوة ذوق .

وأخبرنا أبو أحمد قال حدثنا الصولى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلبى قال أخبرنا البحترى عن خارجة بن مسلم بن الوليد عن أبيه قال سألت الفضل بن سهل حاجة فقال أسوفك اليوم بالوعد وأحبوك غداً بالأبجاز فأنى سمعت يحيى بن خالد يقول المواعيد شباك السكرام . بصطادون بها محامد الأخوان وإن كان المعطي لا يعد لارتفعت مفاخر أبجاز المواعيد وبطل فضل صدق القول . وقال عيسى بن ماهان جلسائه أنى أحب أن أهب بلا وعد وأحب أن أعد لأخرج بالأبجاز من جملة الخلفين وأدخل فى عداد الوافين ويؤثر عنى كرم المنجزين فإن من سبق فعله وعده وصف بكرم فرد وسقط عنه جميع ما ذكر . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى قال أخبرنى عون بن محمد قال ذكر العتابى المأمون فقال إنه ألقح معروفه عندى بالوعد ونتجه بالنجح وأرضه بالزيادة وشبيهه بالتهد وهرمه باستتمامه من جهاته وهناه بترك الامتنان به . ومن عجيب ما جاء فى الحث على الأبجاز ما حدثنى به أبو أحمد عن الصولى عن يموت بن المزروع قال حدثنا عبد الصمد بن المفضل قال شكارجل^ه جمعفر بن يحيى الى أبيه بأنه وعده ومطله به . فوقع : يا بنى أنتم معاقل الاحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى فكونوا سواء فى الأقوال والأفعال فإن الحر يدخر وعد الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته فإن أخفق أمله كان سبباً لذهمه واتهامه وسوء ظنه حتى يوارى قبح ذلك وحسن نقيته فأبجد الوعد وإلا فقصر القول فإنه أعذر والسلام . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن محمد بن يونس عن الحميدى عن سفيان قال سمعت الزهرى يقول : حقيق على من أزهى بالوعد أن يشر بالفعل . ومن جيد ما مدح به المنجز قول أبى تمام :

نومُ أبا الحسين وكان قدما فتى أعمارُ موعده قصار
 تحنُّ عداته أثر التقاضى وتنتج مثل ماتج العشار
 وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن المغيرة بن محمد قال كلم المأمون في الحسين
 ابن الضحاك الخليج أن يردَّ عليه رزقه فقال المأمون : أليس هو القائل في الأمين :
 فلا فرحَ المأمون بالملك بمدّه ولا زال في الدنيا طريداً مشرّداً
 فما زالوا به حتى أذن له أن ينشده فأنشده :

أبن لى فانى قد ظممتُ الى الوعدِ متى تنجز الوعدَ المؤكدَ بالعهدِ
 أعيدك من صدِّ الملوك وقد ترى تقطع أنفاسى عليك من الوجد
 فالى شفيعٍ عندَ محسنك غيره ولا سببٌ إلا التمسك بالوُدِّ
 أيبخلُ فردَ الحسنِ فردَ صفاتهِ على وقد أفردته بهوى فرد
 فاستحسن الناسُ هذا التشبيب فلما قال :

رأى الله عبد الله خير عباده فما كهُ والله أعلم بالعبد
 قال هذه بتلك وقد عفونا عنك . فقال يأمر المؤمنين فأتبع عفوك باحسانك
 فأمر بردَّ أرزاقه عليه وكانت في كل شهر خمسمائة دينار فقال المأمون لولا انى
 نويت العفو عنه وجملت ذلك وعدّ له من قبل ما فعلته ، وانما ذكر العهد في
 تشبيهه فدكرنيه . وما أحسن ما قاله بمضُ ملوك العجم : البخل بعد وعد يُضعف
 قبجه على البخل قبله فما قولك في أمر البخل أحسن منه وأجمل .

﴿ ما قيل في الضحك والبشر عند السؤال ﴾

أول من أتى بذلك زهير في قوله :
 تراه إذا ماجتته مُتهللاً كأنك مُعطيهِ الذى أنت سائله
 ولو قال مكان « إذا ماجتته » « إذا ماسأته » لكان أجود .
 ومن الجيد في ذلك قول أبي نواس :

بشرهم قبل النوال اللاحق
والغيث يخنى وقعه المرامق
كالبرق يبدو قبل جود دافق
إن لم يجده بدليل البارق
وأخذ أبو تمام هذا فقال :

يستنزِلُ الأمل البعيد ببشره
وكذا السحائبُ قلها تدعو إلى
مُشرى الخيلة بالغيث (١) المغدق
معروفها الرُّوَادُ ما لم تبرق
وتبعه البحترى فقال :

كانت بشاشتك الأولى التي بدأت
كالزينة استؤنفت أولى مخيلتها
بالبشر ثم اقتبلنا بعدها النعما
ثم استهلته بغزر تابع الديما
وقال أبو عبد الله القطريلي قلت للبحترى وقعت دون أبي تمام في هذا المعنى
فقال لعمرى ولكن سأرضيك فيه فقال في أبي الصقر :

يوليك صدر اليوم قاصية الغنى
سوم السحائب مابدأن بوارقا
بفوائد (٢) قد كنّ أمس مواعدا
في عارضٍ إلا ثنين رواعدا
والرعد لا يكون إلا ومعه الغيث فكانه قال إلا ثنين مواطرأ ثم رده فقال :
إعما البشر روضةً فاذا أعقب بدلاً فروضةً وغديرُ
وقال البحترى :

ملكٌ عنده على كلِّ حال
وكأنا من وعده ونداه
كرمٌ زائدٌ على التقدير
أبدأً بين روضةً وغدير
وقال : ضحكات في إثرهنّ العطايا
وبروق السحاب قبل رُعوده
وله أيضاً :

مُتهلِّلٌ طلقٌ إذا وعد الغنى
كلزّن إن سطعت لوامعُ برقه
بالبشر أتبع بشره بالنائل
أجلت لنا عن ديمة أو وابل
وأشدنا أبو أحمد قال أنشدنا الصولي لنفسه :

(١) في ديوان أبي تمام (بالربيع). (٢) في ديوان البحترى (بعوائد).

لست تلاقي سائلاً بردٌ نعيم بشر سوّدد وتبسدي
كالبرق يأنيك أمام الرعد بشرى الغيوث بمجباب رغد
يلقى بك الطالبُ نجم السعدِ بلغت في الاعمار أقصى العد

(فصل في تسمية الأشعار)

عمى عبد كان للاحول على أبي صالح محمد بن عبيد الله بيتاً غاظ فيه ورسمه :

نظيف خفيف نظيف فايق نظيف مقبل بعلب - نظيف
طريف مدل فايق نظيف فايق مقبل نظيف فايق
رشيق بدر ملب لمن نظيف مهذب معشوق نظيف

مهذب ملاحظ رشيق مغاضب نظيف . فأخرجه وكان البيت :

إذا قلتُ أسلو دامت العينُ بالبكا دماءٌ وحقتها مدامعُ حُفْلُ

وكان الجواب الصادر :

ألا أيها الشخصُ الذي كان نزهة يحصنه سترٌ من الله مسبلُ
لماذا هتكتَ السر عنك نعداً ولست بحمدِ الله ممن يُجهلُ
رأيتك قد عيتَ بيتاً رسمتهُ بكلّ خطأ فهو مثلك أحولُ
وكان لمتبول الفؤادِ معذبُ أخى حسرةً بالهجرِ والصدِّ يُقتلُ
فقال وقد رامَ السلو فلم يجد وبات كثيراً بالياً يتملُ
إذا قلتُ أسلودامت العينُ بالبكا دماءٌ وحقتها مدامعُ حُفْلُ

وعى حمزة الأصفهاني على أبي جعفر محمد بن أيوب بيتاً رسمه :

نرجس خيري بنفسج حاحم شاهسفرم اقحوان نسرين
نسرين اقحوان نسرين مرزنجوش ورد ياسمين نسرين
زعفران تمام سُوسن أفرنحمشك آس منشور مرزنجوش
بنفسج بلحية ياسمين مرزنجوش نسرين تمام منشور

خيرى منشور افحوان زعفران سيدسمنبر خز امي بنفسج مرزنجوش . فأخرجه وكان البيت:

كفى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ^{هـ} عليه ولا معروفَ عند بخيل
فكان الجواب الصادر :

فذاك أبا يعلى أخ لك لم يزل بعدك ذخراً عند كل جليل
إلى أن قال :

فقال وقد جاب البلاد فلم يجد أبا ثروة يسخرى له بفتيل
كفى حزناً أن الجوادَ مُقْتَرٌ^{هـ} عليه ولا معروفَ عند بخيل
ومن أحسن ما قيل في هذا قول أبي سعيد الأصفهاني وقد عمى عليه زياد بن
جعفر الهمداني بيتاً فأخرجه وكان الجواب :

إذا العارضُ السحُّ بالوبلِ جادا وأنزلَ غيثاً أظكَّ البلادا
وأسرجَ فيه وميضُ البروقِ مصاييحَ تزهرُ منه اتقادا
وثج^(١) فما شكَّ ذو ناظر رأى سبيله أن فيه مرادا
فعمَّ بشربوبه سادى وخصَّ بأغزرِ سقى زيادا
زياد بن جعفر المستجار لصرِفِ الزَّمانِ إذا ما نادى
فداؤك نفسى وإن سمتنى غناءً طويلاً حماني الرقادا
أنتنى الطيورُ فساترنى بيتت تعمقت فيه عنادا
إلى أن تمكنت من صيدها وقد صدتها إذ عرفت المصادا
وقلت لها غردى بالذى كتمت فأسرعن نحوى انقيادا
وأشدت بيتاً معادَ الفصول ولست ترى فيه معنى مُعادا
ومن ذلَّ قلَّ ومن قلَّ ذلَّ ومن سادَ جادَ ومن جادَ سادا
أردت سقاطى فما نلتُهُ فملتُ المنى وبلغتُ المرادا
وأبقاك ربى بقاء النعم عليك وملاك منه وزادا

(١) أى سال .

وكتب إلى أبي عبد الله جعفر بن القاسم الكرخي جواباً عن معنى :

دمعى على الخلد سكبُ ونارُ شوقٍ تشبُّ
 وليس ييقى على ما يلقاه قلبي قلب
 لله عهد الليالي إذ مورد العيش عذب
 واذ شبابي لدنٌ وغصنٌ قدي شطب
 يا جعفر القوم يامن يدعى إذا جلَّ خطب
 فذاك عبدٌ مشوقٌ إلى لقائك صب
 أبعدتني وسواءٌ بعدٌ لدى وقرب
 أخلاط طيب أتتني منها يببسٌ ورطب
 قربتها نار طبع يدوم والنار تجبو
 عودٌ ومسكٌ ذكيٌ وعنبرٌ مستحبٌ
 أوردتها نار فكري ففاح شرقٌ وغرب
 وهبٌ للفهم منها روائحٌ لا تهبُّ
 فنلت بالشَّمِّ مالم ينله مُعجمٌ وعرب
 بيتنا كما اهتزَّ روضٌ أو أكل الوشى عصب
 شبٌ وسنٌ وجهل هذا لعمر ك صعب
 بجعفرٍ وأخيه نال الورى ما أحبوا
 نفسى فداكم وما قد أهلٌ بالهج ركب
 ذنبى انقطاعى اليكم ان عُدَّ للناس ذنب
 فذاك للخلق كهفٌ وذاك للمجد قطب
 لثٌ إذا عضَّ دهرٌ غيثٌ إذا اشتدَّ جذب
 لى منهما اليوم رأى يُرى غداً وهو كسب

والتعمية أن تجعل مكان كل حرف من البيت اسماً على مثال ما تقدم فإذا

مضت الكلمة تدبير دائرة على ذلك حتى تأتي على آخر البيت . ووجه استخراج المعنى أن تنظر الى الأسماء التي جعلت مكان الحرف فما تكرر منها وأكثر في البيت فظن أنه للألف وربما لم يصدق هذا الظن ولكنه الأمر الأكثر فاطلب بعده اللام فإنها تقع بعد الألف كثيراً وانظر الى ما طال في البيت من الكلمات فإذا رأيت الألف في أولها فظن بالثانية أنها لام وربما تكرر ذلك في موضعين من البيت وثلاثة ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع بعد الاسم إذا ظننت أنه الألف حرفان على صورة واحدة في مثل اللبيب والليل واليئ وفي قولك الله وما أشبه ذلك ، ومما يستدل به على معرفة اللام أيضا أن يقع في البيت كلمة على حرفين وقد عرفت الألف واللام فتكون الكلمة تزداد يقيناً في الألف واللام وإذا صحت لك الألف واللام رأيت في البيت كلمة على حرفين والثاني منهما ألف فظن أنها « ما » أو « ذا » أو « يا » لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا صحت الميم من (ما) ثم رأيت كلمة على حرفين فظن بها أنها (من) فإن رأيت كلمة على حرفين وأولها ألف فظن بالثاني أنه نون أو واو أو ميم ، فإذا عرفت الألف في أول كلمة ورأيت قبلها حرفاً فظن أنه واو أو فاء أو باء أو كاف فإذا عرفت الألف ورأيتها وقد وقعت آخر البيت فظن بالحرف الذي قبلها أنه هاء أو كاف لأن ذلك أكثر ما يقع فإذا تكرر لك هذه الحروف في البيت وقفت منه على أكثره ، ثم تعمد الى الحروف التي يقل تكرارها في البيت فننظر الى الكلمة الرباعية أو الخماسية فنظن أنها أبداً ان فيها أحد الحروف الستة اللام والراء والنون والفاء والتاء والميم لأنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين . ولا ينفع ما مثلنا من هذه الأمثلة إلا مع جودة الفريجة وشدة الذكاء والفتنة ومع النشاط وصدق الشهوة .

وذكر بعض أهل العلم وأظهه أبا الحسن العروضي أنه مسمى له قول الشاعر :

وكن ذا كراً بيت التوبيخ إنه سيحلو على سمع اللبيب ويعذب

فكانت تعميته : زيد بكر عمرو سعد بدر بكر بدر سهل صقر فهذ بدر شهر

عمرو زيد صقر سهل رشد بدر عمرو حمد قصر عقر مكر شهر زيد بدر فخر شهر
صقر قصر سلم فخر بدر شهر شهر سهل صقر سهل زيد صقر فخر سعد سهل صقر .
قال فأول ما استخرجت منه الألف لأنها أكثر ما فيه من الحروف ثم عرفت
بعدها اللام لأنها واقعتان في قوله (النويغ) وفي قوله (اللييب) فلما بصحت الألف
واللام رأيت اللام قد تكرر فعلمت أنها لا تتكرر إلا في مثل اللييب واللطيف
وكان أقربها في ظني اللييب ، عمدت بعد ذلك إلى الكلمة الثالثة فرأيت الباء
والياء فيهما وبقي الحرف الثالث فعرضته على الحروف فخرج لي بيت وبيد وبيش
وبيض وبيع وبين فلم أجزم على شيء منها فتركتها موقوفة ثم قصدت إلى الكلمة
السابعة فرأيت فيها اللام والباء فلم أشك أن الحرف الأول العين وأن الكلمة
(على) ثم قصدت الكلمة الثامنة فرأيت العين في آخرها فطلبت على هذا المثال
ما آخره عين فجاءني جمع ورجع ودمع وسمع فتركتها موقوفة ثم عمدت إلى الكلمة
الأخيرة فرأيت فيها ما تبينته وعرفته الياء والعين والباء فعمدت إلى الياء والعين
فوضعتهم مع سائر الحروف فخرج لي : يعتب ويعجب ويعذب ويعرب ويعطب وما
شاكل ذلك فقابلت ما خرج من وجوه الكلمة الأخيرة على ما يقرب في المعنى مع
ادخال اللييب بينهما فصح لي أن الثامنة (سمع) وأن الأخيرة يعذب وعلمت أن زيدا
في أول الكلمة الأخيرة واو فلما صح (على سمع اللييب) لم أشك أن الكلمة السادسة
(سيحلو) قد ظهرت فيه السين والياء واللام والواو والألف فلما عرضت الكلمة مع
سائر الحروف لم يطابق يعذب في المعنى إلا يحلو فلما ظهر ذلك علمت بالمعنى والوزن
جميعاً أن الذي ظهر من البيت يدل على أنه في ذكر شيء فيه كناية في وسط
البيت وأولها ألف والنون تليها كثيراً فأدى الوزن إلى أن بعدها هاء وان الكلمة
(إنه) فلما ظهرت النون وكنت قد عرفت الواو من الكلمة الأخيرة علمت أن
أول كلمة في البيت (وكن) بغير شك وان الثانية « ذا كراً » لأن الذال ظهرت في
يعذب والألف معروفة والكاف قد بان من الكلمة الأولى والألف الثانية

معروفة بقيت الراء فلما عرضتها على سائر الحروف لم يحىء غير الراء ثم قصدت الى
الكلمة الرابعة فلم أجد فيها حرفاً غير ظاهر قد عرفته إلا اللين فقط فلم أدر ما هو
فلولا أن الوزن أدى اليه بعد طول تعب لم يكن يظهر فلما علمت أنها (النويغ)
لم أشك أن الثالثة (بيت) وظهر البيت كله .

ومن المعنى بغامض الحساب قول ابن طباطبا :

ان رحت مافي يديه ملتصاً وكنتُ أشكو اليه ضيقَ يدي
أحصت ألوفا يسراً أربعة منقوصة سبعة من العدد
وفي هذا المعنى شيء كثيرٌ هذا أجوده فاعرف ذلك . وقلت في ضرب من المعنى :

وأصفرهُ تَحْمَرُّ أطرافه يا أحسنه من مطرف مُعلم
صدره الانسان في بيته وهو مُهانٌ ليسَ بالمكرم
والمرءُ قد يعلو على ظهره وهو سليم الدين لم يَأْتِم
وهو على ما كان من ذلّة مُسَى باسم الملك الأعظم

أعنى حصيراً والملك يُسمّى حصيراً ، قال الشاعر :

ومقامه غاب الرقاب كأنهم جندٌ لدى باب الحصير قيام
وقات: وميت لا يكاد المرء يدفنه إلا إذا طادَ حياً بعد ما ماتا
وميتٌ غيبوا في الأرضُ جثته عداً لكي يجملوا الأحياء أمواتا

الأول الذكر والثاني الفخ . ومن مליح المعنى ما أخبرنا به أبو أحمد قال حدثنا
ابن عمار قال حدثنا يعقوب بن اسرائيل قال حدثنا عبد الحميد بن عقبة قال حدثني
أبو عثمان المازني قال هجا أبو عيينة اسماعيل بن جعفر بن سليمان بشعرٍ مُورٍ
فلم يفهمه وكان كلما جاءه من يأنس به عرضه عليه حتى دخل رجلٌ فأقرأه إياه وهو قوله :

اني أحاجيك فاعلمنَّ فما لؤلؤةٌ منك قد ثقبناها
وكرمةٍ من أهلك منبتها حتى اذا أينعتْ قطفناها
تخبرنا ماها وما سُبلٌ تشعبت منك قد سلكناها

لم نمش فيها ريثاً ولا عجبلاً ولم نظأها وقد وطئناها
فان تصبها فانت ذو فطنٍ وحاجتي أن تصيب معناها
فقال أيها الأمير انه كلامٌ رديٌّ أكره أن أستقبلك به فقال هاته قال
أما اللؤلؤة فالبنت وأما الكرمة من أيك فالأخت وأما السبلُ التي تشعبت
فالأُم نظأها بالاقدام ووطئناها بالفعل. وقال الآخريد كره دعوة يدعو بها على رجل:
وسارية لم تسر في الأرضِ تبغى محلاً ولم يقطع بها البيدَ قاطعُ
سرت حيث لم تسرِ الركب ولم تمنح لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تكرَّ وراء الليلِ والليلُ مظلمٌ إذا قرعَ الأبوابَ منهنَّ قارعُ
إذا وفدت لم يردد اللهُ وفدها على أهلها واللهُ راء وسامعُ
واني لأرجو اللهَ حتى كأني أرى بجميل الظنِّ ما اللهُ صانعُ
﴿ أحسن ما قيل في تقييل اليد ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن خالد عن أبي بكر بن محمد بن خلاد
الباهلي عن محمد بن الفضل عن أبي الزناد عن عبد الرحمن عن ابن أبي ليلى عن
عبد الله بن عمر قال كنت في غزوة في بعض مصالح رسول الله ﷺ فتلقنا العدو
فخاص الناس حيصه^(١) فكنت فيمن حاص ثم قلنا حين رجعنا إلى أنفسنا كيف
ننظر في وجوه القوم وقد يؤنا بفضب من الله ثم قلنا نأتى المدينة فنبيت بها ثم
نخرج فلا يرانا أحدٌ فلما أتينا المدينة قلنا لوعرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ
فأتيناها فلما خرج إلى الصلاة قلنا يارسول الله نحن الفرارون. قال « بل أنتم الكرَّارون »
فقبلنا يده قال ثم قلنا يارسول الله إنا همنا بكذا فقال إنا ففة المسلمين ثم قرأ
(إِلَّا مُتَحَرِّراً فَالْقِتَالِ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضِيبٍ مِنَ اللَّهِ).
وباسناد لنا أن ابن أبي ليلى قبل يد أبي مسلم فقال له رجل أنتقبل يد أبي مسلم ؟
قال أوليس أبو عبيدة قبل يد عمر ؟ قال أو تجمل أبا مسلم مثل عمر ؟ قال أو تجملني

(١) أى جالوا جولة يطلبون الفرار .

مثل أبي عبيدة . وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن زكريا عن محمد بن عبيد الله العتيبي قال قبل رجل يد المهدي فقال يد أمير المؤمنين أحق يد بتقبيل لعلوها في المكارم وطهارتها من الماء ثم وإنك ليوسفي العفو اسمعيلي الصدق شعبي الرفق فمن أرادك بريدة خوف أو سوء فعمله الله طريد خوفك وحصيد سيفك .

ومن أجود ما قيل في ذلك من الشعر ما أنشدنا أبو أحمد عن الصولي لابراهيم بن العباس في الفضل بن سهل قال أنشدنا ثعلب وأبو ذكوان :

لفضل بن سهل يدٌ تقاصر عنها المثل
فبسطتها للفنى وسطوتها للأجل
وباطنها للندى وظاهرها للقبل

فأخذه ابن الرومي فقال للقسم بن عبيد الله رحمه الله :

أصبحت بين خصاصة وتجميل والمرء بينهما يموت هزيبا
فامدد إلى يدٍ تعود بطنها بذل النوال وظهرها التقبيل
وقال أيضاً * له راحة فيها الحطيم وزمزم * . وقلت :

فظاهرها للناس ركن مقبل
هو البحر لآعين من الجود عيلم
يجل عن تقبيل ظاهر كفه
وباطنها عن أن تقاس بزمزم

ومما جاء في كراهة ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العتيبي قال استأذن رجل هرون الجعدي في تقبيل يده فأبى وقال انها لمن العربي ذلة ومن المعجمي خدعة فلا حاجة لي في أن تذلي أو تخدع فاعقني من ذلك .

﴿ الحض على السلام ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن ابراهيم بن عبد الله النمرى عن الضحاك بن مخلد عن ابن عجلان عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (إنما

جاء أحدكم المجلسَ فليسلمْ فإن قام والقومُ جلوس فليسلمْ فإن الأولى ليست بأحقَّ
 من الآخرة) وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن ابراهيم بن فهد عن عبد الله بن
 رجاء عن سعيد بن سلمة عن أبي بكر عن نافع عن ابن عمر أن رجلاً مرَّ برسول الله
 ﷺ وهو يهرق الماء فسلم عليه الرجل فرد عليه فقال إنه ما حملنى على الرَّد عليك
 إلا أنى خشيتُ أن تقولَ سلمتُ عليه فلم يردَّ علىَّ فإذا رأيتنى هكذا فلا تسلمْ علىَّ فانك
 إن تفعل لأردُّ عليك السلام» وعنه عليه السلام «تمامُ التحيةِ أخذٌ باليد» وحدثنا
 أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن العباس بن بكار عن المفضل الضبي عن
 جدته عن مكعب الأسدى قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت :

يقولُ أبو مُكعبٍ صادقاً عليك السلامُ أبا القاسمِ

سلام الآلهِ وريحانهُ وروح المصلينِ والصائمِ

فقال رسول الله ﷺ « عليك السلامُ تحيةُ الموتى » قال المصنف تقول

العرب للميت « عليك السلام » قال الشاعر :

عليك أبا بشر سلامٌ ورحمةٌ وقد بنت منا كلنا لك حامد

فلا يُبعدنك اللهُ ميتاً فإما حياةُ اليتى سيراً الى الموتِ قاصدٌ

وقال عبدة بن الطيب :

عليك سلامُ الله قيس بن عاصمٍ ورحمتهُ ماشاء أن يترحمها

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن الغلابى عن ابن عائشة قال دخل الحسن بن

الكنانى على عبد الله بن جعفر ذى الجناحين ^(١) فأنشده قوله فيه :

عليك السلامُ أبا جعفرٍ وسيد فخر لى المحضر

فأنت المهدبُ من هاشمٍ وخير قریش إذا تذكر

(١) لقبه به النبي ﷺ لما قتل شهيداً في غزوة مؤتة وكانت قطعت فيها يدها

وهما مسكتان للراية فقال الرسول ﷺ « إن الله تعالى قد أبدله بهما جناحين

يُطيرُ بهما في الجنة حيثُ شاء » كما في جنى الجنتين في تمييز نوعى المثنيين لهججى .

فقال له عبد الله أخطأت مرتين (عليك السلام) أكثر ما تستعمل هذه اللاموات وقد
 أمكنك أن تقول * سلامٌ عليك أبا جعفر * ثم جمعت لي ما كان لرسول الله ﷺ
 ووصفتني بصفته ، قال فاستمع البيت الذي سقت له ماسقت قال هاته فقال :
 فهذي ثيابي قد أخلقتُ وقد عضتني زَمَنٌ منكر
 فقال عبد الله هذي ثيابي لك بها ، ودعا بغيرها ودفعتها إليه .

﴿ السلام على الكفار ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن الغلابي عن العباس بن بكار عن أبي بكر الهذلي
 قال سلم نصراني على الشعبي فقال له الشعبي وعليك السلام ورحمة الله ، فقال له
 رجل سبحان الله تقول لهذا النصراني ورحمة الله ! فقال الشعبي أليس في رحمة الله
 يعيش قال بلا قال فما وجه الإنكار على عافك الله تعالى وإيانا برحمته .

﴿ رد السلام بالإشارة ﴾

حدثنا أبو أحمد عن الصولي عن العباس بن الفضل الأسفاطي عن ثابت عن
 عبد العزيز عن هشام بن سعد عن نافع عن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله
 ﷺ إلى البقيع فقام فصلى فجاءت الأنصارُ تسلم عليه قال فسألت بلالاً كيف
 كان يردُّ عليهم قال كان يشير إليهم بيده . وأنشدنا عنه عن محمد الأسدي عن
 أبي هفان عن أبي محلم لأبي طراد أسعد بن البكا البكري :

مررنا فقلناها السلام عليكم فبلغها ضيق المحل غيورٌ
 وما كنت أدري أن في الخبيرية ولا إن رجماً بالسلام يضير

﴿ ماجاء في المصافحة ﴾

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن الأسفاطي عن يعقوب بن حميد عن أسحق
 ابن إبراهيم بن سعيد عن صفوان بن سليم عن إبراهيم بن عبيد بن رفاة عن ابن
 (٢٨ - ثاني المعاني)

أبي ليلي عن حذيفة قال قال النبي ﷺ « إذا لقيَ المؤمنُ المؤمنَ فصاحَ أحدُهما صاحبه تناثرَتِ الخطايا بينهما كما يتناثرُ ورقُ الشجرِ »

وقال الحسن: المصافحة تزيد المودة . وحدثنا عنه عن الغلابي عن ابن عائشة قال دخل سوار العنبري على المنصور فقال يا أمير المؤمنين على ما أحدث الناسُ اليوم أم على ما كان عليه الأوائل ؟ قال بل على ما كان عليه ، فدنا فصافحه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المنذر يقول دخل الفقهاء على المتوكل ونحن وقوف بين يديه فاستدناهم فكلُّ قبَّل يده إلا اسحق بن اسرائيل فإنه قال يا أمير المؤمنين ما ينقصك أن أقبل يدك - ولم يُقبَّل يد المتوكل - وقد حدثني الفضل ابن عياض عن هشام بن حسان عن الحسن قال المصافحةُ تزيد في المودة وسمي بها المؤمنون فبسط المتوكل يده فصافحه ، ووصله المتوكل بأكثر مما وصل به أصحابه .

وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم المازحي لبعض شعراء الشام :

تصافحت الأَكفُ وكان أشهى إلينا لو تصافحت الخدودُ
تموت إذا التقي كَفٌّ وكَفٌّ فكيفَ إذا التقي جيدٌ وجيدٌ
وقال آخر :

فصافحت من لاقيتُ في البيت غيرها وكلُّ الهوى مني لمن لم أصافح
وقال أبو العتاهية يهجو عبد الله بن معن بن زائدة :

أخت بني الشيبان مرَّت بنا ممسوطَةً كوراً على بغل
قد نقطت في كفها نقطةً مخافة العين من الكحل
لقيته يوماً فصافحته فقال دع كفي وخذ رجلي

﴿ حياك الله ويياك ﴾

معنى حياك الله سلام عليك ، والتحية أيضاً الملك فحياك الله على هذا التأويل
ملكك الله ، والتحية البقاء ، وهو على هذا التأويل أبجك الله ، قال الأصمعي يياك

أضحكك ، وقال على الأحرى أرادوا بؤك منزلاً فقال بياك للاتباع كما قالوا
 الغدايا والعشايا ، وقال ابن الأعرابي معناه قصدك بالتحية وبيت الشيء قصده
 واعتمده . وحدثنا عنه عن زياد بن خليل التستري عن إبراهيم بن بشار الرمادي
 عن سفیان عن محمد بن سوقة قال أتانا ميمون بن مهرا ن فقلت له حياك الله فقال
 مه هذه تحية الشباب قل حياك الله بالسلام .

وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد عن إسحق الموصلي قال نزل الطماح العقيلي
 بقوم من بني تميم فأحسنوا إليه فأراد الرحيل عنهم فقال :

حياكم الله فاني مُنقلبٌ بشكرٍ إحسانكم كذا يجبُ
 وإنما الشاعر كالكلب السكب يملك عند رغبٍ وان رهبُ
 لا يرعوى لمبغض ولا مُحِبُّ أكثر ما يأتي على فيه الكذبُ
 وأنشدنا عنه عن المبرد لعامة :

حياً الآه خيالها من دان لو كان زارَ زيارةَ اليقظان
 لو كان عرجَ أو تعلق ساعة حتى نسائلهُ عن الأوطان
 كفان شيدنا بناءَ محامدٍ لمهذبٍ هسَّ أخى إخوان
 تلقى له دعة الكهولِ وحلهم وتقامُ وحلاوةَ الفتیان
 وأنشدنا عنه عن أحمد بن إبراهيم :

حياك من لم تكن ترجو تحيته لولا الدراهم ما حياك إنسانُ

﴿ قولهم مرحباً ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي عن محمد بن يزيد المبرد النحوي عن أبي عثمان
 المازني قال لما أتى الرشيد الرقة تلقاه محمد بن ذؤيب العماني قأنشده :

هرون يا ابن الأكرمين حسباً لما ترحلتَ وكنتَ كسباً
 من أرضِ بغدادِ تؤم المفربا طابتْ لتاريجُ الجنوبِ والصبأ

ونزل الغيثُ لنا حتى ربا ما كان من نشرٍ وما تصوبا
فمرحبا ومرحبا ومرحبا

فقال الرشيدُ وبك مرحبا وأهلا ، ووصله بصلة سنية . وحدثنا عنه عن عميد

الله بن عبد الله قال لما دخل أبو مضر أنشده سعيد بن الوليد المعروف بالبطين :

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى الجودِ طاهرِ بن الحسينِ

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى القرنينِ فى الدولتينِ

مرحبا مرحبا وأهلا وسهلا بابن ذى المختدينِ فى المصرينِ

مرحبا مرحبا بمن كفه البحرُ إذا فاضَ مُزبد العبرينِ

فوصله وقدمه . وقديما ما استعملوا مرحبا فى كلامهم ، (ومنه) قول طفيل الغنوى^(١) :

وبالسهل ميمون النقيمةِ قوله للتمس المعروفِ أهلٌ ومرحبٌ

وأخبرنا عنه عن محمد بن العباس اليزيدى عن محمد بن الحسن الرزقى عن

الحسين بن على العلوى المدينى عن بعض أصحابه عن المازنى قال كان اعرابى يلزمننا

وكان فصيحاً فقال له على بن جعفر بن سليمان وكان جافياً لا يعطيه شيئاً إلا مرحباً

فقال فيه الاعرابى :

وما مرحباً إلا كريح تنسمتُ إذا أنتَ لم تخلطُ نوالاً بمرحبِ

ومثل هذا قول جحظة البرمكى :

قائلٌ إن شدوتُ أحسنتَ زدنى وبأحسنتَ لا يباعُ دقيقُ

وأخبرنا عنه عن أبى العيناء قال استأذن رجل على الحسن بن سهل فقبل له من أنت

قال رجل أمر له الأمير يوم كذا بعشرة آلاف درهم فأمر بادخاله فلما رآه قال مرحباً

بمن توسل الينا بنا وشكر إحساننا الينا ، وأكرمه .

وأخبرنا عنه قال سمعت إبراهيم بن المدبر الكاتب الضبي يثنى على ابن الجهم فى

(١) هو طفيل بن عوف ، شاعر جاهلي من الفحول ، وهو أوصف العرب

للخيل ، لذلك لقب بطفيل الخيل .

صداقته ومروءته فقال في ذلك كنت واقفاً بين يدي المتوكل وقد حنيء برأس
إسحاق بن إسماعيل وجه به بغا ، فارتجى على بن الجهم شعراً وقال :

أهلاً وسهلاً بك من رسول جئت بما يشفي من الغليل
بجملة تغني عن التفصيل برأس إسحاق بن إسماعيل
ومر بأبيات فاستحسن ذلك المتوكل ووصله بصلة سنوية ، قال وأنشدني ثعلب:
فإلك نعمة سلفت الينا وكيف وأنت تبخل بالسلام
سوى أن قلت لي أهلاً وسهلاً وكانت رمية من غير رام
وقلت : تضنُّ بتسليم وزورة ساعة فكيف يرجي جودك فيك بالوفر
وأنشدنا عنه عن أبي موسى محمد بن موسى مولى بني هاشم قال أنشدني عبد السلام
ابن رغبان الحمصي المعروف بديك الجن لنفسه :

بأبي وإن قلتُ لهُ بأبي من ليس يعرفُ غيره أربي
قرطستُ عشرًا في مودته لبلوغ ما أملتُ من طلي
ولقد أراني لومددتُ يدي شهرين أرمي الأرض لم أصب

أنشدنا عنه قال أنشدنا عبد الله بن المعتز لنفسه :

قلتُ يوماً لها وحررتِ العود د بمضراها فغنتُ وغني
ليتني كنتُ ظهرَ عودك يوماً فاذا ما أخذته صرتُ بطنا
فبكتُ ثم أعرضتُ ثم قالتُ من بهذا أنباك في النوم عنا
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبي ما عليك أن آمني

قال وسمعت محمد بن عبيد الله بن يحيى الوزير يقول دخل أبو العيناء إلى أبي
فقال له كيف حالك فقال أبو العيناء أنت أعزك الله الحال فانظر كيف أنت لي .
فوصله ووقع له بأرزاقه . وحدثنا عنه عن عون بن محمد الكندي عن عبيد الله بن
عمر قال قيل لرجل من قریش كيف حالك ؟ فقال كيف حال من يهلك ببقائه
ويسقم بصحته ويؤتى من مأمته . ومثله :

ما حال من آفته بقاؤه نغصَ عيشي كاه فناؤه

وقال سعيد بن حميد :

لك عبدٌ فلو سألتَ به كيف حاله
يا قريباً مزاره وبعيداً نواله
حاضراً لى صدوده حينَ يرحى وصاله
مسعدٌ لى مقاله فاتكٌ لى مطاله
محسنٌ فى كلامه ومسىٌّ فعاله

(ماجاء فى أطلال الله بقاءك)

أول من قاله عمر رضى الله عنه - روى عن رفاة بن رافع قال شهدت نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمر وعثمان وعليٌّ وطلحة والزبير وسعدٌ يذكرون الموءودة فاختلفوا فيها فقال عمر أنتم أصحاب رسول الله ﷺ تختلفون فكيف بمن بعدكم فقال على عليه السلام إنها لا تكون موءودة حتى يأتى عليها الحالات السبع فقال له عمر صدقت أطلال الله بقاءك .

قال ابن لهيعة المعنى لا تكون موءودة حتى تكون نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً ثم نطهر ثم تستهل فينثد إذا دُفنت فقد وُئدت وليس كما يقول بعض الناس إن المرأة إذا تداوت فأسقطت فقد وأدت . وأخبرنا أبو أحمد عن الصولى عن أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شبيب قال كتب إلى بعض إخوانى من البصرة إلى المدينة : أطلال الله بقاءك كما أطلال جفاك وجعلنى فداك إن كان فى قداؤك - شعر :

كُتبت ولو قدرتُ هوًى وشوقاً اليك لكنتُ سطرّاً فى الكتاب
قال الشيخ أبو هلال رحمه الله تعالى : والبيتُ لأبى تمام .

(جعلت فداك)

دخل الزبير على النبي ﷺ وهو عليلٌ فقال ما يعمدك جعلنى الله فداك فقال

الذي ﷺ « يا زبير أمارت أعرابيتك بعد » وحدثنا عنه عن يحيى بن علي عن أبي أيوب المدني عن إسحق قال حجبتني خادمٌ لجعفر بن يحيى يُقال له نافذ فانقطعت عنه فسأل عنى ففرقه سبب انقطاعي فقال قل له إن حجبتك إنسان فافعل به - لا يكنى - قال فجئت فحجبتني فكتبت إليه ارتجالاً في الحال :

مُجِلتُ فداءك من كلِّ سوءٍ إلى حُسنِ رأيك أشكو أناسا
يحولونَ بيني وبينَ الدُخولِ فما أن أسلم إلا اختلاسا
وأنفذتُ أمرَك في نافذٍ فما زاده ذاك إلا شماسا
فضحك لما قرأ الأبيات وأدخلني وقال أفعات يا أبا إسحق فقلت بعض ذلك، وتقدم إلى نافذ وغيره أن لا أحجب متى حضرت .

﴿ دعاء المكاتبة ﴾

حدثنا عنه عن أبي ذكوان قال سمعت إبراهيم بن العباس يقول ما أظن قول الكتاب : وقد منى الله قبلك مأخوذ إلا من قول الأغر بن كلسر في أخيه صقر :
أخى أنت في دينٍ ودُنيا كلالهما أُسرُّ بأن تبقى سليماً وأفخرُ
إذا ما أتى يومٌ يفرِّقُ بيننا بموتٍ فكن أنت الذي يتأخرُ
ف قيل له هذا يروى لحاتم فقال وما على من لا يدري أن ينسب شيئاً إلى غير قائله . فأما قولهم (وَأْتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَيْهِ) فهو من قول عدى بن الرقاع :
صَلَّى الْآلَهَ عَلَى أَمْرِي وَدَعَتَهُ وَأْتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا
قالوا وأول من قال « وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ مُحَمَّدٌ » إسحق بن سليمان بن علي .
وأنشد للسري في ضدِّ قولهم مُتَّ قَبْلَكَ وَإِنْ الْحِظَّ عِنْدَهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ وَمَنْ
يُحِبُّ بِمَوْتَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ :

لَأُمْتُ قَبْلَكَ يَا أَخِي لَا بَاخِلًا بِالنَّفْسِ عَنكَ وَلَا تَمْتُ قَبْلِي
وَبَقِيَتْ لِي وَبَقِيَتْ فَيْكَ مُمْتَمًا بِالْبِرِّ وَالنِّعْمَاءِ وَالْفَضْلِ

حتى إذا قصد الحمام لنا
 مُتنا جميعاً لا يُؤخرُ واحد
 وكفالك من نفسى شهيدٌ ناطقٌ
 وفي نحو ذلك قول الآخر :

إني لأشفقُ أن أُؤخرها
 وقال يعقوب بن الربيع :

فلو أنها إذْ حانَ وقتُ حَمامها
 فخلَّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً
 وقريب منه قول الآخر :

لامتَّ من قبلى ولا مُتُّ من
 حتى تُنوا في الموتِ في ساعةٍ
 قبلك بل عشنا الى الحشرِ
 لأنتَ تدرى بي ولا أدرى

﴿ كيف أصبحت ﴾

حدثنا عنه عن أيوب بن سليمان بن داود المهلبى عن محمد بن عباد قال كان جرير
 ابن حازم يقول : العربُ تقولُ كيف أصبحتَ من نصف الليل إلى نصف النهار ،
 وكيف أمسيتَ من نصف الزوال إلى نصف الليل الأول ، وتقولُ في يومك
 كان الليلةَ كذا إلى الزوال فاذا زالت الشمس قلت البارحة ، هذا معروفٌ عندهم ،
 وحدثنا عنه عن الفضل بن الحُباب عن التنوخى قال العربُ تقولُ صبحتك الأنعمة
 بطيبات الأطعمة . وحدثنا عنه عن البلعى عن أبي حاتم عن الأصمى قال قيل
 لأبي عمرو بن العلاء كيف أصبحت قال أصبحتُ كما قال الربيع بن ضبع الفزارى :

أصبحتُ لأجملُ السلاحَ ولا
 وألئتُ رأسَ البعيرِ إن نفراً
 والذئبُ أخشاهُ إن مررتُ بهِ
 وحدى وأخشى الرياحَ والمطرا

وحدثنا عنه عن أبي ذكوان عن التنوخى عن الفراء قال كنتُ عند الكسائى

فقال له رجلٌ كيف أصبحت؟ فقال أصبحتُ كما قال الصمة بن عبد الله بن طاميل القشيري (١):

أصبحتُ مالى من عزِّ ألوذ بهِ إلا التمرُّز بعد السيف والبدن
بمرضةٍ جانب الأذنون جانبها والأهلُ بالشام والاخوانُ باليمن
وأشدنا عنه قال أنشدنا محمد بن يزيد المبرد النحوى قال أنشدنى المازنى

عن أبى زيد:

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما يُثبتُ الودَّ في فؤادِ الكريم
وحدثنا عنه عن محمد بن الفضل بن الأسود عن عمر بن شبة عن الحسين
ابن الضحاك الخليل قال كنت في المسجد الجامع بالبصرة إذ دخل علينا أبو نواس
وعليه جبة خز جديد فقلتُ له من أين لك هذه يا أبا عليٍّ؟ فلم يخبرنى فتوهمت أنه
أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بنى تميم فقممت فأجدُ موسىاً وقد
لبسُ جبةً أخرى فقلت:

كيف أصبحتَ يا أبا عمرانِ يا كريمَ الاخاء والاخوانِ
فقال صبحك الله به وأسمعك خيراً. فقلتُ:

إنَّ لى حاجةً فرأيتُ فيها إننا فى قضاها سَيانِ

فقال هاتها على اسم الله تعالى فقلت:

مُجبة من جيبك الخرز حتى لا يرانى الشتاء حيثُ يرانى

قال خذها، ومد كفه فذرعها واجمئت فقال أبو نواس من أين لك هذه؟ قلت من
حيثُ كانت لك تلك. وحدثنا عنه عن وكيع عن علي بن عبد الله بن حمزة بن
عتبة الهمبي قال دخلت على محمد بن عبد الرحمن بن محمد المخزومي أعوده فقلت له
كيف أصبحت فقال كما قال الشاعرُ:

(١) شاعر إسلامي بدوى مقل، من شعراء الدولة الأموية. وجمده قره بن

هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

إنَّ اللياليَ أسرعتُ في تقضى أخذنَ بعضى وتركنَ بعضى

أقعدنى من بعد طول نهضى

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ فقال أصبحت والله كما قال الشاعر:

ياخيرُ إني قد جعلتُ أشتمر أرقعُ من ثوبى ما كنتُ أؤجرُ

وحدثنا عنه عن الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن النعمي عن أبيه قال لقي

بكر بن عبد الله المزني أبا تميمه الهجيمي فقال كيف أصبحت أبا تميمه؟ فقال أصبحت

بين ذنوب قد سترها الله عليَّ ما يقدر أحدٌ أن يعيرني منها بذنوب وبين محبةٍ

قد ألقاها الله في قلوب الناس استُ لها بأهل وقد خفتُ أن أهلك بين هذين

وأنا ضعيف الشكر. قال وقيل لقريبة الديرية كيف أصبحت؟ فقالت:

بخيرٍ على أنَّ النوى مطمئنةٌ بليلي وأنَّ العينَ يجري مَعينها

وقيل لأعرابي كيف أصبحت؟ قال بخيرٍ أحسب على الله بالحسنة ولا

أحتسب على نفسي بالسئية. وقال رجلٌ لأبي العيَّان وقد كبر وضعف: كيف

أصبحت؟ فقال في الداء الذي يتمناه الناس لأعدائهم.

وحدثنا عنه عن الغلابي عن إبراهيم عن عمر بن أبي عبيدة قال قيل للنمر بن

تولب كيف أصبحت يا أباريعة؟ فقال ارتجالاً على البديهة:

أصبحتُ لا يحملُ بعضى بعضاً أشكو العروقَ النايات نبضاً

كما تشكى الأرجى الفرضاً كأنما كان شبابى قرضاً

وحدثنا عنه عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلام عن ابن داب قال

قيل لمحارب بن دثار كيف أصبحت؟ فقال أصبحت كما قال الشاعر الأعشى:

أرقتُ وما هذا السهادُ المأورقُ ومابى من سقم ومابى تعشقُ

ولكنَّ أرائى ما أزالُ بحادثٍ أغادى بمالميس عندى وأطرقُ

وحدثنا عنه عن المقدمي عن أبي عمر بن خلاد قال قال الربيعُ الحاجب

لأبي المتاهية كيف أصبحت فقال:

أصبحتُ والله في مضيق هل من دليلٍ على الطريق
 أفّ لدينا تلاعبتُ بي تلاعبَ الموج بالفريق
 أصبتُ فيها دُرهماتٍ فبفضنتي إلى الصديق

وحدثنا عنه عن علي بن الصباح عن بشر بن مسمود المازني قال كان لسفيان بن عيينة جارٌ سمى الحال فحسنت حاله فقال له سفيان كيف أصبحت وكيف حالك لقد سُررتُ بما صرتَ إليه بعد غم بما كنتَ فيه فدعا الرجل له ومضى ، فقال له بعض جلسائه كيف تكلم هذا؟ قال هو جارٌ قال إنه قد صار صراطاً أهولاً ، قال سفيان إن كان في الناس أحدٌ طلب الدنيا من حيث يستحق فهذا . وحدثنا عنه عن المغيرة بن محمد المهلي قال قدم أبو العتاهية البصرة إلى عيسى بن جعفر فأقام شهوراً ثم اعتل فقال :

أصبحتُ بالبصرة ذاغربة أدفعُ من همٍّ إلى كربه
 أطلبُ عُتبي من حبيب نأى وليس لي عُتبي ولا عُتبه

وحدثنا عنه عن المبرد قال قال الجاز لأبي العالية كيف أصبحت ؟ قال على غير ما يحب الله وغير ما أحب وغير ما يحب إبليس لأن الله تعالى يحب أن أطيعه ولا أعصيه ولست كذلك وإبليس يحب أن أعصى الله ولا أطيعه ولست كذلك وأنا أحب أن أكون على غاية الثروة والصحة ولست كذلك .

حدثنا عنه عن الحسن بن الحسين الأزرق عن العباس بن محمد عن عمرو بن الحارث عن محمد بن سلام قال قال أبو حرائة وهو من بني ربيعة بن حنظلة لي زيد بن المهلب : كيف أصبحت أصلح الله الأمير ؟ قال كما تحب يا أبا حُرارة قال لو كنت كذا كنت قائماً مثلي وكنت أنا قاعداً في مقدمك وكان قبيص ابني المرقوع على ابنك والتومتان اللتان في أذن ابنك على ابني . قال يزيد فالحمد لله الذي جعلك كذا وجعلني كذا ، فقال إلا أني في ضيق أنتظر سعةً وأنت في سعةٍ تنتظر ضيقاً . وحدثنا عنه عن أبي العيناء عن العتيبي قال قيل لأعرابي كيف

أصبحت قال أصبحت أعر بالبعرة وأقيد بالشجرة وأفزع من النعرة . وحدثننا عنه
عن الغلابي عن دماذ عن الهيثم بن عدى قال كان هرم بن سنان المزني قد آلى على
نفسه أن لا يسلم عليه زهير إلا وهب له غرة من ماله فأشفق عليه زهير من ذلك
وكان يمر بالمجالس وهرم فيهم فيقول أنعموا صباحاً غير هرم خيركم تركت ففخر
عقبة بن كعب بن زهير بذلك في قوله :

إني لأصرف نفسي وهو سادية
عن مصعب ولقد بانتي لى الطرق
رعى عليه كما أروعى علي هرم
قبلى زهير^ه وفينا ذلك الخلق^ه
مدح الكرام وسعى^ه في مسرتهم
ثم الغنى وبد المدوح منطلق^ه
ومثله قول حاجز الأزدي (١) :

وإني لأستبقي إذا العسر مسني
بشاشة وجهي حين تبلى الطبايع^ه
فأعفى ثرى قومي ولو شئت^ه نولوا
إذا ماتشكى الملحف المتضارع^ه
مخافة أن أقل إذا جئت^ه زاراً
وترجعني نحو الرجال المطامع^ه
ومن مליح ما قيل في فديتك :

فديتك النفس وهي أقل^ه بذل
صلى حسن المقال بحسن فعل^ه
أرنبى منك في أمرى نهوضاً^ه
يبين أن شغلك بي كشغلي^ه

وأخبرنا عنه عن محمد بن خلف بن المرزبان قال اجتمع عندي أحمد بن أبي
طاهر والناشي ومحمد بن عروس فدعوت لهم مغنية فجاءت ومعها رقيقة لم ير الناس
أحسن منها قط فلما شربوا أخذ الناشي رقعة فكتب فيها :

فديتك لو أنهم أنصفوا
لردوا النواظر عن ناظريك
ترددين أعيننا عن سواك
وهل تنظر العين إلا إليك
ألا يقرؤا ويحهم ما يرون
من وحي حسنك في وجنتيك
وقد جعلوك رقيقاً علينا
فمن ذا يكون رقيقاً عليك

(١) هو حاجز بن عوف ، شاعر جاهلي مقل ، مشهور بالعدو .

قال فشغفنا بالآيات فقال ابن أبي طاهر أحسنت والله واجملت قد والله حسدتك
هذه الآيات والله لاجلست وقام وخرج من ساعته ولم يعد الى الشرب بقية يومه.

﴿ ماجاء في الدعاء للخارج إلى السفر ﴾

أخبرنا عنه عن ابراهيم بن فهد الساجي عن نصر بن علي عن عبد الله بن
داود عن مسعر عن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ودع رسول الله ﷺ
رجلاً أراد سفرًا فقال « أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك » وحدثناه عنه
عن أبي علي العتابي قال رأيت أبا شراعة القيسي أخذًا بسفينة ابراهيم بن
المدير وقد عزل عن البصرة وهو يريد الخروج وأبو شراعة ^(١) ينشده :

ليت شعري أي قوم أجدبوا فأغيثوا بك من طول ^(٢) العجف
نزل الرّحْبُ ^(٣) من الله بهم وحرمناك لذنْبٍ قد سلف
أما أنت ربيعٌ باكرٌ حيثما صرفه اللهُ انصرف
ياأبا اسحق سِرٌّ في دَعَةٍ حيثما شئت ^(٤) فامنك خلف
وأخبرنا عنه عن العلابي عن الزبير قال ودع ابن المعافى صديقاً له أراد سفرًا
فأنشده عند وداعه :

خلفَ اللهُ الذي خلفته ووقاك اللهُ وعشاءَ السفر
إنني أشكرُ ما أوليتني لم يضع حسن بلاء من شكر
ردك اللهُ إلينا سالمًا بعد غمٍ واغْتباطٍ وظفر

(١) هو أحمد بن محمد بن شراعة شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية
جيد الشعر جزله وكان فصيحاً يتعاطى الرسائل والخطب مع شعره .

(٢) رواية الأغانى « أي أرض أجدبت فأغيثت بك من جهد العجف » .

(٣) في الأغانى « الرحم » . (٤) في الأغانى « وامض مصحوباً » .

﴿ الدعاء للقادم من السفر ﴾

أُشِدْنَا عَنْهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَخِيظَلِّ :

أَقْدَمَ قَدِمْتَ قَدُومَ عَارِضٍ مُزْنَةٍ يَهْتَزُّ بَيْنَ أَهَابِهَا الْفَضْفَاضِ
 مِنْ كُلِّ مَثْعَبَةِ الرِّيَّاحِ ثَقِيلَةٍ تَمْشِي بِهِ مَشَى الْوَجِي الْمَنْهَاضِ
 مُسْوَدَةٌ مُبْيِضَةٌ فَكَاؤُنَهَا دُحْمٌ مُوَلْوَعَةٌ الشَّوَى بِيْبِاضِ
 وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

قَدُومٌ سَعَادَةٌ وَقَفُولٌ يَمِينُ هِيَ السَّرَّاءُ تَمْحَقُ كُلَّ حَزْنِ
 أَظْلَمْتَكَ السَّلَامَةُ مَا تَغَنَّتْ مُطَوَّقَةٌ عَلَى فَنَنِ تَغْنِي

قوله (أظلمتكَ السَّلَامَةُ) فِي غَايَةِ الرَّشَاقَةِ وَأَحْسَنَ مِنْهُ قَوْلُهُ : تَمْحَقُ كُلَّ حَزْنِ .

﴿ الدعاء للمهزوم ﴾

حَدَّثَنَا عَنْهُ عَنِ الْعَلَابِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الضَّحَّاكِ عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ عَنِ عَوَانَةَ
 قَالَ لَمَّا انْهَزَمَ أَسْلَمُ بْنُ زُرْعَةَ الْكَلْبِيِّ مِنْ مَرْدَاسَ بْنِ أُذَيْنَةَ بَأَسْكَ^(١) وَكَانَ فِي أَلْفِي
 رَجُلًا ، وَمَرْدَاسُ الْخَارِجِيُّ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلًا ، وَفِيهِمْ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ :

أَلْفًا مَوْمِنٌ^(٢) مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَهْزِمُكُمْ بَأَسْكَ أَرْبَعُونَ
 كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَلِكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مَوْمِنُونَ
 هُمُ الْفَتَى الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ^(٣) عَلَى الْفَتَى الْكَثِيرَةِ يَنْصُرُونَ

فَدَخَلَ أَسْلَمُ الْبَصْرَةَ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ وَاللَّهِ لَأَنْ تَعِيشَ حَمِيدًا خَيْرٌ
 مِنْ أَنْ تَمُوتَ شَهِيدًا ، وَلِأَنَّ تَدُومَ عِبَادَتِكَ بِحَيَاتِكَ أَزْلَفُ لَكَ مِنْ أَنْ تَنْقَطَعَ بِمَاتِكَ ،

(١) أَسْكَ : بَلَدٌ مِنْ نَوَاحِي الْأَهْوَازِ قَرِبَ أَرْجَانِ .

(٢) فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ (أَلْفًا مَوْمِنٌ فِيمَا زَعَمْتُمْ وَيَقْتُلُكُمْ) .

(٣) فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ (هُمُ الْفَتَى الْقَلِيلَةُ غَيْرِ شَكٍّ)

قال ودخل على ابن زياد فنصفه واستعجزه فقال أيها الأمير كنت في ألفين جميعهم
 مثلي وقاتلت أربعين كل واحد منهم مثلي ويزيد على ولائن يذمى الأمير حياً
 خيرٌ من أن يدحني ميتاً . وحدثنا عنه عن القسم بن اسماعيل عن رفيع بن سلمة
 عن أبي عبيدة قال لما هزم أبو فديك أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بهجر
 قدم البصرة في ثلاثة أيام فدخل عليه الناس وفيهم صفوان بن عبد الله بن الأهم
 المنقري أبو خالد بن صفوان والناس لا يدرون كيف يُدعى للمهزوم حتى قال
 صفوان أم والله أيها الأمير لقد تعرضت للشهادة جهداً وطلبتها طاقتك ووسعتك
 فعلم الله فقرنا اليك وقلة عوضنا منك فاختر لنا عليك بيقائك ولم يخترك علينا
 باستشهادك فالله الذي زين بك مصرنا وآنس بيقائك وحشنا ووجلا بسلامتك
 غمنا . فعلم الناس كيف يُدعى للمهزوم فسلخوا هذا المسلك .

ومن أحسن الاعتذار للمهزوم قول فروة بن مُسيك العطيفي وأجاد :

فان نهزم فهزّامون^(١) قدماً وان نهزم فغير مهزميننا
 وما ان طبننا جين^م ولكن منايانا ودولة آخرينا

فقوله « ودولة آخرين » من أحسن الاعتذار الواقع من المهزوم .

(الدعاء للمعزول)

أُشدنا عنه عن عون بن محمد الكندي لأبي تمام الطائي :

ليهنك ان أصبحت مجتمعَ الشمالِ وراعى المعالى والمحامى عن المجد
 وانك صنتَ الامرَ فيما وليتهُ وفرقتَ ما بين الغواية والرشدِ
 فلا يحسب الأعداءُ عزلك مغنياً فانّ إلى الاضرارِ ماغاية الوردِ
 وما كنتَ إلا السيفُ جردَ للوغى وأخذ فيه ثم رُدَّ إلى القمدِ
 وأخبرنا عنه عن الحسين بن يحيى قال حدثنا إسحق قال عُزل هشام بن اسمعيل

(١) فى الأغانى (فان تغلب فغلابون قدماً) .

المخزومي عن المدينة فاشتد العزل عليه فقال له عروة بن أذينة :
 فان تكن الأمانة عنك زالت فانك لهغيرة والوليد
 وقد مر الذي أصبحت فيه على مروان ثم على سعيد
 وأخبرنا عنه قال دخلت يوماً مع أبي العباس محمد بن يزيد النحوي إلى عبد الله

ابن الحسين القطريلي وقد صرف عن عمل فقال أقول لك ما قاله أبو عبادة البحرى :

شهد الخرج إذ توليته أنك في جمع الأمين الأعف

حيث لا عند مجتبي منه إظا^(١) ولا في سيات جايه عنف

سيرة القصد لا الخشونة عنف^(٢) لتعدى المدى^(٣) ولا اللين ضعف

وعلى حائيك يستصلح الننا^(٤) س^(٥) أباء من جانبيك وعطف

لن يولى تلك الطساسيج إلا خلف منك آخر الدهر خلف

إن تشكت رعية سوء قبض بك أو أعقب الولاية صرف

فقديماً تداول العسر والبسر وكل فدى على الريح يطفو

يفسد الأمر ثم يصلح عن قر^(٦) ب^(٧) والماء كدرة ثم يصفو

ولما عزل إبراهيم بن المدبر عن البصرة أنشده أبو صفوان الثقفي :

أبا إسحق إن تكن الليالى عطفن عليك بالعزل اللئيم

فلم أر صرف هذا الدهر يجرى بمكروه على غير الكريم

وقال أبو العتاهية في محمد بن هشام السدرى :

لا يهنا الأعداء عزل ابن هاشم فكل مؤلى قصره الصرف والعزل

لقد كان ميمون الولاية قابضاً يد الجور مبسوطاً به الحق والعدل

يروم رجال حطه وهو سابق^(٨) أبى الله إلا أن يطول وأن يعلو

(دعاء الأعياد)

أخبرنا عنه عن جبلة بن محمد الكوفي عن أبيه قال قال ابن شبرمة لميسى

(١) أى إلحاق . (٢) فى الأصل « الندى » (٣) فى ديوان البحرى « الأرض » .

ابن موسى يوم أضحى : قبل الله منك الفرض والسنة واستقبل منك الخير والنعمة
وقرن بالاقبال يومك .

﴿ ما قيل في القيام للأجلاء ﴾

أخبرنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا محمد بن يزيد بن عبد الأ كبر قال حضر
بعض العرب مجلساً فجاء صديق له فلقاه من بعيد وقال :

لئن قمتُ ما في ذاك عندي غَضاضَةٌ عليَّ وإني للشريف مُدلل
علي أنه مني لغيرك ذِلَّةٌ ولكنه بيني وبينك يجملُ
ومن مشهور ما قيل في هذا المعنى .

فلما بصرنا به مائلاً حللنا الحبي وأبتدرنا القياما
فلا تنكرنَّ قيامي له فان الكريم يجله الكراما
وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن يحيى البحرى لأبيه في عبيد الله بن
عبد الله من قصيدة طويلة :

وُمبجل وسط الرجال مُخفوفهم
فاللهُ يكلؤه لنا ويحوطه
وقال غيره :

أتعجبُ أن أقومَ إذا بدالى
فلا تعجبُ لاسراعى إليه
وقال البحرى :

يقومونَ من بُعدٍ إذا بصروا به
ويبتدرُ الراؤونَ منه إذا بدا
إذا سارَ كفَّ اللحظ عن كل منظر
لأبلىج موفور الكرامة^(١) أروع
سنى قمرٍ من سُدة الملك مَطلع
سواه وعضُّ السمع^(٢) عن كل مسمع

(١) في نسخة « الجلالة » . (٢) في ديوان البحرى « الصوت » .

فلست ترى إلا إفاضة شاخصٍ إليه بعينٍ أو مشيراً بأصبع

﴿ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال﴾

فمنه قول الفرزدق وأجاد في ذلك :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت أراجيفُ بالشهرِ الذي أنا صائمُه
وطارت رفاعٌ بالمواعيدِ بيننا لكي يلتقي مظلومٌ قومٍ وظالمُه
فان شالَ شَوَّالٌ مُثَشَّلٌ في أكفنا كؤوسٌ تعادى العقلَ حينَ تسالُه
ومعاني هذه الأبيات كلها مبتكرة لم يسبق إليها الفرزدق .

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي عن الرياشي عن أبيه :

وقفنا فلولا اننا راضنا الهوى لهتكنا عندَ الرقيبِ نجيبُ
ومن دون مانلقاهُ من لوعةِ الهوى تُشَقُّ جُيوبٌ بل تُشَقُّ قلوبُ
على انَّ شَوَّالاً أشالَ بوصلنا ومرتمهُ للعاشقينَ خِصيبُ

وأنشدنا أبو أحمد عن الصولي قال أنشدنا ابن بسام لنفسه :

سقياً لشهرِ الصومِ من شهرٍ عندي له ماشاء من مُشكرِ
كم من عزيزٍ فيه فزنا به أنهضهُ الليلُ من الوكرِ
ومن إمامٍ كان لي وصلهُ إلى كحيلِ العينِ بالسحرِ
لو كان يدرى بالذي خلفهُ أعجلهُ ذاك عن الوترِ
وخلةٌ زارتك مُشتاقه في ليلةِ القدرِ على قدرِ
فانصرفَ الناسُ بما أملاوا وبُوتَ بالآتامِ والوزرِ
وأنشد المُبرد للحارثي :

شهرُ الصيامِ وإن عظمتُ حرمتُه شهرٌ طويلٌ بطيء السيرِ والحركة
يمشى الهويتنا إذا ما رامَ فرقنا كأنه بطةٌ تنجرُ في شبكه
لا يستقرُّ فأما حينَ يطلبنا فلا سليكٌ يدانيه ولا ساكهُ (١)

(١) من عدائي العرب المشهورين .

كأنه طالبٌ تاراً على فرس
 بأصدق من قال أياماً مباركةً
 أجدت في إثرٍ مطلوبٍ على رمكة^(١)
 إن كان يكتمني عن اسم الطولِ بالبركة
 وقال آخر:

مضى رمضانٌ محموداً وأوفى
 علينا الفطرُ يقدمه الشُرورُ
 وفي مرٍّ الشهورِ لنا فناءً
 ونحنُ نحبُّ أن تفتي الشهورُ
 وحدثنا أبو أحمد عن الصولي قال حدثنا الحسين بن يحيى قال كتب الحسين بن
 وهب إلى الحسن بن رجاء يوم شك وقد أظفر الوائق:

هزرتك للصباح وقد نهانا
 وعندى من قنان المصيرِ عشرٌ
 أميرُ المؤمنينَ عن الصيام
 تطيبُ بهنَّ دائرةُ المدام
 فكن أنتَ الجوابَ فليسَ شيءٌ
 أحبُّ إليَّ من حذفِ الكلام
 وقال غيره:

أقول لصاحبيّ وقد بدا لي
 سنسكركُ سكرةً شنعاءَ جهراً
 هلالُ الفطرِ من تحتِ النجَامِ
 وننعرُ في قفا شهرِ الصيام
 وقال محمد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله الجعفرى:

هل لك في صهباءَ مشمولةٍ
 ليست من الدبسِ الذى ينبذُ
 فإنَّ شعبانَ على طيبه
 دربٌ إذا فكرتَ لا ينفذُ
 وقال أحمد بن يزيد:

ألا سقياني من معتقةِ الحجرِ
 فلا عُذرَ لي فى الصبرِ أكثرَ من شهرِ
 وإن كنتما لم تعلمنا فعملنا
 بأنَّ زمانَ الصومِ ليس من العمرِ

وحدثنا أبو أحمد عن الصولى قال حدثنا أبو الحسن محمد بن أبى الموج الرازى
 وقال حدثنى أبى قال كتب على بن جبلة الى أبى دلف يستسقيه نبذاً فى يوم عيد الفطر
 فوجه اليه بما كفاه وبما تى دينار فقال على بن جبلة:

وأبيض عجلئ رأيتُ غمامهُ وأسيفهُ تقضى على الحدّان
 مَدَدتُ اليه ذمّتي فأجارها وأغنى يدي عن غيره ولساني
 شربتُ وروّيتُ النديمَ بماله وأدركتُ نأراً الراح من رمضان
 وكانَ نشوَالٍ عليّ ضانَةً فكانت عطايا جوده بضمّان

وحدثنا عن الصولي قال حدثنا أبو ذكران القسّم بن اسماعيل قال حدثنا التوزي
 عن أبي عبيدة قال أسلم اعرابي في أول الاسلام فأدركه شهر رمضان فجاع وعطش
 فقال الاعرابي يذكر ذلك :

وجدنا دينكم سهلاً علينا شرائعهُ سوى شهرِ الصيام

﴿فصل في معان مختلفة﴾

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر بن دريد عن عمه قال كانت عند رجل من بني
 أسد ابنة عم له ورآها فدخل إليها يوماً وهي مُتفضضة فقال ماشأنك ؟ قالت إنك
 لا تشبب بي كما يشبب الرجال بنسائهم ، قال أفعلُ نم أنشأ يقول :

تمتُ عُبيدةُ إلا في ملاحظتها والحسنُ منها بحيثُ الشمسُ والقمرُ
 ماخالفَ الظبيُّ منها حينَ بُصرها إلا سوائفهُ والجيدُ والنظرُ
 قلّ للذي طابها من حاسدٍ حنقٍ أقصر فرأسُ الذي قد عبتُ والحجرُ

وأنشدنا للعديل بن الفرّج العجلي (١) :

هل تقضينَ لمستهامٍ حاجةً نيطتُ إليك بها جبالُ رجائه
 أفنى تجلدهُ بقاءُ دُموعه وأدامَ عبرتهُ فنأءُ عزائه

وحدثنا أبو أحمد عن الصولي عن أحمد بن محمد الخراساني قال كنت في مجلس
 ابن ثوابة فناظره رجلٌ عن ضيعة له فاستقصى الحجّة وأخذ بنفسه فقال ابن ثوابة

(١) شاعر مقلٌّ من شعراء الدولة الاموية وكان له ثمانية أخوة وأمهم جميعاً

إمراة من بني شيبان .

يامابون فوثب الرجل وهو يقول :

كلانا يرى الجوزاء يا مجمل إن بدت ونجم الثريا والمزارُ بعيدُ
فتحدث الناس بها مدة . قال أبو بكر ويشبه هذا حديثاً حدثناه أبو العيناء قال
خاصم يوماً جيلان القمي المقبول الزيادي فقال المقبول يادعي فأنشأ جيلان يقول :
مُبيدتهُ قالت يا جميلُ أربنتي فقلت كلانا يابشين مُريب
فبلغ هذا ابن عائشة التيمي فقال : جيلان في التمثل بهذا البيت في هذا الموضع أشعر من
جميل قائله . أنشدنا أبو أحمد قال أنشدنا أبو بكر بن دريد لنفسه بهجو بعض النحويين :

عَظيرِ إنا اختلفنا	في الفعلِ من فاعلينِ
فقال قومٌ يثني	لجمعنا الهمزتين
وقال قومٌ يعدي	بملتقى الساكنين
وأنتَ أعلم منا	بذا وذاك وذين
لأنَّك الدهرَ فعلٌ	يعتلُّ من جهتين

وأنشدني عم أبي رحمه الله :

صحبتم دهرًا طويلًا لسرتي أرحى نجاحًا والظنونُ فنون
فما نلتُ منكم طائلاً غيرَ اني تعلمتُ ذلَّ العيش كيف يكون
وأنشدني أيضاً في مسجون :

لئن حجبك الحجبُ عنا فربما رأينا جلايبَ السحابِ على الشمس

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن المسيب عن ابن الرومي :

خيرُ مالٍ موزونه لذوي الحمد كما خيرُ حمدِهِم موزونه
وأصحُّ^(١) الآراءِ ما ظنَّ ذوالأفـنـينِ بذي الرأيِ انه ما فونه

ومن ههنا أخذ المتنبي قوله :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأني فاضلُ

(١) في الأصل «وأظن» وفي ديوان ابن الرومي المحطوط «وأصح» .

والحلُّ الخلاءُ من كلِّ ضيفٍ ومضيفٍ مُعطلٌ مسكونهٌ
وأخسُّ الرجالِ من راحَ فيهمُ مُسلمَ العرضِ سالماً ماعونهُ
أنفقِ المالَ قبلَ انفاقك العمـرَ في الدهرِ ريبهٌ ومنونهُ
لا تظنَّ أنَّ مالكَ شيءٌ كدمِ الجوفِ خيرهُ محقونهُ
قلما ينفعُ الثراءُ بخيلاً علقَتْ في الثرى المهيل رهونهُ
كلُّ وأطعمَ فربما راع ريباً^(١) زاكياً من تعولهُ وتمونهُ
وإذا ما ظننتَ شرّاً فحفهُ ربُّ شرٍّ يقينهُ مظنونهُ
كم ركونٍ جنى عليك حذاراً من أطالَ الرُّكونَ قلَّ ركونهُ

وأنشدنا أبو أحمد عن ابن الأباري عن أبيه :

يموتُ قومٌ فيحبي العلمَ ذكركمُّمُ ويلحقُ الجهلُ أحياءَ بأموالِ
ونحوه قول دعبل :

سأقضى بيتي بحمدِ الناسِ أمرهُ ويكثرُ من أهلِ الروايةِ حامله
يموت ردىءُ الشعرِ من قبلِ ربِّهُ وجيده يبقى وان ماتَ قائلهُ

أخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر عن أبي عثمان عن التوزي عن أبي عبيدة عن
خالد عن يونس : دخل الطرماحُ بن حكيم على خالد بن عبد الله القسري فقال له :
أنشدني بعض شعرك فأنشده قوله :

وشيبني أن لا أزال مُناهضاً بغيرِ غنى أسمو بهِ وأبوعُ
وان رجالَ المالِ أضحوا وما لهم لهم عندَ أبوابِ الملوكِ شفيح
أمتحتمي ريبُ المتونِ ولم أنلُ من المالِ ما أعصى بهِ وأطيع
فأمر له بعشرين ألفاً وقال له أعص بها الآن وأطع إذا شئت .

(١) في الأصل «فكل ماراع ريباً» والتصحيح من ديوان ابن الرومي المخطوط .

﴿ التفاضل بين الاخوان ﴾

أنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر :
 وبعضُ الأمرِ أصاحهُ ببعضُ فإنَّ الغثَّ يحملهُ السمينُ
 ترى بينَ الرجالِ العينُ فضلاً وفيما أضمرُوا الفضلُ المبينُ
 كلونِ الماءِ مشتبهاً وليست تخير عن مذاقتهِ العيونُ

﴿ الحث على موافقة الناس ﴾

من أحسن ماورد في ذلك قول الشاعر :
 الناسُ ان وافقتهم عذبوا أولاً فإنَّ جناهمُ مرُّهُ
 كم من رياضٍ لا نظيرَ لها تُركتْ لأنَّ طريقها وعرُّهُ
 ولما أدلَّ أملنى فسلوته من ذا يدلُّ فـلا يملُّ محبُّهُ
 تالله ما تُتبعَ النبيُّ محمدُ لو كانَ فظاً أو غليظاً قلبه

﴿ إغباب الزيارة ﴾

قال مسلم بن الوليد :
 إني كثرتُ عليه في زيارتهِ فلَّ والشئُ مملولٌ إذا كثرا
 قد رايتُ منه أنى لا أزالُ أرى في عينه قصرًا عني إذا نظرا
 وقال الحكيمُ : * ولولم تهب شمس النهارُ لمَلَّتْ * فأخذه أوتامام فقال :
 فاني رأيتُ الشمسَ زبدتُ حبةً الى الناسِ إذ ليست عليهم بسرمدِ
 ونقله آخر الى ذكر الغيث :

عليك باقلال (١) الزيارة إنها تكون متى دامت (٢) إلى الهجر مسلكا
 فاني رأيتُ القطرَ (٣) يسأمُ دائبا (٤) ويطلب بالأيدي (٥) إذا هو أمسكا

(١) وفي رواية « باغباب » (٢) وفي رواية (إذا كثرت كانت إلى) . (٣) في
 رواية (الغيث) . (٤) في الأصل (دائما) ، (٥) وفي رواية (ويسأل بالأيدي) .

وقال آخر: وأغيبتُ الزيارةَ لاملالاً ولكن من محاذرةِ المللِ

وهذا كله من قول النبي ﷺ « زُرْ غَيْبًا تَزِدُّكَ حُبًّا » (١).
 وقت: مازلتَ تلقاهُ فضاقةَ صدره وعادَ من بعد الوصالِ هجره
 من أكثر الغشيانِ خسَّ قدره لو كثرتِ الياقوتُ هان أمره
 ولم يعزَّ محرهُ وصفره ولا علا بين الأنامِ ذكره

﴿ في ذم العجائز قول الشعراء ﴾

رأيتُ البيضَ قد أعرضَ عنى فمن لى أن تساعدنى عجوزُ
 كأنَّ مجامعَ اللحيينِ منها إذا حسرتَ عن اللحيينِ كوز
 ومن المشهور قول الحرمازي:
 لا تنكحنَّ عجوزاً إن دعتَ لها واخلع ثيابك عنها ممعناً هرباً
 فإن أتوك وقالوا إنها نصفٌ فإنَّ أطيبَ نصفها الذى ذهباً
 وقال آخر: وما غرنى (٢) إلا خضابٌ بكفها وكلُّ بعينها وأنوابها الصفرُ
 وجاءوا بها قبلَ الحاقِ بليلةٍ فكان محاقاً كله ذلك الشهرُ

﴿ ما ورد في فضل الحمام ﴾

قال السرى بن عبد الله الرفاء:
 أسعبدُ هل لك في زيارة منزلٍ تثنى عليه جوارحُ الزُّوارِ
 رحب ترى الجُدران فيه يناعاً (٣) وترى السماءَ كثيرةَ الأقمارِ (٤)
 ينضو حبيُّ الوجهِ ثوب حيايه فيه فيخطرُ كالحسبامِ العارى
 وترى على غدرايه (٥) بهم الوغى يخطرُن ما بين القنا الخطارِ

(١) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وابن حبان في صحيحه (٢) في نسخة (وما راغنى). (٣) في ديوان السرى المخطوط. «رحب تلاقى الجدر منه ينابيع». (٤) في الديوان (عليه كالأقمار). (٥) في الديوان «على جدرانه».

سُئِلْتُ سَيْوْفَهُمْ بِغَيْرِ بَوَارِقٍ وَجَرَّتْ مُخَيَّوْلُهُمْ بِغَيْرِ غُبَارٍ
مع أبيات آخر غير مختارة الرصف. وقلت :

قُمْ بِنَا نَنْزِلُ فِي خَيْرِ دَارٍ وَهِيَ إِنْ مَيَّزَتْهَا شَرُّ دَارٍ
مَنْزِلُهُ تَخْلَعُ دِينِكَ فِيهِ حِينَ تَأْتِيهِ خَلِيعَ الْإِزَارِ
لَا تَرَى فِيهِ الشَّمْسُ نَهَارًا وَتَرَى الْإِقْمَارَ نِصْفَ النَّهَارِ
وَعَلَى حَيْطَانِهِ أَسَدٌ حَرْبٍ فَوْقَ امْهَارٍ وَفَوْقَ مِهَارِ
شَهِدُوا الْحَرْبَ بِأَرْمَاحِ زَوْرٍ وَسَيْوْفِ نَائِيَاتِ الشَّفَارِ
وَتَرَى الْإِبْدَانَ حِينَ أَتَتْهُ تَسْكُنِي الصَّحَّةَ وَهِيَ عَوَارِي
بَيْنَايِعَ كَقَضْبَانِ دُرٍّ تَسْكَفَا مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ
وقال عبد الله بن المعتز في ذم حمام :

وَحَامُنَا كَالعُجُوزِ يَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَيْتٌ لَهُ مُنْتَنٌ وَبَيْتٌ لَهُ بَارِدٌ

ولقد أخذ هذا اللفظ بعينه بعض المحدثين وزاد فيه فقال :

وَحَامُنَا هَذِهِ كَالعُجُوزِ تَلْدُ وَيَشْقَى بِهَا الْوَارِدُ
فَيْتٌ لَهَا مُنْتَنٌ ضَيْقٌ وَبَيْتٌ لَهَا وَاسِعٌ بَارِدٌ

ومن أجود ما قيل في صفة الثَّورَةِ قول الآخر :

وَمَجْرَدٌ كَالسَيْفِ أَسْلَمَ نَفْسَهُ لِمَجْرَدٍ يَكْسُوهُ مَا لَا يَنْسَجُ
ثَوْبًا تَمْرُقُهُ الْأَنْمَالُ رَقَّةً وَيَذِيهِ الْمَاءُ الْقِرَاحُ فَيَمِجُ
وَكَأَنَّهُ لَمَّا التَّقَى فِي خَصْرِهِ نِصْفَانِ ذَاعَاجٌ وَذَا فَيُرْوِجُ

(الشطرنج - قلت فيه)

إِذَا أُعْفِيَتِ الصَّهْبَا مِنْ قَدْحٍ وَمِنْ شَجٍّ
وَكَانَ الْكَأْسُ لَا يُجْدَى وَمَزَجَى الرَّاحَ لَا يُزْجَى

وألقى اللّهُ من بلى
 لأيامٍ أخاضتْنا
 فمنها الجسمُ في نقصٍ
 فما أنفكُ في حرٍّ
 وما من شرِّها ناجٍ
 تمتعنا بمسوعٍ
 وتلو ذكراً من نهوى
 كأننا منه في هرجٍ
 تمشى الزنجُ للرومِ
 فما أحسنها بيضاً
 أقمنا بيننا حرباً
 شهدناها بلا طبلٍ
 وجئناها بلا سيفٍ
 ترى أفراسنا تعدو
 مشى الفرزانُ معوجاً
 ورُخٌّ ينتحى نهجاً
 وفيلٌ ليس يحدوه
 وعند الشاةِ منصوبٌ
 وحولى أوجهه غُرٌّ
 إذا مادونَ الحسنِ

وأرجى الشربُ من يرجى
 من الأحرانِ في لُجٍّ
 ومنها القلبُ في وهجٍ
 وإن أصبحتُ في ثلجٍ
 وما من كيدِها مُنجي
 مليحِ النظمِ والنسجِ
 على نردٍ وشطرنجٍ
 ولسنا منه في هرجٍ
 وقام الرُّومُ للزنجِ
 تمشيينَ إلى دعجٍ
 بلا عجٍّ ولا نيجٍّ
 ولا بوقٍ ولا صنجٍ
 ولا رُمحٍ ولا زجٍ
 بلا لجمٍ ولا سرجٍ
 لأمرٍ غيرِ مُعوجٍ
 فلا يعدو عن النهجِ
 يدا شلحٍ ولا علجِ
 لواءِ النصرِ والفلجِ
 عليها سيمهُ السرجِ
 تراهم أولَ الدرجِ

﴿ ماورد في النرد ﴾

وقال السرى بن عبد الله الرفاء:

ومحكمان على النفوسِ وربما لم يحكما فيهنَّ حكماً عادلا

يلقاهما المرزوقُ سعداً طالعاً ويراها المحرومُ سعداً آفلاً
فاذا هما اصطحبا على كف الفقى ضراء أو نفاها نفماً حاجلاً

(وأما القدح)

فأجود ما قيل فيه قول ابن مقبل :

مُخْرَجٌ مِنَ الْعَمَى إِذَا صَكَّ صَكَّةً بَدَا وَالْعَيُونُ الْمُسْتَكْفَةُ تَلْمَحُ
غَدَا وَهُوَ مَجْدُولٌ وَرَاحَ كَأَنَّهُ مِنَ الْمَسِّ وَالتَّقْلِيْبِ بِالْكَفِّ أَوْطَحُ
إِذَا امْتَحَنَتْهُ مِنْ مَعَدِّ عِصَابَةٍ غَدَا وَبِهِ قَبْلَ الْمَفِيضِينَ مَقْدَحُ

(انتظار الفرج)

أنشدنا أبو أحمد عن ابن دُرَيْد :

إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْيَأْسِ الْقُلُوبُ وَضَاقَ بِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأُوطِنْتَ الْمَكَارَهُ وَأَطَانَتْ وَأُرْسَتْ فِي مَطَامِنِهَا الْخَطُوبُ
أَتَاكَ عَلَى قَنُوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ يَمُنُّ بِهِ الْإِطِيفُ الْمُسْتَجِيبُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَفَقَرُونَ بِهَا الْفَرَجَ الْقَرِيبُ
وَقُلْتُ : لِكُلِّ مُلْمَأَةٍ فَرَجٌ قَرِيبٌ كَثَلِ اللَّيْلِ يَتْلُوهُ الصَّبَاحُ
وَإِنَّ لِكُلِّ صَالِحَةٍ فَسَادًا كَذَلِكَ لِكُلِّ فَاسِدَةٍ صَلاَحُ
وَاللَّيَامُ أَيْدٍ بِأَسْطَاتٍ وَأَفْنِيَةٌ مُوسِعَةٌ فَسَاحُ
وَقَدْ تَأْتَى وَأُوجِهَا صَبَاحٌ كَمَا تَأْتَى وَأُوجِهَا قَبَاحُ
وَالْحَالَاتِ ضَيْقٌ وَاتِّسَاعٌ وَلِلدُّنْيَا انْفِلاقٌ وَانْفِتاحُ
فَلَا تَجْنَعُ لَهَا وَاصْبِرْ عَلَيْهَا فَإِنَّ الصَّبْرَ عَقِبَاهُ النَّجَاحُ
وَكُلُّ الْحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ فَفَقَرُونَ بِهَا الْفَرَجَ الْمُنَاحُ

(معنى آخر)

قد ينفع الأدب الأحداث في مهلٍ وليس ينفع بعد الكبرة الأدبُ

إِنَّ الْفُصُونَ إِذَا قَوَّمتها اعتدلتْ • ولا يَلِينُ إِذَا قَوَّمتها الخشبُ
وأجود ما قيل في ازدحام المتجمين على أبواب المفضلين البيت المشهور:
من أكثر الاحسان من فعله • وعمَّ بالفضل جميع الأنام
يزدحمُ الناس على بابهِ • والمشرَبُ العذبُ كثيرُ الزحام
وقال أبو الهول:

إذا السماء أبتْ إلا محاذرةً • سحَّتْ يد الفضل ياقوتاً وعقيانا
ترى الرفاق إلى أبوابه زمراً • ورد القطا أقبلتْ مثنى ووحداً

(معنى آخر)

ليس جودٌ أعطيته بسؤال • قد يهزُّ السؤال غيرَ جوادِ
إنما الجودُ ما أتاك ابتداءً • لم تذقْ فيه ذلةَ التردادِ

(ومن أجود التشبيهات في المحجمة قول بعضهم)

وخضراء لا من بنات الهديل • يُلففُ بالسير منقارها
كأنَّ مشقَّ عيونِ القطا • إذا هنَّ تؤمن آثارها
وقال أيضاً في المحجامة:

أما وأبيك لا أنساه تدمي • مضاربُ سيفه البطل الكميا
وبرقاً في أنامله إذا ما • تألقَ فتَّح الوردِ الجنيا
إذا ظمئتْ فراحُ أبيك يوماً • سقاها من رقابِ الناس ريباً
وإن جرحَ الأخادع مطمئناً • كسا الوجناتِ ديباجاً بهيا
ولم أرَ مثلهُ يأتي عُقوقاً • ويدعوهُ الورى برّاً تقيا
وقال آخر: أبوك أوهى النجاد عاتقه • كم من كبيّ آدمي ومن بطلِ
يأخذن من ماله ومن دمه • لم يمس من ناره على وجلِ

﴿ ومما قيل في خطل الرأي قول الآخر ﴾

عُذْرُكَ عِنْدِي بِكَ مَبْسُوطٌ وَالْعَتَبُ عَنْ مِثْلِكَ مَحْطُوطٌ
لَيْسَ بِمَسْخُوطٍ فَعَالَ أَمْرِي كُلُّ الَّذِي يَأْتِيهِ مَسْخُوطٌ
وقال آخر :

يَأْمَنُ يَقْلِقُهُ طَنِينُ ذَبَابٍ وَيَفْلُ عَزْمَتُهُ صَرِيرُ الْبَابِ
ضَرَبَ السَّرَادِقُ فِي رُوقِي بَابِهِ وَالذَّارُ تَعْجِزُ عَنْ مَقِيلِ ذَبَابِ
وَأَقَامَ لِلْبَوَابِ حَاجِبَ حَاجِبٍ أَرَأَيْتَ حَاجِبَ حَاجِبِ الْبَوَابِ

﴿ إفساد المعروف بالمن ﴾

قال بعضهم :

أَبَانُ إِبْلِ تَعَلَّةَ بِنِ مُسَاوِرٍ مَادَامَ يَمْلِكُهَا عَلَيَّ حَرَامٌ
وَطَعَامَ عَمْرَوِ بْنِ أَوْفَى مِثْلَهُ مَادَامَ يَسْلُكُ فِي الْبَطُونِ طَعَامُ
أَنَّ الَّذِينَ يَسُوعُ فِي أَحْلَاقِهِمْ زَادُ يَمْنٌ عَلَيْهِمْ لِلشَّامِ
لَعَنَ الْإِلَٰهَ تَعَلَّةَ بِنِ مُسَاوِرٍ لَعْنًا يَشْنُ عَلَيْهِ مِنْ قُدَّامِ

﴿ من يعيب غيره وهو معيب ﴾

من المشهور في ذلك قول الشاعر :

أَرَى كُلَّ إِنْسَانٍ يَرَى عَيْبَ غَيْرِهِ وَيَعْمَى عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي هُوَ فِيهِ
وَمَا خَيْرٌ مِنْ تَخْفِي عَلَيْهِ عَيْبُوهُ وَيَبْدُو لَهُ الْعَيْبُ الَّذِي لِأَخِيهِ
وَلَأَبِي دَلَامَةٌ (١) فِي مَعْنَاهُ :

إِذَا النَّاسُ غَطَوْنِي تَغَطَيْتُ عَنْهُمْ وَإِنْ بَحَثُوا عَنِّي فَفِيهِمْ مَبَاحِثٌ

(١) هو زند بن الجون، وأكثر الناس يصحف اسمه فيقول زيد - بالياء - وهو زيد بالنون . وهو كوفي ، نبغ في أيام بني العباس وانقطع إلى أبي عباس والمنصور والمهدى فكانوا يصلونه .

وان حفروا بئرى حفرتُ بئارهم ليعلم قومٌ ماتضمُ النبائثُ (١)

﴿ معنى آخر ﴾

صديقك حين تستغنى كثيرٌ ومالك عند فقرك من صديق
فلا تغضب على أحدٍ إذا ما طوى عنك الزيادة عند ضيق
في مدح قوادة حاذقة :

تكاد لو لم تك إنسيةً تجرى من الانسان مجرى الدم
لا نعصم الحسنة من كيدها ولو توت في منزل الأعصم
وقول الآخر في ذلك :

نسهل كل ممتنع عسيرٍ وتأتى بالمراد على اقتصاد
فلو كلفتها تحصيل طيف الخيال ضحى زار بلا رقاد
وقريب من ذلك قول الآخر :

من دم إدريس في قيادته فانى شاكره لادريس
من بمستصعب فجاء به أطوع من آدم لابلِس
وكان في سرعة المحي به آصف في حمل عرش بلقيس

﴿ معنى آخر ﴾

مازددت في أدبى حرفاً أسره به إلا تزيتُ حرفاً تحته شوم
انّ المقدم في حذق بصنعته أنى توجه منها فهو محروم
وقريب منه : ولرّ بمارزق الفتى بسكوته
ومن الجيد في ذلك قول الآخر :

إذا اجتمعت في امرء بين صناعةٍ وأحبت أن تدرى الذى هو أحذق
فحيث يكون النقص فللمال واسعٌ وحيث يكون الحذق فالرزق ضيق

(١) في نسخة « النوابث » وفي الأغاني « ليعلم يوماً كيف تلك النبائث » .

﴿ معنى آخر ﴾

إذا قلَّ مال المرءٍ لانت قناته
ومثله قول الآخر: المرء بكرمٍ للغي
وقال آخر: غضبان يعلم أن المال ساق له
فمن يكن عن كرام الناس يسأني
وقال آخر: كفي حزناً أني أروح وأغدى
وأكثر ما ألقى صديقي بمرحباً
وهان على الأذى فكيف الأبعد
وبهان للعدم العديم
مالم يسقه له علم ولا أدب
فأكرم الناس من كانت له نسب
ومالي من مال أصون به عرضي
وذلك لا يعني الصديق ولا يرضي
وقال آخر في معناه:

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى
وليس الغنى إلا غنى زين الفتى
وكلُّ غنيٍّ في القلوب جليل
عشيةً يقرى أو غداةً ينيل

﴿ ماورد في حظ الجاهل ﴾

فمن جملة ذلك قول الشاعر:

ومالب اللبيب بغير حظٍ
رأيت الحظَّ يستر كل عيبٍ
بأغنى في المعيشة من فتيل
وهيئات الحظوظ من العقول

والعرب تقول إسع بجد أودع . وقال الحارث بن حلزة:

والعيش خيرٌ في ظلا
لكلِّ حُرٍّ مبتلى
والنحسُ في طالعه
فكن رقيماً ساقطاً
وكن رقيماً ماجداً
هيئات أن يحظى الفتى
وقلت:

لالنوك ممن عاش كدّاً
يعيش في حال نكد
أثبت من وصل وتد
تصدُرُ بحظٍّ وتردُ
واصبر على مالم ترد
بجدِّ سعدٍ دون جد
فانهض بجدِّ في الحوادثِ أودر
واستأنف الأمر الذي لم يعسر
وإذا نصرت الأمور فارجهما

مأقربَ الأشياءِ حينَ يسوقها قَدَرٌ وأبعدها إذا لم يُقدر

﴿ الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة ﴾

قال بعضهم: ولن يلبث الجاهل أن يتمضموا أبا الخلم ما لم يستمن بجهول
وقال الأحنف بن قيس:

وذى ضغنٍ أمتُ القولِ منه بحلمٍ واستترٌ على المقال
ومن يحلم وليس له سفينةٌ يلاقي المضلاتِ من الرجال
وقال غيره: لأبدٌ للسيدِ من أرماحٍ ومن عديدٍ يتقى بالراح

ومن سفينةٍ دائم النباح

﴿ معنى آخر ﴾

وما الجودُ من فقرِ الرجالِ ولا الغنى ولكنهُ خيمُ النفوسِ وخيرُها
فنفسك أكرمٌ عن أمورٍ كثيرةٍ فمالك نفسٌ بعدها تستعيرُها
وقد تخدعُ الدنيا فيمسي غنيها فقيراً ويغني بعد بُؤسٍ فقيرُها
وكم طامعٍ في حاجةٍ لا ينالها وكم ^(١) آيسٍ منها أتاهُ بشيرُها

﴿ الاقتداء بالقرين ﴾

أجود ما قيل فيه قول رسول الله ﷺ « المرءُ على دينِ خليله ^(٢) »

ومن أقدم ما قيل فيه قول عدي بن زيد العبادي:

عن المرءِ لا تسألُ وأبصرُ قرينَهُ فانَّ القرينَ بالمقارنِ مُقتدى

(١) في الأصل (ومن) . (٢) بقية الحديث « فليُنظر أحدكم من يخالِلُ »

رواه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي والقضاعي وغيرهم، قال الشاعر:

عن المرءِ لا تسألُ وسلْ عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدى
فان كان ذا شرٍّ فجنبه سُرعَةً وان كان ذا خيرٍ فقارنه تهتدى
إذا كنت في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

وليس رصفه بالجيد . وقال غيره :
ولا يسئل الانسان إلا قرينه ^{وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد}
(المأخوذ بذنب غيره)

قال الشاعر في ذلك :

جنى ابن عمك ذنباً فابتليت به ^{إن القى باين عم السوء مأخوذ}
ومن قديم ما قيل في ذلك قول النابغة :
أحملتني ذنب امرئ وتركتهُ ^{كذى المرء يكوى غيره وهو راتع}
وقال غيره : إني وقتلي سليكاً ثم أعقله ^{كالثور يضرب لما عاقت البقر}
(في النهي عن الظلم قول الاول :)

البغي ^{بصرع} أهله والظلم مرتع ^{وخيم}
وقال النبي ^ﷺ « الظلم ظلمات ^{يوم القيامة} » ^(١) . وقال بعضهم :
ظلمك من خلقك مستخرج ^{والظلم مشتق من الظلمة}
وقلت في عاملٍ صودر :

لو أنصفَ الظالمُ من نفسه ^{لأنصفَ الظالمُ في نفسه}
إن كانَ لا يرحمُ في يومه ^{لكانَ لا يرحمُ في أمسه}

(ماورد في الجبن)

وأفاننا هجين بنى سليم ^{يفدى السهر من حب الاياب}
فلولا الله ^{والمسهر المفدى} لا بت وأنت ^{غربال الاهاب}
وقال آخر :

باتت ^{تسجفتي هند} وقد علمت ^{أن الشجاعة مقررون بها العطب}

(١) حديث متفق عليه عن ابن عمر مرفوعاً ، ورواه مسلم وغيره عن جابر بلفظ « إقموا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .
(٣٢ - ثاني المعاني)

ياهندُ لاوالذي حجَّ الحجيجُ لهُ مايشهى الموتُ عندي من له أدبُ
وقال آخر في المعنى :

نجوتُ نجاهاً لم يرَ الناسُ مثلهُ كأنني عُقابٌ عندَ تيمنِ كاسِرُ
وقال آخر :

يقولُ ليَ الأميرُ بغيرِ شكِّ تقدّمَ حينَ جدبنا المِرأسُ
ومالي إن أطعتك من حياةٍ ومالي بمد هذا الرأسِ راس

﴿ ومن المضحكات قول الآخر ﴾

ألم ترني وعمراً حينَ نغدو إلى الحاجاتِ ليس لنا نظيرُ
أسايرُهُ على يُمنى يديهُ وفيما بيننا رُجلُ ضيرُ
ومن المضحكات قول القاساني في الجبن والتطفيل :

أرى في النومِ رُحماً أوسناناً فأسلحُ في الفراشِ على مكاني
ولكني المُبارزُ حينَ أدعى إلى أكلِ العصيدةِ والفراني
وما عمروُ هناك أشدُّ مني ولا العبسيُّ عنترَةُ الطمان
ولازيد الفوارسِ حينَ أدنو فألقى بالكلاكلِ والجران
تراني عندها ليناً فغيراً إذا ما اصطكَّ مني الماضغان
أشدُّ على الخبيصةِ لأبالي بأىِّ جنوبها وقعتُ بنائي
وكم طبقِ رَدَدَتْ وليس فيه من البقلِ المحصلِ جبتان

﴿ الخلق من الثياب ﴾

قال الحمدوني :

طالَ تردّادهُ إلى الرفوحتي لو بيشناهُ وحادَهُ تهادي
وقال آخرُ : قال غسّالي لما جتته قولاً صحيحاً
ياعزيزي أنا لا أغسلُ بالصابونِ ريحا

وأحسن من ذلك كله وأشهر قول الآخر :

يا ابن حرب كسوتني طيلساناً ملّ من صُحبة الزّمان وصدّاً
إن تمنحت فيه ينحز عيراً أو تحركت فيه ينقدّ قدّاً

﴿ من أحب لبناته الموت ﴾

قال بعض الأعراب :

انى وإن سيقَ إلى المهرُ ألفٌ وعبدان وذودٌ عشرُ
أحبُّ أصهارى إلى القبرُ

وقال مُعبِدُ الله بن عبد الله بن طاهر :

لكلِّ أبى بنتٍ يُراعى شؤونها ثلاثةُ أصهارٍ إذا مُطلبَ الصهرُ
فبعلُ يُراعيها وخدرُ يكنها وقبرُ يوارىها وخيرُهما القبرُ

جعل القبر خير الثلاثة الأصهار فإنه نعم الصهر في السر . كلام الملحدين لعنهم الله :

فمنهم ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصى :

هى الدنيا وقد نعموا بأخرى وتسويفُ النفوس من السوافى
فان كذبوا أمنت وإن أصابوا فان المبتلىك هو الماعافى
وأصدق ما أثبتك ان قلبي بتصديقِ القيامةِ غير صافى

وقال ابن أبي البغل :

باح ضميرى بمضمّر الأمرِ وذاك أنى أقولُ بالدهرِ
وليسَ بعد الماتِ حادثةٌ وإنما الموتُ بيضةُ العقرِ
وقال آخرُ : يا ناظرًا فى الدين ما الأمرُ لا قدرُ صحَّ ولا جبرُ
ماصح عندى من جميع الورى يُذكرُ إلا الموتُ والقبرُ

قبهم الله لقد أعظموا القول ولم ينتفعوا إلا بالفضيحة فى الدنيا والاثم فى الآخرة . وإنما أورد مثل هذا لتعرف أهله ولأن تسمية الكتاب توجبه . ونحوه

قول ابن الرومي وأجاد :

أيارب إن سوّيت بيني وبينه
فكيف وقد أعلّيته وخفضتني
لما كان عدلاً أن نكون سواء
فكنت له أرضاً وكان سماء

﴿ فصل آخر ﴾

كتب أبو الشيبس إلى رجل كان وعده مخدّة فأبطأت عليه :

يا صديقي وأخي في كل ما يعرف
ليت شعري هل زرّعتم بذرّ كنانِ المخدّة

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال أهدى بعض العمال
إلى دعبل بن علي الخزاعي برذوناً زمنّاً فردّه وكتب إليه :

وأهديته زَمِنًا فانيا فلا للربّ كوب ولا للثمن
حملت علي زَمِنٍ شاعراً فسوف يكافي بشعرِ زمن
أبا الفضل ذمّاً وُغرمأمماً فما كنت ترجو بهذا الغين

ووعد رجل دعبلّاً نملاً يهد بها إليه عند قدمه من الحج فأبطأت عليه فقال دعبل الخزاعي :

وعدت النمل ثمّ صدفت عنها كأنك تشتهي شتماً وقدفا
فان لم يُهد لي نملّاً فكنها إذا أعجبت بعد النونِ حرفاً

وأخبرني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد بن أبي طاهر قال كتب إلى أبو علي
البصير يستهديني بخوراً كنت أهديت منه إلى بعض إخواني ، والأبيات :

يا شقيقي ويا خليلي إباء المرجي لكل خيرٍ ومير
أنت من أطيب الأنام بخوراً غير آني شممته عند غيري
وهو جملٌ لديك فابحث بدرجٍ منه إن لم أكن تعدّيت طوري

فكتبت إليه :

قد بعثنا إليك منه بدرجٍ وأرناك منه أطيب زور

بين نديّ وبينَ عودٍ مطرّاً مالهُ مشبهٌ بنجدٍ وغورٍ
 أنتَ منه أزكى وأطيبَ عرفاً وهو أزكى من كل طيبٍ ونورٍ
 ما هدّيتَ فيه طورك عندي فتبخّر منه بأيمنٍ طيرٍ

وحدثني أبو أحمد عن أبيه عن أحمد قال حدثني أبو دعامة الشاعر قال
 كتب العتّابي إلى مالك بن طوق يستزيده ويستهديه ويدعوه إلى صلة الرحم والقراية
 بينه وبينه وكان مما كتب : إن قرابتك من قرب منك خيره وإن ابن عمك من
 عمّ نفعه وإن عشيرتك من أحسن معاشرتك وإن أحب الناس إليك أجداهم
 بالمنفعة عليك وإن أهداهم إلى مودتك من أهدى إليك ، ولذلك أقول :

ولقد بلوتُ الناسَ ثمَّ سبرتهم ووصلتُ ما قطعوا من الأسباب
 فإذا القرايةُ لا تُقربُ قاطعاً وإذا المودّةُ أقربُ الانسابِ

قال أبو هلال رحمه الله : هذا آخر ما رأينا تضمنه هذا الكتاب وبالله التوفيق
 والحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين .

﴿ فهرس الجزء الثاني من ديوان المعاني ﴾

	الصفحة
٣	الباب السابع : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد وذكر المياه والرياض والنبات والأشجار والرياحين والثمار والنسيم .
٣	الفصل الأول : في صفة السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه ---
١٢	الفصل الثاني : في ذكر الرياض والأنوار والبساتين والثمار وما يجري مع ذلك .
٤٦	الفصل الثالث : في ذكر النسيم .
٤٩	الباب الثامن : في صفات الحرب والسلاح والطعن والضرب ، وما يجري مع ذلك .
٧٤	الباب التاسع : في صفة الخط والقلم والدواة والقرطاس وذكر البلاغة ، وما يجري مع ذلك .
٧٤	الفصل الأول : في ذكر الخط والقلم والدواة والقرطاس ، وما يسلك مع ذلك .
٨٧	الفصل الثاني : في ذكر البلاغة .
٩٢	من كلام الفلاسفة وما يقاربه من شعر ونثر الأدباء .
٩٤	محاسن كلام العرب والاعراب والخطباء والكتاب .
٩٧	أمثلة في البلاغة الكتابية .
٩٩	ومن جيد الأدعية .
١٠١	المدح عند الكتاب تترأ .
١٠٣	الذم والتهجين تترأ ، كلمات في الشكر مأثورة عن البلغاء .
١٠٦	الباب العاشر : في صفات الخيل والابل والسير والفلوات وذكر الوحوش والطيور والحشرات ، وما يجري مع ذلك .
١٠٦	الفصل الأول : في صفات الخيل .
١١٨	الفصل الثاني : في ذكر الابل وسيرها ، وما يجري مع ذلك من وصف أحوالها .
١٢٨	الفصل الثالث : في ذكر الفلوات والظلال والسير والنعاس وما يجري مع ذلك .

- ١٣١ الفصل الرابع: في ذكر الوحوش والسباع والكلاب والصيد وما يجري مع ذلك .
- ١٣٥ الفصل الخامس : في ذكر الطيور .
- ١٤٣ الفصل السادس : في ذكر بقية الحيوان من السنور والقنفذ والفأرة والحية والعقرب والحرباء والضب والبق والبراغيث ، وما يجري مع ذلك .
- ١٥٢ الباب الحادى عشر : في صفة الشباب والشيب والخضاب والعلل والموت والمرائى والزهد ، وما يجرى مع ذلك .
- ١٥٢ الفصل الاوّل : في الشباب والشيب والخضاب ، وما يتصل بها .
- ١٦٥ الفصل الثانى : في ذكر العلل والأمراض والمرائى والتعازى والزهد .
- ١٨٦ الباب الثانى عشر : في صفة أشياء مختلفة يختم بها ديوان المغانى .
- ١٨٦ القول فى الحنين إلى الأوطان .
- ١٩٤ فصل فى مدح الاخوان .
- ١٩٨ فى ذم الاخوان والرفقاء . وما يجرى مع ذلك .
- ٢٠٤ فصل فيما قيل فى فضل الوعد ومدح الانجاز .
- ٢٠٦ ما قيل فى الضحك والبشر عند السؤال .
- ٢٠٨ فصل فى تعمية الأشعار .
- ٢١٤ أحسن ما قيل فى تقبيل اليد .
- ٢١٥ الخضر على السلام .
- ٢١٧ السلام على الكفار ، رد السلام على الكفار ، ما جاء فى المصافحة .
- ٢١٨ قولهم : حياك الله ويياك .
- ٢١٩ قولهم مرحباً .
- ٢٢٢ ما جاء فى : أطال الله بقاءك - جعلت فداك .
- ٢٢٣ دعاء المكاتبه .
- ٢٢٤ قولهم : كيف أصبحت .
- ٢٢٩ ما جاء فى الدعاء للخارج إلى السفر .

٢٣٠. الدعاء للقادم من السفر . الدعاء للمهزوم .
 ٢٣١. الدعاء للمعزول .
 ٢٣٢. دعاء الأعياد .
 ٢٣٣. ما قيل في القيام للاجلاء .
 ٢٣٤. ما قيل في شعبان وشهر رمضان وشوال .
 ٢٣٦. فصل في معان مختلفة : نسيب ، هجو ، مدح .
 ٢٣٩. التفاضل بين الاخوان . الحث على موافقة الناس . اغياب الزيارة .
 ٢٤٠. في ذم العجائز . ماورد في فضل الحمام .
 ٢٤١. الشطرنج وما قيل فيه .
 ٢٤٢. ما ورد في التردد .
 ٢٤٣. القدح . انتظار الفرج . معان أخرى .
 ٢٤٤. العطاء بلا سؤال . ما قيل في المحجمة والحجام .
 ٢٤٥. ما قيل في خطل الرأي . إفساد المعروف بالمن . من يعيب غيره وهو معيب .
 ٢٤٦. فرار الأصدقاء عند الضيق . حرفة الأدب .
 ٢٤٧. اغترار الناس بالغنى . حظ الجاهل .
 ٢٤٨. الاستعانة بالجاهل في وقت الحاجة . عزة النفس . الاقتداء بالقرين .
 ٢٤٩. المأخوذ بذنب غيره . النهي عن الظلم . ماورد في الجبن .
 ٢٥٠. ومن المضحكات . الخلق من الثياب .
 ٢٥١. من أحب لبناته الموت .
 ٢٥٢. أبو الشيص ورجل وعده بمخدة . نعل دعبل الخزاعي . استهداء بخور .
 ٢٥٣. المودة أقرب الانساب . منتهى الديوان .
-

(اختلافات نسخة المتحف البريطاني وغيرها من الروايات والتصويبات في الجزء الثاني)

وأكثرها من استدرجات الأستاذ الدكتور كرنكو

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
٢٠ ١٠٩ زفته	١٢ ٤٣ في القدور	٤ ١ عن نسختي
٢٢ ١٠٩ ضرار الغطفاني	١١ ٤٩ المفضل النكري	٢٣ ٤ آني بمطر
١٥ ١١٠ كالفدن	١ ٥١ سعد بن	٥ ٦ بمدامع لم
٢ ١١١ على سواد	٤٤٣ ٥٣ عمرو بن	١٠ ٦ دواخ ضمنت
٤ ١١١ عارضت	٧ ٥٥ الجرور	١١ ٦ حفل اللقاح
١٩ ١١٢ تعلق بزى	١٨ ٦٤ السواء عدونا	١٢ ٦ سجم.. فواجم
٧ ١١٤ تهارش عنده	١٩ ٦٤ المؤقف	٨ ٧ لدمات
١٨ ١١٤ نوادي.. تدقق	٢٠ ٦٤ شباب	٢٢ ١٢ بعيم الثبت
١ ١١٥ بقارح	٢١ ٦٤ كالسيور	٢٢٤٩ ١٣ وحوذان
١٧ ١١٦ دكدك	١ ٦٥ أحمر عاتر	٤ ١٥ بن المعذل
٦ ١١٨ مناذر	١ ٦٦ تنحري	٦ ١٥ مغان
١ ١١٩ رهوأ	٦ ٦٦ جذل	١٢ ١٥ وشث
٦ ١٢١ مضرحيات	١٠ ٦٨ بن شباب	٢٢ ١٦ الحمانى
١٢ ١٢١ بخت مخيسة	١١ ٦٨ وميض البيض	١٣ ١٧ وجنى رباها
١٧ ١٢٢ حسابان	٣ ٧٠ العضروط	١٤ ١٨ تزحف
١١ ١٢٣ البيت جون	٨ ٧١ أخذ من	١ ١٩ لعسجد
١٨ ١٢٤ أودى السفار	٨ ٧٢ الدم	٦ ٢٠ جاسد
٩ ١٢٥ السباب	٨ ٧٣ ومشلشلة: مفرقة	٩ ٢٠ لؤلؤ كالأقحوان
١١ ١٢٥ بهاشرق	٢ ٧٧ كأطباء	١٢ ٢٠ مجتاز
٢١ ١٢٧ جفار	٥ ١٠٨ عبدة بن الطيب	١ ٢٣ المعذل
٢٢ ١٢٨ وفد الريح	٢٢ ١٠٨ الأسمع	٨ ٢٣ تبارى.. مغدا
٢٠ ١٣٢ أظلافه نسق	١٣ ١٠٩ تارز	٢ ٣٢ ودستبوى
٢٠٤١٦ ١٢٤ قسما	١٨ ١٠٩ ثار عجاج	٨ ٣٣ على كرات
٤ ١٣٥ مثل الشراع	١٩ ١٠٩ تنفس	٢٢ ٣٧ قرط

الصفحة السطر	الصفحة السطر	الصفحة السطر
يداشلج ١٧ ٢٤٢	معز الدولة ٢٢ ١٧٩	فيه شنج ١٣ ١٤٠
وعند الشاه ١٨ ٢٤٢	تمر وأغفل ١٨ ١٨٣	ينفد ١٣ ١٤٢
من النعمى ٥ ٢٤٣	يفعل ١٩ ١٨٣	شنج ١٤ ١٤٢
بالكف أفتح ٦ ٢٤٣	رام ٢٠ ١٨٣	كتحوط ٤ ١٤٤
أبه .. يقده ٧ ٢٤٣	بسرین ارطاة ٤ ١٨٥	لهازمه ... فطح ٩ ١٤٥
الهدیل ١٢ ٢٤٤	أرضاً فيها ٦ ١٨٧	بالعطاءة. التنضبة ١٧ ١٤٦
دَم ٢٣ ١٦	یحیی بن طالب ١٦ ١٨٧	فجرة ١٠ ١٤٧
یتاَ کَل ٥ ٥٧	راح ركب ١٣ ١٩٣	على الجذل ١١ ١٤٧
ونواقد ٩ ٨٥	بأخلاق ٩ ١٩٤	تقافزت ١ ١٥٠
الهزار ٦ ٩٢	عياها ١٧ ١٩٩	الشدق ١٩ ١٥١
ومواد ١٦ ٩٦	أبو الشعر ٢١ ٢٠١	بعد شيبية ٤ ١٥٢
وعدوناً ١٧ ٩٦	أفرنجمشك ٢١ ٢٠٨	سواد اللبة ٣ ١٥٥
ولباته ١٢ ١٣٧	بشؤبويه ١٣ ٢٠٩	مخظمة ٦ ١٥٥
أدب ١٠ ١٦٤	مروان الجعدى ١٨ ٢١٥	بان الاميروبان ١٠ ١٧٢
جذبة ١٢ ١٧٦	مكعت ٩ ٢١٦	ابن مناذر ٣ ١٧٥
	الزرقى ١١ ٢٢٠	الخرمى ٧ ١٧٥
	الارحبي ١٧ ٢٢٦	عن شباة ١٥ ١٧٥
	معشق ٢٠ ٢٢٦	١٨ وزدت بمازودتى ١٨ ١٧٥
	قذراً وأسلم ما سواه البرجد	٢٣ مجتاب شملة برجد بسرته ٢٣ ٢٤١

(فهرس لأسماء الشعراء مرتبة على الحروف)

باعتبار الشهرة في الأثر

الأمخس بن شهاب ٦٨
 الأخطل ج ٢ : ٢٥ ، ١٧١ ، ٢٣٠
 أدريس بن أبي حفصة ٦٣
 اسحق بن خلف ج ٢ : ٥٧
 اسحق الموصلي ٢٤٧
 الأسدي ٣٥
 أسعد بن البكاء البكري ج ٢ : ٢١٧
 الأسعرا الجعفي ج ٢ : ١٠٨ ، ١٠٦ ، ٥٠
 الأسود بن يعفر ٢٥٤
 أشجع ١٧ ، ٦٣ ، ٩٢ ، ٦٤ ، ١٤٥ ،
 ج ٢ : ١٨٥
 الأعمش ٢٤ ، ٤٤ ، ٧٩ ، ١٠٩ ، ١٤٣ ،
 ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ج ٢ :
 ١٢ ، ٢٢٦
 الأغر بن كاسر ج ٢ : ٢٢٣
 الأوفوه الأودي ج ٢ : ٩٠
 الأقبيل القيني ٨٨
 أمامة بنت الجلاح ٦١
 امرؤ القيس ٨١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٦١ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٤٥ ، ج ٢ : ٥٧ ، ٣٠
 ٦٢ ، ١٠٩ ، ١١٤ ، ١٤٢ ، ١٥٩ ، ١٩٣ ،
 أمية بن أبي الصلت ٢٦ ، ٤٦ ، ١١٠ ،
 أوس بن حجر ١٢٤ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ،
 ج ٢ : ٤ ، ٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٨ ، ١٧٣ ،
 أيمن بن خريم ج ٢ : ١٤٤

(١)

ابراهيم بن اسماعيل النسائي ١٨٢
 ابراهيم بن العباس ٦٦ ، ٩٠ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٨٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ج ٢ :
 ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢١٥
 ابن أبي أمية ج ٢ : ٢٤
 ابن الأعرابي ٣٥٩
 ابن أمية الكاتب ٥٩
 ابن الأنباري ١٤٨ ، ج ٢ : ٢٣٨ ، ١٧٩ ،
 أبو الأسد الدينوري ٣٠ ، ٦٣ ، ج ٢ : ٢٠٣ ،
 أحمد بن ابراهيم ٢٣٢ ، ج ٢ : ٢١٩
 أحمد بن أبي طاهر ٤٨ ، ٩٤ ، ج ٢ : ١١٨ ، ٢٥٢ ،
 أحمد بن اسحق الطالقاني ج ٢ : ١٦٦
 أحمد بن اسحق الموصلي ج ٢ : ١٨٩
 أحمد بن اسماعيل الخطيب ١٣٠
 أحمد بن اسماعيل ج ٢ : ٧٥ ، ٧٩ ،
 ٨٣
 أحمد بن زياد الكاتب ج ٢ : ١٥٧
 أحمد بن محمد بن اسحق ج ٢ : ٧٩
 أحمد بن يزيد ج ٢ : ٢٣٥
 أحمد بن يوسف ٩٥
 أحمد المادرائي ٣١٦
 الأحمر ج ٢ : ١٣٤
 الأخطل ٢١ ، ٢٧ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٨٣ ،
 ١٧٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤

(ب)

البحري ٢١ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ،
 ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٦٣ ،
 ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٩ ، ١٠٦ ،
 ١٠٨ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
 ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٧ ، ٢٠٠ ،
 ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٦ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ،
 ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٤٤ ؛
 ٣٤٨ ، ج ٢ : ١٧ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٥٣ ،
 ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ ،
 ٧٠ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٩٩ ، ١١٥ ، ١١٩ ،
 ١٢٦ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ، ١٦٧ ، ١٩١ ،
 ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

ابن بسام ٣١٦ ، ٣٤٨ ، ج ٢ : ٢٣ ، ٢٣٤ ،
 بشار ٣٣ ، ٤٢ ، ٥٩ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ،
 ١٨٩ ، ٢٠٣ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٤١ ،
 ٢٥٧ ، ٢٧٩ ، ٣١١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ،
 ج ٢ : ٤٧ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ١٦٩ ،

١٩٦ ، ١٩٢

بشامة بن الغدير ج ٢ : ١٣١ ،
 بشر بن أبي خازم ١٣٩ ، ٢٣٨ ، ج ٢ :

١٢ ، ١٣ ، ٧٢ ،

البصير ١٢١

البعيث ٢٧٧

بكر بن خازم ٢٤٣

بلعاء بن قيس ١١٤

(ت)

تأبط شرأ ١١٢ ، ج ٢ : ١٢٩ ،
 أبو تمام ٨ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٢٩٦ ، ٣١ ،
 ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٦ ،
 ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٣ ،
 ٨٤ ، ١٠٤ ، ١٠٩ ، ١١٥ ، ١١٧ ،
 ١٣٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦١ ، ١٦٤ ،
 ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ،
 ١٨٧ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٣ ،
 ٢٤١ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٦٥ ، ٢٧٧ ،
 ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٤٣ ،
 ٣٥٣ ، ج ٢ : ١٩ ، ٥٦ ، ٦٦ ، ٧٧ ،
 ٧٨ ، ٩١ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١١٥ ، ١٢٠ ،
 ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ،
 ١٦٠ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ١٧٦ ، ١٧٨ ،
 ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٩٠ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٢٣٩ ،
 التوخي ٣٢ ، ٧٠ ، ٢٤٤ ، ٣٤٧ ،
 ٣٥٨ ، ج ٢ : ١٦ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٢٢ ، ٥٤ ،
 التوزي ١٢٢

(ث)

ثابت قطنه ١٣٨

الثقفي ج ٢ : ١٨٥

(ج)

جيباء الاشجعي ج ٢ : ١٢٧

الجحاف ٨١

جحظة البرمكي ٣١ ، ١٦٣ ، ٢٠٦ ،

الحسين بن اسماعيل ٢٢٣
 الحسين بن الضحاك ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ج ٢ :
 ٢٢٥ ، ٢٠٦
 الحسين بن مطير الاسدي ٤١ ، ج ٢ :
 ١٧٦ ، ١٧٥ ، ٦
 أبو الحسين بن أبي البغل ج ٢ :
 ٩٢ ، ٨٠
 حصين بن حمام ١١٥
 الخطيب ٢٢ ، ٢٧ ، ٣٣ ، ٣٨ - ٤٠ ،
 ٤٣ ، ١١٨ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٩٩ ،
 ج ٢ : ١٩١
 الحلبي ج ٢ : ٤٥
 حلحلة بن قيس ١٣٣
 حماد الراوية ١٨١ ، ج ٢ : ١٩٨
 حماس بن ثامل ٤٤
 الحمانى ٨٥ ، ٢٣١ ، ٣٣٩ ، ج ٢ :
 ١٦ ، ٥٠ ، ١١٤ ، ١٣٤ ، ١٤٧ ،
 ١٥٤ ، ١٥٣
 الحدوني ٢٧٨ ، ج ٢ : ٢٥٠
 حمزة بن بيض ١٠
 حميد بن ثور ٣٢٦
 الحويدرة ج ٢ : ١٨٨
 أبو حية ج ٢ : ١٢٧
 (خ)
 خارجة بن مليح المكي ٦٢ ، ٦٣
 خالد بن زهير ١٥٨

٣٠٠ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ٢٠٢
 جذل الطعان ج ٢ : ٦٦
 جران العود ٣٣٨
 جرير ٣١ ، ٦٦ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٩ ،
 ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨١ ،
 ٢٠٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٣٥٢ ، ٣٥١ ،
 ج ٢ : ٦٣ ، ١٠٧ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥٧ ، ١٨١
 جعفر بن محمد ج ٢ : ١٩٤
 جميل ٧٨ ، ١٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ، ٢٧٤ ،
 ج ٢ : ١٢٩ ، ٢٣٧
 جندل بن الراعي ج ٢ : ١٢٧
 أبو جندب ٨٢ ، ٨٣

(ح)

حاجز الازدي ج ٢ : ٢٢٨
 الحارث بن ظالم ١٧٠ ، ج ٢ : ١٨٧
 الحارث بن عباد ج ٢ : ٦٣
 الحارثي ج ٢ : ٢٣٤
 أبو حازم الباهلي ج ٢ : ١٥٢
 ابن حرثان ١٧٤
 أبو علي الحرمازي ج ٢ : ١٧٠ ، ٢٤٠
 حسان بن ثابت ٣٢ ، ٣٧ ، ١٨٢ ، ١٨٩ ،
 ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣١٤ ، ج ٢ :
 ٦٩ ، ٥١
 الحسن بن وهب ٢٥٧ ، ٢٧٢ ، ج ٢ :
 ٨٣ ، ٢٣٥
 الحسن بن الكيناني ج ٢ : ٢١٦

ابن الدمينه ٣٤٦
 أبو دهب الجمحي ١٣٩
 أبو دواد ١٤٢ ج ٢ ، ١٠٦ ، ١١٢ ،
 ١٢٨ ، ١٤٦
 ديك الجن ٥٦ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٢٠ ،
 ١٩٤ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ،
 ٢٦٩ ، ٢٧٠ - ٢٧٢ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ،
 ٣٢١ ، ٣٤٤ ، ٣٥٠ ، ج ٢ : ١٣٧ ،
 ١٨١ ، ٢٢١
 الدبلي ٢٠١

(ذ)

أبو ذؤيب ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،
 ٣٦١ ، ج ٢ : ٤

(ر)

راشد بن شهاب الشكري ج ٢ : ٦٤
 الراعي ج ٢ : ١٢٣ ، ١٣٢
 رؤبة بن العجاج ج ٢ : ١٢٣ ، ١٢٨ ،
 ١٣٠ ، ١٥٥
 الربيع بن أبي الحقيق ج ٢ : ٣٩
 الربيع بن ضبع الفزاري ج ٢ : ٢٢٤
 رزين العروضي ١٩٩
 الرقاشي ج ٢ : ١٧٩
 الرياح الأسدي ج ٢ : ١٥٠
 ذوالرمة ١٨١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ،
 ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٧٥ ، ٣٣٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،
 ٣٥٥ ، ج ٢ : ٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

عالم الكاتب ٣ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣٥٠
 الخالدي ٢٠٨ ، ج ٢ : ٧٨
 الخباز البلدي ج ٢ : ٤٢
 خدش بن زهير ج ٢ : ٧٣
 أبو خراش ١٣١ ، ج ٢ : ٧٢
 خريم بن فاتك ٢٦
 الخريبي ٧٤ ، ٢٧٩ ، ج ٢ : ١٧٧ ، ١٧٥
 ابن خلاد ٢٩٦ ، ٣٠١ ، ج ٢ : ٣٦
 خلف بن خليفة ٧٥ ، ١٠٤ ، ج ٢ :
 ١٦٢ ، ١٤٥

خلف الأحمر ج ٢ : ٧٣
 الخليل بن أحمد ١٣٤ ، ١٤٧ ، ١٨٥ ،
 ج ٢ : ٣٠
 الخنساء ٤١ ، ١٣٨
 الخوارزمي - متأخر ج ٢ : ١٥٦

(د)

دريد بن الصمة ٥٥ ، ١٢٢ ، ١٤١ ،
 ج ٢ : ٥٨
 ابن دريد ٢٧ ، ٣٢٠ ، ج ٢ :
 ١١٠ ، ١١٩ ، ٢٣٧
 دعل الخزاعي ١٢٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ ،
 ٢٠٧ ، ج ٢ : ١٥٩ ، ١٨٠ ، ١٩٤ ،
 ٢٣٨ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧
 أبو دغفل الكلابي ج ٢ : ٧٠
 أبو دلامة ج ٢ : ٢٤٥
 أبو دلف العجلي ٩١ ، ٢٧١

زياد الأعجم ١٧٠، ١٧٧، ١٨٠،

زيد الخليل ج ٢: ٤٩، ٦٨،

زينب بنت الطيرة ٥٧

(س)

سالم بن وابصة ٣٥٧

أبوسرح ج ٢: ١٨٦،

السري الرفاء ٧٢، ١٩٩، ٢٢٥،

٢٣٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٩٠، ٢٩٤،

٣٠٩، ٣١٢، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٧،

٣٤١، ٣٤٥، ٣٦١، ج ٢: ١١، ١٧،

٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٧،

١٣٧، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٢،

سعد بن ناشب ج ٢: ٥١،

سعيد بن أبان بن عينة ١٣٣،

سعيد بن حميد ٩٥، ٢١٦، ٢٦٧، ج ٢:

٢٢٢، ٢٨٤، ٣٤٩،

سعيد بن العاص ١٩٦،

سعيد بن الوليد البطين ج ٢: ٢٢٠،

أبو سعيد الاصفهاني ج ٢: ٢٠٩،

أبوسعيد الخزومي ١٨١،

ابن السكن ٢٠٨،

سلامة بن جندل ج ٢: ٦٥،

أبو السمح الطائي ٢٩،

السموأل ٣٧، ٨٣،

سهل بن هرون ٢٨٢،

سيف بن ذي يزن ج ٢: ٦٢،

١٢٩، ١٣٣، ١٤٧،

ابن الرومي ٢٦، ٢٩، ٣٠، ٤٢،

٤٣، ٤٥، ٥٤، ٦٨، ٧١، ٧٤، ٧٥،

١١٩، ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢-١٤٤،

١٥٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٩،

١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٧-١٩٠،

١٩٤-١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٤، ٢١٠،

٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢٣، ٢٢٧،

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩-٢٤٤،

٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦٥، ٢٦٩،

٢٧٠، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٢-

٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩،

٣١٠، ٣١٤، ٣٢١، ٣٣٠، ٣٣٥،

٣٦٠، ٣٦١، ج ٢: ٣٢، ١٧، ١٨،

٢١، ٢٢، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٧،

٤٥-٤٧، ٥٥، ٥٧، ٦٠، ٦١،

٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٨١، ١٠٤،

١٣٥، ١٤٧، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢،

١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣-١٨٤،

١٨٩، ٢٠٣، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٣٧،

الرياشي ج ٢: ٢٣٤،

(ز)

أبو زيد ج ٢: ٥٨،

زفر بن الحارث ج ٢: ٢٠٠،

ابن الزمكدم ١٩٥،

زهير ٢٩، ٣١، ٤٦، ٥٢، ١٠٥،

١١٤، ٢٣٠، ج ٢: ٢٠٦،

(ش)

- شبيب بن البرصاء ج ٢: ١٩٦
 أبو شراعة ج ٢: ٢٢٩
 الشماخ بن ضار ج ١١٥، ٢٣٠، ٢٣٦: ٥٩
 ١٠٩، ١٢٥
 الشمر دل بن شريك ٣٥٨
 أبو الشمقمق ١٩٨
 أبو الشيص ٢٥٥، ج ٢: ١٢٣، ١٩٨، ٢٥٢

(ص)

- أبو إسحق الصابي ج ٢: ١٦٣
 صاحب بن عباد ١٦٧
 أبو صفوان الثقفي ج ٢: ٢٣٢
 صفية الباهلية ١٧
 أبو الصلت ٩٢، ٣٠١
 الصلتان ١١٩
 الصمة بن عبد الله القشيري ج ٢: ٢٢٥
 الصموت الكلابي ٦٨
 الصنوبري ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤٨، ٢٩٢
 ٣٢٢، ٣٢٣، ج ٢: ١٢، ٣٠، ٣٢
 الصولي ١٤٦، ١٤٨، ٢٥٥، ٢٥٧
 ٣٤٧، ٣٥٠، ج ٢: ١٦٥، ٢٠٧

(ض)

ضمرة بن ضمرة ٨١

(ط)

- ابن طارق ج ٢: ١٤٤
 أبو طالب عم النبي ﷺ ٣٧

طاهر بن علي بن سليمان ٣٤٧

- ابن طباطبا ج ١٢٤، ١٣٠، ١٩٨، ٢١٢
 ٢١٦، ٢٣٨، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٣٣
 ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٥٣، ٣٦٠
 ج ٢: ١١، ٢٧، ٣٦، ١١٦، ١٤٤، ٢١٣
 طرفة ج ٢: ٧
 الطرماح ج ٢: ١٣١، ١٤١
 ١٧٥، ٢٣٨
 طريح بن اسماعيل الثقفي ٢٤، ٢٥٢، ١٢٦
 طفيل الغنوي ج ٢: ٢٢٠
 الطراح العقيلي ج ٢: ٢١٩
 أبو الطمحان ٢٢، ٢٣، ج ٢: ١٦١

(ع)

- عائشة بنت أبي وقاص ٩
 العباس بن الأحنف ١٦١، ٢٢٥
 ٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١
 ٢٦٣، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٧٥
 ٢٨١، ٢٨٢، ٣٤٩، ج ٢: ١٦٥
 العباس بن جرير ١٢٣
 العباس بن مرداس ١١٠، ١١٤
 ج ٢: ١١٠
 عبد الصمد بن المعذل ١٢١، ١٢٥
 ١٧٨، ج ٢: ١٥، ٢٣، ٤٠، ١٤٦، ١٦٧
 عبد العزيز بن زرارة ٨٨
 عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ٣٣٨
 عبد الله بن أيوب التيمي ٦٠
 عبد الله بن الحسن ٢٦٢

عروة بن حزام العذري ٢٨١
 عروة بن الورد ١٠٧، ١٩٥
 أبو عروة المدني ١١
 العطوي ج ٢ : ٢٠٣
 عتبة بن كعب بن زهير ج ٢ : ٢٢٨
 علقمة بن عبدة ١٠٤، ٢٥٠
 العلوي الأصفهاني ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٣٨،
 ٣٤١، ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٦، ٣٥٧
 علي بن جبلة العكوك ٢١، ٢٨، ٥٠، ٥١
 ١٠٦، ج ٢ : ٦٦، ١٠٧، ١٠٨، ٢٣٥
 علي بن الجهم ٨٠، ١٠٤، ٢٥٣، ج ٢ : ٢٣
 ٢٢١
 علي بن الخليل ٣٤٨
 علي بن عاصم ٢٨٤
 علي بن العباس النوبختي ج ٢ : ١٦٧
 علي بن عبد العزيز الجرجاني ج ٢ : ١٦٨
 علي بن محمد بن الأفوه ٤٩
 علي بن محمد البصري ١٠٨
 علي بن محمد الكوفي ج ٢ : ١٥٨
 عمارة بن عقيل ٧٧، ١٣٦، ٢٤١، ج ٢ :
 ٢١٩، ١٠٩
 العماني ج ٢ : ١٣٧
 عمران بن حطان ٣١٥
 عمران بن عصام ٣٣
 عمر بن أبي ربيعة ١٢٢، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢
 عمرو بن الاطنابة ١١٤
 عمرو بن شاس الأسدي ٢٢٤، ج ٢ : ٧٢، ٧٣
 عمرو بن قيسة ٢٧٦

(٣٤ - ثاني المعاني)

عبد الله بن عبد الله بن عتبة ٣١٤
 عبد الله بن محمد الفقيهي ج ٢ : ١٩٣
 أبو عبد الله الاسباطي ج ٢ : ١٥٦
 ابن عبد الاسدي ١١
 عبد الملك بن مروان ٢٦٢
 عبد مناف بن ربيع ج ٢ : ٥٥
 عبد بن الحساس ٢٦٠، ج ٢ : ١٦٦
 عبدة بن الطبيب ج ٢ : ١٠٨، ١٤٤
 ١٧٥، ٢١٦
 عبيد بن الأبرص ١١٨، ج ٢ : ١٥٥
 عبيد بن أيوب ١١٣
 عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ١٠٨
 ٢٥٠، ج ٢ : ٢٥١، ٢٦٠
 عتاب بن ورقاء ج ٢ : ٦٠
 العتابي ج ٢ : ٩
 أبو العتاهية ٢٠، ٧١، ١٠٥، ١٢٠،
 ١٢٥، ج ٢ : ١٥٥، ٢١٨، ٢٢٦
 ٢٢٧، ٢٣٢
 ابن أبي العتاهية ١٩٨
 العجاج، ج ٢ : ٧١
 عجير السلوي ٣١٥
 عدى بن الرقاع ج ٢ : ١٣١، ١٣٢
 ٢٣٣، ٢٣٥
 عدى بن زيد ج ٢ : ١٣٧، ٢٤٨
 العديل بن الفرغ المجلي ج ٢ : ٢٣٦
 عرفجة بن شريك ج ٢ : ١٨٥
 العرجي ١٠
 عروة بن أذينة ج ٢ : ٢٣٢

القاسم بن حنبل ٤٣
 القصار ج ٢ : ٧٩
 القصاني ٣٥٣
 القطامي ١٢٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٩ ، ٣٢٩ ،
 ج ٢ : ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٧
 قيس بن الأسلت ٢٤٣
 قيس بن الخطيم ١٧٠ ، ٢٢٩ ، ٢٧٦ ،
 ج ٢ : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٧٠ ، ١١٩
 قيس بن ذريح ٢٧٠
 قيس بن عاصم ١٣٥ ، ١٥١
 (ك)

أبو كبير ٣٨
 كثير ٥٨ ، ٦٣ ، ٢٣٠
 كشاجم ٦٨ ، ٢٠٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٤ ،
 ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ج ٢ :
 ٢٩ ، ٣٠ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ١١٠ ، ١٥٨ ،
 ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٣٠٤ ،
 ٣٢٦ - ٣٢٨
 كعب بن الأشرف ج ٢ : ٣٩
 كعب بن زهير ١٩٩ ، ج ٢ : ٦٢
 كعب بن سعد ج ٢ : ١٧٨
 كعب بن مالك ١١٥
 كعب الغنوي ٣٣٧
 كلثوم بن عمرو ١٥٤
 الكميث ج ٢ : ١١٤

(ل)

ليد ١١٨ ، ٣١١ ، ج ٢ : ١٩٨ ، ١١٢

عمرو بن كلثوم ٩٠ ، ج ٢ : ٥٠
 عمرو بن محمد الثقفي ٢٩
 عمرو بن معد يكرب ١١١ ، ج ٢ : ٥٣ ، ٢٣
 أبو العميثل ٥٣ ، ١٦٣ ، ٢٧٣
 عنصرة العبسي ١١٠ ، ٣١٧ ، ج ٢ :
 ٦٤ ، ١٢١ ، ١٤٨
 عوف بن قطن ١١٧
 عوف بن محم ٢٦٢
 عون بن محمد الموصلی ٣٥٢
 عيسى بن أوس ٢٤
 ابن أبي عينة ١٩٠ ، ١٩١ ، ج ٢ :
 ١٣٧ ، ١٣٨
 أبو عينة ج ٢ : ٣١ ، ٢١٣

(ف)

أبو فراس ج ٢ : ١٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
 ٦١ ، ١٩٧ ، ٢٠٠
 الفرزدق ٢١ ، ٤٩٠ ، ٧٨٤ ، ٤٣ ، ١٤٥ ،
 ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ج ٢ : ٨٧ ، ١١٩ ،
 ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٧٧ ، ٢٣٤ ، ٢٨١
 فروة بن مسيك الغطيفي ج ٢ : ٢٣١
 أبو الفضل بن العميد ٣٠١
 أبو فضلة ٣٣٥
 الفد الزماني ج ٢ : ٦٠
 ابن أبي فنن ٢٨٤ ، ٣١٥ ، ٣٤٥

(ق)

قابوس بن وشمكير ج ٢ : ٢٠٢
 القاساني ج ٢ : ٢٥٠

محمد بن أبي الموج ٢٣٦
 محمد بن يعقوب بن داود ج ٢: ٢٠٢
 محمود الوراق ج ٢: ١٥٣ ، ١٦٤
 المخبل ج ٢: ٦٣
 مخلد الموصل ٣٣٥
 المرار الفقعسي ١٢٤
 مروان بن أبي حفصة ٤٧ ، ٥٢ ،
 ١٣٥ ، ١٠٥
 مزاحم العقيلي ج ٢: ١١٠ ، ١٥٥
 مزرد بن ضرار ج ٢: ٥٨
 مسعود أخو ذى الرمة ج ٢: ١٢٨
 مسكين الدارمي ٧٩ ، ٢٩٧ ، ج ٢: ٥٨
 مسلم بن الوليد ٢٠ ، ٧١ ، ٣٠٣ ، ١١٦ ،
 ١١٧ ، ١٦٢ ، ١٧٨ ، ٢٥٣ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٣١١ ، ٣٤٣ ، ج ٢:
 ٥١ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،
 ١٥٨ ، ٢٣٩
 مصعب بن عمير الليثي ٢٠٢ ، ٢٠٣
 المصيبي ٢١٥
 مضر بن ربيعي ٣٤٣
 أبو مطاع ٢٦٨
 مطيع بن إلياس ج ٢: ١٨٤
 أبو المعافى ج ٢: ١٩١ ، ٢٢٩
 ابن المعتز ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٤٤
 ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٤١ - ٢٤٣ ، ٢٤٧ - ٢٥٢ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ -

ابن لجأ ج ٢: ١٢٧
 لقيط بن زرار ٨١
 لقيط بن يعمر الأيادي ٥٥
 ابن لنكك ١٨٩ ، ج ٢: ٢٠١ ، ١٨٠
 ليلي الأخيلية ٤٤

(م)

المؤمل ٢٢٦ ، ٢٥١
 مالك بن أسماء ج ٢: ١٦٢
 مالك بن حريم الهمداني ج ٢: ١٠٧
 مالك بن نويرة ج ٢: ٥٥
 مان الموسوس ٢٥٢ ، ٢٨٣
 المبرد ١٤٥
 مبشر بن هذيل الشمخي ٨٩
 المتلس ١٣٥
 متمم بن نويرة ج ٢: ١٧٤ ، ١٧٦
 المتبي ١٠٨ ، ١٩٦ ، ج ٢: ٦١
 ٧٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٩ ،
 ١٧٠ ، ٢٣٧ ، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ، ٣٢٢ ،
 الجنون ٢٧١ ، ٢٨١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩
 محمد بن أيوب ج ٢: ٢٠٩
 محمد بن بشر الأزدي ٣٤
 محمد بن جعفر بن محمد ج ٢: ٦٦
 محمد بن ذؤيب العماني ج ٢: ٢١٩
 محمد بن زياد الكاتب ج ٢: ١٦٧
 محمد بن عبد الله بن ظاهر ٢٧٠
 محمد بن عبد الله الجعفرى ج ٢: ٢٣٥
 محمد بن محمد اليزيدي ج ٢: ١٧١
 محمد بن مسلمة البشري ج ٢: ٦٧

٦٨٦ ٦٧٦ ٥٢٦ ٣٩٠ ج ٢ : ٣٤٦

٢٤٩٦ ١٩٦٦ ١٤٥٦ ٧٠

الناجم ٢١١ ٢١٢ ٢١٥ ٢١٥ ٢١٩ ٢١٩ ٢١٩

٢٢١ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٨ ٢٢٨ ٢٢٨ ج ٢ : ١٦٥

الناشي ٢٣٥ ٢٣٥ ٢٥٤ ٢١٢ ٣٣٤

ج ٢ : ٢٢٨

التجاشي ١٧٦ ١٧٧

أبو النجم ١١٣ ٢٧٩

أبو نخيلة ج ٢ : ١١٦

أبو الشناش ٨٨

نصر بن أحمد ٢٤٦ ٢٧٢ ٢٩٧

ج ٢ : ٣٧

نصيب ١٧ ٣٣ ١٢٩ ٢٦٢

النظار الفقعي ٢٨٢ ج ٢ : ٧

النمر بن تولب ١٢ ٨٠ ٢٢٩ ٢٥٥

٢٦٥ ج ٢ : ١٣ ٣٩ ٥١ ١٨٣

٢٢٦

التميري ٢٦٠

نهشل بن حري ٦٥

نهيك بن أساف ج ٢ : ١٩٨

أبونواس ٣٦ ٣٧ ٥٨ ٧١ ١٢٧

١٤٤ ١٤٥ ١٥١ ١٧٩ ١٨٦

١٨٧ ١٩٤ ٢٠٢ - ٢٢٣ ٢٢٣

٢٣٠ - ٢٣٢ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٥٠

٢٥٤ ٢٦٢ ٢٦٥ ٢٣٠ ٣٠٦

٣٠٨ ٣١١ - ٣١٣ ٣٢٠ ٣٢١

٣٤٣ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٦٠ ج ٢ :

٢٠ ٢٠٩ ١٠٣ ٩٩ ٧٠ ١٢٠

٢٨٩ ٣٠٧ - ٣١٠ ٣١٢ ٣١٥

٣١٧ ٣٢١ ٣٢٩ ٣٣٣ ٣٣٥ -

٣٤٠ ٣٤٢ ٣٤٤ ٣٤٨ ٣٥٣

٣٥٥ - ٣٦٠ ج ٢ : ١٠ ١٦ ٢٤ -

٢٦ ٣١ ٣٨ ٤٠ ٤١ ٤٦

٤٧ ٥١ ٥٤ ٥٧ - ٥٩ ٦١ ٦٥

٦٧ ٧٥ ٨١ ١٠٧ ١٠٨ ١١٢

- ١١٤ ١١٦ ١٢١ - ١٢٣ ١٢٦

١٢٩ ١٣٠ ١٣٢ ١٣٦ ١٣٧

١٤٠ ١٤١ ١٤٥ ١٤٧ ١٤٨

١٥٠ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٧ ١٧٩ -

١٨٢ ٢٢١ ٢٤١

المعدل بن غيلان ٢٨٠

معن بن أوس المزني ١١٣ ١٥٣

المفضل التكري ج ٢ : ٤٩

ابن مقبل ج ٢ : ١٦١ ٢٤٣

المقنع الكندي ج ٢ : ١٥٦

أبو مكعت الأسيدي ج ٢ : ٢١٦

ابن مناذر ج ٢ : ١١٨ ١٧٥

منصور التمري ٢٨ ٣٥ ٥٨ ٥٩

٢٥٣ ج ٢ : ٥٦ ٦٧ ١٥٦

مهلهل ١٧٣ ج ٢ : ١٧٦

موسى بن سحيم ج ٢ : ٢٠١

ابن ميادة ١٢٣

(ن)

النايفة الجعدي ٣٤ ٣٦ ج ٢ : ٦٦

النايفة الذيباني ١٥ - ١٧ ١٩ ٢٠

٢٧ ٢١٧ ٢١٨ ٢٣٨ ٢٨٠

٢٧٦٦٦٦٩ - ٢٦٦٦٦٦٤٦٦٦٣
 - ٢٩٢٦٢٩٠ - ٢٨٨٦٢٧٩٦٢٧٨
 ٦٣٠٤٦٣٠٢٦٢٩٨٦٢٩٧٦٢٩٥
 - ٣١٧٦٣١٣ - ٣١٠٦٣٠٨ - ٣٠٦
 ٦٣٣١٦٣٢٨٦٣٢٤٦٣٢٣٦٣١٩
 - ٣٤٩٦٣٤٧٦٣٤٥ - ٣٣٥٦٣٣٣
 ٦٣٥٩٦٣٥٧٦٣٥٦٦٣٥٤٦٣٥١
 ٦٣٣ - ١٥٦١١ - ٩٦٢ ج
 ٦٥٩٦٥٨٦٤٨ - ٤١٦٣٨ - ٣٥
 - ٨٠٦٧٨٦٧٦٦٧٥٦٧٢٦٧٠٦٦٨
 - ١١٠٦١٠٨٦١٠٠٦٩٣٦٩٢٦٨٤
 - ١٣٦٦١٢٩٦١٢٤٦١٢٣٦١١٢
 ٦١٥٠٦١٤٨٦١٤٦٦١٤٥٦١٤٢
 ٦١٦٤٦١٦٢٦١٥٩ - ١٥٤٦١٥١
 ٦١٨٢ - ١٨٠٦١٧١ - ١٦٩٦١٦٧
 ٦٢٠٤ - ٢٠١٦١٩٧٦١٩٦٦١٨٩
 ٦٢٤١ - ٢٣٩٦٢٢١٦٢١٥٦٢١٣
 ٢٤٩٦٢٤٧٦٢٤٣
 أبو الهندي ٣١١
 أبو الهول ج ٢: ٢٤٤
 أبو الهيثم ١٧٧

(٥)

ابن يامين ج ٢: ٥٢
 يحيى بن زياد الحارثي ١٢٦٦٣١٨
 يحيى بن طالب الخنفي ج ٢: ١٨٧
 يزيد بن الطثيرة ٢٥٩٦٣٣٤ ج ٢: ١٦٢
 يزيد بن معاوية ٣٠٨
 يزيد المهلب ج ٢: ١٩٩
 يعقوب بن الربيع ج ٢: ٢٢٤

١٣٤ - ١٣٢٦١٣٧٦١٣٥٦١٢١
 ٢٠٦٦١٨١٦٦٦١٤٠ - ١٣٨

(و)

الوائق بالله ج ٢: ١٦٥
 أبو وجزة السعدي ٥٩
 وضاح اليميني ٢٢٦٦٢٢٥
 وهب بن عمرو ١٥٧
 ابن وهب ٢٨

(هـ)

هرون بن علي ٩٣٦٣٢٧
 هرون بن محمد الآملي ١٩٦
 ابن هرمة ٣٣٦١٩٦٣٥٨٦٢٨٩ ج ٢: ٦٥
 أبو هفان ٦٥٦٨٠
 أبو هلال العسكري مؤلف الديوان ٢ -
 ٦٢٧٦٢٥٦٢٣٦٢٢٦٢٠٦١٣٦٥
 ٦٥٩٦٥٥ - ٥٣٦٤٣٦٤٢٦٣٠٦٢٩
 ٦٨٤٦٨٠٦٧٩٦٧٥ - ٦٩٦٦٤٦٦٠
 ٦١٠٧٦١٠٠٦٩٩٦٩٢٦٩٠ - ٨٨
 ٦١٢٤٦١٢٣٦١٢٠٦١١٠٦١٠٩
 ٦١٤٠٦١٣٩٦١٣٣٦١٣٢٦١٢٨
 ٦١٦١٦١٥١٦١٤٨٦١٤٥٦١٤٢
 ٦١٨٦ - ١٨٤٦١٨٠ - ١٧٨٦١٦٧
 ٦٢٠١٦١٩٧٦١٩٣ - ١٩١٦١٨٨
 ٦٢١٠٦٢٠٨٦٢٠٧٦٢٠٥٦٢٠٣
 ٦٢٢٥٦٢١٦٦٢١٥٦٢١٣٦٢١١
 ٦٢٤١٦٢٣٩٦٢٣٧٦٢٣٦٦٢٣٢
 ٦٢٥١٦٢٤٩ - ٢٤٧٦٢٤٥٦٢٤٣
 ٦٢٦١٦٢٦٠٦٢٥٧ - ٢٥٥٦٢٥٣

- ٣ منجد المقرئين وطبقات قراء العشرة لابن الجزرى (الورق الخشن ٢)
- ١٢٥ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي (وهو في الزبادات على الكتب الستة) عشرة أجزاء.
- ٢٠٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد . وهو أجمع كتاب مطبوع في التراجم ومهم الحوادث لألف سنة (ثمانية أجزاء ، والورق الأصفر ١٦٠)
- ٣٠ كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني
- ١٢ الحاوى للفتاوى (من فقه وحديث وتفسير وأصول وتصوف ونحو . .) للسيوطي
- ٢٠ ديوان المعاني (في الشعر والنثر ونقدهما) لآبى هلال العسكري .
- ٢ الطب الروحاني لابن الجوزى ، ١ المسائل والأجوبة لابن قتيبة .
- ١٥ شرح أدب الكتّاب للجوانيقي (الورق الخشن ١٠) .
- ١٥ تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد المسمى بالتقصي لحديث الموطأ وتراجم شيوخ الامام مالك واختلاف الموطآت لابن عبد البر .
- ٤ الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة (الاسمر ٣) .
- ٤ المبعج في تفسير شعراء الحماسة لابن جنى ، ٣ دفع شبه التشبيه لابن الجوزى .
- ٦ الاتقاء في فضائل الفقهاء : مالك والشافعي وأبى حنيفة وأصحابهم لابن عبد البر .
- ٦ القصد والامم في التعريف بأنسب العرب والعجم ، والابناء على قبائل الرواه »
- ٢ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين صلوات الله وسلامته عليه لابن طولون .
- ٦ الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوى (وهو كتاب تاريخ للتاريخ الاسلامى) .
- ١ الكشف عن مساوى المتنبى للصاحب بن عباد، وذم الخطأ في الشعر لابن فارس .
- ٢٠ تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الأشعري المعروف بطبقات الاشاعرة لابن عساكر (فيه زهاء ثمانين ترجمة) (الاسمر ١٦) .
- ٣ شروط الائمة الخمسة البخارى ومسلم وأبى داود والترمذى والنسائى .
- ٤ انتقاد (المغنى عن الحفظ والكتاب) للقدسى .
- ٨ جنى الجنتين في تمييز نوعى المثنيين للبحى (وهو كعجم للشنيات العربية) .
- ٤ أخبار الظراف والمتهاجين (من الرجال والنساء) لابن الجوزى .
- ٧ رسائل تاريخية لابن طولون: الفلك المشحون بأحوال محمد بن طولون، والشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية، والمعزة في تاريخ المزة، والنسك التاريخية .
- ١ الحث على التجارة والصناعة والعمل والرد على من يدعى التوكل بترك العمل للخال .
- ٢٥ ذبول تذكرة الحفاظ للحسينى وابن فهد والسيوطى والطهطاوى (الاسمر ٢٠) .
- ١ بيان زغل العلم والطلب للذهبي ، ٣ الدررة المضية في الرد على ابن تيمية للسبكي .
- ٢ إتحاف الفاضل بالفعل المنبئ لغير الفاعل لابن علان، ورسالة في النحو للصادق
- ١ المتوكلى فيما وافق من العربية اللغات العجمية ، وأصول الكلمات اللغوية للسيوطي
- ٥ التطفيل وأخبار الطفيليين وأشعارهم للخطيب البغدادي .